حضرموت الثقافية

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - December - 2016 ربيع الأول ١٤٣٨هـ
مجلة فصلية - السنة الأولى العدد (2)



وفد مركز حضرموت يتتبع هجرة الأجداد إلى مدن الأرخبيل الإندونيسي

الصحافة العربية الحضرمية .. انتكاساتها في حضرموت وازدهارها في إندونيسيا وسنغافورا

السلطان غالب بن عوض القعيطي (الثاني) يستكمل حديث الذكريات



أثر الباحثين الأجانب في تراث حضرموت البحري

ثقافة إعادة البناء في مدينة شبام

حضرموت في المصادر الكلاسيكية

الانتظار في الحجرات
من الوعي بالنسب إلى الوعي بالأدب

الحضارمة والانتماء المتغيّر في الهوية



المكلا تهتف للشاعر حسين البار بالأحضان



الرائد باوزير
تساؤلات المستقبل
في ذكرى
رحيله الرابعة

من أعلام حضرموت



العلاّمة المؤرخ عبدالرحمن بن عبيداللاه السقّاف

ولد في قرية عَلَمْ بدر بمدينة سيئون ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م

توفي رحمه الله تعالى ببلدة سيئون سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

بريشة الحفيد:

عبدالرحمن بن حسن بن عبدالرحمن السقّاف

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

المؤتمر العلمي الدولي الأول



المكلا 20-21 ديسمبر 2016

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين

(20-21ديسمبر 2016م)

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الأولى العدد (٢)

أكتوبر - ديسمبر ٢٠١٦م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

أ. صالح حسين الفردي

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

أ. حسن سعيد الشنيني

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. عبدالقادر علي باعيسى

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطبعة وحدين الحديثة للأوفست ت:٣١٦٦١٥

مراسلات المجلة

Hc.magazine16@gmail.com

asaljaidi@yahoo.com

العنوان : المكلا - باجعمان

عمارة بن سوّاد - ت: ٣٥٠١٣٥



متابعات 8

تاريخ

أضواء على التراث المعماري لمدينة شبام حضرموت (ثقافة إعادة البناء)..... 76

أوراق في تاريخ السلطنة القعيطية (الورقة الثانية) 80

حضرموت في المصادر الكلاسيكية 82

منبر جامع الشحر 85

أثر الباحثين الأجانب في دراسة تراث حضرموت البحري 88

الوقف الخيري في تريم 94

لغويات

من ثمرات اللغة

(من طرائف العلماء) 98

دراسات

- المكلا و (صمت الأشرعة) 126

- الحضارمة والانتماء المتغير في الهوية..... 129

كتابات

- لزمني شمسه 99

- انهمارات حضرمية 99

- الوتر السادس.. (برمة) المؤرخ الكبير 100

- جزيرة الكهف 101

- الثقافة الزراعية الحضرمية 102

الجدوى العلمية من النجوم الشبامية 104

- تطور عملية الاتصال الجماهيري 113

تأملات

الانتظار في الحجرات 108

مدار

تباريح قلم.. في هوية الإبداع الأدبي..... 106

أمكنة

قرن ماجد .. منطقة وحاكم 74



ذاكرة



حديث البداية

ونحنُ نبدأ معاً 6

حوار العدد



السلطان غالب بن عوض بن صالح القعيطي
يستكمل حديث الذكريات
55

أعلام

- المكلا تهتف للشاعر حسين البار بالأحضان..... 27
- الشيخ محفوظ يسلم بن عبدّه 42
-أحمد عوض باوزير وتساؤلات المستقبل 46
- أحمد عوض باوزير .. في ذكرى وفاته الرابعة 49
- باصرّة .. وبعض جهوده في خدمة علم الفلك الحضرمي 52
- الصحافي أحمد هيثم صالح الحميري 54



الشيخ (بن عبدّه)



الصحافي الحميري



الفلكي باصرة

تراثيات





- من الحكايات الشفاهية الحضرمية 122
- حكيم البادية .. الشاعر علي سعيد السومحي 124

قراءة



قراءة في كتاب
السلطان علي بن صلاح القعيطي
114

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنيّة إخراجية .
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر

أضواء



الفنان باسليم ورحلة (٤٦) عاماً



الصحافة العربية الحضرمية
انتكاستها في حضرموت وازدهارها في اندونيسيا وسنغافورا



إشكالية التأهيل في مسرح حضرموت 142



إبداعات

شعر

يـــا مُكـــلا
اللوحـــة واللون
قالت امرأة في المدينة
الصمـــت الرهيـــب
أتاني قـــائلاً
أنا ما باقـــنع منه

سرد

ليل (٢)

العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

ونحنُ نبدأ معاً



الأستاذ :
محمد بن سالم بن علي جابر

ونحن نبدأ معاً مشوار مجلة (حضر موت الثقافية) في عددها الثاني، الذي بين يديك، لا يفوتنا أن نعبر عن مقدار سعادتنا ونحن نستقبل الأصداء الطيبة للعدد الأول من المجلة، والذي تلقفه - بترحاب - كل المهتمين بالمشهد الثقافي في حضر موت الوطن والمهجر، مما منحنا مزيداً من الثقة، وزاد من حرصنا على تحمُّل أمانة الرسالة الثقافية والتاريخية والتراثية والحضارية التي نسعى إلى تحقيقها في مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ونحن نأمل أن يستمر تعاوننا لتحقيق هذه الأهداف والغايات الحضرمية السامية.

في العدد الأول تشرفنا باستكتاب نخبة من الأسماء الأكاديمية والثقافية والإبداعية وعدد من الباحثين اللامعين في حضر موت، وها نحن - في صفحات العدد الثاني - نتشرف بانضمام أسماء جديدة، لتصبح (حضر موت الثقافية) مجلة لجميع المبدعين الذين يأملون في تطور حضاري يستلهم التاريخ المجيد والتراث الثري، ويجدد روح الحاضر ويستشرف المستقبل من خلال الغوص في رحلة اكتشاف التاريخ الحضرمي.. ليلملم شتاتها ويجمع بين أطرافها في الوطن والمهجر.

إن بلوغ الأهداف السامية لهذه المجلة ليس صعب المنال إذا ظلت هذه الأقلام الناضجة والنابضة، وغيرها ممن لم تتح له الفرصة حتى اللحظة للإسهام في المجلة، تمد صفحاتها بجديد الفكر وعميق الفهم ومنهجية التحليل وعلمية القراءة للماضي التليد والحاضر النازف والمستقبل المنشود.

لقد حظي العدد الأول بالكثير من الاهتمام والمتابعة، فكان ملازماً لنا في رحلتنا إلى مدن الأرخبيل الإندونيسي، لتجد (حضرموت الثقافية) هناك وجهها الآخر، في تلك الديار المهجرية الحاضنة للإنسان الحضرمي منذ عقود طويلة، وهناك التقت المجلة أيادي تصفحتها بكل محبة وتقدير .

لقد سررنا بآراء القراء الذين كانت لهم ملاحظات على العدد الأول الافتتاحي، وتلقيناها ببالغ الترحيب والامتنان، ونعدكم بأننا سنعمل دون كللٍ على تطوير صفحات المجلة تنسيقاً وتبويباً وإخراجاً مدركين أن رحلة الإبداع والعطاء لا تنفك تبحث عن آفاق جديدة وفضاءات أرحب، لن نتردد في الارتحال إليها، وزادنا وماؤنا ما يجود به يراعكم من إسهامات متنوعة ومتعددة عن حضرموت التي كانت.. والكائنة الكامنة.. والتي ستكون.

نترككم الآن وصفحات العدد الجديد الخاص الذي ننشره في (١٤٨) صفحة احتفاءً بالذكرى الأولى لتأسيس المركز، والتي حرصنا على أن تحمل لكم الكثير من الموضوعات والدراسات والقراءات والأبحاث والتغطيات والاستطلاعات والإبداعات المهمة.

وإلى لقاء في العدد القادم.. إن شاء الله..

في أول رحلة علمية خارج الوطن الحضرمي

وفد مركز حضرموت يتتبع هجرة الأجداد إلى مدن الأرخبيل الإندونيسي



بعد أن توثقت عرى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في داخل الوطن الحضرمي، وانطلق في رحلة عطائه الثقافية والتاريخية والبحثية العلمية الرصينة لخدمة تراث وتاريخ وذاكرة حضرموت عبر تاريخها الإنساني والحضاري الممتد لآلاف السنين، جاءت الخطوة الثانية لترسيخ هذا الدور الذي ارتضاه لنفسه المركز وارتحل إلى المدن الإندونيسية التي شهدت الأفواج الأولى في تاريخ الهجرة الحضرمية إلى كل بقاع المعمورة.

هذه الرحلة العلمية البحثية لمركز حضرموت للفترة الممتدة من: (٨ – ٢٣ أكتوبر ٢٠١٦م) برئاسة الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر وبمعية فريق من دار الوفاق للخدمات العلمية، كانت حريصة على اكتشاف عوالم الاغتراب والهجرة للرواد الأجداد الأوائل في التاريخ الحضرمي الإنساني، وسعت لاستلهام تلك الروح الإسلامية الوسطية التي نجحت في نشر الرسالة المحمدية في جزر الأرخبيل الإندونيسي وتجاوزته إلى شتى مناطق الأرخبيل الهندي منذ زمن بعيد مسجلة بذلك ظاهرة تثاقف إنساني وحضاري لم تزل ملامحها وتأثيراتها ظاهرة حتى اليوم .

لقد تنوعت وتعددت برامج يوميات الرحلة وتجاوزت المتوقع وعمقت المأمول ورسمت آفاق الطموح الآتي من خلاصات هذه اليوميات التي رسمت ملامحها لحظة الوصول إلى مطار العاصمة الإندونيسية (سوكارنو هتّا) بجاكرتا.

تصوير: ناصر أحمد بن علي جابر - عبدالله عمر باعبد الديني



في صباح اليوم السبت الثامن من أكتوبر ٢٠١٦م إلى مطار جاكرتا بالعاصمة الإندونيسية وصل وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر في إطار رحلته التعريفية الاستطلاعية للمهجر الحضرمي والتعرف على التاريخ والإرث الحضاري لحضارمة الأرخبيل الإندونيسي.

الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر – رئيس الوفد:
الزيارة تنطلق من أهمية الهجرة الحضرمية للأرخبيل الإندونيسي



في مستهلّ بدء فعاليات وبرامج الرحلة أكّد الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر على أهمية هذه الزيارة التي حرص المركز على تنظيمها انطلاقاً من فهمه العميق لتاريخ حضرموت في الوطن والمهجر والقيمة الحضارية والتاريخية لهذه الثنائية الإنسانية التي أسهمت في نشر الدين الإسلامي الحنيف من خلال الأفواج المهاجرة الأولى من أجدادنا الحضارمة إلى مدن الأرخبيل مشيراً إلى أن هذه الزيارة العلمية تستهدف جملة من المراكز العلمية والشخصيات الاعتبارية والمعمرة لإعادة ربط المهاجر الحضرمي بالوطن الأم حضرموت.

الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي – المدير العام:
الزيارة تأتي تتويجاً لنجاحات المركز في سنته الأولى.



أشار الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي رئيس مركز حضرموت من جانبه إلى أنّ هذه الزيارة تأتي تتويجاً للنجاحات التي حققها المركز في خطته السنوية الأولى في داخل الوطن، مضيفاً أن هذه الزيارة تأتي بالتزامن مع جملة من الأنشطة والفعاليات التي سينفذها المركز خلال ما تبقى من العام الحالي ٢٠١٦م ومن أهمها المؤتمر الدولي الأول :(حضرموت والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس حتى التاسع الهجريين) مثمناً الجهود الكبيرة والدعم السخي الذي يقدمه المشرف العام للمركز، منوهاً إلى أن الزيارة سوف تكون منطلقاً لفهم ودراسة تاريخ الهجرة الحضرمية إلى الأرخبيل الهندي بشموليته ومعرفة ودراسة ظاهرة التثاقف الحضاري الذي مثّله حضارمة المهجر فكانوا عناوين مجد ورقيّ وتحضّر إنساني في كل مواطن الاغتراب وأماكن الهجرة، مختتماً حديثه بالإشارة إلى أنّ هذه الزيارة العلمية ستحرص على توثيق ورصد التراث والأرشيف المهجري وخلق علاقات ثنائية علمية وبحثية بين المركز ونظرائه من المراكز في المدن الإندونيسية.

الوفد الزائر:

ضمّ الوفد كلاً من: الأستاذ عبداللاه محمد السقّاف – عضو الهيئة الاستشارية بالمركز والأستاذ الدكتور ناجي جعفر الكثيري – رئيس اللجنة العلمية بالمركز والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر – مدير دائرة البحوث والدراسات والترجمة بالمركز والأستاذ صالح حسين الفردي – مدير دائرة الأعلام والعلاقات العامة بالمركز بالإضافة إلى الأستاذ قاسم عمر المشتهر - مدير عام دار الوفاق للخدمات العلمية والأستاذ نادر سعد حلبوب العمري - المدير العلمي لدار الوفاق. والأخ ناصر أحمد بن علي جابر - عضو لجنة العلاقات العامة والإعلام والأخ عبدالله عمر باعبد الديني - عضو لجنة العلاقات العامة والإعلام.

زيارة مقر الرابطة العلوية:



في سياق برنامج الزيارة البحثية والعلمية لوفد المركز، قام الوفد بزيارة ظهر يوم السبت التاسع من أكتوبر إلى مقر الرابطة العلوية.

السيد زين بن عمر بن سميط رئيس الرابطة يبدي سعادتهم الغامرة بمثل هذه الزيارة التي تظهر مدى العلاقة الوطيدة بين أبناء حضرموت في داخل الوطن والمهاجر.



في مستهل اللقاء رحّب السيد زين بن عمر بن سميط رئيس الرابطة بالوفد الزائر مؤكداً سعادتهم الغامرة بمثل هذه الزيارة التي تظهر مدى العلاقة الوطيدة بين أبناء حضرموت في داخل الوطن والمهاجر، مشيراً إلى أن هناك رحلة طويلة وتاريخية للرابطة العلوية بالأرخبيل مجدداً الشكر والتقدير لهذه الزيارة العلمية التي تصبّ في مصلحة تاريخ حضرموت وحضارتها، من جانبه أشار الشيخ محمد سالم بن علي جابر على أن الهدف الرئيسي لهذه الزيارة يتمثّل في إقامة جسور تواصل دائمة



ومستمرة بين الوطن الحضرمي والمهاجر التي استقرّ فيها الأجداد منذ زمن بعيد، ومن أهمها الأرخبيل الإندونيسي الذي عرف الرحلات الأولى للمهاجر الحضرمي، مؤكداً خلق روح التآزر والتآخي بين الجميع والسعي الجاد والعمل المستمر من أجل خدمة حضارة وتاريخ وتراث حضرموت، مستعرضاً جملة من الموضوعات والبرامج والخطط التي عمل على تنفيذها المركز خلال الفترة الماضية ومنذ بدء تأسيسه قبل عشرة أشهر، موجهاً الدعوة للقائمين على عمل الرابطة بخلق شراكة علمية وثقافية في قادم الأيام.

السيد عبدالرحمن باصرة: يستعرض المراحل التاريخية لتأسيس الرابطة العلوية



استعرض السيد عبدالرحمن عبدالقادر باصرة مدير العلاقات الداخلية والخارجية بالرابطة العلوية، في اللقاء المراحل التاريخية التي مرت بها الرابطة منذ تأسيسها مبيناً الكثير من الأعمال الخيرية والتوثيقية والثقافية والصحفية التي قامت بها خلال السنوات الماضية.

حضر اللقاء السيد علوي محسن العطاس - منسق الزيارة ،وعدد آخر من أعضاء مجلس إدارة الرابطة العلوية بجاكرتا.

اللقاء بقيادات جمعية الإرشاد الإسلامية:



في مساء يوم الثلاثاء الحادي عشر من أكتوبر ٢٠١٦م عقد بالعاصمة الإندونيسية جاكرتا لقاء موسع ضم وفد المركز وعددًا من قيادات جمعية الإرشاد الإسلامية، تم فيه مناقشة جملة من الموضوعات عن تاريخ الهجرة الحضرمية لمناطق الأرخبيل الإندونيسي.

الأستاذ عبدالله مبارك الجعيدي – رئيس جمعية الإرشاد الإسلامية: نتشرف بحضوركم واللقاء بكم في منزل أخينا عبدالله القانص النهدي

رحب الأستاذ عبدالله مبارك الجعيدي المدير العام للجمعية في مستهل اللقاء بالشيخ محمد بن سالم ابن علي جابر رئيس الوفد والمشرف العام وأعضاء الوفد المرافق، قائلاً: نتشرف بحضوركم للاجتماع مع قيادات وأعضاء الجمعية في منزل أخينا سليمان عبدالله القانص النهدي المسؤول الاقتصادي للجمعية، مضيفاً أن الجمعية مختصة في مجال التربية والتعليم والعمل المجتمعي الخيري.



المهمة الرئيسية في الرحلة العلمية والبحثية للمركز تتمحور حول تقصي تاريخ الإنسان الحضرمي في المهجر.

من جانبه شكر الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر للأخوة في الجمعية حسن الضيافة وطيب الاستقبال، مؤكداً أن الجميع يشعر أنه في وطنه وبين أهله وخلانه، مشيراً إلى أن المهمة الرئيسية في الرحلة العلمية والبحثية للمركز تتمحور حول تقصي تاريخ الإنسان الحضرمي في المهجر، خاصة وإندونيسيا هي أكبر المهاجر الحضرمية، مضيفاً وقد وضعنا من أهدافنا المستقبلية أن يكون المركز هو المرجع العام لتاريخ حضرموت ونسعى من أجل تجميع هذا التاريخ وربط حلقاته في داخل الوطن وخارجه، مشيراً إلى أن المركز يهدف من زيارته – أيضاً - إلى إقامة الشراكات العلمية والبحثية مع نظرائه من المراكز في إندونيسيا.



ظاهرة الهجرة الحضرمية التي تحتاج إلى أكثر من دراسة وتدقيق وتوثيق بوصفها ظاهرة إنسانية وثقافية واقتصادية.

وفي اللقاء أشار الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي رئيس المركز إلى اهتمام المركز بالبحث العلمي الرصين وأكد أن ظاهرة الهجرة الحضرمية تحتاج إلى أكثر من دراسة وتدقيق وتوثيق بوصفها ظاهرة إنسانية وثقافية واقتصادية.

وفي اللقاء قدم كل من: الأساتذة سليمان القانص النهدي وسعيد بن سنكر نائب المدير العام للجمعية ومبارك بن عبدالله النهدي مسؤول الأوقاف وعبد العزيز بن عبدالرحمن باحلوان ورضا بارضوان عضوي مجلس الإدارة وعلوي محسن العطاس وصالح حسين الفردي مدير الإعلام والعلاقات العامة بالمركز قدموا جملة من المداخلات عن الهجرة الحضرمية وتاريخها وأعلامها في المهجر الإندونيسي وعمق التجربة الإنسانية والحضارية لهذه الهجرة التي انصهرت واندمجت اندماجاً كبيراً فأثرت وتأثرت.

الأستاذ زكي صالح النهدي .. إدارة وترجمة باقتدار



في ختام اللقاء الذي أداره باقتدار وترجم محاوره ومداخلاته الأستاذ زكي صالح بن عجاج النهدي مسؤول قسم العلاقات الخارجية في جمعية الإرشاد الإسلامية قدم الشيخ محمد بن سالم ابن علي جابر عدداً من عناوين الكتب الصادرة عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية ودار الوفاق والعدد الأول من مجلة حضرموت الثقافية للأستاذ عبدالله بن مبارك الجعيدي المدير العام لجمعية الإرشاد الإسلامية.

البروفيسور علوي بن شهاب – مستشار رئيس جمهورية إندونيسيا لشؤون الشرق الأوسط يشيد بجهود المركز واهتماماته بالبحث العلمي لتاريخ حضرموت في داخل الوطن وخارجه

رحب البروفيسور علوي بن شهاب بالجميع مشيداً بجهود المركز واهتماماته بالبحث العلمي لتاريخ حضرموت في داخل الوطن وخارجه، مشيراً إلى أن الحضارمة في الأرخبيل يعدون من مكونات



المجتمع الإندونيسي، جاء ذلك خلال لقائه بالشيخ محمد بن سالم بن علي جابر المشرف العام لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر والوفد المرافق له صباح الاثنين العاشر من أكتوبر ٢٠١٦م بمكتبه بالعاصمة جاكرتا بحضور الداعية الإسلامي الشيخ علي جابر، واستعرض البروفيسور (ابن شهاب) جملة من النشاطات التي يقوم بها وكثرة تنقلاته وسفره المستمرة خدمة للبحث العلمي والتطور المجتمعي. مؤكداً استعداده التام للعمل على تذليل الصعوبات والمساهمة بفاعلية في فتح قنوات الاتصال والتواصل مع المراكز البحثية العلمية للجامعات الإندونيسية الرسمية منها وغير الرسمية، منوهاً إلى ضرورة التعاون الوثيق بين المركز والمؤسسة العلمية في المدن الإندونيسية خدمة للعلم والمعرفة وتأصيلاً للتاريخ والتراث الإنساني والحضاري الحضرمي مختتماً حديثه بالحديث عن محطات من حياته العلمية وإسهاماته البحثية والعلمية ورسائله الجامعية المنشورة واعدا بتقديم نسخ منها كهدية لمكتبة المركز بالمكلا.

الشيخ محمد : يشكر البروفيسور ابن شهاب :



من جانبه شكر الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر رئيس الوفد البروفسور علوي بن شهاب لإتاحته فرصة اللقاء به على الرغم من انشغالاته الكبيرة، مستعرضاً لمحة من مشوار إنشاء المركز وأهدافه العلمية والحضارية مضيفاً إلى أن هدف الزيارة يكمن في مد جسور التعاون والشراكة مع المراكز العلمية النظيرة والتعرف على طبيعة الحراك الثقافي والنتاج الفكري الذي أبدعه إخوتنا الحضارمة في إندونيسيا، ورصد ظاهرة التثاقف الحضاري بين إندونيسيا وحضرموت.

وفي اللقاء أكد الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي أهمية اللقاء، مبدياً السعادة الغامرة، مشيراً إلى أن هذه الزيارة تأتي ضمن الخطة العامة للمركز لدراسة تاريخ حضرموت وتوثيقه، منوهاً إلى ضرورة تعزيز ومد جسور التعاون مع المؤسسات العلمية والمراكز البحثية القائمة .





وتداول الجميع في اللقاء عدة قضايا وموضوعات تهم المشهد الثقافي في الوطن الحضرمي والمهجر الإندونيسي .

وفي ختام اللقاء أهدى الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر البروفيسور علوي بن شهاب نسخاً من إصدارات المركز من كتب ومجلة حضرموت الثقافية.

الدكتور هداية محمد نور نائب رئيس مجلس الشورى الشعبي بجمهورية إندونيسيا يلتقي وفد حضرموت التاريخي بقاعة اجتماعات برلمان مجلس النواب بالعاصمة جاكرتا



في صباح يوم الثلاثاء الحادي عشر من أكتوبر التقى رئيس وأعضاء الوفد بقاعة اجتماعات برلمان مجلس النواب في جمهورية إندونيسيا بالعاصمة جاكرتا بالدكتور هداية محمد نور واحد نائب رئيس مجلس الشورى الشعبي.

الدكتور هداية: أنتم لستم بعيدين عنا، ونرحب بكم في إندونيسيا عامة وهذا المجلس خاصة.

في مستهل اللقاء رحب الدكتور هداية بالوفد قائلاً: أنتم لستم بعيدين عنا، ونرحب بكم في إندونيسيا عامة وهذا المجلس





خاصة، مستعرضاً يوميات زيارته للوطن عامة وحضرموت خاصة في فترة سابقة، مشيراً إلى طبيعة عمل المجلس ونشاطاته المختلفة لخدمة الشعب الإندونيسي، مبدياً استعداده الكبير لتسهيل مهمة الوفد وبرامجه المتنوعة في مدن الأرخبيل الإندونيسي، مثمناً نشاط المركز وسعيه الجاد لخدمة تاريخ حضرموت وتراثها الإنساني في الوطن والمهجر.

نسعى لنسج علاقات متينة وشراكات علمية رصينة مع نظيراتنا من المراكز العلمية.



من جانبه أشاد الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر رئيس الوفد والمشرف العام للمركز بطيب الاستقبال وكرم الضيافة، مستعرضاً أنشطة وبرامج وفعاليات المركز خلال الفترة الماضية وما أنتجه من إصدارات منذ بدء إنشائه، مبيناً اهتمامات المركز وحرصه على دراسة الهجرة الحضرمية في كل المهاجر التي وطأتها أقدام الأجداد، إضافة إلى جملة الأنشطة الثقافية التي عرفتها إندونيسيا ودور الحضارمة فيه، مبدياً رغبة الوفد في زيارة المراكز العلمية لنسج علاقات متينة وشراكات علمية رصينة معها.

الزيارة العلمية محاولة لتعميق أواصر العلاقة مع المراكز المشابهة الأخرى ليعم النفع والفائدة لخدمة تاريخ وتراث حضرموت في الوطن والمهجر الإندونيسي.



من جانبه جدد الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي رئيس المركز الشكر والتقدير للدكتور محمد هداية مشيراً إلى أهمية هذه الزيارة العلمية لتعميق أواصر العلاقة مع المراكز المشابهة الأخرى في المدن الإندونيسية خاصة والأرخبيل الهندي عامة.

وفي ختام اللقاء الذي تخلله جملة من المداخلات والمناقشات من قبل أعضاء الوفد قدّم الدكتور محمد هداية نائب رئيس مجلس الشورى الشعبي بجمهورية إندونيسيا درعاً تذكارياً للمشرف العام رئيس الوفد الشيخ محمد سالم بن علي جابر الذي بدوره أهدى الدكتور هداية نسخاً من إصدارات المركز ومجلة حضرموت الثقافية.

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر أول مركز علمي على مستوى الشرق الأوسط يزور المعهد الإندونيسي للعلوم بالعاصمة جاكرتا..

احتضنت قاعة الاجتماعات بالمعهد الإندونيسي للعلوم ((LIPI بالعاصمة إندونيسيا جاكرتا وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ودار الوفاق للخدمات العلمية صباح يوم الخميس الثالث عشر من أكتوبر ٢٠١٦م لمناقشة سبل التعاون



والشراكة العلمية بين المعهد ممثل بمركز بحوث الثقافة والمجتمع بجاكرتا والمركز بالمكلا خدمة للتاريخ والتراث الإنساني عامة وتتبع ظاهرة الهجرات الحضرمية إلى دول الأرخبيل الهندي بشكل عام والإندونيسي بوجه خاص.

الدكتورة سري سونارتي: سعداء بإصرار مركز حضرموت على فتح نوافذ التواصل الحضاري مع معهدنا في جاكرتا..



في مستهل اللقاء ثمنت الدكتورة سري سونارتي رئيسة مركز البحوث والمجتمع بالمعهد الوطني هذا

الإصرار من قبل مركز حضرموت وحرصه الشديد على فتح نوافذ تواصل واتصال مع نظرائه من المعاهد والمراكز في جمهورية إندونيسيا، مرحبة برئيس وأعضاء الوفد، مقدمة سرداً تعريفياً بالمعهد وأقسامه التخصصية الخمسة المتمثلة في المجتمع والثقافة والاقتصاد والسكان والسياسة والإنتاج القومي، شارحة بالتفصيل اهتمامات المركز ومجالات عمله البحثية والعلمية ومنها الدراسات الاجتماعية والثقافة والمجتمع وديناميكيته إضافة إلى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية وإدارة الموارد الطبيعية، مشيرة إلى أن قوام المركز (٦٠) موظفاً، منهم (٤٠) باحثاً موزعين على هذه التخصصات (المراكز) الخمسة، والبقية هم إدارة وسكرتارية وموظفو المعهد، والخلفية العلمية للباحثين هي الدكتوراه في علوم الاجتماع والقانون والبيئة، مستعرضة جملة من المجالات البحثية التي قام بها المركز ونشاطاته الإقليمية والعالمية، مجددة الشكر والترحيب برئيس الوفد وأعضائه.

الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر: نأمل أن يخرج هذا اللقاء متوجاً بعلاقات جيدة وتشابك معرفي عميق



من جانبه أكد الشيخ محمد سالم بن علي جابر أهمية هذا اللقاء مقدماً باسمه والوفد المرافق له الشكر والتقدير لحسن الاستقبال وكرم الضيافة، مستعرضاً مراحل نشوء المركز وما قدمه من فعاليات وورش وندوات علمية ومحاضرات ثقافية وإصدارات، مشيراً إلى أن مجال اختصاص المركز بمدينة المكلا – حضرموت هو دراسة التاريخ وهدفنا المساهمة في تنمية المجتمع كون دراسة التاريخ والتعمق في فهم ظواهره هو الضمان الأمثل للعبور إلى المستقبل ومد جسور التعاون والشراكة مع المراكز والمعاهد ذات الاهتمامات المشتركة سبيلنا إلى ردم الهوة بين الماضي والحاضر وصولاً إلى المستقبل الواعد، مشيراً إلى أن المركز يسعى جاهداً إلى خلق شراكات وتوقيع مذكرات تفاهم وتعاون مع معهدكم لتعميق جذور التواصل والمساهمة البحثية والعلمية لفهم مساقات التاريخ الحضرمي في الأرخبيل الإندونيسي وتأثره وتأثيره في موطنه الثاني، مضيفاً أن زيارتنا إلى هذا القطر الإسلامي الأكبر المتميز بتعدد الثقافات الذي نجح في خلق علاقات وطيدة وتعايش إنساني واندماج حضاري يجعلنا نهتم كثيراً بهذه الظواهر فهي تستحق الدراسة ومركزنا يستطيع أن يمد جسور التعاون والشراكة معكم ونتجاوز ذلك إلى المراكز الأخرى في الوطن، مختتماً حديثه بأمله أن يخرج هذا اللقاء متوجاً بعلاقات جيدة وتشابك معرفي عميق.

الأستاذ الدكتور عبدالله الجعيدي: نحن اليوم في المكان المناسب وسعداء بالحديث مع علماء ومفكري إندونيسيا المتخصصين..

وفي اللقاء تحدث الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي مشيراً إلى سعادته الغامرة بالحديث مع علماء ومفكري إندونيسيا



المتخصصين في مجالات المجتمع، منوهاً أننا اليوم في المكان المناسب، مؤكداً علمية ورصانة وحيادية مركز حضرموت واهتمامه بالدراسات التاريخية بوصفها ظواهر إنسانية وترصد ثقافة التنقل بوصفها مصدراً للثراء المعرفي والأدبي، مؤكداً حرص المركز وسعيه العلمي لدراسة ظاهرة الهجرة في إندونيسيا خاصة وغيرها من دول حوض المحيط الهندي وما تمثله من بداية لثقافة العولمة وهي ظاهرة لا تمثل اهتماماً لمركز حضرموت فقط وإنما اهتمامات غيره من المراكز العالمية الأخرى.

وفي اللقاء تحدث عدد من الأساتذة الباحثين في مركز بحوث الثقافة والمجتمع الذين أشاروا إلى أن زيارة وفد مركز حضرموت تعد أول زيارة لمركز بحثي وعلمي على مستوى الشرق الأوسط إلى مركزهم بالعاصمة الإندونيسية جاكرتا كما تحدث عدد من أعضاء وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية عن جملة من الموضوعات الخاصة بمراحل الهجرة الحضرمية إلى الأرخبيل الإندونيسي والدور الكبير الذي أداه المهاجرون الحضارم الأوائل في مجالات الحياة كافة والنضال الوطني التحرري خاصة، في إثراء لساعتي اللقاء.



وخلال اللقاء عرض مركز البحوث الإندونيسي (روبرتاج تلفزيوني) عن مراحل إنشاء المعهد الوطني ومراكزه الخمسة، كما تخلل اللقاء تقديم الشيخ محمد سالم بن علي جابر نسخاً من إصدار المركز وقدمت الدكتور سري سونارتي رئيسة مركز البحوث عدداً من العناوين الصادرة عن المركز خلال الفترة الماضية.

الأستاذ الدكتور بلخشر والدكتور برهاني منسقا التعاون والشراكة بين المركزين:

وفي ختام اللقاء تم الاتفاق على تكليف الدكتور أحمد نجيب برهاني والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر مدير دائرة البحوث والدراسات والترجمة منسقين عن مركز بحوث الثقافة والمجتمع الإندونيسي ومركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر والاتفاق المبدئي على توقيع مذكرة تفاهم وشراكة بينهما خلال اليومين القادمين.

زيارة عدد من الشخصيات الدعوية والأكاديمية في العاصمة الإندونيسية جاكرتا

في سياق التعرف على مكونات المجتمع الحضرمي في الأرخبيل الإندونيسي ومراحله التاريخية ومميزاته الثقافية والحضارية والإنسانية التي كانت عنواناً رئيسياً في ظاهرة الهجرة الحضرمية، قام رئيس وأعضاء الوفد بزيارات متعددة لعدد من الشخصيات الاعتبارية في مدينة جاكرتا عاصمة الجمهورية الإندونيسية، ومنها: الداعية الإسلامي الشيخ علي جابر والبروفيسور قريش بن شهاب وزير الشؤون الدينية سابقاً صاحب تفسير القرآن الكريم (المصباح) ومدير جامعة AIN التي أسسها والده البروفيسور



عبدالرحمن بن شهاب والسيد محمد رزق بن حسين بن شهاب رئيس المعهد الديني بجبل (بونشاك) بمنطقة بوقور والسيد جندان بن نوفل بن سالم بن جندان مدير مدرسة الفخرية الدعوية وشقيقه أحمد نوفل والشيخ زكي بن صالح بن عجاج النهدي.

وخلال هذه الزيارات التعارفية والتعريفية استعرض الشيخ محمد ابن سالم والأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي مراحل إنشاء المركز واهتماماته وخططه وبرامجه وما حققه خلال الفترة الماضية



منذ لحظة التأسيس في العشرين من ديسمبر ٢٠١٥م وحتى يوميات الرحلة إلى مدن الأرخبيل الإندونيسي.

وكان رئيس وأعضاء الوفد قد أطلعوا أثناء لقاءاتهم على جملة من الموضوعات التي تخص مراحل الهجرة الحضرمية ودور الحضارمة في دخول الإسلام إلى مناطق الأرخبيل ونضالهم الكبير





مع الشعب الإندونيسي ضد الاستعمار الأجنبي والسعي من أجل تحريره واستقلاله انطلاقاً من حرصهم على الاندماج العميق في موطن الهجرة وتفانيهم في خدمته والعمل على رقيه وتطويره.

وقد شهدت هذه اللقاءات – كذلك – استعراضا مسهبا للتجارب الدعوية والمساهمات العلمية والخدمات الاجتماعية والتربوية التي ينهض بها الداعية الإسلامي علي جابر والسيدان محمد رزق وجندان



ابن نوفل خدمة للدين الإسلامي الحنيف، إضافة إلى ما يقوم به البروفيسور ابن شهاب من دور كبير في عملية التنوير الثقافي والحضاري والعلمي والبحثي في داخل المهجر الإندونيسي وخارجه.

وفي ختام هذه الزيارات أهدى الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر رئيس الوفد المشرف العام للمركز نسخاً من إصدارات مركز حضرموت ودار الوفاق.



مدينتا صولو وبكالونغان بشرق جاوا محطات جديدة في رحلة الوفد

بعد عدة زيارات ولقاءات تعريفية واستطلاعية وعلمية في العاصمة الإندونيسية جاكرتا انتقل الوفد إلى الضفة الأخرى من الأرخبيل الإندونيسي لزيارة عدد من مدن جاوا الشرقية ليحط الوفد رحاله صباح يوم الاثنين ١٧ أكتوبر ٢٠١٦م بمدرسة بنوقورو بمدينة صولو وخلال لقائه والوفد المرافق له بإدارة المدرسة أكد الشيخ محمد سالم بن علي جابر أهمية التواصل مع المهاجر الحضرمية والاقتراب من هذه الهجرات التاريخية بعلمية



ومنهجية عميقـــة، مشـــيراً إلى أن هذه الزيارة إلى عدد من مدن الأرخبيل الإندونيسي جاءت لكي نتعرف على تراث وحضارة الأجداد والاطلاع على الحراك الثقافي في إندونيسيا بوصفها أكبر المهاجر التي تحتضن الحضارمة، انطلاقاً من رسالة المركز ورؤيته العلمية في توثيق ذاكرة حضرموت الثقافية والتاريخية، مضيفاً: بأننا يجب أن نهتم بالتاريخ ونتعمق في دراسته حتى يخرج أكثر إنصافاً وحيادية، مستعرضاً نجاحات المركز في الوطن الحضرمي على الرغم من قصر عمره الزمني منذ تأسيســـه في العشـــرين من ديسمبـــر ٢٠١٥م الماضي.

أسد السقاف رئيس مجلس إدارة مدرسة بنوقورو برئيس يبدي سعادته الغامرة بهذا اللقاء الأول بأكاديميين ومهتمين بالتاريخ يأتون إلى مدرستهم للتعرف على تاريخ الهجرة الحضرمية.

من جانبه رحب السيد أسد السقاف رئيس مجلس إدارة المدرسة برئيس وأعضاء الوفد مبدياً سعادته الغامرة بهذا اللقاء الأول بأكاديميين ومهتمين بالتاريخ يأتون إلى مدرستهم للتعرف على تاريخ الهجرة الحضرمية، مقدماً أسفه العميق لعدم قدرته على تعلم اللغة العربية على الرغم من نصيحة جده الحضرمي وهو لم



يزل طفلاً تاركاً للسيد علوي محسن العطاس منسق الرحلة حرية الترجمة من الإندونيسية إلى العربية، مشيراً إلى أن هذه المدرسة أسست في العام ١٩٢٨م، وظلت تزاول عملها حتى اليوم، وتحدث في اللقاء الأخوة فكري النهدي مدير المدرسة وأبوبكر الحبشي المسؤول المالي وعمر حسين السقاف مسؤول التعليم الديني بالمدرسة مستعرضين الأنشطة والفعاليات التي تنهض بها المدرسة التي تشتمل على مراحل التعليم من الروضة وحتى الثانوية العامة للبنين والبنات.

الهجرات الحضرمية الأولى لم تكن محصورة في الرجال بل رافقتها هجرة الكثير من المخطوطات والكتب والوثائق التي تعد كنوزاً معرفية.

وكان الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي قد أشار إلى أن الهجرات الحضرمية الأولى لم تكن محصورة في الرجال بل رافقتها هجرة الكثير من المخطوطات والكتب والوثائق التي تعد كنوزاً معرفياً الأمر الذي يحتم على الجميع ضرورة الاهتمام بها ونسخها وتوثيقها خدمة للأجيال القادمة وتسهيلاً للباحثين والمهتمين بالتاريخ الحضرمي والتراث الإنساني.



كما تعددت بعد ذلك الزيارات الميدانية للوفد لتشمل الزوايا الدينية والعلمية في مسجدي السقاف والرياض بصولو، ومقر الرابطة العلوية ومدرسة دار الإحسان وعددا من الشخصيات الاجتماعية، منهم الأستاذ ناصر بن سالم بن مريطان الجعيدي في منطقة بكالونغان بشرق جاوا بالجمهورية الإندونيسية.

خلال زيارتهما لمدينة سورابايا بشرق جاوا الوفد يطلع على تجربتي مدرستي الإرشاد الإسلامية والحكمة التعليمية..

اطلع رئيس وأعضاء الوفد عند زيارتهم صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من أكتوبر على تجربتي مدرستي الإرشاد الإسلامية التي تأسست في العام ١٩٣٣م والحكمة التعليمية التي أنشئت في العام ١٩٨٩م في مدينة سورابايا.

مثل هذه التجارب التاريخية القديمة والحديثة تضعنا أمام حقيقة الرسالة الدعوية والحضارية والثقافية التي حملها الأجداد على كاهلهم وسعوا بكل جد واجتهاد وإيثار ومثابرة على نثره في أرجاء الأرخبيل الإندونيسي.

خلال اللقاء بإدارتي المدرستين – بعد جولات استطلاعية لمشاهدة مكوناتهما المدرسية المتنوعة – أكد الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر أن مثل هذه التجارب التاريخية القديمة والحديثة تضعنا أمام حقيقة الرسالة الدعوية والحضارية والثقافية التي حملها الأجداد على كاهلهم وسعوا بكل جد واجتهاد وإيثار ومثابرة على نثره في أرجاء الأرخبيل الإندونيسي، مشيداً بهذه



التجارب التي أظهرت الوجه المشـــرق والوضاء للشـــخصية الحـضرمية الحـريصة على نشـر المعرفة وتعميمها في مواطن الهجرة التي ارتحلت إليها واستقرت فيها، مستعرضاً مسيرة عطاء المركز منذ لحـظة التأسـيس وما أنجزه من مهام وما نفذه من ندوات وورش علمية ومحـاضرات ثقـافية وإصدارات متعددة



ومتنوعة وصدور العدد الأول من مجلة حضرموت الثقافية.

نحـيي حـرصكم على زيارة هاتين المدرسـتين والاطلاع على تجاربهما الرائدة في المجال التربوي والتعليمي

من جانبه أبدى المهندس عبدالقادر محمد بارجاء مدير مؤسسة الإرشاد الإسلامية ومستشار مدارس الحكمة التعليمية سعادته الكبـيرة بحـضور رئيس وأعضاء الوفد وحرصهم على زيارة هاتين المدرسـتين والاطلاع على تجاربـــهما الرائدة في المجال التربـــوي والتعليمي، مشـــيداً بـــالجهود التي يبـــذلها المركز لخدمة تاريخ حضرموت في الوطن والمهجر..



المدرستان ترسمان نموذجاً إسلامياً رائداً في مجال التربـــــية والتعليم والدعوة الإسـلامية من خلال جودة التعليم وربـطه بالسـلوك واندماجها بالأسرة ومجتمعها المحيط.

وكان الأخوان الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر قـد أشـارا إلى أهمية هذه الزيارة وما ستعود به من نفع وفائدة على خطط المركز وبرامجه المستقبلية، وجددا الشكر والتقدير لإدارة المدرستين لما يقدمانه من نماذج مضيئة ومشرقة في العمل التربوي والتعليمي والدعوي فيهما على مستوى جمهورية إندونيسيا كافة وأنهما ترسمان نموذجاً إسلامياً رائداً في مجال التربية والتعليم والدعوة الإسلامية من خلال جودة التعليم وربطه بالسلوك واندماجها بالأسرة ومجتمعها المحيط.

في ختام الزيارة قدم المهندس عبدالقادر بارجاء درعاً تذكارياً هدية من مدارس الحـكمة للشـيخ محـمد سـالم رئيس الوفد والمشرف العام الذي بدوره أهدى نسخاً من إصدارات المركز لإدارة المدرسة .. حضر اللقاءين عدد من الأساتذة المربيين الأفاضل من هيئة التدريس بمدرستي الإرشاد الإسلامية والحكمة التعليمية.

على صعيد متصل قام رئيس وأعضاء الوفد بـجولات اسـتطلاعية لمستشـفى الإرشـاد ومصنع ماليدز سـتارلندو MALIDAS STERILINDO وقدم الأستاذ عبدالله محمد بارجاء رجل الأعمال الحضرمي شرحاً مفصلاً عن نشاط وعمل المستشفى والمصنع.

رئيس وأعضاء الوفد يطوفون بمنـزل ولادة الأديب الكبير علي أحمد باكثير بمدينة سورابايا ويلتقون عدداً من الشـــخصيات الأكاديمية والاجتماعية

حرص رئيس وأعضاء الوفد عند زيارتهم لمدينة سورابايا بشرق جاوا بـــالجمهورية الإندونيســـية على زيارة المنزل الذي ولد فيه الأديب العربي والإسلامي الكبير علي أحمد باكثير في الحي العربي القديم الذي شهد ولادته في أجواء عام ١٩١٠م، واستمع رئيس وأعضاء الوفد أثناء الجولة الاستطلاعية بـمكونات المنزل إلى ما تبقى من آثار ظلت صامدة في وجه الزمن وحـملت عبـق ذكريات الطفولة والنشأة الأولى لهذا الأديب الحضرمي العربي والإسلامي الكبـير الذي تجاوزت مؤلفاته (٧٠) مؤلفاً في الرواية والمسـرح الاجتماعي والسياسي والتاريخي والقضية الفلسطينية ودواوين



شعرية وفن السيرة الذاتية وأسـهم إسـهاماً كبـيراً في النهضة التنويرية الحديثة في العالم العربي والإسلامي وشارك في الكثير من المؤتمرات الأدبية العربية والدولية ممثلاً عن جمهورية مصر العربية التي التحق فيها بالجامعة المصرية في عام ١٩٣٤م وظل فيها حتى لحظة رحيله في العاشر من نوفمبر من العام ١٩٦٧م.

الرحـلة التاريخية الحـضرمية ومظاهرها وتأثيراتها وتأثرها في مدن إندونيسيا وما قدمه الحضارمة بوصفهم من النسيج الإندونيسي الأصيل .. حديث ذو شجون

التقى الوفد الباحث حسن باحنان والأستاذ عبدالله محمد بارجاء والأستاذ عصام حسن باكثير (ابن شقيق الراحل علي أحمد باكثير)



والأستاذ عبدالله البطاطي بمدينة سورابايا تم خلال اللقاء الحديث عن الرحـلة التاريخية الحـضرمية ومظاهرها وتأثيراتها وتأثرها بـمدن إندونيسيا وما قـدمه الحـضارمة بـوصفهم من النسـيج الإندونيســـي الأصيل من إســـهامات وطنية لخدمة موطن استقرارهم ومأوى عيشهم الكريم خلال الحقب التاريخية الماضية.

الشيخ أحمد سالم يسلم بن محفوظ شاهدٌ على قرن حضرمي في المهجر الإندونيسي





كما التقى الوفد الشخصية الحضرمية الإندونيسية المعمرة في مدينة سورابايا الشيخ أحمد سالم يسلم بن محفوظ الذي ولد في العام ١٣٣٦هـ، الموافق عام ١٩١٨م واسترجعوا معه ذكرياته بوصفه شاهداً على قرن حضرمي في المهجر الإندونيسي.

توثيق الذاكرة الشفهية الحية لمعمري مدن إندونيسيا الحضارمة لرصد أحداث التاريخ وسير الأعلام.

وفي صباح الجمعة العشرين من أكتوبر وبعد عودة الوفد من رحلته إلى عدد من مدن جاوا الشرقية التقى الجميع بالأستاذ نبيل عبدالكريم هيازع رئيس مركز المنارة للدراسات الحضرمية تم في اللقاء تبادل الأحاديث عن إسهامات المركزين وأهمية التكامل



بينهما في المستقبل القريب لإنجاز جملة من المهام ومنها: توثيق الذاكرة الشفهية الحية لمعمري مدن إندونيسيا الحضارمة لرصد أحداث التاريخ وسير الأعلام والعمل على تنفيذ عدد من الأنشطة الثقافية وعقد المؤتمرات الدولية عن الهجرة الحضرمية، وخلال اللقاء قدم الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر نسخاً من إصدارات المركز في حين أهدى الأستاذ نبيل هيازع نسخة من كتابه عن الشخصية الحضرمية الإندونيسية الوطنية عبدالرحمن باسويدان.

الجدير بالذكر أن الأستاذ هيازع صدر له كذلك كتاب آخر باللغة الإندونيسية بعنوان الزعماء العرب .. أو القادة العرب رصد فيه الأدوار والمآثر الوطنية للشخصيات الحضرمية التي أسهمت في النضال الوطني لتحرير واستقلال إندونيسيا.

كما قام رئيس وأعضاء الوفد بزيارتين، إلى فرع جامعة الإمام محمد بن سعود ومقر صحيفة (ألو إندونيسيا) بالعاصمة جاكرتا للتعريف بالمركز وأهدافه التاريخية والحضارية والعلمية البحثية الرصينة.

وسط حضور دبلوماسي إندونيسي وعربي ورؤساء مراكز بحثية وأكاديمية
مركز حضرموت ينظم حفلاً ختامياً تعريفياً بالمركز في العاصمة الإندونيسية جاكرتا

بحضور الدكتور هداية نور واحد نائب رئيس المجلس الشعبي الإندونيسي والبروفيسور علوي بن شهاب مستشار الرئيس الإندونيسي لشؤون الشرق الأوسط وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والخليجي المتميز وقيادات من الجمعيات التربوية والدعوية والمؤسسات العلمية والمراكز البحثية توّج مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر رحلته العلمية والبحثية إلى مناطق الأرخبيل الإندونيسي بحفل خطابي وثقافي وتكريمي احتضنته قاعة فندق (بولمان) بالعاصمة الإندونيسية جاكرتا.



الشيخ محمد بن علي جابر: الحفل الختامي جاء ترجمة لحقيقة المهمة الكبيرة التي حملها المركز على عاتقه من لحظة ولادته، ويعكس الاهتمام الأصيل بتاريخ حضرموت في الداخل والخارج.

وفي مستهل الحفل رحب الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر بجميع الحضور مشيراً إلى أن هذا الحفل الختامي جاء ترجمة لحقيقة المهمة الكبيرة التي حملها المركز على عاتقه من لحظة ولادته، ويعكس الاهتمام الأصيل بتاريخ حضرموت في الداخل والخارج، مؤكداً أن هذه الزيارة إلى مدن جاكرتا وصولو وبيكالونغان وسورابايا أضافت الكثير من المسؤولية على عاتق المركز وجعلتنا نستشعر عظم الدور وأهمية الرسالة التي نهض بها الأجداد منذ زمن بعيد، وأضاف إن المركز يسعى جاهداً من أجل خلق شراكات واتفاقات تفاهم وتعاون مثمر لخدمة التاريخ والتراث الحضرمي وتدوينه وتوثيقه وطباعته وترجمته ونشره ليصبح في متناول الباحثين والدارسين والمهتمين في عموم الوطن العربي، مثمناً الجهود الكبيرة التي بذلت من كثير من الشخصيات لتذليل الصعوبات وتسهيل يوميات الرحلة منوهاً إلى أن جميع من استطاع الوفد أن ينجح في الوصول إليهم ضمن برنامج نزولاته وزياراته الميدانية واللقاء بهم كانوا خير عون لنا واستقبلونا برحابة صدر وفتحوا قلوبهم لنا قبل الأمكنة، وفي هذا المساء

الحضرمي الأصيل لا يسعنا إلا أن نتقدم لهم جميعاً بالشكر والتقدير والامتنان نظير ما جادوا به من عون ومساندة ومساعدة ومساهمة لإنجاح برنامج الرحلة ويومياته التي امتدت من تاريخ: السبت الثامن من أكتوبر وحتى الثالث والعشرين منه، مختتماً كلمته باستعداد المركز وحرصه على استمرار التواصل والعطاء لخدمة التاريخ الحضرمي وتجلياته الحضارية الثقافية والتراثية والإنسانية.

الأستاذ الدكتور عبدالله الجعيدي: داعياً المراكز والمؤسسات النظيرة والمهتمة بالتاريخ الحضرمي وظاهرته العالمية الهجرة إلى مدن حوض المحيط الهندي كافة إلى التعاون والشراكة لإقامة المؤتمرات الدولية لدراسة هذه الظاهرة الإنسانية وتأثيرها وتأثرها بدول ومواطن الهجرة

من جانبه أكد الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي في كلمته استقلالية المركز وحيثيته العلمية والبحثية الرصينة، مذكراً أن هذه الزيارة ليست حنيناً إلى التاريخ ، داعياً المراكز والمؤسسات النظيرة والمهتمة بالتاريخ الحضرمي وظاهرته العالمية الهجرة إلى مدن حوض المحيط الهندي كافة إلى التعاون والشراكة لإقامة المؤتمرات الدولية لدراسة هذه الظاهرة الإنسانية وتأثيرها وتأثرها بدول ومواطن الهجرة، مضيفاً أن الهجرات الأولى للحضارمة لم تكن محصورة فقط بهجرة الرجال ولكن رافقها كذلك هجرة الكثير من الكتب والوثائق التي أصبحت اليوم في حكم النادرة أو المفقودة، مجدداً الشكر والتقدير لكل من ساهم وشارك وحضر الحفل التعريفي للمركز بالعاصمة الإندونيسية جاكرتا.

الباحث نبيل هيازع: يقدّم عرضاً لبعض الشخصيات الحضرمية الرائدة في النضال الإندونيسي.

وكان الباحث نبيل عبدالكريم هيازع رئيس مركز المنارة للبحوث والدراسات بإندونيسيا قد قدم عرضاً موجزاً عن دور بعض الشخصيات الحضرمية الرائدة في النضال الوطني التحرري لجمهورية إندونيسيا.

الدكتورة سري سونارتي: أكدت تثمينها للشراكة العلمية بين المركزين وتفاؤلها الكبير بما ستتمخض عنه هذه الشراكة من مشروعات تخدم الثقافة المجتمعية

كما ألقت الدكتورة سري سونارتي رئيسة مركز الثقافة والمجتمع الإندونيسي كلمة عبرت فيها عن شكرها وتقديرها للقائمين على مركز حضرموت لاختيارهم إندونيسيا بالبحث العلمي، وأكدت تثمينها للشراكة العلمية بين المركزين وتفاؤلها الكبير بما ستتمخض عنه هذه الشراكة من مشروعات تخدم الثقافة المجتمعية .

وألقى الأستاذ الشاعر نادر بن سعد بن حلبوب العمري عضو الوفد المسؤول العلمي بدار الوفاق قصيدة من وحي يوميات الرحلة نالت استحسان الحضور استهلها بالقول:

باحثاً جئت من بلاد النخيل ... عن تراث الأجداد في الأرخبيل
قلمي الزاد .. والمطيُ الحنايا ... والهوى الدرب .. والجذور دليلي



وتخلل الحفل التوقيع على مذكرتي تعاون وتفاهم وشراكة وقعهما الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي، الأولى وقعتها الدكتورة سري سونارتي ومركز الثقافة والمجتمع الإندونيسي ((LIBI التابع للمعهد الإندونيسي للعلوم والثانية الباحث نبيل هيازع مدير مركز المنارة للبحوث والدراسات بالعاصمة جاكرتا.

وفي ختام الحفل كرّم الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر والأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي دروعاً تذكارية تقديراً وتثميناً للجهود التي بذلها الأخوة:

الشيخ علي صالح جابر، والدكتورة سري سونارتي ومركز المنارة للدراسات والبحوث والسيد علوي محسن العطاس والأستاذ زكي صالح النهدي ..



تكريم الداعية الإسلامي الشيخ علي جابر



تكريم الأستاذ زكي صالح النهدي



تكريم السيّد علوي محسن العطاس



على هامش معرضه الأول للفن التشكيلي

الفنان سالم باسليم ورحلة ستة وأربعين عاماً من الإبداع بصمت

خلال الفترة من العشرين إلى الثاني والعشرين من نوفمبر ٢٠١٦م احتضنت قاعة (متطوعون) بالمكلا حدثاً فنياً بارزاً جاء في وقت كان المهتمون والمتابعون للشأن الثقافي في حالة تعطش لمثل هكذا حدث. وما زاد من حالة الترقب والمتابعة له الاسم الذي ارتبط بهذا الحدث. إنه معرض الفن التشكيلي للفنان التشكيلي المخضرم والمبدع الرسام والخطاط والمصور الفوتوغرافي سالم محفوظ باسليم عضو اتحاد الفنانين التشكيليين في بلادنا وعضو اتحاد عام الفنانين التشكيليين العرب.





رصد : عادل أحمد القحوم

سيرة ذاتية متميزة

قبل الخوض في كيفية وأهمية إقامة هذا المعرض وتفاصيل الموضوع من خلال لقائنا بالأستاذ سالم باسليم في بيته بعد أن عجزنا أن نلقاه وننفرد به أيام إقامة المعرض لانشغاله، لابد لنا أن نستعرض السيرة الذاتية وبعضاً من محطات حياة هذه الهامة الكبيرة فناً والمتواضعة شخصاً والرفيعة خلقاً. الأستاذ سالم محفوظ باسليم من مواليد مدينة المكلا يوم السابع عشر من نوفمبر من العام الميلادي١٩٥٧م متزوج ولديه بنت واحدة وثلاثة ذكور، بدأ سُلمه التعليمي من المرحلة الابتدائية بمدرسة (الملجأ) الجيل الصاعد ثم أكمل دراسته الثانوية بمحافظة لحج والجامعية بكلية ناصر للعلوم الزراعية بالحوطة جامعة عدن. عمل بعد تخرجه في كلية التربية بالمكلا في العام ١٩٧٩م وظل بها حتى تقاعده في العام ٢٠١٠م. بدأ حياته الفنية وولعه بالرسم والفن التشكيلي منذ المرحلة الابتدائية حيث تتلمذ على يد أساتذته في مدرسة الجيل الصاعد (محمد باصالح وبوسبعة) ثم صقل موهبته الفنية بانتقاله للدراسة في لحج وهناك تعرف على عدد من الأساتذة المصريين المتخصصين في فنون الرسم والنحت وأبرزهم:(محمد عبده صادق) رئيس مختبرات القاهرة الذي انتدبته جامعة عدن للعمل في لحج. اتسع ولعه وشغفه بالفنون التشكيلية فأبدع في الرسم والنحت والخط والتصوير الفوتوغرافي.



القحوم محاوراً الفنان باسليم

المعرض الأول لباسليم

أول معرض شارك فيه الأستاذ سالم باسليم كان في العام ١٩٧٠م بعمر ثلاث عشرة سنة في المعرض الذي أقيم بنادي الشباب الرياضي بالمكلا - أيام كانت الأندية الرياضية مراكز فنية وعلمية وإبداعية - بحضور الرئيس الجنوبي قحطان الشعبي أول رئيس بعد الاستقلال المجيد، عندما زار حضرموت في ذلك التاريخ.

مشاركات محلية، عربية، دولية

شارك باسليم في عدد من الفعاليات المحلية منها المعارض التي نظمها اتحاد التشكيليين في الجنوب وأقيمت في الأعوام ١٩٧٩-١٩٨٠-١٩٨١م بمناسبة أعياد الثورة الوطنية. ومن أبرز المشاركات حضوره ومشاركاته في معرض المعارض الذي أقيم عام ١٩٧٥م بمدينة التواهي بحضور الرئيس الجنوبي سالم ربيع علي. كما شارك باسليم في عدد من المعارض العربية منها مشاركته وحصوله على



شهادة تقدير في معرض الكويت الخامس للفانين التشكيليين العرب، كذلك مشاركته في المعرض التشكيلي للشباب في العاصمة الليبية طرابلس في العام ١٩٨٠م بمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث للاتحاد العام للفنانين العرب، ومشاركة ثانية في الكويت في فعاليات المعرض السابع للتشكيليين العرب في أبريل من العام ١٩٨١م. ولباسليم مشاركات دولية في المعرض الخاص باحتفالات بلادنا بعيد الثورة في موسكو عام ١٩٨٠م ومشاركة ثانية في العام ١٩٨١م في برلين العاصمة الألمانية ومشاركة ثالثة في العام م ٢٠٠٠ بمعرض اكسبو في برلين أيضاً.

مبادرة وتقدير، حرص وشراكة

وعن فكرة إقامة معرض الفنون التشكيلية قال الأستاذ سالم باسليم: جاء تنظيم معرض الفن التشكيلي في نوفمبر من هذا العام بمبادرة من أكاديمية الموهوبين بسيئون عندما قاموا بزيارتي في منزلي قبل أشهر وبتعريف خاص من الأخ هشام بن يحيى وكان الأخوة في هذه الأكاديمية يبحثون عن أعمال إبداعية لتقديمها للناس ورأوا أعمالي وأعجبوا بها وقدَروها حق التقدير، خاصة إنني لم أُقم معرضاً خاصاً بي. كما كانوا حريصين على أن تكون الوسائل والأدوات المستخدمة ذات جودة، فتم مثلاً تبديل الإطارات الأولى للوحات بإطارات أخرى جديدة وحديثة تم استقدامها من صنعاء خصيصاً لرسوماتي حتى يقام المعرض بصورة تليق بالحدث، وكان الأخ محمد سالم الصبان مدير البرامج والمشاريع بمؤسسة العون الداعمة للمعرض متابعاً ومساناً ومذللاً لكل الصعوبات والعراقيل.



مجسّم قصر المعين

ويضيف باسليم: شركاء العمل هم مؤسسة العون للتنمية وأكاديمية الموهوبين بسيئون ومواهب حضرموت وهم طلبة أكاديميون ومهتمون بالفن التشكيلي وقد قاموا بتعريف الزوّار بلوحات المعرض وتولوا مساعدتي في شرحها فللجميع شكري وتقديري.

اللوحات الفنية حكايات تراثية

وعن ما احتواه المعرض يقول الأستاذ سالم: احتوى المعرض على أكثر من مائة وخمسة أعمال، والمعروضات انقسمت بين لوحات رسم ومنحوتات. الرسومات عبارة عن لوحات مائية موضوعها تركز في الجانب التراثي والتاريخي الحضرمي في المعالم والملبوسات والبحر والشواطئ وشخصيات حضرمية وعادات وتقاليد، وقد كان لمدينة شبام نصيبٌ كبيرٌ من الأعمال بحكم أن هذه المدينة إحدى مدن التراث العالمي بحسب تصنيف منظمة الأمم المتحدة وهي الواجهة التاريخية الأولى لحضرموت. وبالنسبة للأعمال النحتية فكانت عبارة عن معالم أثرية حضرمية. بعضها صممتها خصيصاً لهذا المعرض: منها قصر السلطنة القعيطية (المعين). الذي عبركم ومن خلالكم أدعو جميع المهتمين والمسئولين لإنقاذ هذا الصرح التاريخي الكبير من الاهمال. فقد حرصت شخصياً على عمل مجسم له وقمت بتصويره أولاً وعكفت على عمل تجسيد له وإبرازه ولفت الأنظار له.

إقبال كبير فاق التوقعات

الإقبال على المعرض فاق كل التوقعات وحظي بمتابعة واسعة من قبل المهتمين وعن ذلك قال الباسليم: شخصياً لم أتوقع ذلك العدد من الزائرين فعلى الرغم من أن المعرض يفتح بابه لفترتين صباحاً ومساء فقد كانت أعداد الزائرين في إزدياد وفترة الثلاثة أيام كانت قليلة فكنا نستمر في استقبال الزائرين لغاية الساعة التاسعة مساءً ونفتح القاعة عند الساعة الثامنة صباحاً. وسعدت كثيراً بهذا العدد من الزائرين وسعدت أكثر عندما رأيت أن الزائرين له من فئات عمرية مختلفة وكان لفئة الشباب والفتيات حضور كبير ومتابعة خاصة حتى أن بعضاً منهم كان يزور المعرض مرتين وربما ثلاث مرات والبعض يأتي يومياً. وقامت بعض المدارس الأساسية والثانوية الحكومية والأهلية والخاصة بتنظيم رحلات زيارة للمعرض لطالباتها بالتنسيق مع مواهب حضرموت.

وبعض الفتيات والطالبات إذا أتت صباحاً برفقة زميلاتها فإنها تأتي مساءً برفقة والدتها وأسرتها.

باسليم بين الرسم والنحت والخط والتصوير

مواهب الأستاذ باسليم الفنية متعددة بين الرسم والنحت والخط والتصوير. وعند سؤالنا عن أقرب فن إلى نفسه أجاب دون تردد:

يعد فن الرسم الأقرب إلى نفسي وأجد فيه متسعاً أكثر في التعبير عن أفكاري واهتماماتي الفنية. وبالطبع فن الرسم له مدارس متعددة وأنا شخصياً اتجهت في فن الرسم إلى ممارسة الرسم المائي، أي استخدام الألوان المائية ويعد ذلك النوع من الرسم صعباً إن لم يكن أصعبها، فلا يمكن للرسام أن يغير شيئاً من تفاصيل الرسم أو يعدلها إطلاقاً، فهي ترسم لمرة واحدة فقط -وعليه - يجب التركيز والدقة المتناهية في التنفيذ فلامجال للعودة، وممارستي لهذا النوع من الرسم كان تحدياً بالنسبة لي فتأثرت بالرسامين الإنجليز في هذا الشأن.

حسنون.. أخ وصديق ورفيق درب

في مستهل حديث الأستاذ باسليم كان اسم عمر حسنون أول شخص يذكره في حديثه وشريط حياته العلمية وطلبت منه إرجاء ذلك الى نهاية اللقاء. وعندما سألته عن الأستاذ عمر حسنون قال: (إنه زميل وأخ وصديق ورفيق درب. فبعد عام واحد من التحاقي في العمل في كلية التربية بالمكلا انتقلت إلى قسم الوسائل التعليمية في العام ١٩٨٠م ومنها بدأت رحلة عمل وإبداع مشتركة والعلاقة بيننا تعدت حدودها العملية لتصبح إنسانية وعائلية فكنا معاً في العمل وخارج العمل, حتى رحلاتنا إلى خارج مدينة المكلا كانت عائلية مشتركة فذهبنا أربع مرات إلى شبام لنغوص في بحر التراث والتاريخ ونستلهم من هذه المدينة مواضيع لوحات جديدة وتفاصيل فنية جديدة. منه تعلمت فن النحت بأسلوبه الراقي ولم تفرقنا الحوادث والأيام إلا عندما حانت ساعة الوداع الحقيقة وغيبته المنية عننا - رحم الله أخي العزيز عمر- وفي هذه المناسبة أود أن أشير إلى أننا نضع اللمسات النهائية لإقامة معرض خاص يشمل صوراً فوتوغرافية لرحلة فقيد الفن التشكيلي الحضرمي الاستاذ عمر حسنون.


لوحة سدة بيت آل قيسان

نموذج فني إبداعي

تعد اللوحة الخاصة بسدة بيت آل قيسان من أبرز اللوحات المعروضة ونموذجاً فنياً رائعاً، وهذه اللوحة هي رسم لسدة بيت هذه الأسرة الواقع بجانب مسجد النور بالمكلا. وفي هذه اللوحة يتجسد الإبداع وتدرجات اللون البني وتوزيع الظل، حتى يخيل للناظر انها صورة وليست رسماً. وفيها يظهر إبداع الأستاذ باسليم في التصوير الرسمي والزخرفة.

إنجازات وأعمال يفخر بها

يفتخر باسليم بإنجازاته الفنية الكثيرة، ومنها وجوده المستمر في قاعة فرع اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا بلمسته الفنية الرائعة ورسمه لوجوه عدد من الشخصيات الفنية والأدبية والإبداعية الحضرمية ومازالت هذه الصور تزين جدران فرع الاتحاد إلى يومنا هذا. كذلك مساهمته الفنية وصوره الفوتوغرافية في كتاب (مدن يمنية توحدت في الأسماء) للكاتب الأستاذ بدر جعفر بن عقيل إلى جانب عدد من المصورين والفنانين اليمنيين.



دعوة وفكرة

الأستاذ سالم باسليم قامة فنية إبداعية كبيرة لم تلق ما تستحقه من التقدير والتكريم. مبدع يعمل بصمت يتحدث بريشته اكثر من لسانه, يمتلك الأستاذ باسليم كنوزاً إبداعية تراثية قيمة وأعمالاً كثيرة بعضها لم يرَ النور. كما إنه يمتلك خبرات فنية كبيرة يجب أن تتوارثها الأجيال وتستفيد منها المؤسسات التعليمية في تدريس مادة التربية الفنية بأصولها السليمة.


الفنان باسليم في صورة تذكارية مع الفنان حسنون

الصحافة العربية الحضرمية

انتكاستها في حضرموت وازدهارها في إندونيسيا وسنغافورا



تزامن سنة ١٩١٧م ظهور الصحافة في حضرموت مع ظهورها في المهجر الحضرمي بالشرق الأقصى مع الفارق أن ظهورها في المهجر كان قوياً في دعوته ومظهره وتأثيره نظراً لاختلاف البيئة، فالشرق الأقصى كان مفتوحاً على العالم متأثراً بالحضارة متوافراً به إمكاناتها من ورق ومطابع ومال في حين كانت حضرموت بيئة مغلقة غير متصلة بشكل مباشر بالحضارة الحديثة ولا تتوافر بها إمكاناتها فضلاً عن رفض الكثير من قادة الرأي العام فيها لفكرة الصحافة والنظر إليها نظرة دونية واعتبارها من بدع العصر الحديث.

حورب ظهور الصحافة في حضرموت عندما أطلت برأسها خيفة وفي وجل وعلى استحياء في حضرموت نفسها وبأيدي حضارم وانطلقت ثم ازدهرت على أيدي حضارم آخرين في الشرق الأقصى وأصبحوا رواد الصحافة العربية فيها.



د.محمد أبوبكر حميد

ظهور الصحافة في حضرموت:

باتفاق عدد من المؤرخين فإن رائد الخطوة شاب من تريم هو السيد شيخ بن عبدالرحمن بن هاشم السقاف عضو(جمعية نشر الفضائل) ومدرس في إحدى مدارسها أصدر (صحيفة حضرموت) وكان يعاون السيد شيخ جماعة من شباب (جمعية نشر الفضائل) وذلك في غضون سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٧م وهي أول صحيفة خطية تصدر في حضرموت إذ لم تكن في حضرموت آنذاك مطابع فكانت تنسخ باليد وتوزع نسخ محدودة منها بين الناس بالتداول سراً خشية اعتراض الجامدين الذين سيحاربونها. (وهي غير صحيفة حضرموت التي يحررفيها الأستاذ محمد بن هاشم في المهجر الإندونيسي كما إن ابن هاشم هذا غير ابن هاشم ذاك).

وما كاد يصدر العدد الأول منها حتى ثار الجامدون وأثاروا حفيظة الناس على مديرها وأصحابه وجمعيتهم باعتبارهم ينشرون البدع ويخالفون السلف. ولم يستطع هؤلاء الشباب المستنيرون الصمود أكثر من إصدار أربعة أعداد من مجلتهم ثم اختنقت وتوقفت.

ويبدو أنه لم يتجرأ أحد بعد هذه التجربة على إصدار صحيفة في حضرموت في حين انطلقت الصحافة الحضرمية في إندونيسيا وسنغافورة تشق طريقها بنجاح في سهولة ويسر.

ظهور الصحافة العربية الحضرمية في اندونيسيا:

أصدر الحضارم في إندونيسيا وبجاوة خاصة حوالي ٢٣ صحيفة ومجلة في الفترة من ١٩١٧ الى ١٩٣٧م من أهمها:

(الإقبال): أول جريدة أصدرها الحضارم في جاوة، صدر العدد الأول منها في أوائل شهر أكتوبر ١٩١٧م، ورأس تحريرها محمد حسين بارجاء.

(الإرشاد): جريدة أسبوعية ناطقة باسم حزب الإرشاد، صدر العدد الأول منها في سورابايا في ١١ يونيو ١٩٢٠، رأس تحريرها حسن بن علي الثقة.

(الشفاء): مجلة شهرية صدرت في مدينة بكالونجان ورأس تحريرها عمر سليمان ناجي، صدرت في سنة ١٩٢٠م.

(الذخيرة الإسلامية): مجلة دينية أدبية أصدرها الشيخ أحمد السوركتي في بتافيا في شهر محرم ١٣٤٢هـ (سبتمبر ١٩٢٣م)، ولكنها لم تتعدالسنة الواحدة من صدورها، وتوقفت في شوال ١٣٤٢ (مايو ١٩٢٤م) بعد عشرة أعداد.

(القسطاس): صحيفة أسبوعية إرشادية أصدرها عمر بن علي مكارم في مدينة سورابايا في ٣ فبراير ١٩٢٣م، لكنها لم

تستمر طويلاً في الصدور.

(حضرموت): جريدة أسبوعية أسسها عيدروس المشهور العلوي في سواربايا في ١٦ ديسمبر ١٩٢٣م، واستمرت عشر سنوات حتى توقفت في أواخر عام ١٩٣٣م.

(الأحقاف): جريدة أسبوعية أصدرها عمر هبيص في مدينة سواربايا عام ١٩٢٥م، ولكنها لم تستمر طويلاً في صدورها.

(الدهناء): مجلة شهرية صدرت في مدينة سواربايا في شهر يونيو ١٩٢٨م، ويبدو أنها لم تستمر إلا سنتين أو ثلاث.

(المصباح): مجلة شهرية أصدرتها جمعية التمدن الإرشادية في سواربايا في ديسمبر ١٩٢٨م.

(الرابطة): مجلة شهرية صدرت في جاكرتا، في يناير ١٩٢٩م، واستمرت أربع سنوات، وقد تولى رئاسة تحريرها الأستاذ هاشم ابن محمد الحبشي.

(برهوت): جريدة أسبوعية انتقادية باللهجة العامية الحضرمية، أصدرها الأستاذ محمد بن عقيل في مدينة الصولو في يناير ١٩٣٠م.

(الإصلاح): صحيفة أصدرها علي هرهرة في سواربايا في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٠، ويبدو أنها لم تستمر طويلاً.

(الإرشاد): مجلة شهرية صدرت في سواربايا في ٢ أغسطس ١٩٣٧م، وكان رئيس تحريرها محمد عبود العمودي، وقد استمرت عامين متصلين، وربما توقفت عن الصدور بعد ذلك في عام ١٩٣٩.

وصحف أخرى لم تستمر طويلاً مثل:(المشكاة)، و(المستقبل)، و(اليوم)، و(المعارف)، و(الترجمان)، و(المرآة المحمدية) و(مرآة الشرق)، و(السلام).

ظهور الصحافة العربية الحضرمية في سنغافورا:

وفي سنغافورة صدرت معظم الصحف العربية الحضرمية في الفترة من ١٩١٧ الى ١٩٤٣م وهي تقريبا الفترة نفسها التي شهدت العصر الذهبي للصحافة العربية الحضرمية في إندونيسيا. وأهمها:

(الأيام): أول صحيفة عربية في المهجر الشرقي جاوة وسنغافورة ، أسسها الاستاذ محمد بن يحي بن عقيل، صاحب كتاب (النصائح الكافية) في أول جمادى الثانية ١٣٢٤هـ ١٩٠٦م، واستمرت حتى عام ١٩٠٨م، وهناك صحيفة اسمها (الوطن) يذكر أنها أول صحيفة عربية في هذا المهجر الشرقي.

(الإصلاح): صحيفة أسبوعية أدبية أسسها محمد بن عقيل العلوي عام ١٩٠٨م، وكان رئيس تحريرها الشيخ كرامة بن سعيد بلدرم، ولقد استمرت في الصدور حتى عام ١٩١٠م.

(الهدى): أول جريدة أسبوعية ظهرت في سنغافورة بعد انقطاع طويل للصحف في هذه الجزيرة، أصدرها ورأس تحريرها عبد الواحد الجيلاني في ٢٥ مايو ١٩٣١م،



وتوقفت في شهر جون ١٩٣٤ بعد أربع سنوات من النشاط، وذلك بعد رفع قضية عليها جعلتها تتوقف لأسباب مالية.

(العرب): أنشأها حسين بن علي السقاف، وكان رئيس تحريرها أحمد بن عمر بافقيه، وقد استمرت حتى يناير ١٩٣٥م.

(القصاص): جريدة نصف شهرية أصدرها فرج بن طالب الكثيري باللغة العامية الحضرمية في فبراير ١٩٣٢م.

(النهضة الحضرمية): جريدة شهرية أصدرها أبوبكر السقاف العلوي في يناير ١٩٣٣م، واستمرت حوالي العامين حتى عام ١٩٣٤م.

(الشعب الحضرمي): جريدة نصف شهرية أصدرها فرج بن طالب في فبراير ١٩٣٤ باللهجة العامية الحضرمية، ولم تستمر في صدورها طويلاً.

(الجزاء): جريدة نصف شهرية أصدرها فرج بن طالب في أبريل ١٩٣٤ باللغة العربية الفصحى، واستمرت حتى شهر مايو ١٩٣٤م على ما يبدو.

(الحساب): نصف شهرية أصدرها فرج بن طالب في يناير ١٩٣٥، واستمرت حتى أبريل ١٩٣٦م على ما يبدو.

(المجد العربي): جريدة نصف شهرية أصدرها فرج بن طالب في ٢٠ مارس ١٩٣٥م، وربما استمرت حتى سبتمبر ١٩٣٥م.

(صوت حضرموت): جريدة شهرية صدر العدد الأول منها في مايو ١٩٣٤، واستمرت أربع سنوات، ثم توقفت ثم عادت للصدور حتى عام ١٩٤٧، صاحبها طه أبوبكر السقاف العلوي.



(السلام): جريدة شهرية صدرت تحت رعاية إبراهيم بن عمر السقاف، في ١٢ أبريل ١٩٣٦، واستمرت حتى فبراير ١٩٤٠ على ما يظهر، حيث توقفت بسبب عدم دفع المشتركين فيها ما عليهم من حقوق مادية لها. ولقد كانت السلام هذه بعثاً لجريدة العرب السابقة، ولكن بروح مختلفة تماماً، وذلك حين بدأت بوادر الانفراج في الأزمة التي عصفت بالعرب في المهجر لسنين طويلة.

(المشهور): أصدرها محمد بن زين السقاف في ديسمبر ١٩٣٨، لكنها لم تستمر طويلاً.

(الذكرى): جريدة نصف شهرية أصدرها عبد الله بن عبد الرحمن الحبشي في سبتمبر عام ١٩٣٩م، واستمرت حتى مايو ١٩٤٠م.

(الأخبار): أصدرها عبد الواحد الجيلاني في سبتمبر ١٩٣٩م، بعد توقف جريدته الهدى، كانت يومية في البدء ثم أصبحت أسبوعية، ثم توقفت عام ١٩٤١م.

(الأخبار المصورة): أصدرها السيد عبدالواحد الجيلاني في جولاي ١٩٣٩م على ما يبدو، وربما توقفت في نوفمبر ١٩٤٠م.

علي أحمد باكثير رائد ثاني صحيفة في حضرموت :

بعد توقف (صحيفة حضرموت) التي أنشأها السيد شيخ بن عبدالرحمن بن هاشم السقاف سنة ١٩١٧م في مدينة تريم ووأدها في سنتها الأولى كان لابد من الانتظار حتى يعود الفتى علي أحمد باكثير من إندونيسيا إلى سيئون سنة ١٩٢٠م وهو في سن العاشرة ليصدر صحيفة (التهذيب)سنة ١٩٣٠م وهو في سن العشرين ، فأصبح رائد ثاني صحيفة تصدر في حضرموت.

عاش علي أحمد باكثير في حضرموت فترة قصيرة قياساً بالأثر الذي أحدثه، فقد أرسله والده من إندونيسيا سنة ١٩٢٠م وهو في سن العاشرة وغادر حضرموت نهائياً سنة ١٩٣٢م.

درس علي أحمد باكثير أمهات الكتب العربية في اللغة والنحو والعقيدة والأدب على يدي عمه العلامة القاضي الشيخ محمد بن محمد باكثير لمدة عامين في الفترة من ١٣٤١- ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٤- ١٩٢٥م. ثم عُين مديراً لـ(مدرسة النهضة العلمية) بسيئون أول مدرسة أهلية نظامية في ٢٦/ ٣/ ١٣٤٤هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ١٩٢٥م.

كان تعليمه حضرمياً ولكن ثقافته لم تكن حضرمية، فقد استغرقته قراءاته لرواد الأدب والفكر والثقافة الإسلامية في مصر، ولم يكتف بما يرد إلى حضر موت من كتب ومجلات قليلة فما كان ذلك يشبع نهمه ، فقد أقام لنفسه جسوره الخاصة، فراسل كبريات الصحف والمجلات التي كانت تصله بالبريد من مصر أو مع المسافرين من الأصدقاء .واتصل بقادة الفكر والأدب والحركة الإصلاحية الإسلامية المستنيرة في مصر والعالم الإسلامي ، فقد وجدت في ملفاته الخاصة رسائل إليه وهو في حضر موت من أمير البيان شكيب أرسلان من جنيف ورسائل أخرى من السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والسيد محب الدين الخطيب



صاحب مجلة الفتح والمطبعة السلفية، وقد وجدت في مكتبته في حضرموت الكثير من أعداد هاتين المجلتين.

كان أثر هاتين المجلتين الإصلاحيتين وراء إصدار باكثير صحيفة ثقافية أدبية إسلامية في سيئون بحضرموت باسم (التهذيب) صدر العدد الأول منها في ١شعبان ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٢ديسمبر ١٩٣٠م والعدد الأخير منها في ١جمادى الأولى ١٣٥٠هـ الموافق ٢٢سبتمبر ١٩٣١م ،وهذا يعني أنها لم تستمر أكثر من عام واحد لما لقيته من مقاومة ممن أسماهم (بالجامدين) الذين لم يستوعبوا رسالتها أو من الذين أحسوا بخطر رسالتها عليهم.وكان إصدار هذه الصحيفة التي شاركه فيها جماعة من المتنورين من أبناء جيله عبئاً كبيراً عليهم . فلم تكن في حضرموت حينذاك مطابع وإنما كان يسهر عليها مع زملائه يخطونها باليد وتوزع في نطاق محدود وتعلق أعداد منها في المساجد وأماكن تجمع الناس.ولعل صحيفة التهذيب قد أشعلت الفتيل الذي أعطى الضوء لظهور صحف أخرى في حضرموت الوادي والساحل استمرت لفترات أطول وقويت شوكتها وعبرت عن طموحات الشعب الحضرمي وقضاياه خاصة تلك التي صدرت في المكلا في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين وذلك بعد هجرة علي أحمد باكثير النهائية إلى مصر.

الدور الفكري والإصلاحي لصحيفة التهذيب:

جعلت الصحيفة شعارها الآية الكريمة (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر). ولم يجعل باكثير اسمه عليها لصغر سنه من ناحية ولوضوح توجهه العقدي من ناحية أخرى، وإنما كتب عليها (يحررها نخبة من أفاضل سيئون) وجعل المدير العام المسئول عنها رجلا من أفاضل أهل البلاد هو الأستاذ محمد بن حسن بارجاء الذي كان يسهر الليالي - إيماناً برسالتها - يخط أعدادها بحروفه الجميلة . وقد أرسل باكثير فيما بعد أعداد هذه الصحيفة مجتمعة إلى أستاذه محب الدين الخطيب بالقاهرة حيث طبعها في مجلد واحد في مطبعته السلفية، وكتب لهامقدمة تبارك توجهها بعنوان (ألوكة وادي الأحقاف) وجعل شعارها سؤال وجواب من شعر باكثير:

س : ما هو التهذيب ؟

ج : قبس تألق من سنا حرية

سيكون فاتحة النهوض الحضرمي

يظهر على صحيفة التهذيب منذ العدد الأول أثر فكرجمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده وصحيفتهما (العروة الوثقى)ودعوتهما إلى الجامعة الإسلامية وإلى انفتاح المسلمين على روح العصر ونبذ الخرافات والأوهام وما علق بالدين من غبار الدراويش والعودة الحقيقية إلى جوهر الإسلام كما قدرته السنة النبوية الشريفة وأفعال الصحابة الأكرمين.

استطاع علي أحمد باكثير أن يعبر من خلال صحيفة التهذيب ومن خلال وجوده مديرا لمدرسة النهضة العلمية بسيئون عن دعوته الإصلاحية، فقد آمن أن لا سبيل لتحقيق غايته في خدمة مجتمعه إلا بالقضاء على الجهل وذلك من خلال الإمساك جيداً بناصية التربية والتعليم وإنشاء جيل جديد لا يفكر بطريقة آبائه، فبدأ عمله في مدرسة النهضة العلمية بسيئون بوضع نظام جديد للتعليم يعتمد على الفهم لا الحفظ، ويعمل بوسائل التربية الصحيحة ، وقد عبر عن هذا الاتجاه في شعره الذين نشره بين تلاميذه من خلال صحيفة التهذيب :

إن برنامج تدرسيكم

ليس برنامج قوم مرتقين

ترهقون النشء بالحفظ فمن

حفظ تقرير إلى حفظ متون

ليس في ذاك لهم من صالح
إنه يقتل فهم الناشئين
فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ملكات
الحذق في كل الفنون

كانت المدرسة قبل أن يتولى علي أحمد باكثير إدارتها تقتصر على تدريس الفقه والحديث والنحو بالأسلوب التقليدي الذي لا يتفق مع سن التلاميذ وقدراتهم على الفهم .فبسّط باكثير أسلوب التعليم وأدخل عليه موادّ جديدة كالتاريخ والجغرافيا والإنشاء والأدب والشعر فثارت عليه ثائرة بعض الجامدين، وعدّوا فعله ذلك مروقاً على ما تعودوا عليه في تعليم الأبناء وعدّه الغلاظ منهم خروجاً عن منهج أسلافهم وأوغروا عليه صدور العامة، وكانت بالنسبة لبعضهم فرصةً للنيل من هذا الشاب الذي جاء يبشر بأفكار جديدة وكأنه يريد أن يعلمهم دينهم فكان باكثير يدافع عن نفسه ويبسط ذلك في أشعاره الكثيرة :

أنا لم أدع إلى غير الهدى
وإلى غير نهوض المسلمين
أنقمتم دعوة الناس إلى
سنة المختار خير المرسلين ؟!

وصادف أن حل موعد الاحتفال السنوي بإنشاء المدرسة فنظم للتلاميذ نشيداً يُنشدُ مُلحَناً نشره في التهذيب يقول فيه :

بنهضة العلم شخص العلم قد نهضا
وعنصر الجهل في أيامها انقرضا
وقد توطد ركن الدين وانتشرت
أعلامه ، وبدا صبح الهدى وأضا
اليوم يوم به (سيئون) زاهية
مملوءة فرحاً إذ نالت الغرضا
اليوم يوم به حل السرور بنا
يوم احتفال وإقبال ويوم رضا

فكان هذا النشيد وحده مدعاةً جديدة للثورة عليه وللتأكيد على مخالفته لهؤلاء في كل ما يفعل فما كان منه إلا أن رد على هؤلاء بخطبة طويلة ألقاها في يوم ٤ محرم ١٣٤٩هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٣٠م في الاحتفال السنوي للمدرسة في ذلك العام ونشرت في صحيفة التهذيب في حينها بتعليق يقول : » إنها أول خطبة في موضوعها أُلقيت على ملأ من الناس في هذه الديار «. ناقش فيها الاعتراضات التي ثارت ضده لتلقينه طلاب المدرسة هذا النشيد المُلحّن على اعتبار هذا الفعل تقليداً جديداً وتشبهاً بالإفرنج . فرد باكثير بان التسرع في الأحكام والتحليل والتحريم أكبر مخالفة لنهج السلف وقال: " إنه يجب على من أراد أن يحافظ على سيرة السلف أن يعرف أولاً حقيقتها والله يعلم أنهم لم يبلغوا تلك الرتب العالية ولم يصلوا إلى تلك المنازل السامية إلا بعنايتهم التامة بإصلاح قلوبهم وتطهيرها من رذائل الصفات وقبائح النزعات واعتمادهم في كل ذلك على العلم الحقيقي الخالص من الشكوك والأوهام فإذا ورد عليهم أمر لا عهد لهم به لم يسرعوا في الحكم بتحليله أو تحريمه ولم يرفعوا صوت الإنكار على فاعله بمجرد النظر إليه بل عرضوا ذلك


العرب

البعثة في نظر المرشدة

الأمر على نظر العلم أولاً ووزنه بميزان العقل فإن رأوه منابذاً للعلم مخالفاً للعقل مضراً بالناس تحققوا أنه مما لا يرضى به الله ورسوله ".

أما آفة التقليد فهاجمها بضرب المثل بالذين يتبعون آراء غيرهم في الحكم على علماء الإسلام المحدثين دون تروي أو تمحيص فيصيبون رجاله بجهالة . ودافع عن الإمام محمد عبده الذي سماه (الشيخ الإمام حكيم الإسلام) وبرأه من الافتراءات التي كتبها عنه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني وتصديق بعض الناس في حضر موت لهذه الافتراءات وتبنيها دون التأكد من صحتها . وناقش باكثير جمهوره بمنطق بسيط يحقق إنصاف الإمام محمد عبده فقال : (... هل تعرفون حقيقة الشيخ النبهاني تماماً ؟ الجواب لا نعرف عنه إلا أنه من كبار العلماء وأعيان الصالحين . من أين لكم معرفة ذلك ؟ الجواب أننا عرفنا ذلك من مطالعة كتبه فكلها نافعة وغالبها في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) . أرأيتم لو كتب عنه أحد العلماء بمصر بأنه زائغ مبتدع وفاسق ماذا كنتم صارفين في أمره ؟ الجواب لا نبالي بذلك فقد عرفناه عالماً صالحاً بكتبه . إذن لماذا لم تفعلوا ذلك في حق الشيخ محمد عبده فتطالعوا كتبه أولاً وتقرؤوا رسائله وكتاباته في الدفاع عن الإسلام ...) .

وفي ضوء هذا الوعي المبكر بجوهر الإسلام والحرص على الارتباط بتراث السلف والاتصال بقادة التجديد والإصلاح ودعاة العودة إلى الوصول في العالم الإسلامي وفي مقدمته مصر كان لا بد لباكثير أن يصطدم مع بعض ما تعارف عليه كثير من الناس في مجتمعه فكتب في صحيفة التهذيب بألم يقول:

قلبي به شطران بين المسلمين على
العموم ، وبين شعبي الحضرمي
آسى على مجدٍ متهدم ويحي لذلك
السؤدد المتهدم
وأذوب من أسفٍ لشعب جامدٍ متخبطٍ في
ليل جهل مظلم
متعسف في دينه ، متعصب لقديمه ،
متفرق متقسم
الحر مضطهد لديهم مبغض والوغد جدّ
محبب ومعظّم

ومن هنا يجد الدارس المتأمل لموضوعات صحيفة (التهذيب) التفاصيل الدقيقة لخريطة التفكير المستنير عند علي أحمد باكثير في تلك المرحلة المبكرة من عمره ومن تاريخ الثقافة الحديثة في حضرموت، فهي تحدد مصادر التأثر الفكري والعقدي عنده في المرحلة من حياته كما أنها تضع النقاط على الحروف للأهداف التي كان يعمل لتحقيقها في مجتمعه الحضرمي .

والطابع العام للصحيفة سواء من حيث الموضوعات أم من حيث الاستشهادات والمأثورات التي ترد في قضاياها تدل على مدى تأثر باكثير بروح (العروة الوثقى) التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في فرنسا وروح مجلة (المنار) التي أصدرها تلميذهما محمد رشيد رضا في القاهرة بأنه لا منقذ للمجتمعات الإسلامية الرابضة في التخلف إلا بتصحيح

العقيدة وايقاظ الهمم . ويجد الدارس لحياة باكثير وفكره في حضرموت في صحيفة التهذيب أوجه التشابه بينه وبين رشيد رضا في المعالم البارزة للاتجاه الإصلاحي عند كلٍ منهما، وعمل كل منهم على محاربة البدع في وطنه وحث الناس على التخلي عن التوسل بأصحاب القبور ،





ودعوتهم إلى التوجه لله وحده . وقد دعم هذا التوجه والأثر المجلدات العديدة من مجلة (المنار) التي وجدتها في منزل باكثير في حضرموت والحواشي والتعليقات الموجودة على بعض صفحاتها بخطه تدل على أن باكثير وجد في (المنار) ما وجده أستاذه رشيد رضا في (العروة الوثقى) مما كان يتوق إلى معرفته من أسباب الفساد في المجتمع المسلم ووجد وسائل الإصلاح والعلاج .

قضايا صحيفة التهذيب وأثرها في حياة باكثير:

ومن الواضح أن باكثير تعرف على فكر الأفغاني ومحمد عبده من نافذة المنار التي كانت مرآةً لفكر الإمام محمد عبده خاصة الذي يتمثل في الإيمان بأن إصلاح الأمة يأتي أولاً من خلال التربية والتعليم وتصحيح العقائد . فلا عجب إذن أن نجد (تهذيب) باكثير تزخر بهذه الموضوعات التي تقع في صميم مشكلات مجتمعه الحضرمي آنذاك ، وهي موضوعات كتب بعضها باسمه الصريح والبعض الآخر باسم مستعار وقد أبلغني بعض رفاق صباه أنه كان يحرر معظم موادها ويكتب افتتاحياتها . فنجد له مثلاً مقالات عن (قراءة البخاري في شهر رجب) و (ذكرى المولد النبوي) و (مذهبي في زيارة القبور والتوسل) كما لم تخل كتاباته من تناول بعض القضايا الاقتصادية والسياسية والأدبية . ففي افتتاحية العدد السابع يكتب مقالاً بعنوان (حركة الماكينات الرافعة في حضرموت) التي يدعو فيها لتطوير أساليب الزراعة وتنميتها باسمه الصريح وفي العدد نفسه يكتب مقالاً باسم مستعار بعنوان (حول اضطهاد إخواننا مسلمي طرابلس) وهو عن الهجوم الوحشي الإيطالي على تلك البلاد والفظائع التي ارتكبها المستعمر بأهلها.وقد كان هذا المقال صدى للحدث نفسه ولما كتب عنه في مجلتي (المنار) و(الفتح) لمحب الدين الخطيب وخاصةً ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في الأخيرة، وقد حيا باكثير شكيب أرسلان بعد ذلك بقصيدة طويلة نشرت في حينها في مجلة الفتح.

ويُحمد لـ علي أحمد باكثير ابن سيئون أنه استطاع الصمود بـ التهذيب لمدة عام في مواجهة الحملة التي شنها عليه من اطلق عليهم مسمى (الجامدون) في حين لم يستطع زميله السيد شيخ بن عبدالرحمن بن هاشم السقاف ابن تريم الذي سبقه بـ ١٣ سنة بإنشاء صحيفة (حضرموت) التي لم يصدر منها إلا عدد واحد فقط. وربما كان الفارق في درجة الجمود والتشدد بين تريم وسيئون أحد أسباب سرعة توقف الصحيفة في تريم الأكثر تشدداً علاوة على الفارق الزمني والفارق في ثقافة الشخصية كل هذه عوامل نرجح أنها أعانت صحيفة التهذيب على الاستمرار في الصدور لمدة سنة.

ولكن هذا لا يعني أن الأمر مر بسلام فقد دفع علي أحمد باكثير الثمن غالياً، إذ لم تكن الحرب التي شنها الجامدون مقتصرة على فكره بل امتدت إلى شخصه فقد حورب في أعز ما لديه، وحيل بينه وبين الفتاة التي كان يحبها ويرغب في الزواج منها بالتأثير في والدها، ولم يستطع تحقيق هدفه إلا بعد انتظار قرابة عامين وبتدخل من علامة حضرموت السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف وهذه قصة طويلة مؤلمة ليس هنا مكان الحديث عنها. ولكنه حتى لما تزوج من يحب لم يهنأ طويلاً إذ لم يدم هذا الزواج أكثر من ثلاث سنوات أنجبت له فيه زوجته الحبيبة ابنته خديجة ثم توفيت بعد مرض عضال في ٢٠ مايو ١٩٣٢م فجُن من وقع الحدث وغادر سيئون هائماً على وجهه في قرى وادي حضرموت حتى وصل المكلا في ١٧ يونيو ١٩٣٢م ومنها غادر إلى عدن ليبدأ هجرته الطويلة التي انتهت به إلى الاستقرار في مصر منذ سنة ١٩٣٤م حتى وفاته بها سنة ١٩٦٩م رحمه الله.





27
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



المكلا(١)
تهتف للشاعر حسين البار بالأحضان



المكلا إذ غدت عاصمةً للسلطنة القعيطية بدت مقصدًا لكلّ طامح لا يرضى سكون الريف، وبساطة عيشه، وهدوء ساعاته ليلًا ونهارًا..

وإنّ من الثابت أنّه دخل المكلا في سنيّ عمره الأولى عابرًا، فاتخذها سبيلًا إلى قصده ولا غير.

(كانت المكلا في الأربعينيّات... مباءةَ أدبٍ وثقافةٍ وعلمٍ، فهنالك جمعية الثقافة والمكتبة السلطانية وهما ملتقى الأدباء والشعراء عدا نادي الإصلاح وغرفة المطالعة).



أ.د. عبدالله حسين البار

المكلا ثغرُ حضرموت الباسم ونافذتها على العالم، فتتصل دماؤه بدمائها، فتتجدّد حياتها، وتمضي بها الأيام إلى تطوّرٍ منشود. هذه المدينة التي ابتدأت مأوى لقوارب الصّيد حين رجوعها من مغامراتها في البحر غدت عاصمةً لإمارة الكسادي فبدأ النموُ يشقُّ طريقه إلى مكوّناتها السكنيّة. حتى إذا غدت عاصمةً للسلطنة القعيطية بدت مقصدًا لكلّ طامحٍ لا يرضى سكون الريف، وبساطة عيشه، وهدوء ساعاته ليلًا ونهارًا. ولقد بَدَأتْ تعرف عددًا من صور التحوّلات المدنيّة في مجتمعها الصغير منذ الأربعينيّات من القرن المنصرم. لكنّ ظروف الحرب العالمية الثانية، وما أعقبها من حالاتِ ركودٍ اقتصاديّ أثقل من حركة سير ذلك النموّ في تاريخها حتى انقشعت غمّةٌ. وزال ظلٌّ ثقيلٌ كاد أن يوقف طموح هذه المدينة وتطلّعها للتطوّر والنّماء لولا همم رجال، وعزيمةُ ذوي سلطان. فاستأنفت المكلا في سنوات العقد السّادس من القرن العشرين حركةَ نموّها السياسيّ والإداريّ والاقتصاديّ والثقافيّ والتعليميّ الذي بدأ مع صعود السلطان صالح بن غالب القعيطيّ ولم يبق له إلا أن يصّاعد في ربى التطوّر والتقدّم والاكتمال درجاتٍ عُلى فيمضي إلى غاياتٍ أعمق. ويرود آفاقًا أوسع.

لكنّ جملةً من الأحداث وقفت عائقًا دون ذلك. فتقاصر النموّ، أو اتخذ صورةً شائهةً غير التي كان ينشدها مثقّفو ذلك العصر ودعاة التنوير فيه، ومن ذلك مثلاً حادثة القصر (كانون الأوّل/ ديسمبر ١٩٥٠م) التي سعت إلى تفعيل الوعي السياسيّ عند أبناء مدينة المكلا بدرجةٍ خاصة. بيد أنّ انكسارها، وقصور وعي القائمين بالعمل السياسيّ عن بلوغ مرتقاه العالي، وانحصار نشاطهم في إطار المدينة وحدها فلم يتجاوزها إلى سواها من مدن السلطنة وقراها جعل هذا المستوى من مستويات الحياة يقف عند أولى درجاته، لكنّه لم يتلاشَ من الوجدان فظلّت شعلته تتجدّد حتّى اشتدّ عوده، واستدّ سيره، واتسعت غاياته.

فإذا كانت الغايةُ منه في عهد السلطان صالح إصلاحَ كلّ خللٍ يشوب حركة الحياة بكلّ مستوياتها، وانتقادَ ما يراه المثقفون يومئذٍ متقاصرًا عن أحلامهم وأمانيّهم، فقد غدا من بعد وفاته طلبًا لتغيير الموجود والتحوّل عنه إلى نهجٍ آخر غير السائد في إطار السلطنة.

فالحزب الوطنيّ مثلاً لم يكن يشغله جوهرُ الحكم في ذاته فيطالب بتغييره، وإنما شغله استئناءُ أبناء البلد من المشاركة في إدارة حكمها.

فما معنى أن يكون سكرتير الدولة أجنبيًا؟

وما جدوى أن يتولّى الإشراف على ماليّتها غير حضرميّ؟

ولماذا لا يكون للعناصر الوطنية إسهامٌ فاعلٌ يُظْهِرُ ما اكتسبوه من خبراتٍ في سنواتٍ سلفت، ويُفَتِّقُ مواهبَ عظمت، لكنّها لم تجد إلى البروز سبيلا؟

وتلك أسئلةٌ تنمُّ عن رغبةٍ في إصلاح حالٍ يرونها معوجّةً، فجأروا بالمطالبة بإصلاحها في ظلال حكم السلطان صالح تحديدًا، فأعظموا مكانته، ولم يجدوا بين ذلك التعظيم ورغبتهم في الإصلاح أيّ تناقض.

ومن هنا لم يَعْتَرِ الشعرَ اضطرابٌ حين وقف مادحًا ذلك السلطانَ، أو حين بثَّ شكواه من خيبة أملٍ في إصلاح منشودٍ بعد أن عبثت الأيام بالأمانيّ والأحلام. وفي مثل ذلك الحال يقول البار شعرًا:

الحزب الوطنيّ مثلاً لم يكن يشغله جوهرُ الحكم في ذاته فيطالب بتغييره، وإنما شغله استئناءُ أبناء البلد من المشاركة في إدارة حكمها.

يا جميل الفعال يا صالح الأعمال لا زلت تملأ الدهر ذكرا
مَنْ تجلّى يخطّ في النّهر سطرًا من خلودٍ كتبتَ للنّهر سِفْرا
يا سليل الكرام عذرًا فإنّي لستُ أقوى على النّشيد فعذرا
قد دعاني يومُ الجلوس فلبّيتُ وحيّيتُ عيدَك اليوم شعرا
وتمنّيتُ أن أكونَ كما كنتَ طروبًا فاملأ الحفل زهرا
غير أنّ الحياةَ عانَتْ بآمالِ بني موطني اعتسافًا وقسرا
أغرقتهم في لُجّةٍ وطوت فيها جهودَ الأيام كَرًّا وكرّا
أبدلتهم بحالة العزّ إذلالا.. ونعمى الحياةِ بؤسًا وفقرا
روضةُ البلبل المغرّد جفّت وتهاوى بها وتعرّى فتعطّف وداوهنّ جروحًا دامياتٍ والمسْ بعطفك أخرى وارأب الصّدع. أنت يا ابنَ البهاليل بهذا الإحسان أولى وأحرى

بيد أنّ وفاة السلطان صالح في عام ١٩٥٦م، واعتلاء ابنه – وكان وليّ عهده – عرشَ السلطنةِ بعده، وبين الشخصيّتين فروقٌ جوهريّةٌ عظيمةٌ لا تخفى على ذي بصيرةٍ، ناهيك بتزايد المدّ الثوريّ في كثيرٍ من البلاد العربيّة، وانتصار بعض تلك الثورات وسعيها لتغييرٍ جوهريٍّ في بنية الحكم، فانقلبت ملكيّاتٌ إلى جمهوريّاتٍ لعلّ مصر ٥٢م هي أبرزها، أضِفْ إلى ذلك اتّساعَ مساحةِ الوعي السياسيّ لدى مثقّفي تلك الحقبة من الزمان الحضرميّ، وتراكُمَ خبراتٍ بعضهم من خلال التأمّل في التجارب، والتفكير العميق في أحوال المجتمع، كلُّ ذلك استدعى تغييرًا في لغة الخطاب السياسيّ يومئذٍ فَلَمْ تَعُدْ تتمحور في المطالبة بالإصلاح بل غدت تنتقد الولاةَ الرعاةَ مباشرةً، وتدعو إلى تغييرٍ في بنية الحكم صراحةً دعوةً تبلغ حدّ المصادمة والتهديد. واسمع البار يهتف قائلا:

يا بلادي حتّام في ضيعة العمر تصمّ الآذان عن صيحاتك
كم رفعنا فيك المرير من الشكوى فذابت أصواتُنا في شكاتك
كلُّ شيءٍ محيّرٌ فيك للفكر مشيرٌ إلى عميق سباتك
كلُّ شيءٍ يضجُّ ممّا تعانين فيا ويح ما ألمّ بذاتك
كلُّ من فيك ساخطٌ يتنزّى وسلي المُدْنَ أو سلي فلواتك
وتلاقى جورَ الطبيعةِ بالحكم عليكِ بجفوةٍ من رعاتك
الرُّعاة الذين يمضون في اللاشيء هذا النفيس من أوقاتك
الرعاة الذين يجرون في الأمر بما لا ندري على نفقاتك
الرعاة الذين لم يستجيبوا لهتافٍ يدوي بكلّ جهاتك
ينشدُ العدل والرعاية في الحكم وحملِ الجليل من تبعاتك
ينشدُ العيشَ أن يكونَ كريمًا لجموعٍ تضجُّ في رحباتك
فمتى يعرفون للشعب حقًّا ومتى يدفعون عن حرماتك؟
ومتى يرقبون للحقّ عهدًا ومتى يحفظون من ذمّاتك؟
يا بلادي حقّي وحقّك مسلوبٌ وشعبي يضيع في غمراتك

ثمّ تمزج القصيدة حديثَ الشكوى بحديث التحدّي والرغبة في الانطلاق لتحقيق التغيير، فنقرأ فيها قوله:

كلّما نحتُ أجمتني الليالي بقيودٍ تطفى على لهواتك
كلّما رمتُ أن أعيشَ طليقًا أقعدتني الأغلالُ في صهواتك
غير أنّي سأحطّمُ القيدَ يومًا وسأمضي في ظلّ حرّياتك
سوف أمضي مع العروبة حيًّا أبعثُ الروحَ في رميم رفاتك
وسأحيا كزهرةٍ منك حمراء تدكُّ القيودَ في زفراتك
إنّ في هذه النفوس كنوزًا كالتي يكتمون من خيراتك

وهذا وأشبـــاهه خطابٌ يتجاوز خطاب إصلاح الموجود إلى تغييره، ويتماهى مع التّطلّع إلى المنشود لأنّ فيه خلاصَ الشعبِ من أسوأ حال.

على أنّ لمعةَ ضوءٍ وإشراقٍ بـدت في سـماء المدينة في أواخر عقد الخمسينيّات حين بدأ التفكير الجدّيّ في عقـول ثلّةٍ من مثقّفي ذلك الزمان فهمّوا بـــإصدار عددٍ من الصحـــف السيّارة من حـيث هي أداةُ تنوير ونشـرُ وعي، فصدرت "الطليعة" و"الرائـد" و"الـرأي العـام"، وتوالت بـــعدها صحـــفٌ "كالجماهير" وما ناظرها. وهذا حـدثٌ تمّمت بـه حـركةُ النماء المدنيّ في المكلا صورتها التي قاربـــت على حدّ الكمال ولمّا. فلقد واكبتها حـركةٌ جادةٌ في العمل التجاريّ كاد أن يتجاوزَ حـدَّ الاسـتهلاك إلى حـدّ الإنتاج، ويتخطّى سبلَ الاستيراد إلى سبل التصدير. وأخذت حـركةُ المجتمع تزداد تنوّعًا، وتنأى عن حال الاستواء إلى حال التمايز والتفرّد المشهود.

ثمّ جاءت الأعوام الأخيرة من عقد السـتينيّات من القرن العشرين فَعَدَتْ على كثيرٍ من تلك الصور الإيجابيّة، وإذا بالحال المحمود يَحُوْلُ إلى سـواه، ويحـلُّ اليأسُ محـلَّ الأمل، ويوضعُ السـخطُ في موضع الرجاء، وهذا إطارٌ لا علاقـةَ له بوقـائع حياة الشـاعر البـار فقـد توفي قبـله ببضع سنين.

على أنّني بـعد ذلك متوجّهٌ للنّظر في علاقـة الشاعر البار بمدينة المكلا، كيف بـدت؟ وكيف تطورت ونمت؟

وإنّ من الثابـــت أنّه دخل المكلا في ســـنيّ عمره الأولى عابرًا، فاتخذها سبيلًا إلى قـصده ولا غير، ثم جاءها وقد بلغ أشـدّه لكنّه لم يألفِ الدّيارَ فشكا غربـته فيها، وتاق للعودة لواديه حيث يأنس القلب، ويبتهج الفؤاد:

من بعد تسعة أشهر وكأنها
في خاطري امتدّت عديد قرون
مرّت عليّ فلا الدّيارُ ألفتني
كلّا، ولم ترَ فيّ فضل خدين
والشّعبُ يبدو لي كأنّ به وبي
مّما يضجّ البحرُ مسّ جنوني
يهذي فلا أدري ألفاه ولا أرى
ظلّا يهزُّ مشاعري وسكوني
فرجعتُ أدراجي وبي ظمأٌ إلى
مهد الخيال إلى صفاء معيني

... هذا على الرغم من أنّ المكلا وأهلها قـد فتحوا له كلّ السُّبل المغلقة ليرودَ آفاقًا فساحًا ما كان في مقدوره ارتيادُها في قريته ووادييه. (كانت المكلا في الاربـعينيّات... مبـاءةَ أدبٍ وثقـــافةٍ وعلم، فهنالك جمعية الثّقـــافة والمكتبـة السـلطانية وهما ملتقـى الأدبـاء والشـــــعراء عدا نادي الإصلاح وغرفة المطالعة)(٢). وكـان ظهـوره فيها (كانفجار ينبـوع في صخر، أو كالشـيء المستغرب بـين أناسٍ مرتبـةٍ أوضاعُهم وتتشابـك مصالحُهم على الإغضاء والتهامس، وعلى اقتسام منافعَ بينهم في صمتٍ ومواضعاتٍ موصوفة)(٣).

وتلك شـهادةُ معاصرٍ له قَرُبَ منه فأدرك من حـاله ما وصف، ويؤكّدُها اعترافُ الشاعر البار نفسه في قـصيدته (بـين عهدين) من ديوانه الأول (من أغاني الوادي) حيث يقول:

البار يهتف قائلا:

يا بـــلادي حـــتّامَ في ضيعة العمر
تصمّ الآذان عن صيحـــــــاتِكْ
كم رفعنا فيكِ المريرَ من الشـكوى
فذابـــت أصواتُنا في شـــكاتِكْ



ثمّ لمّا علمتُ ماهيّة العيش فقدتُ الرضى وبَرَدَ السكينة وتلفّتّ عنّي واجدًا نفسًا تواسي نفسي وروحي الحزينة فإذا بي أرى الحياة سبيلًا كلّ قرنٍ فيها يجاري قرينه غايةً وَجّهَا إليها فسارا دون علم أيان ترسو السفينة

وكما جاء المكلا معلّمًا في أربـعينيّات القرن الماضي جاءها مترافعًا في قضايا، ومدافعًا عن حقوق، وقد سلف الحديث عن ذلك فيما تقدّم من صفحات.

لكـنّه منـذ العـام ١٩٥٠م اتخـذ وجـودُه في المكلا معنًى آخر، هو أقـــرب إلى التفاعل مع مشـكلاتها والانفعال بقـضاياها. ينبـيك عن ذلك ما ذكره الأستاذ علي عقيل بـن يحيى في معرض حديثه عن صلته بالشاعر البار التي لم تنقطع بسفره إلى سوريا للدراسة (فقد زوّدني بأخبار ثورةِ الشعب في ٢٧ ديسمبر ١٩٥٠م وهجوم جماهيره على القـصر السـلطانيّ، وباشرتُ في نشرها في صحف دمشق خاصة (ألف بـاء). وحـدثت ضجّةٌ حـول شـيوع هذه الأخبـار، فقـد اتصلت السـفارة البـريطانية بالجريدة وحاولت تكذيبها، ولم يسَع الجريدة إلا أن تسـتدعيني وتتقـصى من طالبٍ مثلي جليّةَ الخبر، ولم تقتنع بصحّة الخبر لتقنع به أيضاً وزارة الخارجية السـورية إلا بـعد أن رأى أصحابها مضمون الرسالة، وختم البريد على المظروف)(٤). ناهيك بما ذكره الأستاذ محمد باذيب عن ذهاب الشاعر البار بمعيّة ابـن عمّه الاستاذ أحـمد عمر بافقيه لمقابـلة السـلطان عقب الإفراج عن السيد بافقيه بـعد اعتقاله بسبب مقالاته في صحيفة (النهضة) عن تلك الأحـداث(٥). أضف إلى هذا أن وجود السـيد أحمد بن عمر بافقيه بالمكلا وعمله بالمحاماة كان باعثًا للشاعر البار للتردّد عليها والانشغال بأحوال المجتمع وتقلباته في تلك المرحلة.

وفي العام ١٩٥١م قـدم الشيخ القـدّال إلى دوعن ثانيةً وقـد صار سـكرتير الدولة فقابـله الشـاعر البـار بـثناءِ الصّديق وحـكمةِ الشّاعر المصلح الذي لا يعفي ولاة الأمـر مـن تَبعَة مـا يشـعر بـه الناس من صور البـؤس والجهالة والتخلّف عن وَثْبَاتِ العصر التي تحيط بـهم، لكنّهم لا يقـدرون على الإبـانة عمّا يشـعرون، فليكن هو بـيانهم القـادر على جلاء رغبـاتهم والتصريح بها:

قدّال إنّ العمر يسرع في الخطى
وجمودنا باقٍ فكيف الحالُ؟
البؤسُ جمٌّ والجهالةُ والونى
فينا، فهل يُرجى لهنّ زوالُ
خلتِ البلادُ من الشّباب وأقفرت
وتصوّحت في الفريةِ الآجالُ
وبكلّ جانحةٍ لواعجُ حسرةٍ
وعلى تعاريج الشفاه سؤالُ
وبكلّ قعرٍ نكبةٌ مخبوءةٌ
تُلقى بها فوقَ النصالِ نصالُ
فكأنما هذي الحياةُ روايةٌ
للحضرميّ خِتامُها الزّلزالُ

ولعلّ الشيخ القدّال قد اشـتمّ في ذلك القـول نكهـةَ تمـرّدٍ ورفـضٍ ومعارضـةٍ فأضمـر فـي نفسـه أمرًا ولم يظهره إلا بـعد ذلك بشـهور حين عيّنَ الشاعر البار ضابطًا للنشر، ومحـرّرًا للجريدة الحـكومية الرسـمية (الأخبـار)، وذلك في ٦/١٠/١٩٥٢م.

وُضِعَ الليثُ في قفص من ذهبِ.

وظيفةٌ محترمةٌ ذاتُ شأنٍ, وراتبٌ مجزٍ, وقربٌ من مصادر القرار الرّسميّ يهيئ له فرصةَ الاطّلاع على مصائر العبادِ والبلادِ. لكنّه لا يستطيع الرفضَ أو الانتقادَ, ولا يملكُ إلا القبولَ والرّضا. فاحتمل على مضضٍ, وصَبَرَ إرضاءً للشيخ القدّال، وتلبيةً لرجائه.

وفي تلك الأجواء قرّ قراره على نقل عائلته قضّها وقضيضها من وادي دوعن إلى مدينة المكلا ليستقرّ بها، وكان قبلها قد عقد قرانه على زوجته الثالثة في العام ذاته.

أمضى في تلك الوظيفة سنتين وشهرًا ثم استقال منها في ١٦/ يناير/١٩٥٥م.

وعلى الرغم مما تورث الصّحافةُ الشاعرَ عامة من انشغال عن الإبداع, وتقضي بانصرافه عن عوالمه التخييلية، فقد وجد البار مندوحةً لإبداع القصيدة, وقد اتخذت مناحيَ متنوّعةً, منها ما يتّصل بمديح السلطان صالح, ومنها ما يتّصل بالمدائح النبويّة التي كان ينشدها في احتفالات السلطنة بالمولد النبوي الذي كان يقام كل سنة بانتظام, ومنها ما يتّصل بتأمّلات في الحياة ومصائر الأحياء من أبناء هذه البلاد.

ولعل قصيدته (الملّاح التّائه) مثلٌ شرودٌ على شيءٍ من ذلك. وفيها يصوّر لك حالَ المهاجر الحضرميّ الذي لا يملّ من الغربة عن بلاده متنقّلًا في فضاء الله يذرعه وليس من احدٍ يرحم حاله (علّه يلقى رحاله).

فلقد أعياه طولُ الجهد في غير ملالهْ
ولقد ملّ شراه النّجمُ في لُجّ الضّلالهْ
ناشرًا قلعَيه فيما لم يكنْ يدري مآلهْ
ساخرًا بالموجِ إذ يعترضُ الموجُ مجالهْ
يقْحَمُ الزّورقَ في الهول وإن أودى كلالهْ

ثم يناجي الليل ويسأله أن يرفق بهذا الملّاح التائه ويسمع شكواه لعلّه يخفّف من لظاها شيئًا:

أهياليلُ تمهّلْ حولَه واجثمْ حياله
اشعل الزّهرَ شموعًا جاعلًا منهنّ هالهْ
وابعثِ الأنسامَ واملأ حافةَ الكونِ جلالهْ
وادّيالِيلُ برفقٍ نحوه واسمعْ مقالهْ
إنّه رحّالةٌ في الكونِ يستجدي نوالهْ
إنه طوّافةُ العمرِ فيا لله يا لهْ
قد سقاه الدهرُ من كأس الأسى حتّى الثُّمالهْ
وتولّاه من الضّرّاء ما فاق احتمالهْ
قد نبا الموطنُ بالحرّ المفدّى لا أبالهْ
فتولّى عنه لا يبصرُ للرُّشدِ دلالهْ

ثم يمضي في تجسيد لحظات الوداع وما يكتنفها من جزع وأسًى, فيقول:

وذعوه وطوى مثواهم ليلُ الجهالهْ
أين ولّى؟ أهو حيٌّ؟ أم ذوى نورُ الذبالهْ
وذعوه. أشهدتْ الهولَ في أيّة حالهْ
أرأيت المشهدَ الفاجعَ والرعبَ خلاله؟
أرأيت الألمَ الزاخرَ إذ يبدي صياله؟
أرأيت الطفلَ والأمَّ وأفراد السلاله؟
كلُّهم مختبلُ الأنفاسِ لا يُخفي اختباله
وذعوه ومضى يعدو فهل أدّى الرسالهْ؟!

وإنّ من قصائده في هذه المرحلة ما يتّصل بأساه على ما حلّ بصقع من أصقاع بلاده من تدمير وهلاكٍ, كما في قصيدته (نكبة دوعن) حين اجتاحها (السيل الهميم) في عام ١٩٥٤م:

فإذا بكيتَ فإنّ ذلك من دمي
والقومُ قومي والبلادُ بلادي
وإذا رثيتَ فمن حشاشة مهجتي
ونجيع أحشائي وذوب وِدادي

وإنّ منها ما يقف به الشاعر في مقام الرثاء ليرثي أعلاماً ذوي شأن عظيم في الإصلاح والتقى والصلاح, كما في قصيدته (فقيد دوعن) التي قالها في رثاء الحبيب مصطفى ابن أحمد المحضار.

لكن أين شيءٌ قاله في مجريات الأحداث يمثّل موقفه من السلطة الحاكمة والمستعمر الدخيل؟

الحقّ أنّ الشاعرَ فيه ظلّ متمرّدًا على قيود

على أنّ لمعةَ ضوءٍ وإشراقٍ بدت في سماء المدينة في أواخر عقد الخمسينيّات حين بدأ التفكير الجدّيّ في عقول ثلّةٍ من مثقّفي ذلك الزمان فهمّوا بإصدار عددٍ من الصحف السيّارة من حيث هي أداةٌ تنويرٍ ونشرُ وعي، فصدرت "الطليعة" و"الرائد" و"الرأي العام"، وتوالت بعدها صحفٌ "كالجماهير" وما ناظرها. وهذا حدثٌ تمّمت به حركةُ النماء المدنيّ في المكلا صورتها التي قاربت على حدِّ الكمال.

ماذا أصابك يا ربوعَ الوادي
أرويتِ أم أنّ القلوبَ صوادي
يا مرتعَ الصبواتِ يا مهدَ الصّبا
يا روضةَ المتعطّف الميّادِ
يا مبعثَ الإلهام يا أنشودةً
غنّى القريبُ بها وسارَ الحادي
ماذا زجى عنك الأثيرَ من الأسى
في كلّ جانحةٍ وكلّ فؤادي
هل جنّ فيك الأفقُ فانسابت
شآبيبُ السماء مسانبًا وعوادي

... إلى آخر ما هنالك. وفيها يناجي حمائمَ الوادي يسألها عونًا على حزنه وشقائه بما أصاب أهلَ واديه من تلك النكبة السوداء:

أحمائم الوادي أعنّ معاجرًا
جفّت مدامعها لطول سهادِ
أكي بكيتِ مرابعي ومراتعي
وبكيتِ قبلَ مآثر الأجدادِ
العاملين كأنما عزماتهم
في صدقها قُدّت من الأصلادِ
هذي جهودُ أكفّهم وعقولهم
في حقبةٍ جلّت عن التعدادِ
ذهبت كما تمضي الحياةُ كأنّها
لم تغدُ يومًا مصدرَ الإسعادِ

الوظيفة و(بروتوكولها) المملّ فأنجز على تفاوت من الزمن عددًا من القصائد تنفح بالغضب والرفض والسخط والانتقاد مثل قصيدته (مواكب العبيد) وقصيدته (مع التونسي). أما الأولى فقد نظمها حين تهاوت جموعٌ فيهم صاحب السلطنة وذو المشيخة وآخرون من طوائفَ كان يظنّهم أجلّ منزلةً من أن يتهافتوا على حضور حفل كمثل ذلك الحفل الذي أقيم لاستقبال الملكة إليزابيث يوم زارت (عدن) في (نيسان/ إبريل عام ١٩٥٤م) فلم يرقه ما صنعوا فسلقهم بلسانٍ حديدٍ. وأمّا الثانية فقد أنشأها معارضة لقصيدة الشاعر بيرم التونسي التي هجا بها المجلس البلديّ في مصر, فحين تمّ إنشاء المجلس البلدي في السلطنة القعيطية وتكشّفت للشّاعر البار مساوئه لم يَستَكِنْ فنظم قصيدته تلك, ومطلعها:

كم من حبيبٍ مريضِ القلبِ والكبدِ
وداؤه من غواني المجلس البلدي

وشمل هجاؤه لذلك المجلس رئيسَه, والمفتّشَ الإقليميَّ في السلطنة القعيطية, وسكرتير الدولة وكان يومها الشيخ القدّال صديقه الحميم، ولم ينسَ المستشارَ

الإنجليزيّ حين ذاك من هجائه:

في كلّ يوم ارى سيارةً مُلئت
قمامةً.. ورئيس المجلس البلدي
فقل ليوستيدوالقدّال أين بنا
إذا لعنّا نظام المجلس البلدي
وقل لبامطرف جاوزت كلّ مدى
في كلّ موضع شبر مجلسٌ بلدي
...إلى آخر ما هنالك من ذلك.

وانزوى "البار" في المكلا كان لم
يكُ يومًا ربّ الندى والحمية
يلعنُ "النشر" والوظائف والكون
ويبكي الماضي بعين سخية
ويرى الشهر اوّل الشهر
إذ يُكرَمُ فيه بمنحة أشهبية
بعد جهدٍ من الجحيم كأنّ
النّار قد حُوّلتْ إلى الماليّة

العدد (٤١) بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٤هـ - (١٩ جولاي (يوليو) ١٩٥٥م) (٦).

ولقد استمر في الكتابة في هذه الصحيفة حتى عام ١٩٥٦م. كانت حياته خلال هذه الأعوام(١٩٥٥م - ١٩٥٦م) حِلًّا وترحالًا بين عدن والمكلا ودوعن فالحجاز لأداء مناسك الحج، ثم الذهاب سياحةً إلى أسمرا التي قضى فيها أمتع أيام في شَدْوٍ كأنّه في جنّةٍ وحرير،

كان ظهوره فيها (كانفجارٍ ينبوعٍ في صخرٍ، أو كالشيءِ المستغربِ بين أناسٍ مرتبةٍ أوضاعُهم وتتشابك مصالحُهم على الإغضاء والتهامس، وعلى اقتسام منافعَ بينهم في صمتٍ ومواضعاتٍ موصوفة).

ومن عجبٍ أنّه وقد قال في القصيدتين ما قال لم ينشر الأولى قطّ، وأما الثانية فقد نشرها في جريدة "النهضة" غُفْلًا من اسم شاعرها، وتلك كانت إحدى مشكلاته مع تلك الوظيفة التي لم ير من بعدُ مناصًا من تركها ليستردّ حريته ويمضي كما شاء، يقول ما يقول ويعلنه للناس بلا تحسّبٍ ولا حذرٍ أو قلقٍ. وذاك ما كان.

ولعلّه وجد متنفّسًا مما يكظّه ويكظمه في نظمه قصيدةَ (في سبيل البدلية) التي نشرها في صحيفة "النهضة"، وفيها (تصويرٌ للحياة البائسة التي يحياها الموظّف الوطنيّ بهذه البلاد، كما هي تصويرٌ للقيود المحيطة به) كما قال في الثريّا التي علّقها في فضاء النص وأقصد عنوان القصيدة. أما مطلع القصيدة فدالّ بذاته عن سوء ما كان يعانيه:

يا وقى الله عيشة الحرية
ورعى الله صبحها والعشية
حينما كنتُ طائرًا يتغنّى
عبر أجوانه الفساح العلية
ويحيّي الصباحَ والحسنَ فيه
والأصيلَ الجميلَ خيرَ تحية
لا يبالي إذا المحاكمُ لم تفتحْ
ليغدو لدورها بقضية
لا ولا يستجيرُ من آخر الشهر
ويبكي من فرقة الماهية
كلّ يوم يصيدُ صيدًا جديدًا
لا يرى يومه بغير ضحية
هذه حالةُ المحامي وإنّي
كنتُه قبلَ في القرى الدوعنية
وإذا بي بفضل قدّال اليوم
ألاقي في الشهر ألفَ رزية
بدّلتْ حالةُ اليسار عسارًا
وشكا الجيبُ فقره والبلية

ثم يمضي يصف جهاده وجلاده في سبيل البدلية فإذا هو واقعٌ في أخذٍ وردٍّ، وسؤال وجوابٍ،(وكلام غثٍّ وحالزرية)، ليخلص من بعد ذلك كلّه متراجعًا (وجيوبي مثل القلوب الخلية):

وتجلّت مواهبُ الكلّ في الشحّ فسبحان واهب العبقرية

انعتق الليثُ من القفص فعلا زئيره في الأرض، وتوالت قصائده التي ينتقد فيها الأوضاع السيئة في بلاده، ولم يقف عند ذاك، فحرّر المقالاتِ متواليةً في الصحف العدنية منددًا بما كان يرى من اعوجاج عزّ تقويمُه، لعلّ في بعض ذلك كلّه ما يحرّك ساكنًا أو يهيج انفعالًا.

على أنني قبل هذا أودّ أن أتمّم معك بواعثَ استقالته وما تلاها من حدثٍ في حياته.

كان السيد أحمد بن عمر بافقيه قد توجّه إلى عدن للعمل بالمحاماة والتحرير الصحفي، وفي٢٨/ديسمبر/١٩٥٤م أصدر العدد الأول من صحيفته (الجنوب العربي). وبعد شهرين من صدوره طلب الشاعرُ البار إجازةً عن عامين قضاهما في تحرير جريدة (الأخبار) على أن يستأنف العمل في يناير ١٩٥٥م، لكنّه استقال منها ولم يعد إليها قطّ، فبدتِ السبيلُ أمامه مُمَهّدَةً للعمل في تحرير صحيفة الجنوب العربي مع آخرين آثروا العمل بها على غيرها من الصحف الصادرة في عدن يومذاك.

جاء في كتاب (السيد أحمد بن عمر بافقيه) للأستاذ محمد باذيب ما نصه: (ثمّ انضمّ إلى فريق العمل بها: عبدالله عبدالرزاق باذيب، بعد استقالته من صحيفة النهضة، وتعاقب على تحريرها وإدارتها عددٌ من الكتّاب والأدباء منهم الأديب السيد حسين بن محمد البار الذي تولى الإدارة لفترةٍ قصيرةٍ بدءًا من

ولذلك فاض وجدانه يصف ما رأى من جمال وجلال وكرم نفوس فهتف قائلا:

أنا في ذمّة الخلال اللواتي يعمُرُ آثارهنّ نشرُ العبير
أنا في ذمّة الجمال تبدّى في المجالي كاللؤلؤ المنثور
أنا في ذمّة الطبيعة نشوى برباكم في موجةٍ من حبور
في أصيل كأنّه الأملُ الشاحبُ تبكيه أنّةُ العصفور
ذاب في أفقه عصيرُ من النور رقيقٍ يأحسنه من عصير
في زهورٍ نديّةٍ تبعث الأنسامُ سكرى في جوّها المغمور
في ثغور ضواحكٍ تملأ الجوّ نشيدًا يزري بلحن الطّيور
وعيونٍ تديرُ من خمرة السّحر فتونًا في عالمٍ مسحور
تسكب الفنّ خالصًا في معانٍ مُبدعاتٍ جلّتْ عن التصوير

وهو لم ينسَ أنّه سيلقي قصيدته تلك (تحية للنادي الثقافيّ والجالية العربية بربوع أسمرا الجميلة) كما قال، فعرّج على هموم تشغله، وأمانٍ تتوثّب في صدره فصدح بها في مثل قوله:

أغدقتْ حولي العواطفُ حرّى عابثاتٍ بجوّها المقرور
في النوادي في السهل في الأغوار
في الرّوض في كريم الدّور
أذقاتْ روحيَ التي كاد يذويها صقيعٌ من الحياة الفرور
من حياةٍ كأنّها صخبُ الدّهر وقد قابل الورى بزئير
مرحت فوقها العبوديّةُ الصمّاءُ تُزري بعالم التحرير
ومشى فوقها الخلاقُ ذليلا شاحبًا سائرًا بقلبٍ كسير
والذي ينصر الحقيقةَ حُرًّا في رباها مشى بغير نصير
ذُقْتُ روحًا فيالحياةِ غرقتْ من هوانها في الغزير
إنّه الفردُ، إنّه عبثُ الحكم، وواأدُ العلا، وموتُ الضمير
إنّه الفردُ، إنّه القدرُ الغالي، وسخريةُ الزمان الضرير

وتلك نفثةُ مصدورٍ أضناه كتمانُها في زمن أسر الوظيفة فزفرها حين تحرّر منها، وحلّق بعيدًا عنها يسكب هواجسه في شعرٍ تسلسل من وجدانه المشحون بالانفعالات الشتّى.

أمضى البار بضع شهور من عام ١٩٥٦م في عدن بعد عودته من رحلتي الحجاز للحجّ، وأسمرا

للنزهة والاستجمام, وظل محرّرًا في جريدة (الجنوب العربي) ومشاركًا في كثير من المحافل الثقافية بما ينظم من شعر في شتى التجارب ومختلف المواقف الوطنية والقومية, كقصيدته الموسومة بـ(يوم العروبة) ومطلعها:

لبيك يا يوم العروبة ... يا باعث الذّكر الخصيبة
يا باعث التاريخ في الصّور البعيدة والقريبة
صوّر من الماضي ومن ساعات حاضرنا الرهيبة
صوّر السنا، وضيئة تختال في مرح الشبيبة
صوّر الحياة كريمة مسحورة نشوى رطيبة
صوّر الحياة ذليلة مغبرّة حيرى كئيبة
متتاليات بين مظلمة ومشرقة رحيبة

وهذا استقطاب ضدي يجلو روعة الماضي وبهاءه ويكشف عن بؤس الحاضر وسوء مآله, فتزداد النفس حيرة فيصرخ البار في الزمن نادبًا الشعب العربي في حاضره البائس قائلًا:

أيظلّ طول حياته في الدهر مرتقبا غيوبه؟
أيظلّ يهتفُ للخلاص ولا يرى يوما دبيبه؟
أيظلّ يحلم بالشروق لغابر يرعى غروبه؟
فيلفّه ليلُ المطامع والأباطيل العجيبة

ثمّ يعرّج على مأساة فلسطين, فيتساءل:

ماذا عن الوطن المقدّس في مرابعه السليبة؟
ماذا عن الشعب الشريد يعيش في دنيا غريبة؟
يشكو إلى الزمن الذي أودى بعزته ذنوبه
يشكو إليه فهل درى ماذا بمهجته الجديبة؟

شمس الغد بعد ظلام اليوم:

وطن الجنوب فدتك نفسي في فتوتك المهيبة
منعوك من حق النضال وضلّة سدّوا دروبه
كذبوا ستمضي فيه بالإيمان عزمتك الصليبة
ويشقّ فجرك عن حياة النور يا وطني جيوبه

ولعلّه لم تطأ قدماه مدينة المكلا فبقي في عدن يعمل في الجنوب العربي, ويتابع مع قريبه الحميم ونسيبه الودود السيد علي بن حامد البار إجراءاتِ طبع ديوانه الأول "من أغاني الوادي" وقد تكفّل بطباعته ذلك السيد المفضال, ولم يبارح عدن إلا في إبريل من عام



للاستسلام له، ورأى في عودته في هذا الوقت تحديدًا فرصةً لمراجعة سنين عمره التي مضت ويتأمّل في سنين عمره التي ابتدأت بعد وفاة ذلك السلطان العظيم.

ومن يومذاك قرّ في هذه المدينة ولم يعد أدراجه إلى عدن وإن بقي على عهده بالتحرير في جريدة الجنوب العربي وسواها علّه يجد فيه كفايةً لسدّ احتياجات أفراد أسرته التي أخذت تتعدّد متنوّعةً وتتنوّع متعدّدةً. فزوجته الثالثة في دوعن وحيدةٌ بعد أن فقدت مولودها الأول, تعيش في كنف جدّتها وأبيها. وابناه يشقّان طريقهما في مدارس السلطنة وقد جاوزا مرحلة الابتدائية واستعدّا لما بعدها في المدرسة الوسطى بالغيل.

وابنة أخيه وأمّها في المكلا تنتظران عودته ليلتمّ شمل الأسرة كاملةً, أو تتنظّران ما يبعثه لهما من قليل المال لتغطّيا به مصروف شهرهما ولا تكفّان عن ترقب عودته, لكنهما أبتا مبارحة المكلا إلى دوعن حيث كانتا, ولا إلى عدن حيث رام البقاء فيها.

وظلّ هو وحيدًا في عدن يشغل نفسه بالمشاركات الثقافية والوطنية, وينتظر من ابن عمه كرمًا لم يكن وما كان له أن يكون. حتى إذا واتته الفرصةُ سانحةً عاد إلى المكلا وقد قرّ قراره على البقاء بها, والعمل بالتحرير

الحقّ أنّ الشاعرَ فيه ظلّ متمرّدًا على قيود الوظيفة و(بروتوكولها) المملّ فأنجز على تفاوت من الزمن عددًا من القصائد تنفح بالغضب والرفض والسخط والانتقاد مثل قصيدته (مواكب العبيد) وقصيدته (مع التونسي).

ثم يضجّ من ذلك الحاضر البائس ويتمرد على صور الخنوع والذلة والاستسلام فيصرخ قائلا:

إنا سئمنا عيشة بلهاء مجدبة رتيبة
عفنا بها لغة الكلام فويح للغة المريبة
ولتنطق الأعمال ولتهزّز منابرنا خطيبه
فالسيفُ أبلغُ قالةً والفعل أجدر بالمصيبة

لكنها صرخات لا تستجاب لأنّ المنادى لا حياة له, فتعود الحيرة والحسرة للقصيدة وكأنّها أمر لازب لا فكاك منه:

أين العزائمُ لا تذيب عنادها أبدًا مذيبه؟
والانطلاقةُ كالشهابِ إذا بدا يرمي لهيبه؟
تخطو إلى الغايات شعبًا لا ترى إلا وثوبه؟

حالٌ من الإحباط قد يورث يأسًا إن تملّك نفس المثقف. ولكن هيهات, فللشاعر قضيته وهو يأبى خسرانها فلابدّ من شدّ العزم, وشحن الصدور ليستمرّ النضال وتشرق

١٩٥٦م. جاء في العدد المزدوج ٦٧ – ٦٨ من صحيفة (الأخبار) الصادر في ٣٠ / ٤ / ١٩٥٦م: (وصل السيّد حسين البار من عدن إلى المكلا مساء يوم ٧/٤/١٩٥٦م. والسيّد حسين معروف لدى الجميع إذ كان المحرّر لهذه الصحيفة، ويعمل الآن في الحقل الصحفيّ بعدن كمدير لصحيفة الجنوب العربيّ الغرّاء. فأهلًا بالزميل ومرحبًا به. وقدومٌ ميمون). وفي شهر مايو من ذلك العام توجّه السلطان صالح بن غالب القعيطيّ إلى مدينة عدن للاستشفاء من مرضه لكنّ مقامه في الدنيا لم يطل بعدها فآبت روحه إلى بارئها في الشهر عينه من ذلك العام. حزن البار مع من حزنوا على سلطانٍ عظيم كانت له مآثر في تاريخ السلطنة القعيطيّة عامة، وفي تاريخ مدينة المكلا وحياة المثقّفين بها. لكنّ القضاء لا يرد، فلم يجد البار من بدٍّ

منها في صحف عدن عامة, والانشغال بالمحاماة يتلقّط منها رزقه قدر المستطاع.

ارتضى البار المكوث في المكلا ليطمئنّ على ماجرَيات الحياة فيها على مستوى الأسرة خاصةً وعلى مستوى المجتمع عامةً. فرأى على سدة العرش سلطانًا خاملا لا ينشط لتطوير مجتمع ولا تهمّه حركةُ الحياة في شيء. ويحيط به نفرٌ من الأعيان المنتفعين من الحال القائم لينالوا من ورائه مكاسبَ ماديةً زائلةً لكنهم لا يعرفون للإصلاح معنًى, ولا إلى غاياته من سبيل.

يا رجال الأعيان ليس عليكم حرجٌ. أنتم من الأعيان فاملأوا بيننا الحياة ظلامًا وتلقوا دماءنا بالأواني
إن هذا يا قوم عهدُ فسادٍ فاعملوا قبلَ أن يجيء الثاني
لن تلاقوا كمثله فاغنموها فرصة ليس عمرها بالثواني
ولنعشْ ناكسي الرؤوس صغارًا ولنودّعْ كرامة الإنسان
كلّ هذا عهد الفساد قضاه وقضى أن نعيش كالقطعان

وتلفّت البار حوله فرأى صديقه الذي مرحت ليوم قدومه الآمال، واهتزت الأعطاف فرحًا بمرآه، وتغنى الشعر بالخلال الحميدة فيه، وهو وزير السلطنة الغارق في ذلك الظلام المعتم المدجان لا ينهض لفعل، ولا يغيّر منكرًا ولا يقيم اعوجاجًا في البلاد فثارت ثائرته، واستحال مديحه السابق في القدال باشا هجاءً مرًّا ينمُّ عن غضبٍ فائر لا تكاد تهدأ نيرانه:

سُحْتَ روحُه فاخطاه التوفيقُ في عهده الضعيف الواني
يا شقاء البلاد في عهده الباهت يا ضيعة العلا والأماني
يا شقاء البلاد والشعب مطويُّ الحنايا منه على نيران
يا شقاء البلاد والشعب ملقى بيديه على حضيض الهوان
يا شقاء البلاد والعدل إذْ يمشي كسيحا يمشي بلا أعوان
والظلام الرهيب والظلمُ يا قومُ لدينا موطّدُ الأركان
إنّنا في الظلام في حشرجاتِ الموتِ لكن بقير ما أكفان

وهي طويلة لكنه يختتمها بقوله:

يا بني موطني سلامٌ على الأخلاق في عهده على العرفان
أنا أبكي من حكمه وبلادي منه تبكي بمدمع هتّان
قد دهاها في عهده ما دهاها ودهاني من حكمه ما دهاني

وذاك اتحادٌ عجيبٌ بين حال الذات الشاعرة وحال البلاد ينمُّ عن عمق المعاناة، وسعة رزقه وإن قلّ. لهذا استبدّ به القلق، فتعكّر مزاجه، وغدا أسير الوهم، وتناهشته الظّنون، مما أورث جسده وهنًا، ونفسه عزوفًا عن مباشرة الحياة، وصار يؤثر السير في الخلوات البعيدة مع أقرب المقرّبين من أصدقائه علّه ينفث في فضائها ما يثقل نفسه ويوهن عظمه. وفي تلك الأثناء جاءه نبأ وفاة شقيقته السيدة (مريم بنت محمد البار) فازداد حاله ضِغْثًا على إبّالةٍ. ولعلّه رام رثاءها فلم يستطع لكنّه كتب شعرًا كثيرًا في الشكوى من حاله ذلك، وابتهل إلى الله لينجيه مما هو فيه:

مولاي هذا موقفٌ ضعفت به متي القوى وأطاف حولي الحوبُ
وتزعزعت نفسي من الآلام فارحمني فإنّي بائسٌ مسلوبُ
ضاقت بي السُّبلُ العراضُ مذاهبًا فوقفتُ أخشى أنّهنّ أحوبُ
وطفت عليّ نوازعٌ ملكت مشاعر خافق ما إن لهنّ غروبُ
إني وقفتُ ببابِ فضلك وقفةً وأنا خجولٌ مذنبٌ وهيوبُ
كم جئت من إثمٍ وغيري جاءه فاغفر فما أعيتك قطُّ ذنوبُ
أرجو رضاك وليس لي من حيلةٍ إلا الرجاءُ وعفوك المطلوبُ
ما في يديّ وسيلةٌ مذكورةٌ إلا دموعٌ عن أساي تنوبُ
هي مظهرٌ للكون أرجيها عسى أن يقبل المكروبُ حين يتوبُ

ومثلها أخريات ابتهل فيها إلى الله ليدفع عنه ذلك السوء. وامتدت الأيام به وهو يكابد صراعًا بين الاستسلام لما هو فيه من شقاءٍ وبؤسٍ وغيومٍ لا تأذن برؤيةٍ صائبة، والإصرار على تجاوز ذلك الحال والانتصار عليه. فتغلبت كفّة الإصرار على كفّة الاستسلام

إدراك أبعادها، وعدم الفصل بين ألم الفرد وآلام الجماعة. وهذا وأمثاله ممّا وجده الشاعر البار في بلاده عند عودته. ناهيك بما وجده من آفاقٍ مسدودةٍ أمامه للعمل، ولكسب الرزق للعيش في كرامةٍ بعد أن بارح جريدة "الأخبار" إلى غير رجعةٍ، وسُدّت أمامه سُبُلُ العمل بالتعليم بعد أن فسدت العلاقة بينه وبين وزير السلطنة القدال باشا، ولم يعد يجري له ذكرٌ في بال البار إلا مهجوًّا بعد أن كانت الصداقة بينهما سبيلًا للتغني بالمحامد والخلال، فانقطعت اواصر الود وشواجر المحبة ولم يبق الا الجفاء. أضف إلى ذلك يأسه من انتظار مأمول من عمله في صحيفة "الجنوب العربي" بعد أن خبر حالها وحال صاحبها، فأظلمت الدنيا في عينيه، ولم يبق له من سبيل إلا العمل بالمحاماة يتلقّط منها

فسيري بنا نحو أفقٍ جديدٍ
بهام العلا واهبطي واصعدي
أطلّي علينا بآمالنا
ترفّ كهذا الهلال الندي
واحيي ذوابل في روضها
تخوّنها الزمنُ المعتدي
وهبّي محدّثةً عن غدٍ
فإنّا نريد حديث الغد

ثم يحدّد ذلك الحديث ويعيّنه فإذا هو يجعل من ماضي الرسول صلى الله عليه وسلم مستقبلًا للأمة. فروحه الثائرة قادرةٌ غدًا على تجديد الحياة مثلما اقتدرت أمس على تجديدها:

عن الثائر العربي الذي
بدا في الغياهب كالفرقدِ
وأوحى لصحرائه أن ثُبي
وسيري إلى المطمح الأبعدِ
ونادي العروبة في عيشها
رتيبًا ألا جدّدي جدّدي

وكأنّ مماثلةً بين حال البلاد يومئذٍ وحال العرب في قديم زمانهم قائمةٌ ولكنّ الفارق أنّ الثائر اليوم معدومٌ وقد وُجِدَ في الأمس، فلماذا لا نستلهم تاريخه لنصنعَ حاضرنا؟ من

وامتدت الأيام به وهو يكابد صراعًا بين الاستسلامِ لما هو فيه من شقاءٍ وبؤسٍ وغيومٍ لا تأذن برؤيةٍ صائبة، والإصرارِ على تجاوز ذلك الحال والانتصار عليه. فتغلبت كفّة الإصرار على كفّة الاستسلام

صراعًا بين الاستسلام لما هو فيه من شقاءٍ وبؤسٍ وغيوم لا تأذن برؤيةٍ صائبة، والإصرار على تجاوز ذلك الحال والانتصار عليه. فتغلبت كفّة الإصرار على كفّة الاستسلام، وإذا بالشاعر الثوريّ فيه يطلّ من ثنايا مدائحه النبويّة، وإذا به يعيد قراءة التاريخ فلا ينظر إلى الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفته مبشرًا بدين التوحيد فحسب بل بوصفه صاحبَ ثورةٍ تُخْرِجُ الشعوب من أكفان خنوعها إلى فضاء حريتها فيقول مخاطبًا (ليلة المولد) في واحدٍ من احتفالات السلطنة بها وقد أقيمت في ساحة القصر السلطاني في ١٢/ ربيع الأول/١٣٧٦هـ الموافق ١٦/ ١٠/ ١٩٥٦م:

نحييك يا ليلة المولد ... نحييك للمجد والسؤدد

ليقفز من تلك التحية إلى الدعوة إلى الحديث عن المنشود:

هنا أخذ الشاعر يناجي ليلةَ المولدِ التي ستكرّ وتعود ثانيةً فكيف تراها تجدنا بعد عام؟:

فيا ليلة النّور من بعد عامٍ
تعودين مشرقةً فاشهدي
ستلقين ما يصنع العاملون
وما يفتدي الوطن المفتدي
شعوبٌ تُطهّرُ أوطانها
من الدّنس الآثم المفسدِ
وتصرخُ في وجهه حرّةً
يملء الحناجر لا تقعدي
وتمضي تدافعُ عن حقّها
وتسعى إلى الأفضل الأرغدِ

وهذا إيماءٌ لا يخفى على لبيبٍ إدراكُ مغزاه، لكنّ الشاعر يقصده، ويقصد إلى ما هو أبعد منه فيقول متحدّثًا عن بؤس شعبه وهوان أمره قائلاً:

وشـــــعب يعيش على أرضه
وليس بعبـــدٍ ولا ســـيّدِ
يســـير قـــطيعًا بـــلا غايةٍ
ســـوى أنّه الرائحُ المغتدي
ويرجع حـــين ينال الكفاف
جريحَ الحشـــا دامي الأكبـــدِ
علـــى كـــلّ أرض لـــه ذلّةٌ
تُغنّى كأنشـــودة المنشـــدِ
وفي كلّ قـــطر له شعبـــةٌ
تعيـش مـع المـوت فـي موعـدِ
تُهدّدُ بـــالطرد في كلّ حـــينٍ
وبـــــالذلّ إن هي لم تطرد
فحـتّام نحـيا حـياةَ الجحـيم
وحـــــتّام يا ليلةَ المولد؟

ونـــروحُ أضيـــعَ مـــا تُضَيَّعُ أمـــةٌ
صغرت بـــجنبِ شكاتِها الآلامُ
يا ضيعةَ الأحقـــافِ في أدوائها
خرس اللســـانُ وعيّت الأقـــلامُ

ثم يخاطب شبـــاب النادي الذين ســـعوا وأسهموا في إنشائه حاثًّا ومحرّضًا:

يا فتيةَ البعث الجديد تحفّزوا
فلعلّ برقًا في الجواء يُشامُ
وتحيّنوا فُرَص الحياة وجدّدوا
فيها فأنتم في الحياة المَهامُ
أنتم غدًا فامضوا إلى الغد شعلةً
تفري الدجى والخالفون نيامُ
مستقبلُ الأحقاف في أيديكمُ
فليرسم المستقبلَ الرسّامُ

دائمة, ويعيش بـــهجة انتصاره على أمســـه القريب المشوب بـــالوهن والاضطراب. وفي العام ١٩٥٨م تحـــلّ ذكرى تأســـيس النادي الثقافي فيحـــييه بقـــصيدةٍ لا تخلو من ركاكة شـعر المناسبات وتكلّف المعاني والصور فيه، لكنه يشفعها بقصيدته (يا بلادي) وقد سلفت أبياتٌ منها في صفحاتٍ سابقةٍ، وكأنّما أراد أن يتجاوز الآنيَّ بـما هو ممتدٌّ في الزمان ومنهمرٌ في التاريخ لا يكاد ينقطع.

بـيد أنّ السلطة الحاكمة يومئذٍ لم تســمح باستمرار بقـاء ذلك النادي فأغلقـته بشراسةٍ، لكنّها لم تســـتطع أن تطفئ الشـــعلة التي أشعلها، فمضت تتألّق في الأيام حـتى صارت أحزابًا تتعدّد رؤاها, ومواقـفَ تتنوّع اتجاهاتها.

كان حسين البار واحدًا من المؤسّسين للنادي الثقافي .

وفي حفل تـأسيسه وقف قـائلاً :

حـــتّامَ تســـلبُ حـــقّنا الأيّامُ — وإلامَ نكتحلُ القذى ونضامُ
وعلامَ يُشقـينا الزمانُ بـموطنٍ — يَردُ المذلّةَ مشرعًا ويسـامُ
نمشـــي بـــلا أملٍ يضيءُ كأنّنا — فيما يرادُ بـنا عليه سـوامُ
ونـروحُ أضيـعَ مـا تُضَيَّعُ أمـةٌ — صغرت بجنبِ شكاتِها الآلامُ
يا ضيعةَ الأحقـافِ في أدوائها — خرس اللسانُ وعيّت الأقلامُ



• رئيس النادي الثقافي - المكلا 1957

وتلك صرخةُ ضاجٍّ ممّا يرى في بـــلاده من تعاسةٍ وشقاءٍ وذلٍّ.

وفي غضون ذلك يسـعى شبـاب من أبـناء المكلا إلى تكوين نادٍ ثقافيّ يسـهم في إحداث تغيير في مجَرَيات الحياة في هذه المدينة, وهو ما عرف باسم النادي الثقـافي الذي تأسّس في ٨/رجب/١٣٧٦هـ الموافق ٨/ فبراير ١٩٥٧م، وكان رئيسه الدكتور محـمد عبدالقادر بافقيه وتشـاركه ثُلّةٌ من شبـاب ذلك الزمان, وكان حسين البار واحدًا من هؤلاء المؤسّسين لذلك النادي . وفي الاحـتفال(٧) بـذلك الحدث وقـف الشاعر البار يلقي قصيدته قائلا:

حـــتّام تســـلبُ حـــقّنا الأيّامُ
والامَ نكتحـــلُ القـــذى ونضامُ
وعلام يُشقـــينا الزمانُ بـــموطنٍ
يردُ المذّلة مشـــرعًا ويســـامُ
نمشـــي بـــلا أمل يضيءُ كأنّنا
فيما يرادُ بـــنا عليه ســـوامُ

ثم يعرّج على وصف ذاته وما ألمّ بـــه من داءٍ فيقول:

لم يَبقَ فيّ الدهرُ نغمة بلبلٍ يشدو
فغاض الشدو والانغامُ

لكنه لم يرضخ لها ولم يستســلم فأصرّ على مباشرة الحياة في عزة وكرامة قعساء:

فلنحن أولى في الزمان بموطنٍ
إنْ يحيَ نحيَ به ونحن كرامُ
ولنحن أجدرُ أن نسير بموكبٍ ركبُ
العروبة فيه والأعلامُ
ركبٌ يسيرُ إلى الحياة مجدّدًا
وبحقّه أبدًا له استعصامُ
متدفّقُ العزمات وضّاح المنى
لا يعتريه عن المنى إحجامُ

وبدت نفسه مقبلةً على الحياة وقد انقشع الضباب الذي لفّها, فلملم شتاتها, فذهب إلى دوعن في أواخر عام ١٩٥٧م وأحـضر زوجته الثالثة ليقـيم وإياها في مدينة المكلا إقـامة

وهنا بدأ التفكيرُ جادًّا في إنشاء منابـر للتعبير عن الرأي، فكانت الدعوة إلى صحـافةٍ وطنيّةٍ، فتقدّم البار – كما تقدّم غيره - بإنشاء جريدته (الرائد). وإن لها لحـكايةً تُروى. و(الرائد) هي الصحيفة التي أخرجها الشاعر حسين البـار في أول الســتينيّات من القـرن العشـرين، وكان صاحـبَ امتيازها ورئيسَ تحـريرها. وقـد وضع لها شـــعارًا دالًّا هو (إنّ الرائد لا يكذب أهله). ومعنى (الرائد) في العربـية هو (الذي يُرْسَلُ في التماس النُّجعة وطلب الكلأ) كما في "لســـان العرب". وفيـه (ومـن أمثالهـم: الرائـد لا يكـذب أهله, يضرب مثلًا للذي لا يكذب إذا حدّث. وإنّما قـيل له ذلك لأنّه إنْ لم يصدقـهم فقـد غدر بـهم). ولهذا المعنى تحـديدًا قـصد البـار في صحيفته فتحرّى صحّة الخبـر وصدقه وحـرص عليه، وألحّ على مراســليه في دقّة التحـرّي، وتلمُّس المصدر الوثيق الدقيق، حتى لا يقع في زلّةٍ أو يتعثّر في هفوةٍ, لعلمه أنّ هذه الصحـيفة

(بدأ الأعداء يتألّبون لمحاربتها قبل ظهورها، وكأنّما ضاقوا ذرعًا بها قبل أن يروها، فآلوا أن لا يدعوا لها مجالًا للحياة والعمل).

وقال في رسالة بعثها في ٢٦/ ٩/ ١٩٦٠م لأحد أصدقائه يطلب منه الإسهام في موافاته مع آخرين بأنباء السلطنة الكثيريّة ويذكّره بالتحري الدقيق لما يصل إليه من اخبار فينقلها خاليةً من أية شائبة قائلا: (لهذا فإني أعتمد عليكم في مؤازرة "الرائد" بموافاتها بالأنباء الصحيحة عن السلطنة الكثيرية لأني أخشى أن يكون في بعض المراسلين الذين أعتمدهم من هو مُغرِضٌ مضلِّل). ويطلب من أحد أصدقائه أن يتخيّر له (من يثق في مقدرته وإخلاصه) ليكون مراسلا للجريدة التي يزمع إخراجها للناس.

ولا يكتفي بذلك بل يراسل أصحاب الشأن ممن عرفهم من قبل وكانت صلته بهم حميمةً وهم اليوم في موضع المسئولية في ألوية السلطنة ومقاطعاتها، كرسالته المؤرخة في "٢٨/ ٩/ ١٩٦٠م" لنائب لواء شبام الشيخ علي محمد العماري الذي خاطبه فيها قائلًا: (وإني أعتمد عليكم كأخ وصديق في مؤازرة هذه الصحيفة وهي في مطلع حياتها، [....]، وأودّ أن تعتمدوا من قبلكم شخصيًّا مَنْ يقوم بتزويدنا بمختلف الأنباء الصحيحة والمعلومات الصادقة. لأنّنا لا نريد أن ننشر سوى الحقائق المجردة الصحيحة).

ومثلُ هذا الخطاب خطابُه لنائب لواء دوعن الشيخ حسن بن محمد باصرة في رسالةٍ بعثها له في "٢٨/ ٩/ ١٩٦٠م" يقول له فيها: (وبما إني أعتمد عليكم كأخ وصديق فأرجو بذل قصارى جهدكم في مؤازرة هذه الصحيفة التي يمكن اعتبارها صحيفة الشعب ولسان حاله، وذلك بتزويدنا بمختلف الأنباء والمعلومات الصحيحة عن لوائكم وما يجدّ فيه من الأحداث والتطورات).

واقرأ أخيرًا ما كتبه للأخ الأستاذ سالمين سعيد المرشدي(٨) في هذا السياق: (هذا وقد وقع الاختيار على سيادتكم لتسهموا في تحريرها عن طريق مراسلتها بمختلف الأنباء والمعلومات الصحيحة والتعليقات المفيدة. وبذلك تكونون قد أسهمتم في معركة الحرف والكلمة المقدسة. وقمتم بواجبٍ وطنيٍّ من أعظم الواجبات. إننا يا أخي نعرف عنكم نشاطكم ووطنيتكم وحبّكم للمساهمة في كلّ مشروع حيويٍّ نافع يعود بالخير على هذه البلاد وأبنائها. ولذا فإنّنا لم نلق اختيارنا اعتباطًا وجزافًا وإنّما وضعنا القوس في يد باريها كما يقول المثل العربي القديم).

وهذا غيضٌ من فيضٍ امتلأت به رسائله التي وجهها لجميع من حثّهم على الإسهام في تحرير الأخبار والمعلومات عن قضايا حضرموت

(الرائد) هي الصحيفة التي أخرجها الشاعر حسين البار في أول الستينيّات من القرن العشرين، وكان صاحبَ امتيازها ورئيسَ تحريرها. وقد وضع لها شعاراً دالاً هو (إنّ الرائدَ لا يكذب أهله).


الرائد

وألويتها ومقاطعاتها في السلطنتين ليتعرف قارئ الصحيفة من بعد عليها جليّةً خاليةً من أيّة شائبةٍ قد تعكّر صفو صدقها، ونقاء دقتها، أو تَسِمُها بالكذب والزيف.

على أنّ هذا الحديث وإن كان جوهريًّا متأخرٌ في الزمان عن خبر نشأتها، وحكايةِ صدورها، وما وقف في طريق إخراجها للناس من معوّقات كادت تثبط عزيمة الشاعر البار ولكن هيهات.

فما الذي حدث منذ مطلع العام ١٩٥٩م حتى يوم ١٧/ ١٠/ ١٩٦٠م حين صدر العدد الأول منها في مدينة المكلا ثم سارت منها إلى سواها من بقاع، للحضارم فيها وجودٌ وحضورٌ؟

ما إن انقضى العام ١٩٥٦م حتى كان الشاعر البار قد اتخذ قراره ببتّ صلته بجريدة (الجنوب العربي) وبمكوثه في مدينة عدن، مؤثرًا البقاء في مدينة المكلا حيث زوجته وأفراد أسرته يمكثون.

وبدأ منذ العام ١٩٥٨م في التفكير الجديّ لإصدار صحيفته الخاصة التي أسماها (الرائد).

وفي تاريخ ٤/ ١/ ١٩٥٩م تقدّم بطلب ترخيص حكوميٍّ بإصدارها فَمُنِحَ ذلك التصريحُ، لكنّه لم يتمكّن من إصدار العدد الأول إلا في ١٧/ ١٠/ ١٩٦٠م. تلك إذًا سنة وتسعة أشهر قضاها البار في بحثٍ دؤوبٍ وصراع مرير من أجل العثور على مطبعةٍ يتفق معها على طباعة أعداد صحيفته بانتظام لا تعثّرَ فيه. ناهيك بمعوّقاتٍ أخرى تكاد تكون مثبطاتٍ له عن الاستمرار في إنجاز المشروع وزعزعة يقينهمن الظفر بنجاحه في تحقيقه.

ومن تلك المثبّطات (تخوّف بعض إخواننا الحضارم من أن تكون "الرائد"... صورةً من "الأخبار" الحكومية السوداء)، كما وصفها البار نفسه في رسالة بعثها للسيد مصطفى بن محمد باهارون في تاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٥٩م. وهو يرى أن هذا التخوّف ليس له ما يسوّغه.

فمع اعترافه بسوء تجربته في تحرير جريدة "الأخبار" فهو يذكّر أولئك المتخوّفين بتجربته في جريدة (النهضة) التي كان يراسلها من دوعن. وينبههم إلى أنّ (هذه الصحيفة – يعني الرائد - ملكي، وأنا مطلقُ السراح في الكتابة بها عن شتى الشؤون التي تهمّنا جميعًا في الوطن والمهاجر).

ويذكر في الرسالة أمرًا لعله لم يكن معلومًا لأحدٍ قبل ذلك، وهو (أنّ هذه الجريدة تسندها هيئةٌ تحريرٍ قويةٌ من أقلام شباب النادي الثقافي وغيرهم). ويضرع إلى الله أن يمدّها بعونه لكي (تكون صورةً صادقةً عن ماجَرَيات الأمور في حضرموت).

ومن تلك المثبّطات رقابةُ الحكومة التي منحته الترخيص ووضعت عليه قيوداً، كالذي يزرع البذور في الأرض ويدسّ الجراد في ثنايا البذور. فإذا أُذِنَ الترخيص للجريدة بالعمل فهو مأسور (بمقتضى قانونٍ ضيّقٍ متعرّج كأنما نُصِبَ فخًّا للإيقاع بنا). ومن هنا جاءت إحدى فقرات الترخيص لتنصّ (على أنكم سوف تكونون عرضةً للعقوبة وجريدتكم للتوقيف أو المصادرة إذا سمحتم بنشر مقالاتٍ أو أنباءٍ أو صورٍ أو رسوم أو أيّ شيءٍ آخر في جريدتكم يعتبر بنظر الحكومة ضارًّا

بسلامة الدولة وبخدماتها المختلفة).

ومن تلك المثبّطات البحث عن مطبعةٍ تقوم بطباعة صفحات الجريدة بانتظام، وهو مالم يجده في المكلا في هاتيك الآونة.

حقًّا كانت (دار المستقبل) قد أنشئت وبدأت تمارس بعض المهام التجارية ثم انسربت إلى التفكير في طباعة بعض الجرائد كالطليعة التي أصدرها الأستاذ أحمد عوض باوزير. فهرع البار إلى أصحاب الدار يسألهم طباعة جريدته فاعتذروا له عن قبول ذلك، وذكروا له حججًا منها انتظارهم مزيدًا من الحروف والإمكانيات، وهذا يقتضي تأخير إصدار الصحيفة زمنًا لا يعلم مداه. ومن تلك الحجج أنّهم تلقّوا طلب الأستاذ باوزير بطباعة جريدته قبل طلبه مما يعطيه – أعني باوزير – بالذكر دون سواه. ولقد استجاب السيد الحامد لطلب البار وتفاعل معه لكنّ الأجر الذي عرضه لطباعة العدد الواحد من الصحيفة بدا للبار مكلّفًا عنتًا فقال في رسالة وجهها للسيد الحامد في ٩ /٧ /١٩٥٩م: (وإني أرى أن الأجور غاليةٌ جدًا، وهي على هذا الأساس تكلّفني كثيرًا. وإني لأطمع في المزيد من مساعدتكم بأن تجعلوا للأجر الأسبوعيّ للألف نسخه هو أربعمئة شلن ولو بصورة مؤقته حتى يستقيم العمل ويستوي سير الأمور). وتلك مشكلة تضاف إليها أجور نقل الصحيفة بالطائرة من عدن إلى المكلا للتوزيع، وهو ما يأذن بارتفاع سعر بيع العدد منها، وهو أحرص ما يكون على إيصالها للسواد الأعظم من أبناء حضرموت ليقرأوها، لضعف الميزانية العامة. وهذا سيكون بصورة مؤقتة، وفيما بعد لا نرى بأسًا بالتعديل المناسب). وهذا عرضٌ لم يحصل البار على موافقة السيد الحامد عليه، مما اضطرّه لمخاطبة أحبّ أقربائه إلى نفسه، وكان سنده وعضده الذي اعتمد عليه في حلّ كثير من معضلات حياته عامة، ومعضلات "الرائد" في هذه المرحلة خاصّة، وأعني به السيد عبدالقادر بن حامد البار فقد خاطبه في ٢١ /٧ /١٩٥٩م قائلا: (اضطررت إلى أن أكتب هذه الكلمة لتتكرّم بالاتصال بالمذكور لغرض الحصول على موافقته النهائية على العرض الذي قدمناه ومحاولة إقناعه عن تشدّده ولو بعض شيء وبصورة مؤقتة لنبدأ العمل لأنّنا متوقّفون على موافقته). لكنّ ردّ الحامد جاء

جاء يناير ١٩٦٠م وانقضى، وانصرمت من عام ١٩٦٠م تسعةُ أشهر بحالها ولم يصل البار إلى طريقٍ لاحبٍ يسير عليه لطباعة صحيفته حتى كان آخر سبتمبر عام ١٩٦٠م حين أعلن البار أنّه قد (تمّ الاتفاق بيني وبين شركة المستقبل على أن تقوم بطباعة الجريدة بمطابعها).

حقّ الأولويّة، وتتقدم تلبية طلبه على تلبية طلب سواه. ناهيك بما كمن وراء الأكمة مما ليس يجهله العارفون ببواطن الأمور.

فأسقط في يدي البار، وحار في أمر جريدته التي حلم بها وعدّها إنجازًا في حياته لا يقلّ عن إنجازاته في عالم الإبداع الشعريّ.

أضف إلى هذه المعوّقات معوّقًا آخر وهو شحّة الموارد المالية التي تمكّن من سرعة الإنجاز وإحكامه. لكنه تجاوزها عن طريقين، أوّلهما المساعدات التي تقدّم له بها عددٌ من إخوته وأحبته فخفّفت عنه عبئًا ثقيلًا ناء به كاهله. وثانيهما اشتراكاتُ الراغبين في صدور الصحيفة قبل صدورها بمبالغ تمكّنها من الصدور والاستمرار. ولقد بلغ بهم حبّ الصحيفة وصاحبها إلى حدّ الاشتراك فيها ولم تزل صفحاتها بيضاءَ ولم يطبع عليها حرفٌ.

ولعلّ هذا الموقف من هؤلاء وأولئك كان دافعًا له للتفكير في مقترح بعض إخوته المقربين بطباعة الجريدة في إحدى مطابع عدن في هاتيك المرحلة من الزمان. وقد سرّ بالمقترح ورأى فيه مخرجًا من أزمته في عجزه عن طباعة "الرائد" في المكلا، فبدأ مراسلاته مع السيد عيدروس الحامد وهو صاحب مطابع بمدينة عدن، وللبار به صلةٌ حميمةٌ، فخصّه



الشاعر البار - يسار الصورة - أمام سدة منزله بالمكلا مستقبلاً أحد زواره

وأنّى له ذلك وثمن بيعها سيكون باهظًا ما دامت تكلفة طباعتها ونقلها وما تعلّق بهما مرتفعةً وباهظةً؟!

لكنّه لم ييأس، ولم يسمح للإحباط أن يثبّط من عزيمته فينكسر حلمه، فواصل مساعيه مع السيد الحامد للموافقة على طبع الصحيفة بالمبلغ المقترح سلفًا مقابل نشر إعلاناتهم مجّانًا، أو إضافة خمسين شلنًا إلى الأربعمئة شلن المقترحة (على أن نعاملكم في إعلاناتكم معاملةً حسنةً خاصة) لا إعفاءها من الدفع أسوةً بإعلانات سواهم من أصحاب الشركات والمحلات. (وهذا نقوله فقط نظرًا مخيِّبًا للآمال، فقد أصرَّ على موقفه فوافق البار على مضض، وأمضى بطبع جريدته في مطابع الحامد بمبلغ أربعمئة وخمسين شلنًا (مقابل الطباعة والتوزيع. وأشترطُ أن تكون إعلاناتكم ذات قيمة نظرًا لضعف الحالة المادية). وبدأ في إعداد مواد العدد الأول من "الرائد" وتجهيزها لإرسالها إلى عدن لتتمّ طباعتها ثمة. ونبّه إلى محذورٍ وهو أن (جميع المواد سوف تعرض هنا اللهم إلا بعض الفجوات البسيطة فهذه يمكن أن تُملأ بما لا يؤثر على اتجاه الجريدة). وهذا عائدٌ إلى أمرين، أولهما النجاة من شَرَكِ الرقابة في

السلطنة التي تتربّص بالجريدة وصاحبها، فتحرمه من الاستمرار في تحريرها وتوزيعها بين القراء. وثانيهما أن لا يَسِم جريدته بشائبةٍ حزبيةٍ نظرًا لما للسيد الحامد من انتماءاتٍ حزبيّةٍ مشهورة.

وفي "١/ ٨/ ١٩٥٩م أُرسِلَتْ موادّ "الرائد" كاملةً غير منقوصة إلى السيد الحامد ليتولّى طباعتها طباعةً مشرقةً ممتازةً (بحيث لا تقل "الرائد" إخراجًا عن "الطليعة"، إذا لم تكن أكثر روعةً، وأحسن إخراجًا). ووعد بإرسال مواد الأعداد التالية لينتظم صدور الصحيفة في موعدها الذي حدّده بيوم السبت من كل أسبوع.

تلك أمانيّه..

لكنّ (السبت) جاء ولم تصدر "الرائد" في موعدها الذي تمّ الإعلان عنه، فاستفسر البار عن سبب تأخير صدور العدد، فأُخْبِرَ أنّ السيد الحامد لم يستصدر من ذوي الشأن في مستعمرة عدن ترخيصًا بالسماح بطباعة الصحيفة كالمعتاد في مثل هذه الأحوال. وهو أمرٌ افترض البار أنّ (الأخ عيدروس قد اتخذ من جانبه جميع الاحتياطات اللازمة لاستمرار العمل، ولكن خاب الأمل في هذا العمل، وأوقعنا "المنصب" في مأزقٍ حَرِج). ولم يعد في مَلْكِهِ غير الانتظار لصدور الترخيص، والوقوع في حيرةٍ من أمر مواد العدد الثاني التي أخذ يقلّبها ذات اليمين وذات الشمال أيرسلها على أمل نشرها أم يقبضها على أمل انتظار الردّ المشجّع؟ فارتضى الثانية، ولكنه حرص على حثّ السيد عبدالقادر بن حامد البار على الاهتمام الزائد بأمر الرائد، وبأن (يتحرك الحبيب عيدروس بطريقة ابن القرن العشرين لا على طريقة السلاحف والزواحف).

ولقد طال أمد استخراج الترخيص في عدن، وتأخّر صدور الرائد حتى زاد اللغط (الناس يسألون عن الرائد، والناس يشككون في احتمال صدور الرائد، والناس يطلقون الاشاعات ضدّ الرائد وصاحبها. واعتقادنا أن الإنقاذ من هذه الحالة الشديدة هو في يدكم واهتمامكم بأمر استصدار الترخيص، والحصول عليه. فهل نطمع أيّها الحبيب في أن نجد منكم رسالةً تخرجنا من هذا العذاب عذاب الانتظار؟).

قلقٌ على قلقٍ استبدّ بالسيّد البار ولم يستطع منه فكاكًا. لكنّ لكلّ طويلٍ طرفًا، ولكلّ ليلٍ نهايةً تنجلي بصبح. ففي يوم ٢٢/ ٨/ ١٩٥٩م ثاب البار إلى رشده وأعاد ترتيب أفكاره وقد شتّتها القلق وبعثرها اضطراب التفكير. فخجل من نفسه ولنفسه من ذلك الإزعاج والانزعاج وأعاد رسم خطاه ثانية، فوجد أنّ من الأولى الذهاب إلى إدارة الاستشارية للبحث عمّا يمكن أن يكون قد حدث من سكرتارية عدن فخاطبت إدارة الاستشارية بخصوص طباعة "الرائد"، لكنّ أحدَ أصدقائه العاملين بالمستشاريّة أخبره أن لا وجود لشيءٍ من هذا حتى ذلك الحين، وإنْ أكّد له أنّ مثل ذلك قد يتمّ. ثم أشار إليه على أن يأخذ صورة من الترخيص المعطى له بإصدار الصحيفة وإرساله إلى المطبعة في عدن، وهو ما فعله البار فعمد إلى نسخ صورتين من ذلك الترخيص (المشؤوم)، وبعث بهما إلى عدن ليتولّى المعنيّون بالأمر متابعة ما تبقّى من إجراءاتٍ لاستكمال طباعة العدد الأول من "الرائد". وبهذا سُرِّيَ عنه، واستعاد أمله في اخراج الصحيفة على النحو الذي كان يتمنّاه.

لكنّ السفينة لمّا تزل واقفةً، فالريح راكدةٌ، والأشرعةُ غير موجودةٍ أصلا، وما يزال الترخيص (الذي احتوشته المصاعب وأحاطته القيود) تائهًا لا يُعثر له عن سبيل. ثم صدف أن عاد وزير السلطنة من عدن فاتصل به البار عقب عودته، واستنجزه الكتابة للمستشارية بشأن "الرائد" ففعل، وبعثت الرسالة فلحق بها البار إلى المستشارية فقيل له إنّها في الترجمة وستعرض على المعنيّين بالأمر بعد يومين. فاحتمل الأمر صابرًا، لكنه لم ييأس فراسل السيد عيدروس الحامد ليحثّه على متابعة أمر طباعة الصحيفة بالاتصال من جديدٍ بسكرتارية عدن فلعلّ فيما كتبته المستشاريّة لها حلًا للمشكلة. لكنها جهود ذهبت هباءً فكان من المتوجّب التفكير بطريقةٍ تتجاوز الحلول المتيسّرة إلى حلول التحدّي والاستبسال من أجل الوجود والبقاء. فكان تفكيرٌ جماعيٌ لإنشاء مطبعةٍ ثانيةٍ في المكلا تكون منافسةً لمطبعة المستقبل، وتتهيأ لطباعة صحف وطنية وإن من وراء حجاب، إذ اتفق على أن يتمّ إنشاؤها تحت راية العمل التجاري الصرف وفي تكتّم شديدٍ حتى لا يثور غضب مالكي مطبعة المستقبل(٩) وأنصارهم. وأخذ التفكير في المشروع يطبع بطابع الجديّة المسئولة والمسئوليّة الجادّة، فَوُضِعَ للشركة المساهمة قانونٌ ومجلسُ إدارة، وحُدِّد لها رأسُ مال لبدء العمل فيها، واستعين في تنفيذه بذوي الخبرة في شأن المطابع كالسيد الحامد في عدن. وقد خاطبه البار في ٨/١١/١٩٥٩م بذلك، قال: (والمطلوب سريعًا هو مطبعةٌ لإصدار صحيفة في حجم الطليعة فقط أو أية صحيفة أخرى في عدن كالكفاح مثلا، مع الحروف اللازمة لهذا الغرض، وكذلك اللوازم الأخرى كالورق والأحبار.... إلخ). واستثنى ذكر بعض أشياء أخرى رأى أنها مما يحتمل التأجيل في هذه الآونة التي هم بصددها. وعليه فالمأمول إذا تمّ إنجاز المطلوب أن يبدأ العمل في الصحيفة في أول يناير ١٩٦٠م أو أثنائه إذا أمكن.

حلم مدهش أخاف عليه .. فكم كسّروا لنا أحلاما

لم يتمّ المشروع، ومضت الأيام تباعًا سراعًا والبار يتقلب على جمر المنى ولهيب الوعود. جاء يناير ١٩٦٠م وانقضى، وانصرمت من

ولم يدع أحدًا ممن توسّم فيه القدرة على الكتابة، والمشاركة بفاعلية في تحرير مقالات لتنشر فيها إلا خاطبه، الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري، الأستاذ علي عقيل بن يحيى، الشاعر الكبير صالح بن علي الحامد، الأستاذ سالمين سعيد المرشدي، والأستاذ سالم محمد شمّاخ



عام ١٩٦٠م تسعةُ أشهرٍ بحالها ولم يصل البار إلى طريقٍ لاحبٍ يسير عليه لطباعة صحيفته حتى كان آخر سبتمبر عام ١٩٦٠م حين أعلن البار أنّه قد (تمّ الاتفاق بيني وبين شركة المستقبل على أن تقوم بطباعة الجريدة بمطابعها). وكأنّ كلّ تلك الجهود لم تكن بعدَ أن لم تُجدِ نفعًا، ولم تَقُدْ إلى سبيلٍ مبين. (مرّ وقتٌ طويلٌ ونحن نعمل على إبرازها والاستعمار والرجعية تعملان - وظروفها مواتية - على عرقلة سيرها). على أنّ الاتفاق تمّ أخيرًا مع مطبعة المستقبل ولم يبق إلا الإعداد وتجهيز مواد العدد الأول من الجريدة. فتوالت رسائله إلى المراسلين يستحثّهم على جمع ما يمكن من أخبار موثوق بصحّتها وصحّة مصادرها، وإلى الأساتذة الكتّاب يستكتبهم ويسألهم المشاركة في الصحيفة بما تفيض به قرائحهم من آراءٍ وأفكار.

ولم يدع أحدًا ممن توسّم فيه القدرة على الكتابة، والمشاركة بفاعلية في تحرير مقالات لتنشر فيها إلا خاطبه، الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري، الأستاذ علي عقيل بن يحيى، الشاعر الكبير صالح بن علي الحامد، الاستاذ سالمين سعيد المرشدي، والأستاذ سالم محمد شمّاخ، ناهيك بآخرين أسهموا بنصيبٍ لا بأسَ به في عالم الكتابة والإبداع، منهم من كان في مرحلة القرزمة وتلمّس الخطى، ومنهم من أخذ يشقّ طريقه في ذلك العالم بشيءٍ من الحذر والترقّب. ولقد توالت رسائله إلى مظانّ بيع الصحيفة في عدن، والسعودية وسواهما من البقاع التي عُرفَ فيها للحضارم وجودٌ ليصل صوتها إلى أقصى مدًى يمكن له أن يصل.

وفي يوم الاثنين تاريخ ٢٦/ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ الموافق ١٧/ اكتوبر/ ١٩٦٠م صدر العدد الأول من صحيفة (الرائد) فهتف البار في افتتاحيّتها قائلا: (أخي المواطن: سوف لا ينقضي هذا الأسبوع حتّى تكون صحيفة (الرائد) بين يديك تقرأها، وتتحدّث عنها. الرائد التي كنّا نعلم أنّها كانت حلمًا راود خيالك فأصبحت حقيقةً ماثلةً للعيان. لقد وعدناك بذلك فبررنا بموعدنا، وكنّا نودّ أن نبرّ بموعدنا أيضًا يوم أعلنا منذ ما يزيد على عام ونصفٍ أن تكون الرائد بين يديك ولكن قامت في طريقنا يومئذٍ عقباتٌ ومشاكلُ فنيّةٌ لا قِبَلَ لنا بها، ولا قدرة لنا على حلّها، فصبرنا على مضض، وعدنا وفي الحلق غُصّةٌ، وفي النفس شجًا نتلمّس الطريق إليك حتّى وجدناه [...]، وها هي "الرائد" بين يديك [...]

تعدك على أن تكون لسانك الناطق المدوّي ومعك دائمًا ومنك وإليك.).

ثمّ يمضي في شرح بعض ما ألمّ بالصحيفة منذ تقدّم بطلب الترخيص حتّى الحين الذي وقّع فيه العقد على طباعتها في مطابع دار المستقبل ممّا سلف ذكره كاملًا في الصفحات الماضية، ليخلص من بعد إلى منظور استراتيجيٍّ يمثّل سياسة الصحيفة في دعواتها لتغيير المجتمع والنهوض به قائلًا: (وها نحن أولاء نمدّ أيدينا إلى مواطنينا الأعزّاء في الوطن والمهاجر راجين أن تمتدّ أيديهم

ولقد توالت رسائله إلى مظانّ بيع الصحيفة في عدن، والسعودية وسواهما من البقاع التي عُرفَ فيها للحضارم وجودٌ ليصل صوتها إلى أقصى مدًى يمكن له أن يصل.



إلينا لتصبح الأيدي المتصافحة المتشابكة يدًا واحدةً [...] تتجه إلى العمل على خدمة هذه البلاد في كلّ ناحيةٍ من نواحي الخدمة النافعة، وفي كلّ مجالٍ من مجالات العمل الحيويّ من أجل تطويرها، ومن أجل إصلاح أوضاعها، ومن أجل السير بها في ركب البلدان التي دأبت في السير نحو الأهداف، وبدأت تواكب عصر المدنيّة، عصر العلم، عصر الذرّة.).

هذه الافتتاحيّة الأسبوعيّة التي كان البار يكتبها تحت عنوان (إنّ الرائدَ لا يَكْذِبُ أهلَه) ظلّ يحرّرها ما استمرّت الصحيفة في صدورها المنتظم، وظلّ فضاؤها المكانيّ خاصًّا به لا يشاركه في الكتابة فيه أحدٌ ما خلا ابنه (عمر) الذي أسهم معه في تحرير الصحيفة في آخر عهدها. ولقد اتخذ البار من ذلك الباب مجالًا لبثّ آرائه فيما يستجدّ من أحداثٍ، ومواقفه منها، ورؤاه لها.

يتّصل بهذا الامتياز في التحرير الصحفيّ الخاصّ بالكاتب بابٌ آخر ظلّ البار يحرّره منفردًا دون مشاركةٍ من أحدٍ كائنًا من كان. وذلك الباب هو (يقول بو عامر). كتب البار في العدد الأوّل من الصحيفة معرّفًا به، وبغاياته منه قائلا: (الحكيم بو عامر كلّنا نسمع به يا إخواني، وكلّنا نعرفه من كلامه لي هو موزون بميزان الذهب، وأكثر الناس في حضرموت يحفظون من كلام بو عامر الزين [...] لأنّه نصايح غالية زينة. وبو عامر لي جاكم اليوم واحد من أصحاب بو عامر السابق، وقصده انه يكتب لكم دايما في جريدة الرائد {باب يقول بو عامر} ولا له مقصد عيف ولا نيّة ما هي زينة إنّما مقصده التنبيه والتعليم على قدر معرفته وفهمه وكلمة من هنا وكلمة من هناك.).أ.ه.

ولمقالاته في هذا الباب خصائص، فهي أوّلا مصوغةٌ باللهجة الحضرميّة التي يعي دلالاتها العوام ناهيك بالمثقّفين. وهي تجمع بين الشعر الذي حاكى الشاعرُ البار فيه طرائقَ الشاعر الحكيم (بو عامر) في نظم الشعر، وبين النثر الذي صاغ به مقالاته باللهجة الحضرميّة.

كان شعر الحكيم (بو عامر) مقطّعاتٍ يسهل حفظها وتداولُها فاستفاد الشاعر الصّحافيّ البار من هذا البناء الشعريّ، ونظم فيه مقطّعاتٍ شعريّة بالعاميّة الحضرميّة عالج فيها قضايا سياسيّة واجتماعيّة تهدف إلى التغيير وتنشده. ولعلّه كان واعيًا بخصائص المقطّعة من حيث سهولة الحفظ، والعلوق بالذهن، وسرعة التداول، ممّا يمكّنها من ترك أثرٍ في عقول متلقّيها.

هنا يقف التماثل بين الشاعر الحكيم بو عامر والشاعر البار في مقالاته في صحيفة "الرائد" في باب (يقول بو عامر). لكنّ الشاعر البار لم يقف عند هذا الحدّ، بل زاد عليه شيئًا، فقد مزج الشعر بالنثر، وأخذ يذيّل كلّ مقطّعةٍ شعريّةٍ تتضمّن فكرةً أو موضوعًا بمقال يفسّر فيه ما أجمله في المقطّعة من قول يحمل خطابًا، ويحلّل فيه المشكل الذي عنّ له. وكلّ ذلك يصنعه بلهجةٍ العامّة من أبناء حضرموت.

يقول في مقطعةٍ منظومة في (٧ نوفمبر ١٩٦٠م):

يقول بو عامر حكومتنا كما كلب الجراد
يعدي قفا وحده، ويترك عشر. دوبه في طراد
ولا ضواه الليل شاف انه عوى من غير زاد

ثمّ يمضي فيشرح ما المقصود (بكلب الجراد)، ولِمَ نُعِتَ بذلك النعت؟ وما صلته بالحكومة في أيامه؟ ليخلص من بعد إلى نقاط توهن صلابة تلك الحكومة، وتزيدها ضعفًا يعجزها عن معالجة المشكلات التي يعاني منها الشعب أيامئذٍ. وهكذا.

وما كان الشاعر البار في لجوئه إلى العامية الحضرمية بطلًا، لكنه أُكْرِهَ على ولوج ذلك المضيق، وذلك لجهل الكثيرين من الحضارمة حينذاك بالقراءة، وعجزهم عن فهم الفصحى، واستيعاب المكتوب بها. أو لعلّ له سببًا آخر لم يعلنه يومها.

فلجوء البار إلى (لغةٍ) يستطيع من خلالها أن يوصل نزعاته للإصلاح إلى عددٍ كثيرٍ من الناس دفعه إلى اختيار لهجة القوم الذين يعانون من مآسيهم التي وعاها، واكتوى بلظاها، وآمن أنّ خلوده كامنٌ في مدى إسهامه في تخفيف بعض ما يعانون، وكان في ذلك موفّقًا. فلقد تهافت خلقٌ كثيرٌ على تلك المقالات، وحرص عليها البار كثيراً وإن سبّبت له أزماتٍ جمّةً استهان بها حبًا منه فيما آمن به، واحترامًا لنزعاته في الإصلاح.

والمطّلع على المقالات كاملةً في هذا الباب يحار في أمر نشرها، أيخرجها للناس كاملةً شعرًا ونثرًا؟ أم يخصّ المقطّعات الشّعريّة التي تتصدّر كلّ مقالةٍ بالنشر حتّى يتوفّر الجهد والوقت الذي يساعد على نشر المقالات كاملة؟

هذه الافتتاحيّة الأسبوعيّة التي كان البار يكتبها تحت عنوان (إنّ الرائدَ لا يَكْذِبُ أهلَه) ظلّ يحرِّرها ما استمرّت الصحيفة في صدورها المنتظم، وظلّ فضاؤها المكانيّ خاصًّا به لا يشاركه في الكتابة فيه أحدٌ ما خلا ابنه (عمر) الذي أسهم معه في تحرير الصحيفة في آخر عهدها


إن الرائد لا يكذب أهله

الرائد بين يديك

أخي المواطن :

وقد آثرتُ الثانية على الأولى، وفُصلت المقطّعاتُ الشّعريّة عن المقالات النثريّة، فصارت جزءًا من ديوان الشّاعر البار الموسوم بـ(ديوان الأغاني)، وهو ديوانه الثالث الذي يضمّ أغانيه الحمينيّة، وقصائده الفصيحة المغنّاة، وفي ثناياه وضعت مقطّعات "يقول بو عامر". وهذا الديوان نشر ضمن الأعمال الكاملة للشاعر في عام ٢٠٠٤م.

ولسائل أن يسأل: لِمَ نشرُها في ذلك الديوان معزولةً عن المقالات؟

وللإجابة عن هذا السؤال أذكر سببين. أمّا أولهما فهو التأكيد على أنّ نزعات الشّعراء للإصلاح لا يحدّها زمانٌ، ولكنّها تنمو مع الزمان وتمتدّ فيه، حتّى وإن حال العهد إلى عهدٍ جديدٍ. فخلود الشّاعر ليس بأنّه عاش في زمنٍ ما ثمّ انقطعت صلته بنا، ولكنّه في تواصله مع العصور التي تليه. وإنّ القارئَ المتأمّلَ في هذه المقطّعات الشعريّة سيجد أنّها لم تعالج من المشكلات ما يخصّ بيئةً بعينها، أو ناسًا بذواتهم، بل حملت في ثناياها كثيرًا من الدّلالات الإنسانيّة كالحثّ على البطولة، والسعي الدؤوب للبحث عن الحقّ، والتأكيد على الحريّة، ومحاربة الفقر والجهل وما إلى ذلك من القضايا. ومن هنا فإنّ قراءة نصٍّ من هذه النّصوص بعيدًا عن مدلوله التاريخيّ قادرةٌ على منح البار اليوم صفة المعاصرة على الرغم من مضيّ ما يزيد على خمسين عامًا على كتابة هذه المقطّعات. هل يعني هذا أنّنا في مجتمع استاتيكيٍّ لا يعرف للتحوّل معنًى؟ ربّما. ولكنّ هذ المنظور لهذه المقطّعات لا ينفي القول إنّ رؤيةَ الشّاعر للحياة حوله كانت نافذةً عميقةً فأبصرت المجهول في ثنايا المعلوم، واستشفّت الغائب في طيّ المشهود.

أمّا السببُ الثاني فدفاعٌ عن ملكيّة الشّاعر البار لهذه النصوص الشعريّة وما يتلوها من مقالات. فقد كان البار ينشرها غفلًا من اسم الكاتب، وذلك في ظروفٍ كانت الحيطة فيها واجبةً، وكان الأخذ بالتقيّة أمرًا محمودًا، وأمّا اليوم فقد زالت تلك الظروف، وحقّ للقرّاء أن يعرفوا اسم كاتب تلك المقالات الحقيقيّ أداءً للأمانة التاريخيّة.

وهنا أقدّم للقارئ نماذج متفرّقةً من تلك المقطّعات ليطّلع على طريقة الشّاعر في معالجة قضايا عصره ومشكلات زمانه. أمّا قراءة النصوص كاملةً – وهي كثيرةٌ – فمظانّها الأعمال الكاملة للشّاعر فثمّة يلقاها، وسيجد فيها بغيته، وحسبنا هنا من ذلك كلّه الإشارة والتعريف ولا غير. وإنّ الشّاهد من هذه النصوص دالّ على الغائب منها إن شاء الله.

نصوصٌ من نصوصٍ

يقول بو عامر قتلتونا بترديد الوعود
لا جيتكم بقضي عمل قلتم رجع غدوة وعود
غدوة قفا غدوة.. وغدوة كذب شي ما له حدود
٢٠ فبراير ١٩٦١م

* * *

يقول بو عامر حكومتنا ثقيلة في المسير
تسير في لعمال بالبُئَة(١٠) خطت ثقل البعير
ما هي من اهل العصر ذي كليه وإنسانه يعلير
٢٢ مايو ١٩٦١م

* * *

يقول بو عامر لقيت الكذب ولقيت الشقاق
عمّت وغطّت في البلد هذا على كلّ الشّعاق(١١)
واصحابنا في ذا الطريق السّهل رجعوا في سباق
٣٠ أكتوبر ١٩٦١م

* * *

يقـــول بـــو عامر ذكرت أعياد مرّت في زمان كلين متســـلّي.. وكل خاطر بافراحـــه ملان العيد عيد العزّ.. ما هو عيد من وذّف وهان
١٩ مارس ١٩٦٢م

* * *

يقـول بـو عامر تبـا مخرج من الحـال الذميم حـالة وقـعنا وسعلها سودا كما الليل البهيم يا حـــر قلبـــي يومنا في ذا الوطن مثل اليتيم
١٦ إبريل ١٩٦٢م

* * *

يقـــول بـــو عامر نشـــدتوني وما عندي كلام النور وين النور خذ نحـنا قـتل نحـنا الظلام النور في حـــرفين من دوّر لحـــقّه ما ينام
١٨ أكتوبر ١٩٦٢م

* * *

يقـــول بـــو عامر مصالحـــكم علينا غالبـــة كلين متمصلح وضاع الحـــق ما حـــد طالبـــه والشـعب لحمة راس بـين السالبـة والناهبـة
١٨ مارس ١٩٦٣م

* * *

يقـــول بـــو عامر تقـــضّى عيدنا يا خس عيد ما فيه شـــي نذكره غير الاكل والليـــس الجديد وامّا حـــكومتنا ونحـــنا كلّنا زامل عبـــيد
٢٤ فبراير ١٩٦٤م

* * *

يقـول بـو عامر مسـيكينة بـلاد الحـضرمة صقـورها جاعت.. ومن حـيّاتها شـلّوا الحمة ورجالها نامت.. ولا قـيّمت واحـد قـال مه

* * *

يقـول بـو عامر لقيت الصدق في البـندر ذبيح لا قـلت شـي قـالوا سكت هذا سياسـة يا فصيح يبـغونا ما قـول ذا بـاطل وشـو هذا صحـيح

وسوى هذا شبيهٌ لنظير، وهو كثير.

هذان البابان كانا أهمّ بابين انفرد الصّحافيّ البار بتحريرهما ولم يشاركه في ذلك التحرير أحدٌ. لكنّه لم يقتصر في الكتابة الصّحفيّة على ذلك الحـدّ فقـد كان ينشـر مقـالاتٍ في موضوعاتٍ شـتّى يقـصد منها إلى التعريف ببـعض القـضايا والأعلام كما في مقـاله الموسوم بـ(بو عامر بين الأسطورة والواقع)، وفيه يسلّط الضوء على شـخصيّة (بـو عامر) الشّاعر الشعبيّ الحـكيم، ويستعرض الأقـوال التي تواترت عنه وعن وجوده اليقـينيّ وما شاب ذلك من أوهام تناقلتها الذاكرة الشعبيّة على ما بـها من خرافةٍ حـتّى قـاد الوهم الحضارم إلى تصديقها.

وهو يفتتح المقال بالحديث عن قيمة الأدب الشعبيّ الحضرميّ وضرورة الاعتناء به بجمعه ودرسه، ويشيد في هذا المقام بجهود الأستاذ محمّد بن هاشم والدكتور سارجنت في الكتابة عن ذلك الأدب وجمع نصوصه للتعريف به.

ثمّ يعرج على شخصيّة (بو عامر).



كان شعر الحكيم (بو عامر) مقطّعاتٍ يسهل حفظها وتداولُها فاستفاد الشاعر الصّحافيّ البار من هذا البناء الشعريّ، ونظم فيه مقطّعاتٍ شعريّة بالعاميّة الحضرميّة عالج فيها قضايا سياسيّة واجتماعيّة تهدف إلى التغيير وتنشده.

وهو يسأل: (من هو هذا بو عامر؟ ومتى ولد؟ وأين نشأ؟ وكيف عاش؟ وإلى أيّ قبيلة من قبائل حضرموت ينتسب؟). وعنده أنّ (هذه أسئلةٌ تتعلق بصميم حياة الشّاعر الحكيم، ولكنّك قلّ أن تجد أحداً من الحضارم أو مؤرّخي الحضارم قد حاول أن يَرُدّ على بعضها تفسيراً لهذه الشخصيّة الغامضة شخصيّة الحكيم بو عامر). وهو يعلّل نشوء الأسطورة في وقائع حياة بو عامر ووجوده بكون الحضارم لم يهتموا بتدوين سيرته. ومن هنا اختلفوا في تعيين ذلك الوجود، وفي صحّة نسبة تلك الأشعار إليه، فذهب بعضهم - كما ذكر البار - إلى أنّها نسبت له وهو ليس بقائلها وإنّما قالها عددٌ من الشعراء في مناسباتٍ وأسبابٍ شتّى، وهو ما يرفضه البار وينكر عليهم القول به. يقول: (إنّنا نعتقد أنّ هذا الزعم يحتاج إلى كثيرٍ من الأدلّة التي لا يوجد واحدٌ منها عند أولئك النفر لإثبات ما يزعمون بشأنه). وهو يعتقد أنّ (بو عامر) ولد وعاش في هينن، وأنّه ينتمي لقبيلة نهد المعروفة، ويزعم أنّ (بو عامر) عاش قبل ما يقرب من خمسة قرون، وظلّت أشعاره تتردّد على ألسنة الخضارم لأنّها (تتصل بالنفس الحضرميّة أعظم اتّصال)، وهذا في نظره ممّا لا يأذن بطمسها من دنيا الوجود.

ثمّ يجمل رأيه في شاعريّة (بو عامر) ومكانته بقوله: (ومكانة بو عامر في الأدب الشعبيّ الحضرميّ مرموقةٌ لا نظنّ التاريخ الأدبيّ سيبخسها حقّها. ويكفي في التدليل على هذه المكانة أن نقول إنّ شعره هو مثلٌ من أمثلة البلاغة في اللهجة الحضرميّة التي تستطيع - على بساطتها - أن تعبّر عن أدقّ الخوالج النفسيّة وأعمق المعاني الصوفيّة كما في شعر بامخرمة، وعن الحكم البليغة التي تصدّى لها بعض كبار شعراء العربيّة كما في شعر بو عامر). ثمّ يعرض نصوصاً من شعر بو عامر ويصف الوقائع التي أفضت إلى نظمها على ذلك النسق وبها يُختتم المقال.

ومثل ذلك مقاله في الصحيفة في العدد ١٤٧ السنة الثالثة، الاثنين ٢رجب ١٣٨٣هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٦٣م بعنوان (شخصيّةٌ لا تُنسى) وفيه يرثي شخصيّة (بو عبيد) أحد جنود الوزير الأوّل السيّد حامد بن حسين المحضار، وقد عرفهالبار في سنين شيخوخته حين ذهب للسعوديّة لأداء مناسك الحجّ، ونشأت بينهما صداقةٌ غريبةٌ عجيبةٌ تطاول أمدها سنينَ عدداً. فأخذ يقصّ من أخبار تلك العلاقة أطرافًا ليخلصَ في ختام حديثه عنها فيقول: (واليوم تنطفئ تلك الشّعلة من المرح وخفّة الروح وتنطلق تلك الروح الطّيّبة إلى بارئها. ويذهب بو عبيد الصديق تاركًا وراءه دنيا لا تقلّ رحابةً عن دنياه المليئة بالمفاجآت والمغامرات والآلام والمسرّات، دنيا الصحن الذي طالما أضحك وأبكى، وحقّق من المعجزات ما يحقّقه خيال الطفل. واليوم وقد أصبح بو عبيد ذكرى من الذكريات العزيزة فلنبتسم لروحه، ولنبادله وهو في مضجعه الأبديّ ذكرى الصّديق للصديق.

ألا وإنّ الحياة لتبدو على رحابتها أضيقَ من سَمّ الخياط، وأثقلَ من أطنان الصُلب، وأتفهَ من صنع العنكبوت إذا مضت تسير على وتيرةٍ واحدةٍ من الجدّ العابس والجدّ المضني المتلاحق، وإذا لم تضمّخها أحيانًا بعض الطيوب الفوّاحة التي يبتعثها جنونٌ هادئٌ لطيفٌ كهذا الذي عرفته الدّنيا في شخصيّة الصديق بو عبيد الذي يبدو جنونه المرح وكأنّه النسمة العليلة تعبر على واحة الحياة فتصافح الأجسام والقلوب بيدها الرخيّة الباردة فتشيع الرضى، وتنشر السكينة، وتبعث على النسيان، نسيان الأتعاب والمعاناة المرّة القاسية).

وسوى هذا وذاك غيرُه من نظائره من المقالات التي كان البار يبثّ فيها رؤيته للحياة وموقفه منها. وهي مقالاتٌ مفردةٌ تعدّ مكمّلاتٍ لما كان يبثّه في قصائده من مواقفَ ورؤى.

بركت جمال صاحب الرائد فلم تستطع السير في بيداء الحياة ذات الهجير اللافح فانقطعت عن الصدور، لكنّ نفوسًا حرّةً لم تنقطع الشّهامة عنها سارعت وأرسلت إليه مساعدةً ماليّةً مجزية كانت عونه في تسديد قسطٍ من الدّين الباهظ على كاهله

على أنّ ثمّة بابًا في "الرائد" أسهم البار مع الآخرين في تحريره وهو باب (من فكرة إلى فكرة). وهو بابٌ طريفٌ لإيجازه وتكثيف لغة مقالاته، ولتنوّع موضوعاته. وفيه تتاح للكاتب فرصة تناول أكثر من موضوع في مكانٍ واحدٍ من العدد الواحد.

وقد توالى على الكتابة فيه شبابٌ في أوّل عهودهم بالكتابة كالأستاذ فايز محمد عبد العزيز، والأستاذ عزيز الثعالبي، والأستاذ إبراهيم محمد الكاف، والأستاذ عبد العزيز بارحيم، والأخوين عمر ومحمد ابني حسين البار، ناهيك بأقلام ذات شأنٍ كالأستاذ سالم محمد شمّاخ، والأستاذ حمزة السقّاف، وابن الشاطئ، وآخرين من أمثالهم.

لكنّ الذي تولى تحرير القسط الأوفر من هذا الباب، وكان أبا عذرته فهو الأستاذ الدكتور محمّد عبد القادر بافقيه. فقد استمرّ في الكتابة فيه على مدى أعدادٍ كثيرة، وبثّ فيه من الرؤى التنويريّة الشيء الكثير، ثمّ جمع تلك المقالات في كتابه المشهور (صاروخ إلى القرن العشرين) ووسمه بالاسم الرمزيّ الذي كان يوقّع به تلك المقالات في "الرائد" وهو (سندباد على الورق)، ثمّ أهداه إلى ذكرى حسين البار لأنّ طبع الكتاب تمّ بعد وفاة البار ببضع شهور.

وعلى مثل هذا النسق الصحفيّ وسواه استمرّت الرائد في الصدور المنتظم حتّى تراكمت الديون على كاهل صاحبها فأعلن في العدد ١٨١ الصادر في يوم الاثنين بتاريخ ٢٨ /٣/ ١٣٨٤هـ، الموافق ٢٧ /٧/ ١٩٦٤م عن إيقاف الصحيفة بدءًا من العدد ١٨٢ وذلك (نظرًا للظروف الاقتصاديّة التي تمرّ بها الصحيفة). ووعد بالالتقاء بالقرّاء حين يتمكّن من تجاوز محنته تلك في أقرب فرصةٍ ممكنة.

والعلّة في هذا الوضع الاقتصادي المزري عائدٌ إلى شحّة الموارد الماليّة المساعدة على دعم طباعة الصحيفة فوق ما تدرّه عليها اشتراكات القرّاء، وهي في حالة صحيفة "الرائد" تتمثّل في توفير الموادّ الإعلانيّة ومتابعة أصحابها في استخلاص المستحقّات الماليّة من أصحاب تلك الإعلانات في عدن خاصّة وذلك بعد رحيل السيّد عبد القادر بن حامد البار منها وثوائه في قرية الخريبة بوادي دوعن. فلم يعتن من خلفوه في مباشرة العمل بتحصيل الأموال اعتناءه بذلك، على الرغم من إلحاح السيّد البار عليهم، وتكرار التنبيه لهم لأهمية الموضوع في حلّ مشكلات الصحيفة. يضاف إلى ذلك عدم إرسال المبالغ المتحصّلة من المشتركين وأصحاب الإعلانات الموجودين في المملكة العربيّة السعوديّة، حيث كلّف الأخ باريّان بتحصيلها، وكان هو المندوب الرسميّ للصحيفة ثمّة. وكم كتب البار له وحرّر الرسائل متواليةً لحثّه على إرسال ما تأتّى له جمعه من مال، ولكن لا حياة لمن يخاطب.

أضف إلى هذا وذاك منعه من استيراد فِلْم سينمائيّ يعود ريعه لصالح الصحيفة ويساعد في تسديد ديونها كما فعل حين استقدم فِلْم (جميلة بوحريد) ولقي نجاحًا مذهلًا تمكّن البار بعده من تسديد ما عليه من ديون، وإنجاز ما رغب في إنجازه من مشاريع حياته الخاصّة.

لكلّ ذلك قرّر على مضض إيقاف الصحيفة متعهّدًا لمالكي مطبعة المستقبل بتسديد ما عليه من ديون حين يجد سبيل الخلاص أمامه لاحبًا.

بركت جمال صاحب الرائد فلم تستطع السير في بيداء الحياة ذات الهجير اللافح فانقطعت عن الصدور، لكنّ نفوسًا حرّةً لم تنقطع الشّهامة عنها سارعت وأرسلت إليه مساعدةً ماليّةً مجزيةً كانت عونه في تسديد قسطٍ من الدّين الباهظ على كاهله، وأسعفه باريّان بمبلغ مقاربٍ ضمّه إلى سلفه وتقدّم به إلى أصحاب مطبعة المستقبل لتسوية ديون الصحيفة ممّا أنعش روحه وبعث فيه الأمل لتجديد عهد القرّاء بها، لكنّ المرض أقعده أشهرًا انطفأت بعدها شمعة حياته كلّها فغابا عن الوجود معًا ما عدا ذكراهما فما تزال نديّةً عطرةً بمشيئة الله.

ففي اليوم السابع من شهر ذي القعدة عام ١٣٨٤هـ الموافق لليوم التاسع من شهر مارس عام ألف وتسعمئة وخمسة وستين توفّي الشاعر البار عن عمر قلّ عن الخمسين ببضع سنين تاركًا خلفه دنيا ملأتها الآمال والأحلام، حقّق منها ما حقّق وتقاصرت به الحياة عن تحقيق سواها. لكنّه ظلّ بما حقّق مثلًا للرجل العصاميّ الذي خرج من قريته القرين بوادي دوعن طالبًا للعلم والمعرفة وتقلّبت به الأيّام في الأماكن والبقاع حتّى ثوى في المكلا وظلّ بها مكافحًا حتى وافته منيّته فاستقر جسده الطّاهر في ثرى مقبرتها – مقبرة يعقوب – وانطلقت روحه إلى لقاء ربّها هاشّةً باشّةً بلقاء أكرم الأكرمين لتهنأ في جنانه الخالدة بعد أن شقيت شقاء الجحيم في هذه الدنيا الفانية. فليرحمه الله.

الهوامش :

١) الينبوع المتفجر صـ ٣٧.

٢) نفسه صـ٣٩.

٣) الينبوع المتفجر صـ٤٤ .

٤) راجع كتاب باذيب عن السيّد أحمد عمر بافقيه ص٢٥٧ .

٥) صـ٢٩٩ .

٦) اقرأ عنه في كتاب : دراسات في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر للدكتور صالح باصرة.

٧) - سألتُ الأخ العزيز الأستاذ أنور عبد الله باسلوم عنه فذكر لي درس في وسطى الغيل، وعمل عند حاكم حورة زمنًا، ثمّ في سكرتاريّة بدر بن أحمد الكسادي بالمكلّا، ثمّ هاجر إلى السعوديّة في مطلع السبعينيّات وعمل هناك مترجمًا.

٨) هي ما عرفت من بعد بدار حضرموت للطباعة والنشر.

٩) - البُنَّة: السير في مهل وبطء.

١٠) - الشعاق، جمع مفرده شعق، وهو الثقب في الثوب.

١١) - ودَف: سقط في هاوية.

42
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الشيخ محفوظ يسلم بن عبدّه

رائد الصحافة والطباعة الأول بحضرموت

الشيخ .. و المطبعة



يعد الشيخ محفوظ يسلم بن عبده من المعاصرين لنشوء وتطور الدولة القعيطية ورائداً للصحافة المطبوعة بحضرموت وهو أحد رجال القصر السلطانى المقربين بدءاً من الجمعدار عوض بن عمر ثم أبنائه غالب وعمر حتى السلطان صالح بن غالب، ويعود له الفضل أن تشهد المكلا مطلع القرن العشرين ميلاد صحيفة (النهضة الحضرمية) عام١٩٢٧ م في نسختها الثالثة مع السياسي والأديب الألمعي الطيب الساسي (١٨٩٣ -١٩٥٩) أحد أفراد الجالية الحجازية التي نزحت إلى ثغر حضرموت أبان الحرب الحجازية النجدية سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٢ م ، وموفد الدولتين القعيطية والكثيرية للمؤتمر الإصلاحي بسنغافورة عام ١٩٢٨ م ، وقد نزح مع السادة آل الدباغ ومنه السيد محمد حسين الحسني الدباغ مؤسس مدرسة الفلاح ومديرها في المكلا فترة العشرينيات وعدن فترة (الثلاثينيات). وقد صدر العدد الأول من صحيفة (النهضة الحضرمية) من مطبعة حكومة سلطان الشحر والمكلا في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي حيث كان الشيخ محفوظ يسلم بن عبده مديراً للمطبعة السلطانية التي كانت تطبع "يدويا" الأوراق المالية وسندات الجمارك وخزانة الحكومة ودواوين الحكومة ، وقد حفل العدد الأول للنهضة الحضرمية الذي جاء إصداره متزامناً مع عقد المؤتمرات الإصلاحية في المكلا والشحر وسنغافورة والمواضيع والخطب التي تعنى بالشؤون الحضرمية، وكان ثمن الاشتراك بالصحيفة في الداخل والخارج (٣) روبيات هندية، وقد أصدر الطيب الساسي من (النهضة) عدداً يتيماً ولأسباب سياسية أبعدته و أسرته إلى خارج حضرموت، غير أنه عاد إليها مرة أخرى في عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي بعد عودته مباركاً العهد السعودي ومبايعاً للملك عبدالعزيز.

نتف من سيرة الشيخ بن عبدّه:

من مواليد حضرموت الداخل عام ١٨٧٨م وامتد به العمر حتى عام ١٩٧٥م، عاش معظمه في بداية شبابه في عدن للعمل في التجارة، ارتبط بعالم الصحافة والطباعة في وقت مبكر من عمره ، حيث أستورد أول ماكينة للطباعة عام ١٨٩٨م في عهد الجمعدار عوض بن عمر القعيطي مؤسس الدولة القعيطية حيث كان موظفاً خاصاً لدى السلطان عوض بن عمر (ت ١٩١٠) ثم السلطان غالب بن عوض القعيطي (ت ١٩٢٢) فالسلطان عمر بن عوض القعيطي (ت ١٩٣٦)، سافر بن عبده في مقتبل عمره إلى أمريكا و أوربا والهند وبعض البلاد العربية وتعرف من خلال سفرياته على الاقتصادي المصري طلعت حرب (صاحب مطبعة مصر) خلال زيارته المتعددة الى القاهرة وعلى الأديب أبوبكر بن شهاب في الهند وتركيا، والتقى أيضاً رائد الطباعة العربية (مصطفى البابي الحلبى) وتعرف على صاحب جريدة العمران عبد المسيح الأنطاكي خلال زيارته الأولى



سند محمد بايعشوت



الرائد (بن عبدّه)

وحفيده الراحل الشاعر حسين شيخان

للقاهرة وتعلم على يده أصول الصحافة والطباعة ، حضر حفلة تتويج الملك جورج الخامس في الهند عام ١٩١١ م، انتدبه أبناء الجمعدار عوض بن عمر القعيطي السلطانان (غالب وعمر) بعد وصول المطبعة إلى المكلا للعمل فيها . ولما عرف عنه من تمتعه بمهارات ومواهب عديدة وعمله في مطابع عدن، أصبح مديراً ومسئولاً عن المطبعة السلطانية في عهد كل من السلطانين (غالب وعمر) وكان موقع المطبعة السلطانية في القصر بجانب مكتب البرقيات السلطانية (موقع مستودعات شركة التجارة) حالياً . وعندما تولى السلطان صالح بن غالب القعيطي الحكم تم تجديد وتطوير المطبعة وشراء مطبعة جديدة من مصر، وعمل الشيخ بن عبده مهندساً خاصاً لها، كما اشتغل ضابط الصرف في الجيش النظامي ثم في الجيش غير النظامي، كما تولى إدارة الجمارك مرتين ثم المالية قبل مجيء الوزير جهان خان باكستانى الجنسية لإدارة الجمارك والمالية عام ١٩٣٨م إلى جانب إشرافه على المطابع، مكث في خدمة الحكومة القعيطية لفترة ٤٥ عاماً في عهد السلطان صالح بن غالب، استقال من الوظيفة الحكومية ليتفرغ لإصدار صحيفة (المنبر) في يناير ١٩٣٩ م التي استمرت تصدر شهريا لفترة طويلة في مطبعته الخاصة ومقرها في سكة (يعقوب) و أصدر منها صحيفته الثانية (الأمل) في سبتمبر ١٩٤٦م و استمر يعمل في المطبعة لسنوات حتى تقاعد عن العمل لكبر سنه، في أواخر حياته نقل مطبعته إلى بيته في الديس، ثم أممت في السبعينيات، عرف عن الشيخ بن عبده أنه (متعدد المواهب) له اهتمام خاص بالكيمياء والتصوير الضوئي والخط العربي، ويجيد الانجليزية بطلاقة .

كيف دخل " بن عبدّه " عالم الصحافة:

عمل الشيخ محفوظ بن عبده في العمل الصحفي قبل نشوء الصحافة الحضرمية في المهجر السنغافوري وقبل صدور أول صحيفة حضرمية وهى صحيفة الامام عام١٩٠٦ لمؤسسها محمد بن عقيل بن يحيى في المهجر السنغافوري، وقد اختمرت فكرة الصحافة في رأسه حينما كان مدعواً إلى مأدبة غداء أقامها الوجيه أبوبكر بن عبدالله العطاس قبل انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضرمي عام ١٩٢٧ م في سنغافورة حيث قدم له طبق ((الاقراقر)) وهو نوع من ((الفالوذة)) يؤكل وقوالبه يمكن أن تستعمل للطباعة، وهنا فكر بإصدار صحيفة تطبع على قوالب الفالوذه ((الاقراقر)) مثل الروينو.

صدور صحيفة الأحقاف:

عندما عاد " بن عبده " إلى المكلا من المهجر الحضرمي فكر في إصدار صحيفة الأحقاف و أسند رئاسة تحرير الأحقاف للشيخ سعيد بن سالم بن وبر باعنقود والد الشيخ عبدالله سعيد باعنقود المربي الفاضل في مدارس المكلا والغيل وخطيب مسجد الروضة ردحاً من الزمن، فيما تولى الشيخ "بن عبده " مجال الطباعة، وكان أول عدد من صحيفة الأحقاف صدر في المكلا عام ١٨٩٨ م ، ولم يستمر إصدار الصحيفة طويلاً حيث كان يطالبه الجمهور بنشر راتب الحداد مما أرغمه على تلبية الطلب، واستمرت لمدة ستة أشهر .

ولعل من حسن الطالع أن يؤرخ بدء الحركة الصحفية في حضرموت إلى عام ١٨٩٨ / ١٣٢٠ هـ على يد الشيخ محفوظ بن عبده والشيخ سعيد باعنقود.

ولأن الرغبة في التجديد والتغيير ديدنه وهو المشبع بمشاهداته و مطالعاته وانطباعاته عند زياراته لدور الصحف الكبرى في تلك البلدان التي سافر إليها فقد عمل على نقل تلك التجربة في وقت مبكر إلى المكلا متزامنة مع تطور الحياة السياسية للدولة القعيطية .

وزادت تلك الرغبة عند " بن عبده " لدى دراسته العمل الصحفي على يد الصحفي الكبير عبد المسيح الأنطاكي صاحب جريدة العمران التي كانت تصدر في القاهرة عام عام ١٨٩٦ م وتشجيع الشيخ عبد المسيح الأنطاكي لـ (بن عبده) عند زيارته الأولى للقاهره ثم زيارة عبد المسيح الأنطاكي للمكلا عام ١٩١٥ م / ١٣٣٧ هـ في عهد السلطان غالب بن عوض القعيطي ومرافقته له.

صحيفة النهضة الحضرمية:

أصدر الشيخ (بن عبده) صحيفة النهضة الحضرمية في ثلاث مراحل تاريخية أولها كان عام ١٩٠٣ م / ١٣٢٥ هـ واستمر فيها لمدة وجيزة ثم توقفت، ثم استأنف إصدارها عام ١٩٢٣ م / ١٣٤٥ هـ واستمرت لفترة شهرين، وقد تزامن الإصدار الثاني من النهضة الحضرمية مع قدوم طلائع الجالية الحجازية إلى مدينة المكلا و تأسيسها لمدرسة ال الدباغ بالمكلا بعد تأسيس مدرسة الفلاح في مكة ثم جدة ، وكانت المكلا المحطة الأولى لمدرسة الفلاح لمؤسسها الشيخ محمد على زينل عام ١٩١٠م، ثم انتقلت إلى عدن بعد إصدار أمر من السلطان عمر ابن عوض القعيطي بإغلاقها عام ١٩٣٣م لأسباب سياسية ولكن الذي يهمنا في هذه الجزئية الإصدار الثالث لصحيفة النهضة الحضرمية أثناء وجود الجالية الحجازية وقد تزامنت مع انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضرمي الأول في المكلا عام ١٩٢٧ م وما تمخض عنه من اتفاقية الشحر التي تهدف إلى وحدة حضرموت .

"بن عبدّه " و الطيب الساسي:

في الإصدار الثالث من صحيفة النهضة الحضرمية وقد تولى الكتابة في هذا الاصدار كل من أفراد الجالية الحجازية أمثال سعيد خان وحاكم الشرع (قاضي المكلا) الفهامة المحقق السيد محسن جعفر بونمي ، والشيخ عبدالمطلوب علي بازنبور و الشيخ عبدالله طاهر بازنبور ، والشيخ عوض سالم بلقدي .وقد نشرت من قرارات و أخبار مؤتمر الاصلاح الحضرمي في المكلا ثم توقفت عن الصدور .زامل الشيخ " بن عبده " الطيب الساسي وهو مبعوث الدولتين القعيطية والكثيرية لمؤتمر الحضارم في سنغافورة .

ولد الشيخ محمد الطيب بن طاهر الساسي في المدينة المنورة عام ١٨٩٣م. وتلقى تعليمه الدينى فيها إلى أن أعلنت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين ضد الوجود التركي في الحجاز اشتغل فى الصحافة والسياسةوكان كاتباً مؤثراً وخطيباً مرتجلاً، حسن البيان، كثير الحفظ، حاضر البديهة.وعيّن الطيب الساسي مديراً للمدرسة الراقية فأدارها بما عرف عنه من حزم وإخلاص. وتولى إدارة صحيفة (القبلة) فى العهد الهاشمي بعد الشيخ محب الدين الخطيب عام ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٩ حتى تنازل الشريف حسين لابنه علي، وانتقل إلى جدة عند دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة عام ١٣٤٣هـ ١٩٢٦م وبدأ حصار جدة، ، ترأس رئاسة تحريرجريدة (بريد الحجاز) الذي اسسها محمد صالح نصيف عام ١٩٢٦ ، غادر الطيب الساسي في العام نفسه جدة إلى بورت سودان، ومنها إلى عدن،وحضرموت وذلك قبيل أيام من تسليم جدة للملك عبدالعزيز ورحيل الشريف علي. و اتصل بالسيد حامد المحضار فأخذ عنه الحديث والتفسير واللغة العربية، فواصل رحلته إلى الهند وإندونيسيا، فسنغافورة.

عاد الطيب الساسي إلى مكة وأعلن ولاءه للعهد السعودى، فلقي من عطف الملك عبدالعزيز وتشجيعه، فعيّنه الملك عبدالعزيز رئيساً لتحرير جريدة (أم القرى) فى العهد السعودى عام ١٣٦٦هـ ١٩٤٩، كما أصبح عضواً في مجلس المعارف وعضواً في مجلس الشورى عام ١٣٧٥ ١٩٥٩ وقبلها بعد عودته مباشرةكان مديراً لجمعية الإسعاف الخيري بمكة المكرمة والقى محاضرة عام ١٩٣٩ فى الجمعية بعنوان: (مشاهداتي في الجنوب العربي). وعضواً في لجنة جمع التبرعات للفلسطينيين،فقد وصف بأنه من "جيل العهدين".

يمتاز الشيخ الطيب الساسى بحفظ الكثير من الطرائف الأدبية والملح الفكاهية، وقد تمرس في أعمال الصحافة، فكان كاتباً مؤثراً وخطيباً مرتجلاً، وقد مكّنه حسن بيانه وكثرة محفوظاته وخفة روحه من إطراب سُمّاره وإدخال البهجة والسرور على قلوبهم وافتقادهم له والشعور بالوحشة كلما غاب عنهم.

ظل يجاهد في خدمة دينه، وبلاده، وأمته في العلم والأدب والأعمال الخيرية والإنسانية إلى أن وافته المنية في شوال سنة ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٩ عن عمر ناهز ٦٢ عاماً في حادث سير بطريق مكة-جدة وهو في طريقه لزيارة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وقد نعاه مجلس الشورى حينها ووصفه بأنه من أبرز أعضائه، وأنشطهم فكراً وعملاً، وأبلغهم بياناً ونقاشاً.. هو فضيلة الشيخ الطيب الساسي الذي توفي ثاني أيام عيد الفطر المبارك، في حادث اصطدام بين سيارته وسيارة أخرى في طريق جدة.، مخلفاً بنتين وولدين، وكان شديد الحرص على تعليمهم وبذل ما في وسعه لتثقيفهم.

جيل من الرواد في (المنبر) :

عندما تولى السلطان صالح بن غالب القعيطي مقاليد الحكم انتقلت المطبعة الى خارج اسوار القصر السلطاني الى منطقة (السيلة) في اتجاه منطقه خلف ، وكان يعمل خلف الشيخ (بن عبده) فريق من طلبة الصف الرابع بمدرسة (حصن الشيبة) قبل انتقالها للمدرسة الغربية (مستشفى باشراحيل حالياً) من هؤلاء نذكر على سبيل المثال : سالم عبدالله باصمد ، سالم سرور بن هامل ، عبدالله محمد مقيدحان ، محمد مكرم خان إلى جانب الأديب عمر مثنى حسن ورجب الهندي من افراد الجالية الهندية بالمكلا ، و يتقاضون راتباً شهرياً مقداره (٦) روبيات هندية . وقد تعاقب على اخراج المنبر آخرون لايتسع المجال لذكرهم إلى جانب القائمين عليها في التحرير مثل الأخوين باعشن (أحمد سالم ، عبدالله سالم) ، والشيخ عبدالله سعيد بن وبر باعنقود رئيس تحرير (المنبر) ١٩٣٩ م والشيخ محفوظ (بن عبده) المدير الفني .

مختارات من (المنبر)

قبل أن تستعرض مختارات من صحيفة (المنبر) حري بنا أن نذكر الكتاب الذين ساهموا في الكتابة في (المنبر) من العلماء والمشايخ و الأساتذة الأجلاء ، وقد كتب على ترويسة الصحيفة " يحررها

جماعة من الشباب وهي صحيفة شهرية تعني اهتمامها بـ (علم . أدب . اجتماع) " . ومن كتاب الصحيفة في الثلاثينيات نذكر الشيخ عبدالله سعيد باعنقود ، الشيخ عبدالله عوض بكير ، الشيخ سعيد صديق خان _ من أفراد الجالية الحجازية _ الشيخ محمد عبدالله باجنيد ، السيد علي النعيري العطاس ، الشيخ عبدالله أحمد الناخبي ، السيد عبدالقادر أحمد بافقيه ، الشيخ أحمد عبدالله باجنيد ، الشيخ علي سالم باعشن ، الشيخ عبداللطيف منصور بو عيران ، الشيخ عبدالله سالم باعشن ، السيد محسن علوي السقاف ، الشيخ عثمان أبوبكر العمودي ، السيد شيخ عبدالله الحبشي و آخرين .

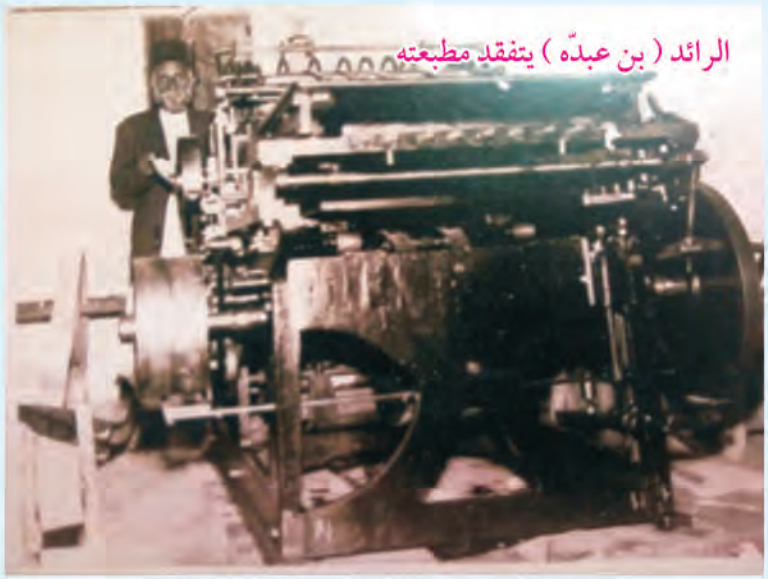
وأهم المواضيع التي تناولتها (المنبر) سلسلة من المقالات النقدية من وجهة نظر اجتماعية كتبها كل من الشيخ عبدالله عوض بكير ، الشيخ محمد عبدالله باجنيد ، الشيخ عبدالله أحمد الناخبي فيما اهتم الشيخ عبداللطيف منصور بو عيران (ياور السلطان صالح بن غالب القعيطي) بكتابة سلسلة على صفحات المنبر من (أدب الرحلات) للسلطان صالح بن غالب في رحلاته لداخل وخارج حضرموت وسلسلة من المقالات التاريخية التي يكتبها السيد عبدالقادر أحمد بافقيه ، ويساهم السلطان صالح بن غالب القعيطي في كتابة (افتتاحية) المنبر التي تعبر في مجملها عن تطلعات العهد الجديد لتولي السلطان صالح مقاليد الحكم وطبيعة المرحلة في توجهات الدوله برسم سياساتها من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وقد عكست (المنبر) بشكل عام من خلال صفحاتها أشكال الأدب الأكثر ارتباطاً بالمجتمع ، وعبر خطابها الإعلامي عن التطلع المدني نحو بناء المجتمع المؤسسي الحديث ، ولاشك أن (المنبر) قد أرخت لتلك المنطلقات والمقدمات لقيام الدولة الحديثة بحضرموت .

مختارات من (الأمل) :

من الصعوبة بمكان استعراض الأعداد الكاملة لـ (الأمل) بهذه العجالة ، غير أنه من المناسب الإشارة لمختارات من أرشيف (الأمل) الصحفي في السنوات الثلاث الأولى من الإصدار نموذجاً للحديث عن أعوام ٤٦ - ٤٨ م . في تلك الفترة سجلت (الأمل) للأحداث التي شهدتها حضرموت من أهمها تأسيس الحزب الوطني في المكلا ١٩٤٦ م ، النهوض بالمسألة التعليمية ، و الوحدة الحضرمية ، وغيرها من الوقائع التي كانت حضرموت شاهدة على احتلال فلسطين ١٩٤٨ م ، و أشياء كثيرة أخرى .وقد اهتمت (الأمل) بنشر فعاليات مؤسسات المجتمع المدني وأعطتها الأولوية في تغطية أخبارها ونشاطاتها السياسية والثقافية والاجتماعية المختلفة ، و أفسحت لها مساحة كبيرة من صفحاتها في جميع أعدادها وتركت هامشاً ضيقاً لنشر الأخبار الرسمية للقصر السلطاني رغم عناية السلطان صالح بن غالب القعيطي واهتماماته في تشجيع الصحافة الأهلية المستقلة ودعمه لها من خلال توفير لوازم الطباعة لقناعاته بوظيفتها المجتمعية .

وقد ساهم بالكتابة على صفحات (الأمل) عدد كبير من الأدباء والعلماء مثل حسين عمر بن شيخان ، محمد أحمد بركات ، عبدالرحمن عبدالله بكير ، حسين محمد البار ، محمد عبدالقادر بامطرف ، عبدالله سالم البيض ، سالم محفوظ شماخ ، سالم يعقوب باوزير ، علي محفوظ حورة ، أحمد محمد العطاس ، عثمان بن شملان التميمي و آخرين .

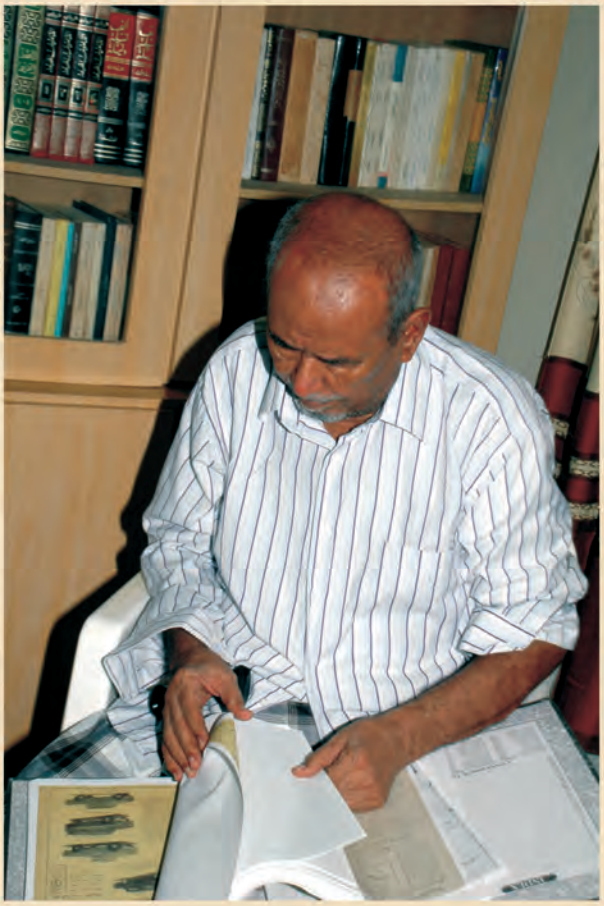
ومن أهم القضايا الساخنة التي تطرقت لها الصحيفة وشهدت من خلالها متوالية من النقاشات والحوار المجتمعي البديع بين (الديني / الاجتماعي) و (الثقافي / السياسي) والتي أفضت الى ساحة جدل واسعة الامتداد نحو المسجد ، النادي ، المقهى ، من تلك السجالات والمعارك الصحفية نذكر منها قضايا (الدين ، السينما ، والمسرح) ، (تشكيل الأحزاب السياسية) ، (مسألة الوحدة الحضرمية) وغيرها . وقد تعاملت (الأمل) بشفافية وكشف الحقائق للرأي العام حيث دأبت على نشر ميزانية الدولة حتى يتعرف المواطن على أوجه الصرف للأموال التي تجبيها الحكومة من الشعب على شكل ضرائب منها نشر حساباتها الخيرية شهرياً بصفحاتها بحرية وديمقراطية الأربعينيات ، فيما تجلت استفزازات (الأمل) وهي تقدم اتجاهاً جديداً (مشاكساً / معاكساً) للتابو السياسي الديني في السؤال والبحث عن الحقيقة الغائبة من المسئولين في الدولة مباشرة مثل طرحها بل إصرارها على تلقي إجابات شافية من المسئولين في أحد أعدادها لأسئلتها حول (لماذا لم تحل مشكلة التموين ؟ لماذا امتنع التمثيل المسرحي في حضرموت ؟ لماذا قام مشروع استغلال أراضي ميفع ؟ ماهي الأسباب التي من أجلها منعت السينما؟) و دأبت (الأمل) في معظم أعدادها على توجيه انتقادات لاذعة للدولة من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .



الرائد (بن عبدّه) يتفقد مطبعته

من صحافة الزمن الجميل

الأستاذ أحمد عوض باوزير وتساؤلات المستقبل



امتلك أسلوب الصحفي المتمكن من أدواته الصحافية التي يثير بها تساؤلاته ويمنحها الديمومة في سياق رسم خارطة يسير على منوالها القارئ المتابع .

الصحفي باوزير كان شديد القسوة على بني جلدتنا الحضارمة في ذلك الوقت ابتغاء استنهاض هممهم .

كثيراً ما طالب الصحفي باوزير في كتاباته حضارمة الخارج الذين يمتلكون أرصدة مجمدة في البنوك، بالعمل على (دعم المؤسسات الثقافية) بعيداً عن سياسة الإحسان ..التي كان يتبعها البعض أو أكثرهم.

قبل الإبحار في تفاصيل المقال الموجز الذي جعلته مخصصاً للصحافي القدير الأستاذ أحمد عوض باوزير رحمة الله تغشاه، وددت أن أقدم تعريفاً عن حياته ومساره الصحفي:

فهو ينتمي لأسرة عباسية اشتهرت بالعلم والأدب والمعرفة، ولد في العام ١٩٢٦م بمدينة غيل باوزير.

- تلقى تعليمه الأولي بما كان يُعرف بـ (العُلمة) ثم درس الابتدائية والمتوسطة، وفي العام ١٩٥٤م، حصل على دبلوم كلية الصحافة المصرية بعد الثانوية.

- أقام بمدينة عدن من المدة ١٩٥٣م وحتى العام ١٩٥٨م. عمل خلالها محرراً بصحيفة (الذكرى) الأسبوعية لصاحبها الشيخ علي محمد باحميش، ثم بصحيفة (النهضة) التي كان يرأس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن جرجرة ، ثم عمل فترة قصيرة بصحيفة (اليقظة) اليومية، وانتقل بعدها إلى صحف الأستاذ محمد علي باشراحيل، حيث عمل سكرتير تحرير لكل من صحيفة (الرقيب) الأسبوعية ثم (الأيام) اليومية، كان أول سكرتير تحرير لهذه الصحيفة الذائعة الصيت.

- في مطلع عام ١٩٥٩م عاد إلى المكلا – حضرموت وأصدر صحيفة (الطليعة) الأسبوعية.



علي سالمين العوبثاني

نشاطه الوظيفي:

في منتصف عام ١٩٧٥م، التحق بفرع المركز اليمني للأبحاث الثقافية بحضرموت الذي أصبح - لاحقاً - فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات.

من مؤلفاته:

كتاب (شهداء القصر) قصة أول انتفاضة شعبية ضد الحكم الأنجلو سلاطيني كما صدر له كتاب آخر بعنوان (الشعر الوطني العامي).

في ٢٨ نوفمبر ٢٠١٢م وافته المنية بالعاصمة الأردنية -عمان، ونقل جثمانه الطاهر إلى أرض الوطن حيث ووري الثرى في الفاتح من ديسمبر ٢٠١٢م بمقبرة جده الأول يعقوب (*) بالمكلا بعد الصلاة عليه بمسجد الروضة.

والآن دعونا نلج إلى عالم الصحافي باوزير رحمه الله تعالى، واقتباس ما ارتأيناه نافعاً للقراء الأعزاء من أعمدته الصحفية التي عبر فيها عن آرائه ووجهات نظره كي نكون موضوعيين في الطرح الصحفي المنصف:

شغل الأستاذ أحمد عوض باوزير الصحافي ذو الذهنية النشطة والغيث المنهمر الذي لا يكف راصداً الأحداث لقراء عصره الذهبي، وفي تعبير صادق عن تطلعات مجتمعه، بما كتبه من مقالات احتضنتها الكثير من الصحف السيارة في عدن وحضرموت، نتذكر منها:(الرقيب – النهضة – اليقظة – الأيام) وصحيفة الطليعة التي كان صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها كان شديد الانتقاد للسلطات الحاكمة حينها، وكان عموده (تساؤل) جديرا بأن نطلق عليه لقب (الناقد الرصين) فلم يترك فرصة إلا وشن هجومه الكاسح على القائمين وولاة الأمور لما كان يعتمل من تفاعلات سياسية وظواهر مجتمعية في مرحلة حساسة من تاريخ الأمة ..

ولعلنا بقراءة أعمدته الصحفية .. سنجد بأن كل ما سطره يراعه حقق أهدافه من حيث رصانة كتاباته وذلك بوضعه كما يقول (النقط فوق الحروف تاركين للقارئ التقاط ما وراء النقط من أسرار وشجون) وهذا لعمري، أسلوب الصحفي المتمكن من أدواته الصحافية التي يثير بها تساؤلاته ويمنحها الديمومة في سياق رسم خارطة يسير على منوالها القارئ المتابع ..وهكذا أمكن بفضل كوكبة من الصحافيين والكتاب الحضارمة من الرعيل الأول الذين غادروا حياتنا الفانية رحمهم الله جميعاً، أمثال: حسين محمد البار صاحب الامتياز لصحيفة " الرائد " ومحمد علي بلفقيه صاحب الامتياز لصحيفة "الرأي العام"، ومحمد عبدالقادر بامطرف ومحمد عبدالقادر بافقيه، و سعيد عوض باوزير شقيق الأستاذ أحمد موضوع مقالنا هذا وآخرين قد أعيتني الذاكرة عن استحضارهم .

أن تكون لحضرموت مكانتها العالية، ودورها التنويري البارز آنذاك، حيث تطورت لغة الصحافة أكثر مما هي عليه الآن رغم الإمكانيات التي يحظي بها صحفيو اليوم، فمن اللازم أن نعترف بفضل من ذكرناهم سلفاً، كما علينا أن نفرق بين اللغة الفصحى واللغة الصعبة التي لا يفهمها إلا الأقلون، إذ ليس كل فصيح صعباً، ولا كل عامي ركيك سهلاً على سامعيه كما يقول العقاد - رحمه الله - لهذا فنحن نرثي لحال مخرجاتنا التعليمية في مجال الصحافة والإعلام اليوم، ونتحسر على زمن الصحافة الجميل الذي كان يمكننا أن نستشف مما يدونه هذا الصحافي الشجاع بأنه انتقاد لاذع، لمن يتنصلون من مسئولياتهم الأخلاقية والإنسانية والوطنية تجاه إخوتهم في حضرموت، ذلك أن الكثير من الأموال تصرف في غير محلها .. وكأني به يقول: بأنه لا توجد لدى الرأسمال الحضرمي سياسة راسخة وخطط مستقبلية ترتقي بحضرموت نحو آفاق رحبة.

كثيرون منهم لم يهتموا بنصرة قضايا وطنهم ،الذي ينتمون إليه اسماً ولكن قلوبهم بعيدة عنه حقاً .. بل البعض منهم لا يرى أهمية في المساهمة بتطوير المراكز التوعية واستقصاء الآراء والاهتمام بالثقافة، وهذه الإشكالية ستلازمهم ما ظلت نظرتهم بهذه الصورة المخجلة .

ونعلم يقيناً بأن الرجل لم يكن أبداً مناطقي الانتماء، بل كان قومي التوجه تحرري المنطلق، حين يقول في أحد تساؤلاته (إن كل حركة تقدمية في هذا الجنوب أو كل دعوة تحررية يراد لها النجاح أو الازدهار لن تثمر مطلقاً ما لم تسبقها معركة) .. ويقصد معركة العلم.



.. ونقول كما قال الشاعر الحي في قلوبنا حسين أبوبكر المحضار - رحمه الله - (ياريت يرجع لي الزمن ذاك لي فات) .. في رائعته "الصبر لا جاوز حدوده قتل".

والصحفي باوزير كان شديد القسوة على بني جلدتنا الحضارمة في ذلك الوقت ابتغاء استنهاض هممهم حيث كان يدعوهم إلى (العمل من أجل وطنهم الغارق في حمأة الجهل والفساد) وتساؤلاته لهم (متى أيها الحضارم تهبون إلى تحقيق وجودكم؟!، فقد طال الليل عليكم وأنتم راقدون).

وكثيراً ما طالب الصحفي أحمد عوض باوزير في كتاباته حضارمة الخارج الذين يمتلكون أرصدة مجمدة في البنوك، بالعمل على (دعم المؤسسات الثقافية) بعيداً عن سياسة الإحسان .. التي كان يتبعها البعض أو أكثرهم.

ولو قرأنا بتمعن في "تساؤل" عنوانه :(ترقبوا .. الزعيم المنتظر !) المنشور في صحيفة (النهضة) العدد (٢٤٩) الصادر في العام ١٩٥٥م ..سنجده إسقاطاً على واقع اليوم، حيث يقول: (عندنا في الجنوب ((باقة)) من الزعامات، بعضها روحية وبعضها الآخر سياسية وثقافية، ولكن كل هذه الزعامات، لم تعد ذات موضوع أو أنها ((بالخط العريض)) قد استنفذت صلاحياتها، والدليل على ذلك أن هذه ((الزعامات)) أصبحت في أكثر من مكان من هذا الجنوب صورية بحيث لا يتعدى خطرها محيط الجدران الأربعة التي يعيش داخلها الزعيم !).

ويضيف الصحفي باوزير (وأنا أعلم أن أناساً يحرصون على الحفاظ بهذا ((اللقب)) كلما طاب لهم أن يتحدثوا عن هذا الزعيم أو ذاك ولكن هؤلاء ((الناس)) لا يصدرون في

حفاظهم عن عقيدة خالصة أو إيمان راسخ، وأكبر الظن أنهم يخفون وراء حرصهم هذا بعض ((المنافع الشخصية)) التي تتوقف على بقاء الزعامة في مقامها الأسمى .. ونحن على يقين من أن رصيد هذه ((الزعامة)) سيظل في هبوط مستمر وأن الوعي العام يسجل كل يوم ارتفاعاً متزايداً.

ويقول (وإذا كانت بعض هذه ((الزعامات)) قد بدأت بالفعل تخسر جولتها في السباق وتتكشف أوراقها واحدة تلو واحدة، فإن البعض الآخر.. ينتظرها المصير نفسه).

ويختتم مقاله ((علينا أن نترقب الزعيم المنتظر الذي سيظهر من بين صفوف الشعب ليعبر عن أحاسيسه وينصهر في بوتقته .))

عندما نقرأ مثل هذا الكلام اليوم وبعد مرور (٦١) عاماً إلى تاريخنا هذا، نشعر بتنبؤات هذا الصحفي وكشفه الستار عن ما نعانيه اليوم من زعامات محنطة مازالت تقاوم كي تبقى في عيون الناس كما كانت عليه بل وأكثر، ولعلها نست كل الإخفاقات التي كانت هي سبباً فيها .. متحدثاً عن بعض من ذوي المصالح الضيقة الذين يحاولون إبراز هذه الزعامات ليس حباً فيها وإنما بانتظار ما تجود به عليها من مال .. وبمجرد أن يجف المعين تنتقل بقدرة قادر إلى الخندق الآخر .. وتلعلع بصورتها مجاهرة بأن من انتقلت إليه كان الأجدى والأنفع للناس ، هذا التضليل لا يعبر إلا عن سذاجة سياسية يصاب منها المرء الفطن بالتقيؤ.

وللصحفي باوزير آراء سياسية أثارها في أكثر من مقال .. ولكن ما لفت انتباهي في عموده (أضواء) بعنوان : (من هو الشعب اليمني ؟) الذي نُشر في صحيفة الرقيب بالعدد (٤١) ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ .. تحدث فيه الكاتب عن :

(الخلاف بين مؤتمر الطلاب اليمنيين وبين الهيئات السياسية في عدن ليس حول تأكيد الوحدة الطبيعية والتاريخية للوطن العربي فإن هذه الوحدة ليست موضع خلاف على الإطلاق، ولكن الخلاف - كما يقول البيان - ينحصر في السعي لإيجاد دولة مستقلة ذات سيادة تتكون من عدن والإمارات الجنوبية خارج نطاق الدولة اليمنية).

ويوضح الكاتب الأمر بأن: (الإمارات الجنوبية التي تؤمن بالوحدة ليس مع البلاد اليمنية وحدها، ولكن مع كل البلاد العربية الأخرى لا تقبل بحال من الأحوال أن تكون محل خلاف يمني، أن تصبح بلاداً يمنية تخضع للحكم الإمامي وتأتمر بأمره).

ويبدو أن الصحفي باوزير كان يجاهر برأي شجاع لا مكان فيه للمساومة.. حيث يقول: (إن المؤتمر يستطيع أن يدعي أن الإمارات الجنوبية واليمن شعب عربي واحد .. أما أن يدعي أن هذه الإمارات واليمن شعب يمني واحد فهذا ما لا نوافق عليه).



الطليعة تقول...

أصلحوا.. هذه العادات !

من اخبار هذا الاسبوع ان نادي الاتحاد الرياضي بالشحر قدم مشروعا الى المجلس البلدي بأصلاح عادات الزواج .

وعادات الزواج في حضرموت وان كانت تختلف بالنظر الى بلد وآخر الا انها تتفق جميعا في انها السبب الرئيسي في انصراف الشباب عن الزواج وعزوفهم عنه ! !

وقد يوجد احيانا من بين الشباب من يثور على تلك العادات محاولا تحطيمها و القضاء عليها ولكنه - عادة - يصطدم بمعارضة شديدة من بين أهله الذين يتوسلون اليه ان يقبل بما أرضاه لهم ولو الاقل !

وهكذا تقضي العادات على الاشخاص الخارجين على ولائها واحدا بعد الآخر . والنتيجة ان تلك العادات تظل قويةلا يقدر على تغييرها احد على الاطلاق .

ولسنا هنا نريد ان نخوض في التفاصيل فان هذا يتطلب بحثا مستقلا . الا اننا نريد ان نقول ان اصلاح تلك العادات ضرورة لازمة لتمهيد الطريق امام الشباب من الجنسين للتزاوج وتكوين الاسرة السعيدة .

ان الاخوات لاتنشأ الا لأن الشباب يواجه بسبب تلك العادات عوائق كثيرة تصرفه عن الزواج فيجد نفسه منساقا في طريق منحرف أوشاذ ! !

اننا نؤيد موقف نادي الاتحاد الرياضي من عادات الزواج وكل مانتمناه هو ان يكلل ذلك الموقف بالنجاح ، وان تقتفي المجالس البلدية الاخرى حذو المجلس البلدي بالشحر في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على تلك العادات .

ان العادات كثيرة .. وعلينا ان نبدأ منها مايصلح ونترك مالايصلح فان الانصياع وراء العادات دون تبصر لابد وان يكلفنا غاليا !

احمد عوض باوزير

ولهذا يقول الكاتب باوزير: (إن شعوب الإمارات الجنوبية هي التي تقرر مصيرها - بعد الاستقلال - وستختار بمحض إرادتها ، شكل ونوع الاتحاد الذي تريده).

وينتقد الكاتب مؤتمر الطلاب اليمنيين الذي يلغي المقومات الشخصية لشعوب الإمارات الجنوبية .. فيصفه بـ (أمر يدعو للرثاء والشفقة).

ويختتم الصحفي باوزير مقاله الناقد .. بقوله (وبعد : فإن الفرق واضح بين أن نقول: ((الشعب اليمني)) و((الشعب العربي)) ونحن شعوب الإمارات الجنوبية شعب عربي .. ولكننا لسنا شعباً يمنياً).

ولا شك في أن هذه الآراء السياسية التي كان يعلنها أثرت في صحيفته " الطليعة " بعد استقلال الجنوب العربي حيث صُودرت كغيرها من الصحف التي كان رؤساء تحريرها يجاهرون بآراء تتعارض مع اليمننة ، مما عكس نفسه على نفسيات صحافيينا الذين وُئدت أصواتهم آنذاك وتوارت بعد ذلك عن الكتابة لأسباب سياسية محضة .. بل وأخذت كتب بعض الكتاب من قبل زوار الفجر واختفت ولم يعد لها وجود .

وقد اشتمل الكتاب الذي عني بإصداره الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي وكتب مقدمته على عناوين بارزة مثل: (هل للهجرة الحضرمية .. نهاية؟) و (المدخل إلى التاريخ الحضرمي) و(المدخل إلى التاريخ الحضرمي :ثورة الكندي أو طالب الحق) وهذه لوحدها تعدُّ بحوثاً سيستفيد منها كل باحث.. كما أشار فيها إلى الجهود المخلصة التي بذلت في هذا الكتاب حسب ما جاء في مقدمته :

(في هذا المتن لابد من الإشارة إلى الجهود الكبيرة المخلصة التي قام بها الأستاذ أمين سعيد باوزير في حصر هذه المقالات وتصويرها وتسليمها للمهندس الخلوق مراد أحمد باوزير الذي كان هو الآخر له نصيب كبير من الجهد في المتابعة، مع الحرص المعتق بالوفاء لحفظ تراث والده الفكري وإبرازه، كما نشيد بالتعاون العلمي للأستاذ / نجيب سعيد باوزير وقبوله نشر هذا الكتاب في دار النشر التابعة له (مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع)، ولأننا شرفنا في الإعداد والقراءة التاريخية لكتاب (الطليعة تقول) أُسند إلينا أيضا شرف العناية بهذا الكتاب الذي بين القارئ وتقديمه)

هذا الجهد الكبير أبرز لنا هذه الصورة المشرقة لمقالات الكاتب الصحفي احمد عوض باوزير .

ومن الإصدارات الأخرى التي عنيت بنشر مقالات الأستاذ باوزير كتاب (الطليعة تقول) جمعت فيه افتتاحيات جريدة الطليعة التي بلغت (٤٠٤) عدداً .. وهذا توثيق صحافي لقامة من قامات المجتمع .. يثنى عليه كل من بذل جهداً فيه .

---

*) الجد الأكبر لآل الوزير "باوزير" هو الشريف محمد بن سالم بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن علي (الوزير) بن طراد النقيب العباسي الهاشمي)، المعروف الآن بمولى عرف لكونه عاش ودفن هناك، وهو أول مولود عباسي من أسرة آل الوزير ولد بحضرموت، وهو الوارث الوحيد لآل يعقوب ابن يوسف العباسي في تلك البلاد إذ إنه لا عقب لذرية يعقوب بن يوسف إلا من ولده عبدالله وهو جد محمد بن سالم . وجميع آل باوزير في حضرموت و غيرها من البلدان من ذريته .

49
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



في ذكرى وفاته الرابعة

أحمد عوض باوزير

عميد الصحافة الحضرمية

قصة كفاح وإصرار في مهنة المتاعب



عبدالعزيز محمد بامحسون

أربع سنوات انقضت على رحيل الشخصية الحضرمية السامقة الصحفي الكبير الأستاذ أحمد عوض باوزير الذي انتقل إلى جوار ربه بعد سنوات عدة بحلوها ومرها قضاها في خدمة التربية والتعليم وبلاط صاحبة الجلالة.

فسيرته تقول إنه من مواليد مدينة غيل باوزير في أجواء العام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م تلقى دراسته الأولية وما تلاها في مدارس الغيل الابتدائية ، وكان أخوه الأكبر المؤرخ المعروف رحمه الله سعيد عوض باوزير موجوداً في مدينة القطن بوادي حضرموت مستشاراً للسلطان علي بن صلاح القعيطي ومديراً لمدرسة الهدى بالقطن فذهب إلى جواره في القطن في حوالي عام ١٩٤٤م وجلس هناك عاماً يحضر المحاضرات الأسبوعية في غرفة الثقافة التي كان يحضرها كبار الطلاب في مدرسة الهدى، وبحكم المعرفة والعلاقة بين علي بن صلاح وبن عبدات كان يذهب إلى مدينة الغرفة بوادي حضرموت حيث ارتبط بعلاقات مع شخصيات كبيرة منها الشيخ محفوظ المصلّي الذي كان عالماً مرموقاً وصديقاً لأخيه المؤرخ سعيد عوض باوزير ، ولازم عدداً من الأساتذة والمؤرخين والأدباء والشعراء في تلك الفترة ، كما عمل الأديب أحمد عوض باوزير في مركز الأبحاث الثقافية وكان يقوم بنزولات إلى المناطق لجمع التراث والأشعار الشعبية والمعلومات التاريخية.

وفي حوالي عام ١٩٤٥م عاد إلى مدينة المكلا وتوظف لدى السلطنة القعيطية مدرساً في غيل باوزير والقارة والمكلا وكان على اتصال مع المدرسين السودانيين في المدرسة الوسطى بغيل باوزير وقد أصدر صحيفة خطية كان يخطها بيده أسماها (الأستاذ) ثم يقوم بتوزيعها على مدرسي وطلبة المدرسة الوسطى، كما ترأس رئاسة تحرير صحيفة (الفجر) بنادي المعلمين بغيل باوزير وكان معه الشيخ عثمان بن شملان والد الأستاذ فيصل بن شملان وقد تخرج في مدارس الإرشاد وكان رجلاً صاحب رؤى وطنية ودينية سليمة، وكذا الشيخ عثمان العمودي من الدعاة المعروفين،كما عمل مدرساً مع الشيخ عبدالرحمن بكير (يرحمه الله)حين كان مديراً للمدرسة الغربية بالمكلا بجانب مستشفى باشراحيل (مستشفى مدينة المكلا حالياً) وكان من طلاب المدرسة في تلك الفترة الأخ الشاعر سالم محمد بن عبدالعزيز وشقيقه خالد بن عبدالعزيز، وكان يصدر صحيفة فصلية حائطية على جدار المدرسة وكان سالم عبدالعزيز حينذاك لديه موهبة في الكتابة فكان يساهم معه في الفترات المسائية .

ارتبط الصحفي أحمد باوزير(رحمه الله) بعلاقة وثيقة بالصحافة في المكلا وتحديداً مع الوالد محفوظ بن عُبّده وهو رجل كبير في السن ولديه خبرة في الطباعة فأصدر أول صحيفة وأسماها (الأمل) وهي صحيفة مطبوعة في حوالي عام ١٩٣٩م وكان الشيخ حسين عمر شيخان يشرف على الصحيفة التي يرأسها جده محفوظ بن عُبّده، وفي عام ١٩٤٨م سافر من المكلا إلى عدن وهناك التقى الأخ عبود حبيشان وهو من أبناء مدينة الحامي بحضرموت الذي كان مسؤولاً عن المدرسة الأهلية في حكومة جيبوتي والذي تعاقد معه للتدريس في مدرسة الجالية العربية في جيبوتي ورحل إلى جيبوتي وقضى فيها عاماً كاملاً معلماً لأبناء العرب ، وفي جيبوتي سكن في عزبة مع الشيخ طيّب بامخرمة وهو من غيل باوزير قاض وعالم وإمام لمسجد جيبوتي، ثم رحل للحبشة وعمل مسئولاً للمدرسة الأهلية في الحبشة وبسبب حدوث نزاع بين الصومال والأحباش في تلك الفترة عاد أدراجه إلى عدن لأن تلك المنطقة كانت على الحدود، ومن عدن عاد للمكلا وواصل الدراسة في مدارس الحكومة وكانت له علاقات مع ناظر المعارف الشيخ القدال وعمر باحشوان، وعمل في التدريس من جديد عام ١٩٥٠م حينها حصلت حادثة القصر الشهيرة، ثم سافر

للمملكة العربية السعودية ومكث فيها حوالي ثلاثة أشهر لكنه لم يستقر هناك لأن العمل بالصحافة كان يسيطر على كيانه وشغله الشاغل ، فمنذ طفولته كان مغرماً بالصحافة، عاد بعدها إلى عدن التي كان يقطن بها أخوه الشاعر محمد عوض باوزير، وتعاقد مدرساً في مدرسة بازرعة الخيرية ومعه الأستاذ علي باذيب، وكان حينها يدرس طالبان في القسم العالي في المدرسة هما الفنانان أحمد بن أحمد قاسم ومحمد عبده زيدي، وفي الوقت نفسه كان يعمل في المساء مع الأستاذ عبدالرحمن جرجرة وكان معه الأستاذ عبدالله باذيب وأحمد باخبيرة، ثم عمل محرراً رسمياً في صحيفة (النهضة) مع عبدالله باذيب الذي نسج علاقة من نوع خاص له مع الأستاذ الراحل محمد علي باشراحيل ، حيث كان ولداه حينها هشام (رحمه الله) وتمام (أطال الله في عمره) صغيري السن يتلقيان تعليمهما في مدارس عدن وكانت أسرتهم طيبة ومحترمة، عمل مع الأستاذ محمد علي باشراحيل (رحمه الله) في صحيفة (الرقيب) أولاً التي كانت تصدر باللغتين العربية والإنجليزية وكان الأستاذ محمد علي باشراحيل يصدر في الوقت نفسه صحيفة (ايدن كرونيكل) باللغة الإنجليزية ثم أصدر صحيفة (الأيام) كصحيفة يومية مستقلة في عام ١٩٥٨م وتمّ تعيين الأستاذ أحمد عوض باوزير سكرتيراً للتحرير في (الأيام) وهو أول منصب يشغله الصحافي باوزير وكان التعامل مع الأستاذ محمد علي باشراحيل ممتعاً ومفيداً فهو شخصية اجتماعية ورجل محترم يتمتع بلغة إنجليزية قوية، بعدها عاد إلى غيل باوزير وتزوج وكانت له نية للاستقرار في حضرموت وقد استفاد من وجوده في عدن التي كانت منهلاً للعلم، التي تزخر بالمكتبات والأدباء والصحف وبها حركة صحفية قوية حتى أن بعض الصحف كانت توزع للمشتركين في الصباح إلى منازلهم.

كانت تراوده فكرة إصدار صحيفة في حضرموت ووجد ضالته في تكوين شركة أهلية في المكلا تشمل مطبعة لمجموعة من التجار كانت تعمل في الأعمال التجارية، ثم تعاقد معهم على إصدار صحيفة (الطليعة) عام ١٩٥٩م بعد أن قام بجولة في أرجاء وادي حضرموت جمع خلالها التبرعات لإنشاء الصحيفة التي كان يهدف منها إلى نشر الوعي في المجتمع والإرشاد والإصلاح والحمد لله نجحت الصحيفة وساهم معه كتّاب من الوطن ومن إندونيسيا والقرن الأفريقي وقد أصدرها أسبوعياً كل يوم خميس ونستطيع القول إنها أول صحيفة صدرت



في حضرموت بالطباعة الحديثة والتبويب الحديث، حيث كان يرحمه الله رئيساً ومديراً وسكرتيراً للتحرير والمصحح والمخرج وكل شيء في الصحيفة، إذ كان يتمتع بالنشاط والهمة والحيوية لتقديم شيء للقارئ، كانت الطباعة تتم بطريقة رص الأحرف بجانب بعضها باليد وتستغرق فترة طويلة، حينها كان متأثراً بصحيفة (أخبار اليوم) المصرية ومؤسسيها، ويطبع منها (٢٠٠٠) نسخة ، ويقوم بإرسال مجموعة منها للمشتركين في السعودية والكويت وأفريقيا وألمانيا وبريطانيا وشرق آسيا لأبناء حضرموت المقيمين هناك،كان موقع (الطليعة) خلف مستشفى المكلا وتباع بـ(٦٠) سنتاً.

وبعد الاستقلال عام ١٩٦٧م صدر - للأسف - قرار بإيقاف الصحيفة ثم مصادرة المطبعة عام ١٩٧٢م بدون أي سبب، حاول معرفة السبب إلا أنه فوجئ بوجود (الطبلة) فوق بوابة المطبعة حتى كانوا يرغبون في مصادرة كتب تاريخية لشقيقه المؤرخ سعيد عوض باوزير التي كانت بداخل المطبعة. كانت تلك أصعب الأوقات التي مر بها وكانت أزمة حقيقية له .

وبعد الوحدة طالب بتعويضه - أيام حكومة فرج بن غانم وعبدالكريم الأرياني - ولكن دون فائدة، وطالب السلطة المحلية بالمحافظة أيام صالح عباد الخولاني محافظاً لحضرموت الذي قدر ثمن المطبعة بأربعة مليون ريال وأرسل رسالة بذلك لرئيس الجمهورية السابق ولكن لم يستلم أي إجابة شافية.

يمتلك الأديب أحمد باوزير مكتبة ثقافية ضخمة يحتفظ بها بمنزله لكنه أكد قبل وفاته أنه مستعد لخدمة المجتمع بالدفع بهذه المجلدات التاريخية والثقافية والصحافية ولمن يرى أنه سيحتفظ بها وإفادة المجتمع بها .

والأستاذ أحمد عوض باوزير تربطه ذكريات وعلاقات بالشيخ عبدالله أحمد الناخبي الذي رحل عن دنيانا الفانية في مدينة جدة في الخامس والعشرين من جمادى الأولى١٤٢٨هـ الموافق ١٠ يونيو ٢٠٠٧م ،الذي يعد أحد رجالات العلم في حضرموت وعمل مديراً للمكتبة



السلطانية بالمكلا ورائداً لتعليم الفتاة ومديراً للتربية والتعليم بمعية الشيخ عمر باحشوان، كما كان خطيباً بجامع مسجد عمر بالمكلا وكان على ارتباط به ويزوره بين الفينة والأخرى عندما يحل ضيفاً على مدينة جدة .

والفقيد الراحل باوزير مدرسة بحد ذاتها تخرج على يديه الكثير من الصحفيين والإعلاميين ، ويجب ألا ننسى عطاءات الراحل في المجال الصحفي فقد أفنى رحمه الله جل حياته معلماً ورائداً من رواد الصحافة الأهلية في حضرموت والوطن عامة، إضافة إلى دوره الوطني والاجتماعي في بلادنا.

وهنا نستذكر ما قاله الأديب أحمد عوض باوزير عن الواقع الثقافي" أنه لا يوجد هناك قراء، المجتمع يعتمد على خريجي الجامعة الذين يعتمدون على حفظ المقررات، ليس هناك اهتمام بالقراءة ، ولكن لو ذهبت الآن إلى المكتبة السلطانية لن تجد أحداً" ، ولكن وضع اتحاد الأدباء والكتّاب بحضرموت الآن يبشر بخير الذي أرى في قيادته وأعضائه ومنتسبيه الخير للنهوض بالواقع الثقافي فلديهم أفكار جمة لانتشال الوضع وتطويره ، لذا أنا أنصح بالقراءة لأنها هي الزاد الحقيقي للمثقف وخير جليس في الزمان كتاب .

معروف أن الأستاذ أحمد عوض باوزير من أسرة علم معروفة في حضرموت فشقيقه الأكبر سعيد عوض باوزير كان قاضياً ومؤرخاً وأديباً، ويليه الأستاذ الشاعر محمد عوض باوزير الذي عالج بشعره القضايا السياسية والاجتماعية، ثم يأتي في الترتيب الأستاذ أحمد عوض باوزير ، يليه الأستاذ سالم عوض باوزير الفنان والرياضي (يرحمهم الله جميعاً).

وقد صدر للأديب الراحل كتابان أحداهما بعنوان (شهداء القصر) والآخر بعنوان (الشعر الوطني العامي) .ونظراً لما يكنه بعض من محبيه من حب جارف صدر في العام ٢٠١٥م كتاب من تقديم الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي بعنوان (مقالات أحمد عوض باوزير في الصحف العدنية " النهضة - الرقيب - الأيام " ١٩٥٣-١٩٥٨م).

لقد نسجتُ علاقة طيبة بالصحفي الكبير الوالد أحمد عوض باوزير (رحمه الله) في العام ٢٠٠٣م ،وذلك عندما أجلس في حضرته في منزله المتواضع بديس المكلا لنتداول أطراف الحديث وكنت دائماً ما أكون ناصتاً وصاغياً لحديثه، حيث ننهل من نبعه الغزير الذي لا يكل ولا يمل، متلقياً منه الإرشادات والنصح في تطوير أدائي المهني،ودائماً ما يستعرض لي تاريخ الصحافة الحضرمية، والحركة الصحفية النشطة التي شهدتها حضرموت في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وإصدار أول قانون للمطابع في عهد الدولة القعيطية في العام ١٩٥٣م، وتوقيف الصحف الوطنية في المكلا، وتأميم شركات الطباعة الأهلية المساهمة، وتاريخ صحيفتي الطليعة والرائد اللتين هما الرئتان التي يتنفس بهما الشعب الحضرمي. فكان نعم الوالد والأستاذ والمربي والمرشد الحكيم الملهم.

وحسناً ما فعلته مؤسسة الصندوق الخيري للطلاب المتفوقين عندما اختارته



من بين عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين الذين تقدموا لنيل جائزة الشيخ سالم سعيد باحمدان لخدمة رواد المجتمع لعام ٢٠١٢م في مجال الصحافة والذي حازها دون منافس لما يمتلكه من رصيد كبير في المجال الصحافي وفوق كل ذلك يعد عميد الصحفيين في حضرموت حيث تم إهداؤه درعاً تذكارياً مع جائزة مالية كأفضل صحفي نال هذه الجائزة قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ليشهد أن هناك من يذكره ويكرّمه وهو على قيد الحياة.

والحديث عن هامة صحافية وأدبية مثل الأستاذ القدير أحمد عوض باوزير(الله



يرحمه) تحتاج إلى الكثير من التأمل والاهتمام ، بل نفتح صفحات من عصر مشرق للاستفادة والتمعن في نضال الرجال بالكلمة الصادقة والمعبرة عبر مشاعل التنوير لإيصال رسالة صادقة بارزة المعاني والدلالات لمجتمع أحوج ما يكون لنهضة فكرية تشمل جميع مناحي الحياة.

إن وفاة هذه القامة الإبداعية الوطنية خسارة كبيرة على المجتمع الحضرمي واليمني عامة والصحافة بشكل خاص بوصفه علماً بارزاً ورمزاً أصيلاً قضى أكثر من نصف قرن متربعاً على عرش صاحبة الجلالة التي أعطاها من حياته الكثير ، فكان خير من جسد الالتزام بصدق الحرف وقدسية الكلمة الشريفة النزيهة والملتزمة.

لقد كان المرحوم أحمد عوض باوزير مدرسة صحفية متميزة ومتفردة بحد ذاتها في الأداء والعطاء بل وقمة سامقة وشمساً مشرقة في بلاط صاحبة الجلالة.

انتقل رحمه الله فجر الأربعاء الرابع عشر من محرم ١٤٣٤هـ الموافق الثامن والعشرون من نوفمبر ٢٠١٢م في العاصمة الأردنية (عمّان) ،ووري جثمانه الطاهر الثرى عصر السبت السابع عشر من محرم ١٤٣٤هـ الموافق الأول من ديسمبر ٢٠١٢م بمقبرة الشيخ يعقوب بعد الصلاة على روحه الطاهر بجامع الروضة بالمكلا والذي شهد تشييعه الآلاف من محبيه وتلاميذه وأقاربه والسلطة المحلية بالمحافظة .

أ. د. حسن باصرة وبعض جهوده في خدمة علم الفلك الحضرمي



اعتنى الحضارم كغيرهم من العرب بـــعلوم كثيرة منها علم الفلك، فبرز منهم علماء أفاضل درسوا هذا العلم ودرَّسوه إلى تلاميذهم وألفوا فيه الكتب القيِّمة التي عُدَّت مصادر مهمّة في هذا الباب، من أشهر هؤلاء الأعلام الإمام عبدالله بن عمر بامخرمة (ت: ٩٧٢هـ)، والعلامة عبدالله بن محمد باقشير (ت: ٩٥٨هـ)، والعلامة عثمان بن أبي بكر العمودي (ت بعد: ١٠٤٧هـ)، والعلامة عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل (ت: ٩١٨هـ)، والعلامة عبدالله بن صالح الحبشي (ت: ١٣٨٥هـ) صاحب كتاب نبراس الجذوة المضيئة، والعلامة عثمان بن عبدالله بن يحيى العلوي صاحب كتاب إيقاظ النيام في ما يتعلق بالأهلة والصيام، والعلامة محمد بن هاشم بن طاهر العلوي له كتاب الخريت على منظومة اليواقيت من فن المواقيت للعلامة محمد بن أحمد الشاطري وغيرهم.



عادل حاج باعكيم

نَصْبُ الشرك لاقتناص ما تشتَّد إليه الحاجة من علم الفلك للعلامة الفلكي عثمان العمودي - المتقدم الذكر - هو الكتاب الذي جعله أستاذنا أ.د حسن محمد باصرة (ت: ١٤٣٨هـ) باباً له للولوج في المؤلفات الفلكية الحضرمية وخدمتها (شرح - تحقيق) وهو يعد من أهم المؤلفات التي خُصِّصَت للفلك من العلماء الحضارم فقد استفاد صاحبه من مؤلفات الأوائل كبامخرمة وباقشير وبلحاج بافضل، قال أ.د باصرة في مقدمته لشرح وتحقيق كتاب نصب الشرك: "ثم تمَّ إضافة ثلاثة مخطوطات فلكية صغيرة الحجم اعتمد عليها المخطوط الرئيس (نصب الشرك) في هذا الشرح وهي كذلك اعتمدت على بعضها البعض في المعلومات بحيث غطَّت فترة زمنية تقارب القرن من الزمان".

بتاريخ ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م صدر عن دار الفتح للدراسات والنشر كتاب نصب الشرك الذي ألفه العلامة العمودي سنة ١٠٤٧هـ، بالإضافة إلى ثلاث رسائل هي نبذة لطيفة من علم النجوم والمواقيت للعلامة عبدالله بامخرمة، ورسالة العلامة عبدالله باقشير الفلكية التي احتوت على فائدتين، ورسالة العلامة عبدالله بلحاج بافضل الفلكية، ثم أضيف لهذا المجموع بعض الملاحق والجداول من وضع الشارح والمحقق أ.د حسن باصرة الذي قال في المقدمة: "فتم إضافة بعض الإيضاحات في الأماكن التي تحتاج لذلك، وشرح ما يتطلب شرحه، وإضافة عدد من الجداول والصور والأشكال، وكذلك بعض الملاحق لإتمام معرفة لبعض الفوائد الواردة".

اعتمد أ.د باصرة في تحقيقه لكتاب نصب الشرك على ثلاث نسخ خطيَّة وصفها بقوله: "ولقد حصلت على نسخة هذا المخطوط عام ١٣٩٨هـ وصورتين لنسختين: الأولى: من مكتبة العلامة السيد أحمد مشهور الحداد (ت: ١٤١٦هـ). وصورة النسخة الثانية: من مكتبة العلامة السيد هادي بن حسن السقاف (ت: ١٣٢٩هـ) وتُعد هذه النسخة أكثر النسخ ترتيباً. أما النسخة الثالثة: التي لديَّ فيبدو أنها كتبت بعد النسختين السابقتين وقد كانت مختصرة جداً واحتوت على عدد من الحواشي والملحقات التي بلغت أضعاف حجم المخطوط نفسه".

هذا التحقيق يعدُّ تحقيقاً جيداً فقد اعتنى صاحبه بكل دقائق المخطوط مما جعله يتعدَّى مرحلة التحقيق في بعض جزئيات الكتاب إلى مرحلة الشرح لأنه توسَّع في تفصيل وشرح بعض المسائل، إلا أنَّ عليه

مؤاخذة وهي أنه حذف فائدة من فوائد الكتاب وهي "عن معرفة برج الإنسان وطبائع البروج", تقع هذه الفائدة الطويلة المكونة من ثلاث صفحات - في المخطوط الذي بحوزتنا - قبل الفصل الرابع الذي في معرفة الزيادة الكبرى والصغرى, وهذا التصرُّف (الحذف) لا يجوز في عالم وقوانين تحقيق المخطوطات, إلا أن السبب الذي أخبرني به أستاذنا أ.د باصرة - رحمه الله - يسقط عن كاهله شيئاً من ذلك الوزر, قال لي عندما سألته عن سبب حذفه لتلك الفائدة :" لكي أستطيع نشره" .

أما الفائدة التي حذفها المحقق فهي قول المؤلف العلامة عثمان العمودي - رحمه الله -: فائدة : إذا أردت معرفة برج إنسان فاعرف عدد حروف اسمه واسم أمه بالجمل واعتبر الحرف المشدَّد بحرفين فما حصل فأسقطه اثني عشر فما بقي فابتدئ به من أول البروج وهو الحمل وحيث انتهى عدد الباقي إلى برج فهو له فإن بقي واحد فبرجه الحمل واثنان فالثور أو ثلاثة فالجوزاء وهكذا وإن لم يبق شيء فبرجه الحوت, وأما طبائعها فأربع ناري وترابي ورياحي ومائي فالحمل ناري والثور والميزان رياحي والعقرب مائي والقوس ناري والجدي ترابي والدلو رياحي والحوت مائي ....إلخ . ومن جهوده في خدمة علم الفلك الحضرمي أيضاً - كما تقدَّم - تحقيقه كتاب " نبذة لطيفة من علم النجوم والمواقيت " للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة - كما ذكر سابقاً - والتي سُمِّيت في المخطوط الذي بحوزتنا باسم " نبذة في علم الفلك ", اشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول وبعض التتمات والفوائد وقاعدة - في آخره - في معرفة القبلة . قال أ.د باصرة :" وقد تم نقل نصوص هذا المخطوط (النبذة) من نسخة كتبت سنة ١٢٩٠هـ بقلم الشيخ أبي بكر ابن محمد بن عبود باذيب (ت: ١٣١٢هـ), وهي واضحة الخط قليلة الأخطاء مما أغنى عن الاستعانة بغيرها للمقارنة " .

مما لفت نظري في تحقيقه هذا دقَّة تعليقاته على النقاط المبهمة في الكتاب, من أمثلة تلك التعليقات, قال العلامة بامخرمة ناقداً لبعض من سبقه من الفلكيين :" ثم ترتب على قاعدتهم هذه أن الصغرى قدمان وسدس وذلك غاية الزلل فرتبوا خطأ على خطأ " فقال أ.د باصرة في تعليقه الذي يوضح فيه بدقة وتوسع ذلك الموضع المشكل من المخطوط :" يقصد أن الزيادة الصغرى ليست قدمان وسدس, بل قدم إلا ثلث عشر, وهذا الخطأ ترتب على خطأ سابق, وهو اعتماد أن الزيادة في الظل ثابتة, وبمعدل نصف إصبع يومياً, وهذا خطأ لأن التغير غير خطيّ, انظر ملحق ميل الشمس وتغيره . وقد ورد في كتاب نصب الشرك : أن مدة الزيادة الصغرى اثنان وخمسون يوم ونصف, وضرب هذا الرقم بما تم افتراضه أن الزيادة كل يوم نصف إصبع, تحصل القيمة الخاطئة, وهي القدمان والسدس (مع ملاحظة أن القدم اثنا عشر إصبع)" .

ومن جهوده أيضاً تحقيقه رسالتي العلامتين باقشير وبافضل الفلكيتين, قال عنهما في مقدمة التحقيق :" وتم الاعتماد في نسخ هذين المخطوطين على نسختين كتبت إحداهما سنة ١١٦٦هـ والأخرى في القرن الرابع عشر الهجري ", وعمله في هاتين الرسالتين جيد مثل الذي سبق, لكن عليه مؤاخذة هنا أيضاً - رحمه الله تعالى - وهي أنَّه حذف بعض فصول وفوائد الرسالتين بحجَّة أن العلامة العمودي قد نقل هذه الفصول والفوائد في كتابه نصب الشرك ولا داعي من اعادتها في نفس المجموع - على حدِّ قوله -, مثلاً لفعله هذا : يذكر عنوان الفصل كقول :" فصل الزيادة الكبرى والصغرى", ثم يعمل هامشاً يكتب فيه مثلاً :" انظر الفصل السادس من كتاب نصب الشرك أو انظر فائدة (٣) من كتاب نصب الشرك " ثم ينتقل للفصل الذي يليه مباشرة . يقول أهل الفن في هذا الشأن : أن التصرُّف بالحذف أو التَّغيير في متن المخطوط يعد من العيوب الكبيرة في التحقيق ولا يحق للمحقق أن يحذف لأن عمله غالباً في الهامش ولا يحق له العبث في المتن .



ومن جهود أ.د حسن باصرة في خدمة علم الفلك الحضرمي أيضاً شرحه لمنظومة اليواقيت من فن المواقيت للعلامة محمد ابن أحمد الشاطري الذي صدر سنة ١٤٢٣هـ عن ندوة الثقافة بدبي بالإمارات, فللأسف فإننا لم نقف عليه مع أهميته الأكيدة . أما المؤلفات الفلكيَّة الأخرى لأستاذنا أ.د باصرة فمنها " ترائي الهلال والتقويم الهجري " الصادر عن دار جياد للنشر والتوزيع سنة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١م, و" الاستدلال بالنجوم " صدر عن مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض سنة ١٤٢٩هـ, و" أجرام مضيئة في سماء الدولة الإسلامية " الصادر عن دار الفتح بعمَّان الأردن سنة ١٤٢٤هـ .

رحم الله هذا الرجل الموسوعة في علم الفلك أ.د حسن محمد باصرة وأسكنه فسيح جناته .. والحمد لله رب العالمين .

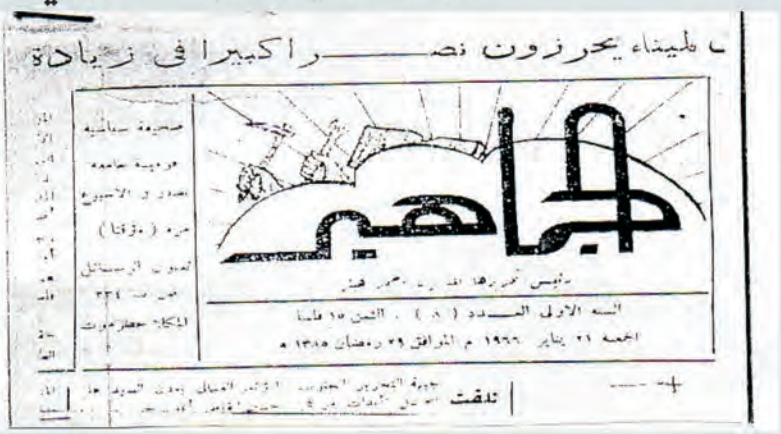
من روّاد الصحافة في حضرموت

الصحافي الرائد / أحمد هيثم صالح الحميري

مؤسس صحيفة "الجماهير" الحضرمية ورئيس تحريرها

صدرت الصحيفة عام ١٩٦٥م في (المكلا)





يعد الفقيد/ أحمد هيثم صالح الحميري/ من رواد الصحافة في حضرموت، إذ أسس صحيفة (الجماهير) في عام ١٩٦٥م، وهي صحيفة سياسية قومية جامعة تصدر في الأسبوع مرة- مؤقتاً- وكان الفقيد يؤمن بسلاح الكلمة، وقد استمرت الصحيفة في الصدور قرابة عامين وأسهمت بدور طيب في تنوير وتثقيف الجماهير. وقد ترأس الفقيد تحرير صحيفته التي صدرت في المكلا عاصمة حضرموت، والفقيد الصحافي والسياسي / أحمد هيثم الحميري أحد أبناء مدينة الديس الشرقية ولادة ونشأة وتعليماً إذ ولد في عام ١٩٤٠م، ونزل به الأمر المحتوم بأمر الحي القيوم مساء يوم السبت الأول من مارس عام ٢٠٠٣م.

انخرط الفقيد في طلائع الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني وكان يسعى لجمع التبرعات لشراء السلاح والعتاد..



الباحث الصحافي والثقافي:
خالد سعيد مدرك

كان الفقيد واحداً من المناضلين الحضارمة الذين اتخذت بحقهم قرارات تعسفية من قبل النظام السابق في الجنوب، الذي حكم خلال الفترة من عام ١٩٦٧م وحتى عام ١٩٩٠م، وعندما علم الفقيد بقرار تصفيته الجسدية قرر الرحيل والذهاب إلى القطر العراقي الشقيق مع أفراد أسرته كافة، وعاش هناك في العراق قرابة ثلاثة أعوام، وكان فيها الفقيد على اتصال دائم بالوطن، وفي عام ١٩٧٥م عاد إلى أرض الوطن.

اعتقل عام ١٩٧٨م في حادثة اغتيال الأستاذ العراقي /توفيق رشدي/ وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ظلماً وعدواناً!!

في عام ١٩٨١م أفرج عنه بعد أن قضى في السجن فترة من الزمن دون أن يكون له ذنباً أو جريمة سوى أنه رجل مخلص أبيّ معارض للنظام السابق في الجنوب، وبعد ذلك قرر الفقيد الميل قليلاً عن الانتماءات السياسية والتفرغ للتجارة الحرة الكريمة..

في تلك الأثناء عرضت على الفقيد بعض الإغراءات من قبيل توليه منصب وزير الثقافة والسياحة مقابل الانتماء إلى الحزب الاشتراكي اليمني الحاكم للجنوب آنذاك إلا أنه اعتذر عن قبول ذلك العرض، مبرراً ذلك بأنه قد عزف عن الحياة السياسية برمتها، وقضاء ما تبقى من عمر للعيش بصفاء ونقاء في رعاية الأبناء والاسرة.

شغف الفقيد أحمد هيثم بحب هذا الوطن منذ حداثة سنه، وقدم من أجل هذا الوطن الكثير من التضحيات وهو صحافي مخضرم ومناضل وطني غيور وبارز، ورجل صادق ومخلص ووفي وكريم، بصماته واضحة في كل ميدان ومكان..

ويقول ابن الفقيد (إيهاب):

(لقد كان حب العروبة يجري في دم الوالد، لذلك كان يؤلمه ويحزنه جداً ما آل إليه حال العرب والمسلمين من ذل وهوان ومآس وضمنها مأساة الشعب العراقي ولا أخفيكم القول إن رؤية والدي لمؤتمر القمة العربي الأخير وهو يؤول إلى الفشل كان سبباً مباشراً وقاطعاً لوفاته، إذ يبدو- والله أعلم- أنه انفعل كثيراً وهو ممنوع من الانفعال، إذ إنه يعاني من مرض في عضلة القلب، ولكن كيف يبتعد عن ذلك وهو مسكون بحب العروبة.

المصادر والمراجع:

١- صحيفة شبام- العدد (٢١٥) الصادر في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م (صفحة أعلام واتصال ص٩) يحرر الصفحة ويشرف عليها الأستاذ /خالد سعيد مدرك.

٢- لقاء أجراه الكاتب مع نجل الفقيد إيهاب أحمد هيثم الحميري.

55
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

السلطان غالب بن عوض بن صالح القعيطي يستعيد ذكرياته ويكشف حقائق لأول مرة

٢ - ٢



عندما شرعنا في إعداد وصف وتنسيق العدد الأول من مجلة (حضرموت الثقافية) وقفنا كثيراً عند صفحات المجلة المخصصة للحوار، وطافت بنا الذاكرة في داخل الوطن الحضرمي ومهجره بحثاً عن حوار يسهم في تنشيط الذاكرة الحضرمية وتاريخها الحديث والمعاصر، فكان السلطان غالب بن عوض بن صالح القعيطي هو غايتنا المنشودة بما يمثله وأسرته من تاريخ حضرمي يمتد إلى بدايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، إضافة إلى حضوره الكبير في مشهد التغيرات الحاسمة في حياة حضرموت وما يحمله من موافق وذكريات وأسرار ظلت حبيسة جدران ذاكرته المتقدة لأكثر من نصف قرن، فالسلطان غالب الثاني الذي غادر (المكلا) عاصمة السلطنة القعيطية في السابع عشر من سبتمبر من العام ١٩٦٧م، ظل مثقلاً - حتى اللحظة - بكثير من المشاهد وأكثر منها تبدلات اللحظات الأخيرة للسلطنة القعيطية، ولم يقف بعد المسافة حاجزاً دون محاولة اللقاء به على صفحات المجلة، وقد كان لنا ما أردناه من خلال المتابعة الحثيثة من قبل الشيخ الفاضل محمد بن سالم بن علي جابر المشرف العام على المركز الذي ظل يتابع حيثيات هذا الحوار الذي أعددنا أسئلته لتتوج جهوده بهذا الحديث الطويل من قبل السلطان غالب بن عوض، ونظراً لطول الحوار وما يحمله من أسرار حياتية وإنسانية وسياسية تنشر لأول فقد آثرنا أن ننشره على جزأين نضعها بين يدي القارئ الكريم عبر صفحات مجلة (حضرموت الثقافية) لعلنا نضع أكثر من نقطة على حروفها الحضرمية المبعثرة منذ زمن بعيد على رقعة التاريخ الحضرمي المجيد.

حوار : صالح حسين الفردي

• في السنوات الأخيرة من حياة والدكم السلطان عوض بن صالح، أتيحت لكم فرصة الحركة لمتابعة يوميات الحكم ودهاليز السياسة، فهل لكم أولاً: أن تحدثونا عن اللحظات الأخيرة من حياة والدكم، يرحمه الله، وكيف استطعتم برغم صغر السن تجاوز تلك المحنة العصيبة؟.

- الوالد رحمه الله - بفضل بُعد رؤيته - كان قد عودني، بل كان يرغمني (مع أخي عمر) منذ صغرنا على كسب الخبرة وممارسة اتخاذ القرار، وفقاً لما كان قد حاول جدي أن يفعل معه، فكان يحوّل لي جميع الملفات التي تأتي إليه للدراسة وإبداء الرأي أو الموافقة على محتوياتها للتمعن فيها، بل كان يسمح لي في الأمور الروتينية أن أوقع عليها أيضاً نيابة عنه، فكانت تعرض علي هذه الملفات في حضور ممن لديهم الخبرة المناسبة في القصر للقيام بشرح واف لي عن محتويات كل ملف من القضايا، وما خلفها والمطلوب النظر والبث فيه، مع ترك حق القرار لي، وطبعاً، كان هذا كما يتوقع باستثناء القضايا التي تتعلق بمسائل فيها حقوق وقضايا جنائية كبرى مثل قضايا متعلقة بالقتل وأمور مهمة أخرى.

وكانت من عادته اليومية - رحمه الله - أن يأمرنا كل صباح، بعد السلام عليه وشرب فنجان الشاي معه، بالتوجه إلى إحدى الإدارات الحكومية أو وحدة من القوات المسلحة للقيام بزيارة مفاجئة تفقدية لها. وهذه كانت عادته اليومية دون استثناء. ولقد أتت فترة لمّا كنا (أنا مع أخي عمر) نملّ من هذه الزيارات ونختبئ؛ إلا أننا سرعان ما اكتشفنا بأنه كان يعلم عندما نفعل ذلك، لأنه كان يرسل أناساً وراءنا للاستفسار من الجهة المعنية، فيما إذا نحن كنا زرناها أولا. وكان يغضب من تصرفنا هذا إذا اكتشف أي تقصير في تنفيذ توجيهاته. وكان أيضاً من عادته - رحمه الله - أنه كان يكلفنا دون استثناء بمشاركته بالحضور في جميع استقبالاته للزوار، الرسمية منها وغير الرسمية، سواء في الصباح أم العصر أم المساء، ولكن دون أن نتحدث، كما في زياراته وأنشطته الأخرى.

ولقد سبق وذكرت أن سبب انقطاع مشوار تعليمي الرسمي في بريطانيا، هو ظروف الوالد الصحية، الذي كان يعاني من داء السكر إلى مستوى خطير، كما كان يتعاطى أدوية الطب العربي بالأعشاب والعلاج بالقرآن. وبعد طلب عودتي من بريطانيا في صيف ١٩٦٦م، كان أصدر بياناً رسمياً بتقليدي جانباً كبيراً من مسئولياته، مقرراً أن ينخرط أخي عمر في السلك العسكري تحت رعاية اللواء صالح بن سميدع وأن يداوم في مكتبه، علماً بأنه بعد عودته من بريطانيا قبلي بسنة كان قد التحق بمدرسة تحسين الوحدات وابتعث بعد ذلك للأردن للالتحاق بمدرسة المرشحين للمشاة في الزرقاء والتي تخرج فيها بعد وفاة الوالد.



موكب جنازة السلطان عوض بن صالح القعيطي في الطريق إلى مقبرة يعقوب. ويبدو الأول من الخلف في زي أسود السلطان غالب بن عوض القعيطي وخلفه أخوه الأمير عمر والوزير السيد أحمد العطاس وآخرون

ولقد حصل في سبتمبر ١٩٦٦م أن قرر والدي إرسالي إلى الهند لوضع اللمسات الختامية لشئون مسائل ما تبقى من الممتلكات الأسرية الوهمية التي لم تكن تحت سيطرتنا، وعلى مسألة الضرائب المطلوبة عليها. فكان حادث رمي القنبلة من قبل أعضاء حزب الرابطة على الطلبة المتظاهرين التي قتل فيها خالد، أحد أولاد الصيدلي أحمد بن هامل، المقرب لوالدي، كانت جعلته يضطرب غاية، وأنا في عدن وفي طريقي إلى حيدرآباد. فعندما استفسرت إذا كان هناك لزوم لعودتي، كان الرد من الوزير السيد أحمد العطاس بالنفي. وعند ذلك، كنت واصلت رحلتي إلا أنه لدى وصولي إلى حيدرآباد، سرعان ما أتت برقيات متناقضة أولها تطلب مني العودة فوراً، ولحقتها برقية بأن صحته في تحسن، ثم ثالثة تطلب مني العودة. فكنت عدت لأجده في حالة اضطراب غير اعتيادي وغير قادر على النطق. وفي تلك الحالة لما رآني لدى عودتي، تفاجأت عندما حاولت أقبّل يده أنه مسك وسحب يدي بقوة غير اعتيادية تجاهه بحيث لم أستطع أن أسحبها، وقبلها تعبيراً عن شدة محبته لي، وكأنه يقصد بها طلب المسامحة على أية تصرف غيرمقصود، وعن قلقه على الفراق المتوقع، قائلاً: في حفظ الله ورعايته" قبل أن يسقط رأسه مرة أخرى على المخدة ويعود إلى حالته القلقة السابقة.

وبعدها بعدة أيام توفي في ليلة العاشر من شهر أكتوبر ١٩٦٦م، وعندما طلب مني أن أحضر إليه دون إفادتي بما حدث، كنت وجدت هناك اللواء صالح بن سميدع والمساعد العسكري البريطاني للمستشار المقيم الكولونيل هيلمان وبعض الحضور من الصيادلة بما فيهم ممرضة بريطانية، الذين قابلوني بنظرات ملؤها العطف حين قام بمصافحتي حارة غير اعتيادية ولم أعلم لماذا إلا بعد دخول الغرفة التي كان يتمدد فيها الوالد طيب الله ثراه وكانت هاتان اللحظتان (اللقاء والوداع) من أصعب اللحظات غير المتوقعة في حياتي.

• نعلم أن فترة تقلدكم الحكم في السلطنة القعيطية لم تستمر طويلاً. اليوم وبعد هذا العمر المديد إن شاء الله، هل لكم أن تستعيدوا أهم المحطات في سنة حكمكم وخلاصة التجربة التي عشتموها في سدة الحكم للسلطنة؟.



السلطان غالب بن عوض القعيطي
في زي عسكري صيفي في أواخر عام ١٩٦٦م

- أولاً، أريد أن اكشف لأول مرة بأنني أحسست بشيء من القلق والاضطراب لدى عودتي من دراستي،التي كانت فور الانتهاء من الاختبارات وقبل نهاية الفصل الدراسي الرسمي بطلب من المدرسة من قبل الحكومة البريطانية تنفيذا لرغبة وزير السلطنة القعيطية الذي كان في حاجة لمن يشاركه في القرار، وحين عدت بدأت أشعر بأنه كانت لدى بريطانيا خطة لتنصيبي سلطاناً محل والدي - طيب الله ثراه - في حياته واستخدام هذه "الحسنة" تجاهي كوسيلة للضغط علي بالانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي، ولكن لم يساعدهم القدر في محاولة تنفيذ هذا المشروع بسبب الأحداث التي سبقت الإشارة إليها، وأهمها وفاة والدي المفاجئة، علماً بأنه لم يكن كبيراً في السن، حيث لم يتجاوز ثلاثة وخمسين سنة شمسية (وكان رحمه الله من مواليد ١٩١٣م)، وعمري آنذاك ثمانية عشر عاماً.وبما أن وزير السلطنة، السيد أحمد العطاس، كان سبق وطمس على مؤسسة مجلس الدولة، التي كانت تعد كمجلس تشريعي للبلاد برئاسة السلطان وعضوية الوزير بمعية شخصيات ممثلة لألوية السلطنة الستة وبعض الأعيان مع المستشار المقيم البريطاني، وذلك بالادعاء بأنه على وشك تأسيس مجلس تشريعي منتخب على أسس حديثة، وهو مشروع يتمتع بتأييد والدي - رحمه الله - الذي كان يشتهر في يومه بالقول: "إن الذي يريده الشعب، أنا أريده"، وبما أن السيد أحمد العطاس لم يوفق في إنجاز هذا المشروع الذي خضع للمطاولة بسبب معارضات بين أعضاء اللجنة من الذين كانت تطلق عليهم صفة "المثقفين" وعلى رأس هؤلاء الذين يمارسون "الاعتراضات" مدير المعارف محمد عبدالقادر بافقيه، وهو من الذين يتميزون بالسلبية، ويدمر كل وفاق إجماعي على أي بند، كان يقول: إنه يريد يسجل اعتراضه عليه دون اقتراح البديل، وهذا كما ذكره لي السيد أحمد العطاس بنفسه. ومن جانب آخر، لم تكن لدى المذكور التالي أيضاً الجرأة أو قوة الشخصية والإرادة ليهمله ويدع الأغلبية تستمر في مشوارها وتصل إلى نتيجة. كما أن هناك الإمكانية أيضاً بأنه كان يريد هذه المطاولة لكي يستمر في ممارسة الحكم الفردي باسم السلطان دون منازع! على كلٍّ، الذي حصل أنه استمرت جلسات هذه اللجنة إلى زمن طويل دون نتيجة. وفي ذات الحين، هذا مكّن الوزير المذكور من الانفراد بالحكم التشريعي والتنفيذي خالصاً له، بينما الجميع في انتظار هذا المجلس بعد إتمام وضع دستور له. وللعلم بأنه كان قد سبق وتم وضع مسودة دستور حديث معقول للدولة تحت إشراف مجلس الدولة بنفسه، إلا أنه لم يتم تبنيه بسبب اعتراض نائب وزير السلطنة محمد عبدالقادر بامطرف، وهو عضو أساسي في اللجنة التي قامت بإعداده، وكان ذلك على ما أتذكر على بند فيما يجب خضوع القوات المسلحة لأوامر السلطان بصفته القائد الأعلى لها أو المجلس المزمع. وبينما كان يرغب أعضاء مجلس الدولة جميعاً أن يكون السلطان هو القائد الأعلى للقوات، إلا أن بامطرف كان يتبنى الخيار الآخر- وكان بامطرف - الذي درس في مدرسة تبشيرية في عدن ويجيد اللغة الإنجليزية نسبياً قد أحضر من

قبل المستشار انجرامس إلى المكلا ليكون في طاقم المترجمين له، وكسب غضب جدي السلطان صالح - رحمه الله - لعدد من مواقفه ضد مصالح السلطنة. إلا أنه بما كان يتمتع به من كفاءة، نال ثقة وتأييد المستشارية البريطانية التي كانت فرضته على الدولة، وتم قبوله نائباً للوزير، وقبله كانت قد فرضت الشيخ القدال أيضاً وزيراً للدولة، ومن بعده جهان خان (بحكم مدة زمنه في خدمة الدولة ومهاراته في الشؤون المالية). وكان بامطرف المرشح الأول للوزارة بعد جهان خان، إلا أنه كان يكره تحمّل المسئولية واتخاذ القرار، فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة، وعندئذ تم تعيين السيد أحمد العطاس في محله كـ"وزير وطني". ولدى تعيينه وخوفاً منه كان السيد أحمد العطاس يدير شؤون الدولة بمشورة بامطرف على مستوى شخصي في كل الأمور في البداية، ولأنه كان يحتمي من نقده في وسائل الإعلام، التي كان متفرغاً لها بعد تقاعده، وهو يمثل الذين يحبذون ويجيدون الرمي من فوق أكتاف آخرين. وعندما اكتشف العطاس أنه لم يتردد قط في انتقاد قراراته في وسائل الإعلام فور تنفيذها وذلك بعد مباركته لها في استعراضاتهما الشخصية، فأصبح يقاطعه، علماً بأن العامل الأساسي في ذهاب الوزير إليه لأخذ موافقته المسبقة، كان خوفه من قلمه ومن هذه الصفة التي كان يعلم أنها فيه. علماً بأنه كانت هذه الزيارات المكررة من قبل تولي السلطنة السيد أحمد لمنزل بامطرف في الظاهر للعلب الورق ، وعندما استلمت مقاليد الحكم، جعلت مهمتي الأولى تنفيذ هذا المشروع الذي هو تأسيس مجلس بشكل عملي ليساعدني في اتخاذ القرارات المصيرية، وأهمها شكل الحكم المستقبلي للبلاد بسبب الاستقلال الوارد، حيث إن بريطانيا كانت قد أعلنت منح المنطقة استقلالها في وقت قريب (أوائل ١٩٦٨م) دون تحديد تاريخ بدقة. وأهم القرارات التي كان يجب اتخاذها من قبلي آنذاك هي حول موضوع دخول حضرموت في الاتحاد وفقاً للطلبات والضغوط البريطانية علماً بأن الدولة القعيطية كانت قد التزمت في الحين نفسه بالإيفاء بشروط مقررات هيئة الأمم، التي كانت تنص على منح الشعب حق إبداء الرأي في تقرير شكل مصيره المستقبلي. ولو أنني كنت تاركاً الخيار النهائي للإجابة عن هذا الطلب البريطاني للشعب، فإنني كنت أميل إلى أن تكون حضرموت دولة مستقلة، وإن طلبت الظروف الانضمام إلى طرف سياسي ما. وكنت أرى المعقول والمفضل في تلك الحالة أن يتم انضمامنا إلى دولة بإمكانها تلبية حاجتنا للمال الوافي لتحقيق النمو والرقي والرفاهية المأمولة مع الاستقرار . ومع ذلك كنت أرى أن على الشعب اختيار ما يريده، كما عليه فيما بعد تحمل مسئولية قراره وما قد يترتب عليها من نتائج.



السلطان غالب في صالة العرش بغرفة العرش مستقبلاً القادمين بتهنئته من الأعيان البريطانيين والحضارمة



في مصلحة جمارك المكلا: السلطان غالب وعلى يساره وزيره السيد أحمد العطاس وعلى يمينه النائب السابق أحمد باصره، ومن أبرز من يبدون خلفه اللواء صالح يسلم بن سميدع

ولقد حاولت بكل وسيلة معلومة لدي إقناع الحكومة البريطانية عند ممارسة ضغوطها علي بالانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي، وبما أن الشعب الحضرمي هو شعب واحد، وإن كان مقسوماً في شكل دولتين، فعليه أو على الدولتين أن تتحدا قبل الخوض في الانضمام إلى أي كيان أكبر. وفي هذا المضمار كنت أشير دائماً في مناقشاتي مع المسئولين البريطانيين إلى سابقة المعاهدة القعيطية / الكثيرية التي كانت عقدت في ١٩١٨م بعلم بريطانيا، كأول دليل ومؤشر وسابقة لجدوى مشروع الوحدة الحضرمية، علماً بأن بندها الأول يذكر أنه: "يرتضي السلطان القعيطي وسلاطين آل عبدالله آل كثير أن يكون إقليم حضرموت إقليماً واحداً، وإن الإقليم المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا" وفور إتمام هذه الاتفاقية، كان عرض السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول على السلطان الكثيري المنصور بن غالب أن يحكم في شبام. وبالمقابل كان قد عرض السلطان الكثيري على السلطان القعيطي أن يحكم في سيئون. وهذه الرواية سمعتها من السلطان عبدالمجيد بن علي الكثيري. وعلى سبيل المثال، فأتذكر بأنني عند عودتي من الدراسة في بريطانيا وقبل وفاة الوالد رحمه الله ذكرت ذلك للمندوب السامي السير ريتشارد تيرنبول، الذي لم يكن على معرفة بهذه الاتفاقية. فوعدني خلال ذلك اللقاء بشيء من التحمس بأنه سوف يطلع على خلفية ما أشرت إليه ويعود لي بالإجابة إلا أنه لسوء الحظ مرت الأيام ولم يأتني بشيء. فاستفسرت منه في لقاء آخر به بعد فترة حول رأيه عن مقترحي حيث إنني كنت في سباق مع الزمن إلا أنني وجدته - لتعجبي- قد تغير تغييراً كاملاً تجاه فكرتي هذه وأصبح معارضاً لها وبشدة، ذاكراً بشيء من الاستهزاء أنه "من السهل

ومصدراً للسعادة بلع الآخرين"، ولعل ذلك إشارة إلى الفارق بين حجم الدولتين، وكأنه لم يدر بعد أن الشعب الحضرمي شعب واحد، وإن كان يحكم من قبل سلطانين، وبأن كل المحاولات السابقة كانت في سبيل تحقيق الوحدة الحضرمية، وعلى سبيل المثال في عهد الوالد رحمه الله، كان عرض على السلطان الكثيري المساواة الكاملة بالسلطان القعيطي في المقام والمنزلة وجميع الامتيازات وأن تكون رئاسة الدولة الموحدة بالتناوب، وذلك على ما أتذكره لمدة سنتين، وحتى أن تكون العاصمة متنقلة لفترات محددة بين المكلا وسيئون! وكان أمامنا كما ذكرت مراراً خلال تلك الفترة في وسائل الإعلام لسوء الحظ، كان دائماً يتم تحريفه بسوء نية من قبل أو تحت ضغط جهات مغرضة قوية الإمكانيات وتتلخص في أن أمام الشعب الحضرمي عدة خيارات حول مستقبله، إما البقاء كدولة مستقلة بعد تأسيس الوحدة الحضرمية، ينضم إليها السلطان المهري إذا أراد، وذلك تحقيقاً في نظري لمشروع "حضرموت الكبرى"، أو الدخول في اتحاد الجنوب العربي، الذي كان في غاية الاضطراب من النواحي الأمنية مع مستقبل اقتصادي وأمني مظلم أمامه بعد رحيل بريطانيا وقطع مساعداتها الباهظة. فمثلاً كان دخل عدن في ذروة نشاطها الاقتصادي ما لا يتجاوز ٤ ملايين جنيه إسترليني، والذي هبط في السنة الأخيرة إلى أقل من مليون، وكانت الحكومة البريطانية تدعم ميزانية دولة الاتحاد بما يقارب ٢٣ مليون جنيه في الآونة الأخيرة، و١٧ مليون جنيه منها كانت تنفق على القوات والأنشطة الأمنية، فسلم الرواتب للقوات المسلحة في



السلطان غالب يلقي خطبة العرش في الاحتفال الرسمي عصر ١ ديسمبر ١٩٦٦م. ويبدو في الصورة بجانبه اللواء صالح يسلم بن سميدع وعلى يساره من الجلوس الأستاذ سالم نيقه (وزير الأسماك في حكومة الاتحاد الفيدرالي). أما حامل المايكروفون فهو أحمد ناصر الحماطي (مندوب إذاعة عدن الذي وصفه ضابط الاستخبارات البريطانية ليدجر بانه كان من الفدائيين وينسب إليه قتل الضابط السياسي الشاب الإنجليزي ديريك روز غدراً.

لتغطية هذا العجز الكبير لمدة سنتين فقط مقابل اتفاقية دفاع تسمح باستمرارية الوجود البريطاني في بر ومياه الدولة المستقبلية، إلا أنه عندما استلم حزب العمال الحكم مع فوزه في الانتخابات وصادفت تلك الفترة سوء الأحوال الاقتصادية في بريطانيا قلص حزب العمال مدة هذا العرض من سنتين إلى ستة أشهر فقط.

حكومة الاتحاد على سبيل المثال؛ كان أعلى من أية دولة شرق أوسطية، ماعدا الكويت الغنية بالنفط. وهذا في وقت لم يكن لعدن والجنوب مصدراً مماثلاً لتغطية هذا الإنفاق الضخم سوى موقع عدن والمنطقة الساحلية الاستراتيجي. ثم إن نتائج حرب حزيران ١٩٦٧م بين إسرائيل والعرب وإغلاق قناة السويس كانت قد شكلت ضربة قاضية على حيوية نشاط اقتصاد عدن المعتمد في أساسه على الملاحة البحرية والسفن المارة عبرها إلى قناة السويس في طريقها إلى أوروبا. وهذا مما كان قد أضاف بدور بارز إلى إساءة إمكانات مستقبل اتحاد الجنوب العربي الاقتصادي. ويجب أن يعلم هنا أيضاً بأنه خلال فترة حكم حزب المحافظين وعدت الحكومة البريطانية حكومة الاتحاد في الأول تقديم بعض المساعدات (التي لم تكن كافية قط)



موكب السلطان غالب لدى عودته من الحفلة في مصلحة الجمارك

كما يجب علينا ألا ننسى أن دولة اتحاد الجنوب العربي كانت تتكون مما يقارب (١٩) دويلة قبلية ليس لديها دراية عميقة بمفاهيم دستورية حديثة مثل(الكونفدرالية) و (الفيدرالية). وبريطانيا كانت أغرت هذه الدويلات بالمال لتنفيذ رؤيتهاهذه لمستقبل المنطقة. والخيار الآخر أمام الحضارم آنذاك هو الانضمام إلى اليمن الذي لم يكن مجدياً لأنه كان في حالة حرب أهلية دامية ودون نتيجة بين العناصر الشافعية في جنوبه والمدعومين من قبل القوات المصرية، والملكيين المعتنقين المذهب الزيدي والمدعومين من قبل السعودية منذ اندلاع الثورة في سبتمبر ١٩٦٢م والتي كانت بتخطيط ودعم مصري. فكان الملكيون يسيطرون على النصف الشمالي من البلاد بينما النصف الجنوبي كان تحت سيطرة الجمهوريين المدعومين بقوة الجيش المصري.

وثورة اليمن تعد الحلقة الأولى في سلسلة الخطة المرسومة من قبل مصر للاستيلاء على الجزيرة العربية بكاملها للاستفادة من مصادر الطاقة التي فيها وهي الخطة التي كان يرمز بـ (صلاح الدين).

وكان الإعلام المصري حينها يروج بكل وضوح ودون مواربة بأن نفط الخليج هو نفط العرب قاطبة.

أما الخياران الآخران أمام الحضارم فكانا الوحدة مع سلطنة عمان أو المملكة العربية السعودية الغنية بالنفط، وفيها سكان حضارم مهاجرون عاملون يوازي عددهم آنذاك سكان حضرموت بالتقريب، علماً بأن المملكة العربية السعودية كانت قد حلت كمهجر رئيسي للحضارم بعد استقلال إندونيسيا والهند (وخصوصاً حيدرآباد في ١٩٤٨م) اللتين كان الحضارم يهاجرون منهما إليها.

الوكيل قائد فرج عبدالحبيب الجهوري يؤدي واجب يمين الولاء للسلطان عن الجيش النظامي في حفلة عصر ديسمبر ١٩٦٦م



ومقارنة بهذه المشاكل المزمعة، كان اقتصاد السلطنة القعيطية لحسن الحظ مداراً بمهارة، وبالذات إلى عهد استلام السيد أحمد العطاس مقاليد الوزارة، وذلك على مبدأ أن يغطي الدخل الصرف مع الاحتفاظ بنسبة منه للاحتياطي.وكان يعود الفضل لذلك بالأول لمساعي حسن الإدارة المالية من قبل الباكستاني جهان خان، الذي كان خبيراً مالياً وحريصاً غاية الحرص على هذا الأمر. والذي كان قد حصل أنه استفاد العطاس خلال فترة إدارته من الاحتياطي الموجود في خزنة الدولة وبدأ يتجاهل هذا المبدأ، وبالذات بعد أن أصبح صاحب القرار الأول في الدولة، مشكلاً بتجاوزاته هذه عجزاً، إنما في حدود معقولة لا تفوق بضعة ملايين شلن، (ثلاثة أو أربعة على ما أتذكر)، وهو مبلغ كان بالإمكان السيطرة عليه.

وبما أن المساعدات البريطانية وإنفاقها في حضرموت كان مليون جنيه إسترليني وكسور، نصف منها يصرف على (الجيش البدوي الحضرمي)، وكانت تمنح السلطنة الكثيرية إلا ثمانين ألف جنيه سنوياً، والدولة القعيطية أربعمائة ألف جنيه وكسور، فكنت أفكر بأنه كان من الأسهل بقاء حضرموت كدولة موحدة مستقلة، بإمكانها الوصول إلى تفهم مع جميع الجيران بما فيها دولة اتحاد إمارات الجنوب العربي إن استمرت في الوجود بعد رحيل بريطانيا، وذلك حول مسائل أمنية ودفاعية وفي صياغة السياسة الخارجية، وأيضاً موضوع التمثيل الخارجي.

وحيث إن أمر المستقبل بعد الاستقلال كان مقيداً بمقررات هيئة الأمم، والتطورات المستقبلية خاضعة لكسب تأييدها لتأمين درب خال من أي مشاكل وعوائق مستقبلية، فكانت فكرتي أن أضمن أن يأتي التأييد لرؤيتي هذه بأسلوب منطقي. وبما أنني كنت على يقين تام بأن حكومة الاتحاد سوف تفشل بعد رحيل بريطانيا، مع توقف دعمها الكبير لمؤسساتها، فكانت جميع محاولاتي تركز على كسب تأييد الجامعة العربية والأمم المتحدة لمشروعي المبني على افتراض فشل الأمم المتحدةفي تنفيذ مقرراتها، وذلك في شكل الاستفسار التالي: ماذا يجب علينا أن نعمل في تلك الحالة لتأمين مصالحنا المستقبلية وما هي السبل المفتوحة أمامنا لتحقيق ذلك الغرض؟.

وفي الوقت نفسه، إنني كنت على يقين أيضاً من عدم تمكن هيئة الأمم تنفيذ مقرراتها خلال تلك الفترة، لأسباب شتى متعددة مع ضيق الوقت الذي كان يواجههم، حيث كانت تنقص



قصر المعين، عصر يوم ١ ديسمبر ١٩٦٦م. السلطان غالب يتفقد حرس الشرف ويبدو في الصورة فرقة من جندية مدرسة المكلا الثانوية

المنطقة بكاملها المؤسسات التي تسهل وتؤيد إجراء تنفيذ هذه القرارات، والوقت أمامنا وأمامها كما ذكرت ضيق ولا يكفي لوضع هذه المؤسسات في محلها لتسهيل تنفيذ هذه المهمة من قبلها، كما لم تكن لدينا الإمكانيات المادية إضافة لعدم وجود هذه المؤسسات كذلك ليس لدى الشعب أدنى خلفية دع عنك خبرة عن ممارسات سياسية كهذه. وكانت هناك عوائق طبيعية أخرى أيضاً لم يكن ممكناً التغلب عليها. وعلى سبيل المثال، فإن أكثر من ٦٠٪ من السكان كانوا قبائل رحل، ونصف السكان نساء في حجاب، إضافة إلى حواجز أخرى مثل المستوى الثقافي العام والتقاليد التليدة التي كانت تقف عائقاً على مشاركة الإناث آنذاك في مسائل سياسية.

وكانت زيارتي (الشخصية) الأولى إلى الخارج خلال تلك الفترة إلى لندن، وهي في الظاهر لاستجابة متطلبات الدورة الجامعية بالمراسلة التي كنت منضم إليها، إنما حقيقة لمقابلة سرية مع جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، طيب الله ثراه، لشرح الوضع في حضرموت والمخاطر المستقبلية كما كنت أراها، لأنني كنت أعتقد أن رؤية المملكة تجاه المنطقة كانت متأثرة إلى درجة كبيرة بآراء أعضاء حزب الرابطة من جانب والحكومة البريطانية ومشروع الاتحاد الفيدرالي من جانب آخر. وإضافة إلى ذلك كانت من أهم مهماتي عبر شرح الوضع تأمين العون المادي البديل عوضاً عن إنفاق بريطانيا في حضرموت. ويجب الذكر هنا بأنه كان للشيخ عبدالله سعيد بقشان دور في ترتيب هذه الزيارة في بادئ الأمر بنقل رسائل شفهية مني لحضرة صاحب الجلالة، الذي كان قد أبدى رغبة في زيارة مني له في المملكة، وكنت أخشى من خطوة مثل هذه الخوف من إثارة غضب الحكومة المصرية التي كانت تمثل المعسكر المضاد للمملكة العربية السعودية، وكانت وسائلها الإعلامية المرؤوسة بإذاعة "صوت العرب" في أوج تأثيرها على المشاعر والفكر العربي، فلم أرغب في وضعي السياسي المتوتر، ومدافع بريطانيا وغيرها من الدول أيضاً موجهة صوبي، أن أصبح هدفاً لهجماتها الإعلامية.

وتجنباً لتهمة الانحياز تجاه معسكر أو آخر- أي مصر أو السعودية - كانت سياستي بالأول أن أضمن طرح جميع المشاكل التي ستواجهها البلاد حاضراً ومستقبلاً أمام الجامعة العربية التي تتمتع بعضوية المعسكرين المشار إليهما - أي المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة (مصر) وحلفائهما على السواء وأن أسال منها المساعدة في شكل مقترحات

وإمكانيات لإيجاد حلول لها، علماً بأنني كنت أعلم جيداً ومقدماً أجوبتها حول استفساراتي. ودون شك إن طلب العون من الجامعة العربية كمنظمة كان سيفسح المجال أمام جميع الأعضاء الذين لديهم رغبة المساعدة لمد يد العون عبرها في المجال الذي بمقدورهم، وهذه الممارسة في نظري كانت ستجنبني تهمة الانتماء إلى أي من المعسكرين، علماً بأن وضعنا آنذاك بصفة عامة كان يمثل القول الشعبي أنه بينما "بطوننا مرتبطة بشق (أي المملكة)، فقلوبنا كانت مرتبطة بشق (آخر)، الذي هو مصر الناصرية، وكان في اعتقادي اليقين أن مصر لن تقدر على تقديم سوى مساعدات ثقافية وصحية مع بعض الخبرات، بينما الدول النفطية آنذاك - المملكة وتليها الكويت- هي التي كان بمقدورها إنقاذنا مالياً. وحصل أنني قد أدليت بتصريح لوكالة أنباء (رويترز) بهذا في مقابلة صحفية أذاعته إذاعة (بي بي سي) العربية أيضاً، وكان هذا قبل زيارتي المشار إليها أعلاه إلى لندن، وقبل زيارتي، الذي حصل أنه حرّف أعضاء حزب الرابطة مضمون هذه المقابلة وقدموه للسلطات السعودية بمفهوم أن "السلطان القيعطي رفض طلب العون من المملكة في تصريحه" وما إلى ذلك، تشويهاً للأجواء. وكان الشيخ عبدالله باشميل - رحمه الله- قد قام بمهاجمتي نيابة عن الرابطيين في جريدة "صوت الجنوب" التي كانت تصدر في جدة تحت إشرافه وتوزع مجاناً. وأتذكر بأنني كنت تفاجأت ذات مرة باستلام نسخة من هذه الجريدة، التي لم أكن أعلم عنها، بالبريد، وهي تأوي هجومه المبني على هذه الإشاعات المحرفة.

فلما وصلت إلى لندن، كانت أولى مقابلتي مع مستشار جلالة الملك فيصل، وسفيره المتجول المرحوم الشيخ كمال أدهم، المسئول آنذاك عن قضية "الجنوب" في فندقي على مقربة من قصر بكنجهام. وقمت بشرح تام عن الوضع ومتطلباتنا مع الفوائد المترتبة عليها للمملكة في المنطقة، إلا أنني وجدته خلاف توقعي مركزاً على نقطتين فقط، وهما: الإفراج عن أعضاء حزب الرابطة الخاضعين للمحاكمة في شأن حادث رمي القنبلة على المتظاهرين في المكلا في أواخر عهد والدي، والذي قتل فيه خالد بن هامل، وكان قد أدى نتيجة لتحريات سلطات الأمن إلى كشف خطط وتآمر هذا الحزب ضد الدولة، وللإخلال بالأمن، وبمحاولات تحريض القبائل ضد الدولة مع الادعاء بأن "يافع حضرموت أجانب". وهذا بالرغم أن يافع موجودون في حضرموت من أيام دولتي سبأ وحمير مثل عدد كبير من القبائل الأخرى، منها الحموم وسيبان ونوح وبعض من قبائل الديّن كما من المهرة، والفرق الوحيد في حالهم أنه كانت ليافع حضرموت صلات مع يافع الجبل لأسباب شتى، وبالذات منذ القرن الثاني عشر للهجرة، وذلك بالتحديد بناء على طلب من أعيان حضرموت لإنقاذ البلاد من الحكم الإمامي. وكان على رأس من استعان بهم لهذا الغرض المناصب آل الشيخ أبوبكر بن سالم وبعض زعماء آل كثير. الذين كانوا يأملون باستعادة مراكز قواهم . وعندما توفق اليافعيون في مهمتهم، كان قد طُلب منهم من قبل أعيان حضرموت البقاء لحماية ديارهم من أي عدوان مستقبلي، كما لحماية الأمن في المدن والقرى. وهذا ما هو مثبوت في التاريخ مهما حاول المغرضون الفاسدون تحريفه، كما توجد هناك قبائل وأسر في يافع من أصول حضرمية مثل "مكتب" الحضرمي، والعمودي، والعبادي (باعباد) وآل الشيخ ابوبكر وغيرهم، وحول أمر سؤال الشيخ كمال أدهم بالإفراج عن الرابطيين الخاضعين للمحاكمة، كانت إجابتي بالاختصار أن محاكمتهم مازالت خاضعة للقضاء، فإضافة إلى جوانبها السياسية، كانت هناك مسألة حقوق جنائية شرعية أيضاً وأقله في الأمر أن السلطان في حضرموت يعد دستورياً، فليس من تقاليده أن يتدخل في أمور كهذه، فطلبه مني صعب علي. ثم أنه من غير المنطق أن أقوم أنا بتأييد حزب معاد لي ولنظام الحكم في سلطنتي



في نهاية حفلة عصر ١ ديسمبر ١٩٦٦م. الوكيل قائد عبدالقادر جمعة خان يقدم هدية تذكارية للسلطان غالب من طرف الفرقة الموسيقية السلطانية. ويبدو جالساً على يسار الصورة الأمير محمد عبدالله العولقي (نجل سلطان العوالق العليا ورئيس دولة اتحاد الجنوب العربي بالتناوب). ويقف خلفه عبدالله عبدالحبيب الفضلي (السكرتير الخاص للسلطان)



قبل نهاية الاحتفال في عصر ١ ديسمبر ١٩٦٦م. السلطان غالب يقص الشريط لتدشين توصيل المياه للمنازل في المكلا عبر الأنابيب. ويبدو بجانبه الوزير السيد أحمد العطاس. وفي يمين الصورة اليافعي مهندس المشروع ومديره من جنوب أفريقيا عبدالرحمن خان.



في ٢ ديسمبر ١٩٦٦م. السلطان غالب يتفقد بارجة حربية بريطانية، ويبدو في الصورة خلفه اللواء صالح يسلم بن سميدع

ويعمل للقضاء على أسرتي، وبأنه إذا المملكة تريد جادة التخفيف من نسبة التوتر السياسي في المنطقة، فعليها التعاون مع دولتي وتقديم الدعم لها بدلاً من حزب سياسي لا يؤمن بالنظام الملكي. غير أن هذه الإجابة لم تنل منه الاهتمام المطلوب.

وكان الاستفسار الآخر من الشيخ كمال أدهم حول بياني المشار إليه والمحرف من قبل بعض الجهات المغرضة التي أشرت إليها، فكان طلب مني المذكور في هذا الأمر إصدار بيان توضيحي آخر حوله عبر إذاعة (بي بي سي). وبما أن زوجة المستشار انجرامس (مستشار جدي)، السيدة دورين، كانت المسئولة عن القسم العربي في إذاعة (بي بي سي) آنذاك، وعلى اتصال بي خلال هذه الزيارة، فقد طلبت منها التدقيق فيما إذا أذيع بيان بهذا الشكل من قسمها، فوعدتني على الفور بالتحقيق في الأمر وعادت إليّ بالإجابة أنه لم يتم إذاعة أي بيان بهذا الشكل من قسمها. فذكرت ذلك للشيخ كمال أدهم، لأجده غير مبال لهذا الموضوع لسبب ما! وهناك انتهى هذا الأمر.

وحول الإفراج عن الرابطيين الخاضعين للمحاكمة ، فلقد بعث لي المذكور قبل زيارته لي في فندقي في لندن سلطان لحج السابق علي عبدالكريم العبدلي ليخاطبني في مسألة الإفراج عنهم ولقد حاول المذكور مناشدتي في هذا الأمر مستخدما الصلات الأسرية المتينة بين أسلافنا فاعتذرت له مستخدما نفس المبررات التي أشرت إليها.

وبينما أنا في انتظار وصول جلالة الملك فيصل يرحمه الله إلى لندن في زيارته الرسمية، كنت أجريت اتصالات بحثاً عن شركات بإمكانها أن تساهم في أعمال تنموية في حضرموت، وعلى رأسها في مجال التنقيب عن النفط. وكان ذلك بشكل رئيسي عبر مختصين قابلوني لدى اطلاعهم عن وجودي في لندن، عارضين علي خدمة البحث عن الشركات المطلوبة.

وفي اليوم المحدد للمقابلة الخاصة مع جلالة الملك فيصل التي كنت أتيت من أجلها، كانت تنتظرني مفاجأة أكبر من الاستفسارين من قبل المستشار المذكور لجلالة الملك فيصل التي تناولتها سلفاً. فلدى وصولي الفندق الذي كان جلالة الملك المغفور له نازلاً فيه في الموعد المحدد، فوجئت لدى دخولي صالة الانتظار بوجود وزيرين لحكومة الاتحاد فيها، وهما وزير الخارجية محمد فريد العولقي، ووزير الإعلام عبدالرحمن جرجرة أيضاً، وذلك إضافة إلى قيادة حزب الرابطة، وأبرزهم محمد علي الجفري، والسلطان علي عبدالكريم العبدلي، وشيخان الحبشي. ولدى الدعوة بالتوجه إلى غرفة استقبال الملك فيصل في الوقت المحدد، ونهوض الحضور ورائي للسير إلى تلك الصالة، اكتشفت بأن المقابلة كانت جماعية وللتشرف بالسلام!، بينما سبقت لإعدادها (أي المقابلة السرية لي مع جلالة الملك فيصل) ترتيبات مفصلة عبر السفارة البريطانية في جدة المتعاملة مع الجهة السعودية الرسمية لهذا الغرض، وهو الشيخ كمال أدهم! وقبل عودتي من لندن إلى حضرموت كانت وجهت لي دعوة لحضور مأدبة رسمية أقامها الملك فيصل تكريما لملكة بريطانيا فاعتذرت حيث كنت على عجل من أمري بسبب حادث اطلاق النار على مقر الاستشارية من الشرج ذكر شهود عيان بأنهم جنود جيش البادية متخفين بزي عادي، فعدت بعدها إلى المكلا، ولدى عودتي اجتمعت بقائد جيش البادية الكولونيل جونسون وطلبت منه إجراء تفتيش عن السلاح في الشرج فوجدته متحمسا في بادئ الأمر وقدم لي اقتراحات مبنية على خبرته العسكرية العميقة بأنه يجب تطويق الشرج قبل وقت الفجر لتمشيطها، إلا وجدته في لقاء تالي بعد أيام غير قابل لتنفيذ الفكرة مبررا عدم عدم جدواها، وتلت هذه الحادثة محاولة لإحراق محطة البنزين خارج سدة المكلا وتفجيرها إلا أن المحاولة لم تنجح بحمد الله ، وقد كنت بعدها أتجول ليلا أيضًا راجل أو في سيارة دون علم أو حراسة زائرا لبعض المقاهي محاولة مني لتطمين الأهالي باستتباب الأمن تقليدا لجدي السلطان عمر بن عوض الذي لا تخفى قصصه في هذا المجال عن الكثير، ورأيت في أحد زياراتي التنكرية لأحد المقاهي في منطقة الديس، فكان صاحب المقهى يضرب أحد العاملين عنده والعامل يقول له إن لم تتركني سأشكوك عند غالب، فأسعدني ذلك.

وهناك حادث أخير جدير بالإشارة ولو باختصار نظرا لأهميته وهو حادث إطلاق النار على المستشارية من قبل الجيش النظامي ردا على جيش البادية الذي أطلق نيرانه لتخويف جموع المتظاهرين يوم أعلن الرئيس جمال عبدالناصر تقديم استقالته من منصبه ، فخرج المتظاهرون للمطالبة له بالبقاء في منصبه، إلا أن إطلاق النار من قبل الجيشين كان سيدفع بالأمور إلى أمور أكبر بسبب هياج الجيش النظامي المتأثر بالدعاية الإعلامية باشتراك بريطانيا وأمريكا في حرب حزيران ضد مصر.

ووصل الأمر إلى رفض الجنود الاستجابة لقادتهم ولم يتوقف الجيشان عن إطلاق نيراهم إلا عندما تدخلت شخصيا واضطررت للخروج إلي الساحة لإيقافهم، وكانت دهشتي كبيرة حينما لم أجد أي طلقة أصابت أي من جدران القصر من طرف جيش البادية، وكان تشكيل اللجنة المخولة بصيانة الأمن في المكلا تاليا لهذا الحدث، وكان مما أثير لدى العامة أن السلطان قد شارك في إطلاق النار على المستشارية.

زارني بعد ذلك الشيخ عبدالله سعيد بقشان للاستفسار عن نتائج هذه الزيارة. فذكرت له بالذي حصل. وسافر المذكور إلى المملكة لنقل مشاعري حول الموضوع للملك فيصل رحمه الله، ليعود لي مرة أخرى بإجابة غريبة، وهي: "لم يطلب السلطان مقابلة فردية معي"!، ولقد سبق وإني كنت أوضحت للملك عبر الشيخ عبدالله المذكور بأن الطلب مني بتأييد حزب مثل الرابطة الذي كان يعمل ضدي يعد طلباً غير منطقي، مضيفاً إلى ذلك الاستفسار أنه كيف يطلب مني دعم حزب، ولم تكن في المملكة أحزاب!فكان لهذا الكلام أثر إيجابي غاية على

الملك فيصل، الذي أصبح يكن لي منذ هذا قدراً كبيراً مع منع الحزب من القيام بأي نشاط معاد لي في حضرموت، مما أغضب أعضاءه وأنصاره.

ويهمني الذكر هنا أنه بعد توليتي زمام الحكم بفترة، كنت قررت تالياً لاستلامي رسالة مؤرخة ٢٨ ديسمبر ١٩٦٦م من المندوب السامي عن قرار بريطانيا بمنح المنطقة استقلالها قبل يناير ١٩٦٨م. كما بأنني كنت أحس أننا في سباق خطير مع الزمن، أن ألفت انتباه الحكومة البريطانية في لندن مباشرة عن وضعنا، طالباً منها العون المستجد بأسرع وقت ممكن لتجهيزنا للاستقلال ولتبعث وفداً أو مندوباً مباشرة للاطلاع على المنطقة وأحوالها لرفع تقريرها عن الضروري المطلوب لهذا الغرض وعاجلا. وكنت خاطبت وزير الخارجية البريطاني المستر جورج براون مباشرة بهذا الطلب في رسالة مستعجلة تاريخها ١ مارس ١٩٦٧م متجاوزا القناة التقليدية لإجراء مثل هذه الاتصالات والذي هو المستشار المقيم ومن بعده الوالي البريطاني في عدن الذي أصبح يلقب "مندوباً سامياً" منذ قرب. ولو أنني كنت أرسلت أيضاً نسخة من هذه الرسالة للمندوب السامي السير ريتشارد تيرنبول ليكون مطلعاً على محتويات رسالتي من باب السلوك، إلا أنه لم يرتح من هذا التجاوز من قبلي. ولعل ذلك قد يكون من منطلق أنه اعتبرها "شكوى" ضده، وذلك لم يكن قصدي.

وبينما كنت مترقباً استجابة طلبي المشروع في نظري المتواضع، كان أتانا رد في ٣١ مارس ١٩٦٧م بعد انتظار ينفي جميع انتقاداتي بلغة دبلوماسية وبالمفهوم أن الحكومة البريطانية عملت الشيء الكثير على امتداد السنوات لوضع أسس لنظام خدمات اجتماعية وبالذات في مجالات الصحة والمعارف ولصيانة الأمن والسلام في المنطقة وبأنه من العدل أن يذكر "إن بلادكم استلمت واستفادت من الحماية الكاملة من طرف حكومة المملكة المتحدة" مضيفا بأنه على اطلاع تام عبر التقارير التي يرفعها المستشار المقيم بالمكلا للمندوب السامي في عدن، كما أضاف بأنه لا يرى هناك فائدة من إرسال مندوبٍ من لندن للغرض الذي طلبته، وألح بأنه إذا دخلت الدولة القعيطية في اتحاد دولة الجنوب العربي الموحدة، عند ذلك سوف تنظر بريطانيا إلى النتائج المالية المتوقعة التي سوف تعكس على دولتكم بسبب انضمامها لحكومة الاتحاد. وأضاف من باب المزيد من الضغط والإغراء بأن " قد يكون عظمتكم لا تعلمون بالنظر إلى سكان دولة الجنوب العربي فإنها سوف تستلم مساعدة أعلى نسبة مقارنة بأية دولة أخرى في العالم".

وبينما أنا كنت في انتظار رده، فكنت بدأت حثيثاً لإعداد الترتيبات للمؤتمر القبلي لإفادة المندوب المتوقع وصوله عن إرادة ورغبات الشعب الحضرمي تجاه أمر الانضمام الذي كانت تسعى إليه حكومة بريطانيا بكل ثقلها لإقناعها بأن موقفي في رفض ضغوطها بالانضمام له قاعدة شعبية عريضة وعليها بصفتها دولة ديمقراطية أن تأخذ هذا في عين اعتبارها وتقتنع بالأمر الواقع وتقبله.

كنت أقول للبريطانيين عندما لمست منهم أنهم سيغادرون المنطقة دون ترتيب أوضاعها بشكل نهائي ودون الإشراف على تطبيق مقررات هيئة الأمم، حاولت التأثير على قرارهم بهذا الشأن بتصاريح واضحة تشير بأن لدى الاتحاد السوفييتي أطماع للامتداد إلى المياه الدافئة وأن انسحاب بريطانيا بهذا الشكل سوف يترك فراغا للاتحاد السوفيتي ليحل محلها بملئ الفراغ في القاعدة العسكرية بكامل مرافقها البحرية والجوية، وكانت نتيجة هذه التصاريح لدي بريطانيا والحكومة الاتحادية وبعض الجيران الإيعاز للصحف في عدن بهاجمتي ووصفي بالسلطان الأحمر

وبما أنني كنت أعرف في أعماق قلبي رغبة الحضارم- بادية وحضراً- في البقاء "على ما هم عليه"، مستقلين ودون الالتحاق بأي دولة، والذي كانوا أكدوا لي عنها تكراراً ومراراً وجمعاً وفرادى، ومن أهم مناسباتها الرئيسية المؤتمر القبلي الشامل الذي كنت عقدته لكي تشارك جميع القبائل التي كانت تشكل أغلبية سكان حضرموت لحد أكثر من (٦٠٪)، في القرار السياسي، ولكي استقوي به أمام الضغوط البريطانية، وفي تلك المناسبة، بالرغم من أنهم كانوا قرروا بكل وضوح البقاء "على ما هم عليه"، بوصفهم كياناً مستقلاً دون الانتماء إلى أي طرف، إلا أن الحكومة البريطانية رفضت اعتبار هذا القرار الرسمي من قبل هؤلاء المشكلين أغلبية سكان حضرموت، وذلك - بالتأكيد - لأنه



في عصر ٢ ديسمبر ١٩٦٦م. تلاميذ مدرسة أبناء البادية الحكومية الذين كانوا يمتازون بمهارة الجمباز رغماً عن تواضع الإمكانيات يؤدون تحية للسلطان. ويبدو في الصورة من اليمين: المستشار المستر اليس، وبعد السلطان غالب بن عوض القعيطي يبدو الأمير غالب بن علي الكثيري (ممثلاً عن أخيه السلطان حسين في هذه الاحتفالات)



في عصر ٢ ديسمبر ١٩٦٦م. بنات المدارس الابتدائية المتشحات بعلم الدولة بعد تقليد السلطان غالب أكليل من الورود

لم يأت وفقاً لتوقعاتها. وهنا علي بالذكر أن فكرة المؤتمر القبلي كانت من أفكار السيد أحمد العطاس، ولو دون تحديد الأهداف له. وكان المفروض انعقاده فوراً بعد احتفالات التتويج، إلا أن الذي أدى إلى تأخير في ذلك هو وشجاعة نادرة خالية من أدنى خوف أو تردد عن رأيهم رغماً عن الضغوط التي كانوا قد تعرضوا لها أثناء إقامتهم في المكلا من قبل ممثلي الأحزاب وأيضاً عملاء المستشارية البريطانية، فبينما الفئة الأولى كانت عازمة بشدة على



في عصر ٢ ديسمبر ١٩٦٦م. إحدى بنات مدارس المكلا للبنات تقدم درع تذكاري للسلطان نيابة عن زميلاتها. ويبدو في الصورة الأستاذ محمد سعيد النوبان (نائب مدير المعارف) ويبدو خلف السلطان المستشار البريطاني المستر اليس، وفي يسار الصورة الأمير غالب بن علي الكثيري، كما يبدو في الخلف حارس السلطان الخاص محسن عمر المفلحي.

رحلته المزعومة لأغراض الاستجمام، والتي لم يعد منها، بينما أنا كنت في انتظار عودته لزمن طويل غير معبر تنبيهي المكرر من السلطات البريطانية بأنه لن يعود. والحاصل أنه استمرت بريطانيا في إصرارها في ممارسة الضغوط وبوسائل وأساليب مختلفة، وفي هذا المضمار كانت زيارة وزير الدولة البريطاني اللورد شاكلتون (ابن المستكشف المشهور ايرنيست شاكلتون المتعلق بالقطب الجنوبي)، الذي كان وضعني في غاية الصعوبة لدى عرضي عليه رؤيتي الشاملة، وذلك بتكرار هذا الاستفسار الغريب عن أمر واحد فقط، مهملاً كل الجوانب المهمة الأخرى، وهو: "وماذا عن الجيش البدوي"! متجاهلاً تماماً كل ما ذكرت له وبأن جنود هذه القوة ينتمون إلى قبائل حضرمية، ومن تلك القبائل التي شاركت في المؤتمر القبلي، كما أنهم رعايا حضارم خارج لباسهم الرسمي وإن كانوا جنوداً تابعين للحكومة البريطانية، فوجدت نفسي فاشلاً تماماً في محاولاتي وأصبحت في حيرة تامة حول كيفية توصيل رسالتي إليه بحكم إنني كنت أعتبر ما أقوله أمراً واضحاً، متجاهلاً بأن هذا الرد منه قد يكون مقصوداً من قبله!.

ويجب على الوطن وكل مواطن ذي غيرة أن يكنّ الشكر والتقدير الصادق لهؤلاء المقادمة الذين ساهموا في هذا المؤتمر وأبدوا بصراحة إفشال هذا المؤتمر بزرع الشك في قلوب المدعوين حول أهدافه، كانت المصالح البريطانية تريد من الحضور تأييداً لمشروع الانضمام إلى اتحاد الجنوب العربي، ومن جانبي فقد كنت اعتبرت الاستجابة التي لقيتها دعوتي لحضوره دليلاً كبيراً على تأييد جميع القبائل لي، وذلك بسبب إحساسهم بإخلاصي لهم ولمصالحهم، ابتداء منذ رحلاتي لمناطقهم لتفقد الأحوال على الطبيعة، ثم من استماعهم لأول خطاب لي بعد استلامي مقاليد الحكم، عندما قلت بكل صراحة أن القبائل تشكل أهم فئات الشعب، ورغم ذلك فأرى أن شؤونها تعاني بدرجة كبيرة من الإهمال من نواح كثيرة، وأتذكر أنه عندما نطقت بهذه الجملة أثناء إلقاء تلك الخطبة، بأنها قوبلت بتصفيق حار من العناصر الممثلة للقبائل والحاضرة في تلك الحفلة في شكل المقادمة المدعوين ومن جنود جيش البادية، إنما لم تصفق لها الجماهير من الحضر!

والغريب في الأمر أنه بعد أحداث ١٧ سبتمبر (١٩٦٧م)، لما حاولت مواصلة دراستي في أكسفورد، وتواصلت مع الكلية التي كنت قدمت لها سابقاً من مدرستي، وكان اخو الخبير التعليمي في حضرموت، (المستر فنسنت جريفيثس)، رئيساً لها، اكتشفت بأن المجلس الإداري للكلية كانوا معارضين لانضمامي بصفتي "سلطان سابق مخلوع"، إلا أنه بما أن اللورد شاكلتون المذكور كان خريج الكلية نفسها، فوجّه دون علمي رسالة إلى الكلية، بدعم قبولي، كما فعل المندوب السامي الأخير السير همفري تريفليان، وهو الذي عمل سفيراً في مصر أيام أزمة السويس في عام ١٩٥٦م، حين اقترح أحد أعضاء الضباط الأحرار البارزين وهو صلاح سالم، لزملائه عند بدء الإنزال البريطاني الجوي، الذي جعله يفقد أعصابه بأن عليهم أن يذهبوا إلى السفير البريطاني تريفليان للاستسلام! وكان من قدر تريفليان أيضاً أن يكون موجوداً في بغداد خلال ثورة عبدالكريم قاسم وقتل أفراد الأسرة المالكة بأساليب متوحشة. وكان المذكور قد عمل في حيدرأباد أيضاً في بداية حياته العملية، وذلك في دار المعتمد والمقيم البريطاني.



عصر ٢ ديسمبر ١٩٦٦م. الفنان علي عوض غداف يقدم هدية تذكارية للسلطان غالب.
ويبدو في الصورة من اليمين: المستشار البريطاني المستر اليس والأمير غالب بن علي الكثيري.



في الاحتفالات المسائية، فرقة جمعية المكفوفين الموسيقية في شرج باسالم في استقبال السلطان غالب بن عوض القعيطي الراعي لها

وبما أنني اعتبرت أن مهمتي السياسية الأولى مثل أسلافي هي أن نكون مترجمين لرغبات الشعب بقدر المستطاع، فمن الطبيعي والمتوقع أن تصطدم هذه الرغبة وبعنف مع السياسة البريطانية الراعية - أولاً - لمصالحها الخارجية والإستراتيجية في المنطقة، إلا أنه في هذا الصدام بيني وبينها الذي بدأ منذ استلامي لزمام الحكم وازداد شدة مع مرور كل لحظة، فالعامل الكبير الذي كان يشجعني في صمودي والذي كنت مستقوياً به هو التأييد الشعبي الكبير لي. وعلى سبيل المثال، كان عامة شعب المكلا في ذلك العصر الخالي من الوسائل الإعلامية المتطورة، وبالذات في مجتمع متواضع الإمكانيات، كانت تشير إلي بلقب "حبيب الشعب".

وعلي بالتوضيح هنا للتاريخ أنه بعد حادث رمي القنبلة على الطلبة من قبل عضو في حزب الرابطة المتمتع بعضوية دون المائتين، وبداية محاكمة أعضائه مع تجميد نشاطه، وقرار أعضاء الحزب الاشتراكي المتمتع بعضوية ما يقارب مائتين فرداً بحله، وذلك بسبب اختلافات فكرية بين الأعضاء حول أمور مثل تبني مسلك "الكفاح المسلح" كوسيلة سياسية، إن الحزبين اللذين ظهرا من رماد نهاية الحزبين أعلاه، هما "الجبهة الشعبية الديمقراطية" بعضوية اثنين وستين عضواً من بقايا الحزب الاشتراكي، وهو مؤيد بالخفي لسياسة الجبهة القومية في عدن، و"الاتحاد الوطني للقوى الشعبية"، وهو حزب بميول بعثية وتعداد المنتسبين إليه أربعة وخمسون عضواً. وعلي بالذكر هنا كما كان يعلم الجميع آن ذاك أنه كانت الأحزاب موضعاً لشك وكراهية القبائل بسبب ممارساتها والنتائج المترتبة عليها، مع انعكاساتها السلبية على المجتمع والتقاليد القبلية التي تؤمن بها القبائل. وأما عن حزب الرابطة وتعاطف بعض الشخصيات القبلية معه، كان سببه في الغالب المادة، حيث أنه كان الحزب الوحيد الذي يدفع رواتب وعلاوات منتظمة لمنتسبيه، لكلٍ وفقاً لأهميته السياسية، وذلك بفضل الدعم السخي الذي كان يتمتع به منذ خروجه من مصر وتبنيه من قبل دولة أخرى.



السلطان غالب على درج مسجد السلطان عمر بعد صلاة عيد الفطر عام ١٣٨٦هـ. ويبدو في الصورة ياور السلطان الرئيس سعيد بن محسن النقيب، وفي يسار الصورة اللواء صالح يسلم بن سميدع، الامير عمر بن عوض القعيطي، السلطان غالب بن عوض القعيطي، وخلفه من اليسار ابن عمه ومرافقه الملازم محمد صالح القعيطي، ورئيس الشرطة المدنية أحمد بن منيف، ونائب المكلا السابق الشيخ حسن قحطان النقيب اليهري.

وكانت بداية الضغوط البريطانية علي - أولاً - بإنذارات بقطع جميع مساعداتها ودعمها للدولة في جميع الأشكال من قبل موعد الاستقلال بستة أشهر. وعندما وجدت السلطات البريطانية أن ذلك لم ينجح في زرع القلق في نفسي، لأنني كنت على يقين في نفسي أنه من الأسهل الحصول على البديل للمساعدات المالية المتواضعة التي كانت تقدمها بريطانيا للدولة مقارنة بأمر محاولة تغطية العجز المزمع الكبير في ميزانية حكومة اتحاد الجنوب العربي والذي ستواجهه بعد رحيل بريطانيا. وبما أن أكثر هذا العجز المتوقع كان لتغطية الإنفاق على جيش صغير متمتع في الآونة الأخيرة بسلم رواتب وامتيازات خيالية وغير مناسبة ومتلائمة مع مصادر أية دولة فقيرة كما أشرت سابقاً، فكنت أرى أن إمكانية حكومة الاتحاد في حصول على مساعدات منتظمة بهذا الحجم لتغطية هذا العجز المشار إليه، كانت مسألة أصعب بكثير من عملية تغطية عجز دولتنا المتواضع. وكنت اسأل نفسي عن ماذا تفعل الجيوش في حال عدم استلام مرتباتها! وكنت أستخدم هذه الحجة لدى مواجهتي الضغوط البريطانية بالانضمام أيضاً مستفسراً من منطلق هذه النظرية الإمكانيات المستقبلية لبقاء دولة الاتحاد طويلاً بعد الاستقلال. ولما كنت أثير هذا الاستفسار، كان الرد علي من المستشار البريطاني المستر إليس على سبيل المثال أن "وضع استمرارية هذا الاتحاد في المستقبل سيكون ضمن نمط الأردن"! والذي لم أجده جواباً مقنعاً، حيث إن المملكة الأردنية الهاشمية كانت تستفيد إلى حد كبير ومازالت، من موقعها الاستراتيجي بوصفها دولة محادة لإسرائيل، بينما دولة الاتحاد لم يكن دولة من دول المواجهة لها، ومع مرور الوقت ونحن في سباق خطير معه، بدأت الحكومة البريطانية تتبني أساليب أخرى للضغط ومنها أنها كانت تبنت مرة كلمة نطقت بها في حالة ضيق لإقناع الحكومة البريطانية

بأنني لن أوافق قط على الانضمام إلى الاتحاد إلا إذا أراد الشعب مهما كلف الأمر، وأنه بإمكانهم إذا أرادوا تحقيق هدفهم هذا، أن يزيحوني من الحكم. ولقد اكتشفت حديثاً لما نطق لي أخي عمر، أن الحكومة البريطانية كانت فعلاً قد اتصلت به بعد ذلك عندما كان في عدن ولمدة تمهيداً لسفره إلى بريطانيا للالتحاق بالمرشحين للتدريب في بريطانيا للانضمام إلى سلاح الطيران المستقبلي لدولة الاتحاد، أنه عرض عليه مكتب المندوب السامي متمثلاً في ضابط يسمى ديريك روز، الذي كان يعرفه من خلال مناسبات في عدن، مبلغاً من المال ورخصة لاستيراد خمسمائة بندق للبيع والاستفادة منها مادياً، مع الوعد بالمزيد شريطة أن يوافق على وضع يده في أيديهم لتحقيق مشروع الانضمام، وبأنهم سوف يقومون بكل مطلوب من وضع خطط لتحقيق هذا الهدف وتنفيذه حال موافقته، إلا أنه لم يرد لهم جواباً بعد أن طلب منهم فرصة للتفكير، ولم يعد إليهم. ولم تصر الحكومة البريطانية أيضاً من جانبها بفتح الأمر عليه مكرراً.

ولم يكتفِ البريطانيون بهذا، بل أرسلوا ذات مرة مساعد المستشار العسكري، العقيد فيليب هيلمان لي فجأة، لينذرني بأنه من غير المأمون الذهاب للسكرتارية (المجمع الوزاري لإدارة الحكم) من طريق واحد، متجاهلين بأنه لم يكن متاحاً لي سوى هذا الطريق. والجدير بالذكر هنا أنه لما نقل لي العقيد المذكور هذه الملاحظة الذي كلف بها، فكان مع غمزة وبسمة تاركاً لي مقياسي ما يترتب على ذلك من تحليل! ويجب الإفادة هنا بأنني كنت أداوم في "السكرتارية" (مجمع الإدارة الحكومي) بعد طلب عبدالرحمن بازرقان القائم بأعمال وزير السلطنة في غياب العطاس بقبول إحالته للمعاش وفقاً للقانون كما كان المفروض أن يحصل قبل رحيل العطاس في رحلته دون عودة، إلا أنني كنت أخرت تعميد هذا لما يقارب من ستة أشهر في انتظار عودة العطاس، الذي لم يعد.

ثم هناك أيضاً مقابلتي مع المندوب السامي تريفليان في مطار الريان، الذي كان أتى إليه خصيصاً لمقابلتي بمعية السلطان حسين بن علي الكثيري والوفد المهري عند عودته من نيويورك تالياً لمقابلته لجنة هيئة الأمم، وأنا آنذاك في تداول مسألة الوحدة الحضرمية مع السلطان حسين الكثيري، وبينما نحن في اجتماعاتنا حول الوحدة، وذلك قبل وصول المندوب السامي إلى الريان، كان فاجأنا الوفد المهري بالوصول إلى المكلا من غير دعوة ولا إشعار مسبق، وذلك للانضمام إلى المفاوضات معنا. وكان يرفرف على سيارات الوفد لدى دخولها سدة المكلا علم غريب مما جعل بعض من شاهد دخولها بالتعليق من باب المزح والسخرية أنه "يات الجبهة". وقد كان أعضاء هذا الوفد يبدون حرصا كبيرا من طرفهم بالانضمام إلينا، أي للقعيطي، ومعارضين في نفس الوقت ولسبب لم يسع لي إلى الآن فهمه، ولعله عامل الغيرة بسبب وجود السلطان الكثيري في هذه المفاوضات مع كل ما يقدم من اقتراحات، وذلك دون أدنى مبرر!

وأثناء هذه المفاوضات فوجئنا بالمستشار المقيم المناوب (مايكل كراوتش) يأتي إلينا بمسودة اتفاقية خاصة بين الأطراف الثلاثة (القعيطي – الكثيري – المهري) بالمضمون أنه قد استلم الأطراف الثلاثة المذكرة زمام قيادة (الجيش البدوي الحضرمي) وبالمفهوم أنه أصبح موال مباشرة لهذه الأطراف، فأجبته بأن هذا غير صحيح ومخالف تماما للأمر الواقع، وبالإمكان أن تعدل الصيغة إلى أنه تم الاتفاق على مبدأ استلام الأطراف الثلاثة لقيادة الجيش المذكور مستقبلا ، وعند ذلك وجدته انفعل وركز على فرض النص المشار إليه علينا دون تعديل إلا أن استمرار رفضي لهذا القرار أرغمه على الاتصال بالمندوب السامي الذي وافق على تعديل المقترح من قبلي.

وفور ذلك كانت زيارة المندوب السامي إلينا ولقائه بنا في الريان لتكليفنا بالذهاب إلى جنيف والتي سأشير إليها لاحقًا.

لقد كنت على ريب بأن هذه الخطوة المفاجئة من قبل (كراوتش) وتصرفه غير الاعتيادي وراءها أمر جلل، ولقد اتضح لي فيما بعد بأن الخطة المرسومة من قبل المندوب السامي أنه بعد أن يصبح الجيش جيشا حضرميا رسميا يقوم بالعملية الانقلابية التي قد خطط لها و نفذها فيما بعد بإبعاد السلاطين عن السلطة وتسليمها للجبهة القومية بناء على صفقة عقدها المذكور نكاية بالرئيس جمال عبدالناصر ومصالحه، وبأنه عند إثارة أية استفسارات من قبل المعارضة في البرلمان البريطاني فإن ذلك سيفسح للحزب الحاكم مجالا بالقول أننا ليس لنا يد فيما حصل وأن جيشهم الرسمي هو الذي انقلب عليهم .

وعند مقابلة المندوب السامي للسلاطين في مطار الريان المشار إليها أعلاه فقد كان ذلك خصيصاً لإفادتنا بأن لجنة هيئة الأمم التي كانت رافضة مقابلة ممثلي حكومة الاتحاد بصفتها حكومة غير شرعية مما يجعل ممثليها يعدون غير شرعيين في نظرها، بأنها غيرت نظرتها، ووافقت أن تستقبلهم، إنما بصفاتهم الفردية فضلاً لمساعيه، وبأنه يلزم علينا كحكام الذهاب لمقابلتها لإبداء ما لدينا من آراء لها، ولوفي تلك الفترة المتأزمة وفي وقت قريب من الاستقلال ومن مغادرة التمثيل البريطاني من المكلا قبلها بثلاثة أشهر (أي في ١٠ أكتوبر ١٩٦٧م)، ونحن آنذاك في أغسطس، وبما إنني لم أرغب في السفر، فكنت أبديت الرأي له أثناء الاجتماع، بأن ولو أن الخبر الذي أتى به خبر وتطور سار، إلا أن على لجنة هيئة الأمم أن تزور المنطقة وتطلع عن قرب على حقائق البيئة ومستوى الشعب الثقافي وتقاليده الاجتماعية والمؤسسات الموجودة في البلد قبل الخوض في كيفية تنفيذ قراراتها بشكل نهائي ملزم، لأن الوضع النظري في أجواء نيويورك وجنيف قد يختلف كثيراً عن حقيقة الحال في مناطق مثل حضرموت والجنوب العربي عموماً، وبأن زيارتها لحضرموت ستكون بضمان منا على سلامتها مع تقديم جميع



أول زيارة رسمية للسلطان غالب إلى عاصمة السلطنة القديمة الشحر بعد تتويجه. ويبدو في الصورة السلطان بمعية ثلاث من بنات المدارس بعد تقليده أكليل من الورود

التسهيلات لإنجاح مهمتها سوف يساعدها على تبني خطوات تنفيذية فعالة لمقرراتها بدلاً من تلك التي تعد وهمية ومستحيلة التطبيق في مجتمع تقليدي وبيئة سياسية مثل المنطقة بوضعها الحقيقي الفريد، إلا أن المندوب السامي لم يتنازل عن إصراره على توجهنا إلى جنيف..

وبما أننا كنا مرتبطين بمعاهدة الاستشارة التي كانت تنص على الانصياع لمشورتها- أي بريطانيا- في جميع الحالات، بحكم أنها لن تقدم إلا ما كان في صالحنا كحكام ولرفاهية الشعب، فوجدت نفسي مضطراً للقبول. ولكن بما أنني لم أكن راغباً في الذهاب إلى جنيف، فحاولت بعد رحيل المندوب السامي استخدام أعذاراً مختلفة للتأخير، مدركاً بأن هيئة الأمم لن ينتظر طويلاً قبل إغلاق ملف لقاءاته في هذا السبيل، وهذا في وقت كنا أخبرنا فيه أيضاً أن اللجنة كانت حددت أياماً معدودة بتواريخها لاستقبال الوافدين إليها، وذلك لحثنا بالمبادرة بالسفر إليها. وبالنسبة لي، فبعد الموافقة من حيث المبدأ على الذهاب الذي لم يكن لي مفرا منه، كنت بدأت استخدم حجة تلو الأخرى لتأجيل أمر سفري مع المستشار القائم بالأعمال في غياب المستر إيليس، وهو المستر كراوتش. وأول هذه الحجج كانت المفاوضات حول الوحدة التي كنا في وسطها قبل مجيء المندوب السامي إلى الريان واجتماعنا به. فقيل لي أنه بالإمكان مواصلتها بعد العودة من السفر. وعند ذلك، قمت بطلب آخر، وهو إحضار أخي عمر من بريطانيا التي كان ذهب إليها للالتحاق بدورة الطيارين قبل مغادرتي. فوعدني كراوتش بتنفيذ هذا الشرط على الفور ضاغطاً علي بالمغادرة تقديراً لضيق الوقت. من ثم لممارسة المزيد من الضغط بأسلوب أدبي، أرسلت طائرة تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني من عدن إلى الريان لنقلنا إلى عدن للتمكن من سفرنا إلى جنيف. ولما وجدت أنه لم تكن بيدي حيلة، قمت بتشكيل مجلس وصاية من بعض أقوى وأكفى الشخصيات المعروفة من النواب السابقين والأعيان من أمثال (الشيخ حسن قحطان النقيب، والشيخ أحمد باصرة) وغيرهما للوقوف بجانب أخي ولمساعدته أثناء غيابي، وطلبت من المستر كراوتش الوعد بالإشراف على تنفيذها الفوري. وعلى هذه الشروط كانت مغادرتي مع السلطان الكثيري، علماً بأن الوفد المهري كان سبقنا في السفر إلى جنيف. وكان هدفي الخفي لدى المغادرة ألا أدع للبريطانيين فرصة كافية لتنفيذ أي مخطط مشبوه في غيابي، وذلك بالعودة الفورية بعد مقابلة الجامعة العربية وثم هيئة الأمم. وما كنت تفاجأت به لما عرضت على المندوب السامي فكرتي لمقابلة الجامعة العربية في طريقي لجنيف لشرح الوضع، هو موافقته على ذلك دون أي نقاش، وأنا في عدن ومقيم معه في مقره. وهناك عامل آخر كان أضاف إلى وساوس شكي الخفي من نوايا بريطانيا ضدي بعد موافقته على زيارتي للجامعة العربية، وهي جملة صدرت منه بأنه قد "كلف بعثة المملكة المتحدة في جنيف للاعتناء بترفيهي"، وهذا، بينما كنت أتوقع من صديق مخلص مزعوماً تقديم النصيحة لي بالعودة العاجلة بعد قضاء الغرض تقديراً للظروف.

وفي القاهرة لدى مقابلتي بمعية السلطان الكثيري معالي وزير خارجية مصر محمود رياض، كنت تفاجأت على محاولته التعامل معي كطالب بالسؤال عن كيف كانت نتائج الاختبارات وما إلى ذلك، بينما كنا أتينا إليه كما كان يعلم لمقابلته في أمور مصيرية. إنما يجب الذكر هنا أيضاً بكل تقدير له أنه كان قد أجّل سفره إلى الخرطوم للمشاركة في مؤتمر القمة العربية بسبب وصولنا وموعدنا معه، وكان لقائي به خير لقاء ووعدنا بتقديم المساعدة في المجالات التي كان بإمكان مصر أن تقدمها في تلك الظروف



السلطان غالب مع آخر دفعة تتخرج في مدرسة تحسين الوحدات الشهيرة بالمكلا. ويبدو في الصورة الجلوس من اليسار الميجر عمر باسعيدة (قائد المدرسة)، عبدالرحمن بازرقان (القائم باعمال الوزير بالنيابة)، الأمير عمر بن عوض القعيطي (تخرج في المدرسة عام ١٩٦٥م)، السلطان غالب بن عوض القعيطي، ويقف خلفه محمد صالح القعيطي، المستشار البريطاني جيم اليس، العقيد فيليب هيلمان، ويبدو في الصف الخلفي سعيد بن محسن النقيب (مرافق السلطان).



السلطان غالب بن عوض القعيطي في أول اجتماع من نوعه في تاريخ حضرموت السياسي الحديث الذي تمت الاشارة إليه في هذا الحوار. ويبدو في الصورة من اليمين: عبدالله باحويرث (مستشار شئون القبائل)، ثم ناصر عوض البطاطي (قائد الشرطة القعيطية المسلحة)، أحمد عبدالله اليزيدي (قائد الجيش النظامي). وفي وسط الصورة القائد صالح يسلم بن سميدع وبينه وبين السلطان من اليسار عيضه بالحريز المنهالي، المقدم مانع باذياب العوبثاني، سعيد باحسين العمودي مع جميع مقادمة وحكماء ومناصب قبائل حضرموت دون استثناء. ويبدو في يسار الصورة قائد الشرطة المدنية أحمد بن منيف.

والتي سبقت الإشارة إليها، كما تطوع أن يثير موضوع العجز المالي لتغطية المساعدات المالية البريطانية المقطوعة مع أمر التمثيل الخارجي للدولة مع ممثلي الكويت في مؤتمر القمة في الجلسات غير الرسمية، معتذراً في الحين نفسه بأن ظروف علاقات مصر آنذاك مع المملكة السعودية لا تسمح له بفتح مواضيع كهذه معها وكانت هذه التفاهمات بكاملها مبنية كما يتوقع على افتراض حالة فشل هيئة الأمم في تنفيذ قراراتها، علماً بأنه كان أيضاً نقطة الانطلاق لنا ولاستفساراتنا حول مطالبنا.

هذا، وكانت الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بمعية جميع أعضاء الجامعة العربية في تأييد هذه القرارات، كما كانت السلطنتان القعيطية والكثيرية. وهذه بعض أهم المعالم، ولقد سبق أن تناولت بعض التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع في أماكن أخرى أيضاً.

وممن قابلت خلال إقامتي في القاهرة بشأن عملنا الذي جئنا إلى القاهرة من أجله (محمد أنور السادات الذي رأس مصر فيما بعد، ومحمد حسن الزيات ممثل مصر في هيئة الأمم ووزير خارجيتها فيما بعد، وعزت سليمان رئيس الاستخبارات المصرية، والسيد نوفل الأمين العام المناوب للجامعة العربية) كما تعرفنا على عبدالستار شاليزي أحد الأعضاء الثلاثة للجنة هيئة الأمم)، وتلقينا منهم التأييد في كل ما طرحناه من خطوات لتأمين مستقبلنا.

ولدى وصولنا من القاهرة إلى جنيف بعد بعض التأخير المقصود من قبل الجهات المصرية ولعل ذلك رغبة منها في ضمان مشاركتنا في مفاوضات تشمل الأطراف المعترف بها رسميا من قبل لجنة هيئة الأمم، ولقد وجدنا في انتظارنا إضافة إلى الوفد المهري رسالة عاجلة من البعثة البريطانية في جنيف تفيدنا بأن المستشارية قد انسحبت من المكلا فجأة إلى الريان، وأنه يتم إجراء ترتيبات مع الجيش البدوي الحضرمي الذي وجده يتمتع بمعنويات عالية.

وفي اليوم التالي وصلتنا رسالة أخرى تفيدنا عن إتمام انسحاب المستشارية البريطانية من الريان إلى عدن وتسليم زمان الأمر لحراسة المطار وغيره من المصالح للجيش البدوي الحضرمي وكان ذلك في نهاية أغسطس عام ١٩٦٧م بينما كانت التريب أن يتم إعلاق المستشارية في المكلا في ١٠ أكتوبر ١٩٦٧م قبل ٣ أشهر من إعلان الاتقلال المحدد الإعلان عنه في ٨ يناير ١٩٦٨م.

أما عن لقائنا مع هيئة الأمم فقد كانت جيدة وتمتعت مقترحاتنا بتأييد كامل إلى درجة أن الدكتور عبدالستار شاليزي (رئيس وزراء أفغانستان، كما كان وزيرا للمعارف سابقا، وكان حينها مفوض أفغانستان في هيئة الأمم) الذي كان خطاطا فرسم كلمتي (السلطان غالب) بخط ثلث جميل ووقع عليها الأعضاء الثلاثة جميعا لإهداء تلك اللوحة لي.

والجدير بالذكر أنه عندما علم المذكور عما حصل انفجر غاضباً وأرغم زميليه على تأييده على إرغام بريطانيا بإعادتنا إلى ديارنا، إلا أننا شكرناه على مشاعره النبيلة وطلبنا السماح لنا بالعودة بأسرع وقت قبل حصول مفاجئات أخرى.

وفي طريقنا إلى عدن عبر بيروت أفادتنا السفارة البريطانية على لسان المندوب السامي في عدن بعدم قدرتها على إعادتنا إلى المكلا بحجة أنها قد انسحبت، مع أنها ذكرت لنا أن المطار بيد جيشها الجيش البدوي الحضرمي، وأن البريطانيين على تواصل مستمر معه.

وبما أن رحلة طيران الشرق الأوسط إلى عدن تمر بجدة فقد نزلنا في جدة، أما تفاصيل محاولة العودة إلى المكلا في باخرة من المرحوم محمد أبو بكر باخشب باشا فقد ذكرت في الكثير من النشرات فلا أشعر بداع للتطرق إليها هنا، إلا أنه من الجدير بالذكر أن قبائل القبلة قد حاولت أن تشق طريقا بريا باحتلال حصني زمخ ومنوخ وفرض حصار على حصن العبر، وقاموا بتدمير مصفحتين من الثمان التي لدى جيش البادية، الذي طلب العون من بريطانيا لإنقاذ الموقف فأرسلت بريطانيا طائراتها لقصف المحاصرين وإرغامهم على رفع الحصار، وبذلك كشفت القناع أمام القبائل عمن يقف وراء هذه الأحداث، علما أن اتفاقية الحماية لا تزال سارية المفعول.



السلطان غالب بن عوض القعيطي بمعية مرافقه وابن عمه محمد صالح القعيطي
وهما في الزي الرسمي للاحتفالات لحرس السلطان الخاص الذي قام بتصميمه السلطان بنفسه



السلطان غالب بن عوض القعيطي بمعية أخيه السلطان حسين بن علي الكثيري
أمام الأهرامات لدى نزولهما في القاهرة لمقابلة الجامعة العربية

وعندما علمت بما حصل قمت بإرسال برقيات إلى يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة محتجا على هذا التصرف، فرد علي بالنظر في الأمر، وهناك دفنت القضية إلا أنني علمت بعد سنين عندما رفع الحظر عن الوثائق الرسمية البريطانية بأن ممثل بريطانيا لدى هيئة الأمم اللورد كارادون كان رد على هذه الاستفسارات الموجهة له عن هذا الحدث بأن سلاح الجو البريطاني قام بعملياته دفاعا عن الحدود الحضرمية من قبائل غازية من السعودية أو اليمن، وبأن المناطق المذكورة ليست ضمن حدود المنطقة القعيطية خلافا لما هو واقع. وهنا يجب التساؤل بأنه إذا لم تكن هذه الحصون الثلاثة ضمن المنطقة القعيطية فكيف لبريطانيا أن تكون صاحبة شأن فيها.

• يرى الكثير من المهتمين أنكم أقرب إلى جدكم السلطان صالح في مشوار حياتكم السياسي والعملي والعلمي، حتى يكاد تتطابق سيرتيكما في الكثير من الجوانب وتتشابه اهتماماتكم العلمية والثقافية والتاريخية، كيف ترى هذا الربط التاريخي والإنساني بينكما؟.

مع اعتزازي بهذه المقارنة إلا أنني لا أرى هناك مجالا لذلك وبالذات في أمر غزارة علمه وتطلعاته وإنجازاته فأنا أعد نفسي فخور لو منح لي درجة تعادل غبار نعليه، وقد سبق في الذكر أنه كان بطلي وقدوتي منذ الطفولة، ورجلاً زاهداً وتقياً وورعاً، وإضافة إلى وفرة علمه في ميادين مختلفة، كان حسن الظن والثقة في الناس إلى حد بعيد. وكان دون شك، فريد عصره بسبب غزارة علمه في مجالات مختلفة، التقليدية منها والحديثة. فكما قال مفتي الديار الحضرمية، السيد عبدالرحمن بن عبيدالله: "نادراً ما يجتمع العلم والملك في شخصية واحدة" وأيضا قال: "كان أميراً، بعلمه الغزير وأدبه الجم ورغبته في الإصلاح، متواضعاً بسيطاً في معاملته، امتاز بحبه للعدل وبعده عن الظلم، وكان صاحب عفو شامل وحلم واسع". ففي رؤيتي، ليس في مقدور محبيه وخصومه من إنكار إحسانه وفضله ومساهمته على تقدم العلم في حضرموت. وكانت نجحت خطاه في مجالات كثيرة بسبب تحمس الناس لأفكاره والعمل بالتفاني والتضحية لتحقيقها. فتغمده الله بواسع الرحمة وأسكنه فسيح جناته – آمين.



السلطان غالب في استديو المصور الرسمي لرئاسة الجمهورية. ويبدو في الصورة من اليمين: الضابط المرافق المصري، وعبدالله سالم باعشن (الذي أخذه السلطان بمعيته بناء على اقتراح من أعيان المكلا مرؤوسين بمحمد عبدالقادر بامطرف ومحسن محمد الناخبي)، سالم الصفي (موظف في سكرتارية الدولة).



أعضاء لجنة هيئة الأمم المتحدة الثلاثية في زيارتها لعدن.
ويبدو في الصورة من اليمين: رئيسها الفنزويلي بيريز قويريرو، والأفغاني عبدالستار شاليزي، وموسى ليوكيتا (من مالي)

• العام القادم ينقضي خمسون عاماً على مغادرتكم العاصمة القعيطية المكلا، وكانت لكم زيارة خاطفة في منتصف تسعينيات القرن الماضي، ولم تتكرر بعدها هذه الزيارة، هل لك أن تحدثنا عن حكمة هذه الخمسين عاماً الشخصية والحضرمية والوطنية عامة، وهل لك أن تضعنا عند محطات تلك الزيارة التاريخية وتداعياتها النفسية والحياتية لشخصكم الكريم؟.

- أولاً، يجب أن أكون صريحاً في قولي إن هذه الزيارة كانت بناء على طلبي للإذن من الرئيس علي عبدالله صالح بالسماح لي بالعودة إلى ديار الوطن للاستقرار فيها، ولقد كانت تحققت لي هذه الزيارة عندما استطعت أن أتحصل على دعم الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر أيضاً لهذا الطلب. وكان هدفي من هذه الزيارة التي أشرت إليها ترتيب وضعي في البلاد تمهيداً لإحضار أسرتي بشكل نهائي للاستقرار فيها. إلا أنه عند وصولي إلى صنعاء حصلت تطورات اندهشت منها تماماً، لا داعي للخوض في تفاصيلها، وأهمها اكتشافي بأنه كانت نية الحكومة إبقائي في صنعاء التي كنت أزورها للمرة الأولى في حياتي، ولم أكن أعرف فيها أحداً سوى بعض الزائرين لها من حضرموت أو العاملين فيها.وعندما قررت بعد ثلاثة أشهر من مكوثي في صنعاء النزول إلى حضرموت، كان طلب مني "ألا أقيم فيها أكثر من ساعتين"ثم "أكثر من نصف نهار"! وكان السبب لعودتي من حضرموت والذي يعلم عنه الكثيرون، برقيتان من الرئيس تطلبان مني "العودة إلى صنعاء للأهمية"، علماً بأن الأولى سلمت لي في القطن وأنا عازم على تلبية دعوة من الأهالي لزيارة دوعن، والثانية وجدتها تنتظرني في مطار الريان وأنا ناوي العودة إلى صنعاء تلبية لدعوة الرئيس "للتداول في أمور ذات أهمية" التي كان ينوي أن يستشيرني فيها كما كنت أبلغت،إلا أنه لدى وصولي إلى صنعاء، لم ألاق فيها أي اهتمام! وعند اتصالي بالرئاسة، كانت الإجابة بعد فترة طويلة من الانتظار،الرد بالأول أن الرئيس لم يرسل لي أي برقيات. وعندما بعثت لمكتبه صوراً منها بالفاكس، مع التكرار في الاستفسار عن ما هو المطلوب، أخبرت بأن الرئيس لم يكن يريد بهما غير "الاطمئنان علي". أما الشيخ عبدالله الأحمر فكان غاضباً غاية، وذلك من الاستقبالات الساخنة التي كنت رحبت بها في كل المناطق من قبل الكبار والصغار أثناء الزيارة كما يبدو. والتي جعلت الناس بما فيها الإعلام يصفونها

بمثابة "استفتاء شعبي"، حيث إنه – أي الزيارة – كانت صادفت فترة انتخابات على ما أتذكر. ولقد استخدمت هذه العبارة أمام الرئيس من قبل بعض أهل البغض والحسد والفتن لإثارة غضبه علي. هذا، وبما أنه كان علي تجديد رخصة إقامتي في السعودية واختبارات أولادي في جدة عن قرب وفي حاجة لهوية سارية المفعولية، فقررت مضطراً العودة إلى جدة لكي أعود بهم مرة أخرى، إلا أنه طلب مني عند ذلك من قبل الرئاسة ألا أعود إلا بعد إشعار مسبق مني للسلطات، والحصول على موافقتها. وبعد عودتي قمت باتصالات مكررة مع الرئاسة، التي لم تتكرم علي بالرد. وهذه خلاصة موضوع زيارتي وعدم تمكني من تحقيق حلمي بالاستقرار في البلاد.

أما عن تأثري بالعقود الخمسة التي قضيتها في الهجرة، وملاحظتي لشئون الحضارم، فعلي بالذكر بالأول أنه كان لوفاة بعض كبار أعيان الحضارم سابقاً أو تالياً لوصولي هذه الديار الكريمة المضيافة في سبتمبر عام ١٩٦٧م انعكاسات سلبية كبيرة، وبالذات بوفاة المعلم محمد عوض بن لادن، وقبله الشيخ أحمد سعيد بقشان، وبعدهما بفترة الشيخ محمد ابوبكر باخشب باشا (الذي كان خير مهتم بالقضية بمعية سالم بالعمش إلى أن توفي) يرحمهم الله جميعاً. وبوفاتهم فقد الحضارم شخصيات مخلصة وموهوبة كان بإمكانها التأثير على السياسة السعودية تجاه البلاد ومصالح الحضارم، وعلى مجرى الأمور عموماً.

ثم كم كان تعجبي وتأثري عندما اكتشفت أنه رغم مجهوداتي الكبيرة لتحقيق أغلى الرغبات الحضرمية، وهو تأسيس دولة مستقلة ذات شأن لهم، فقدت في سبيلها على مستوى شخصي وبالذات بإثارة غضب وعداوة الحكومة البريطانية، التي كانت على أتم استعداد بالنظر إلي بعين العطف والرعاية في ما قد أشتهيه لشخصي ومكانتي شريطة أن أتعاون معها وأوافق على الانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي، وذلك إلى درجة أنه خلال الآونة الأخيرة عندما يئس البريطانيون من فشل محاولاتهم على إرغامي بتنفيذ رغباتهم السياسية، فكانوا قد وصلوا في محاولتهم الأخيرة إلى الاستفسار



تذكار وقع عليه أعضاء لجنة هيئة الأمم الثلاثة في ذكرى تأثرهم بالسلطان غالب خلال لقائهم به. وهو بخط يد عبدالستار شاليزي

مني مستخدمين عبارة "ماذا تريد يا سلطان غالب" للنظر بعين الرضا في تحقيقها، وذلك في شكل مكافأة وتعويض شخصي لي ورفع منزلتي في حال وضع يدي بيدهم، علماً بأن ذلك ما كان حصل مع حكام المناطق الأخرى لدى انضمامهم للاتحاد. هذا، وكانوا على استعداد لمنحي مكانة رئاسية لشمل الجنوب بكامله وبالشكل الذي أريده في حالة قبولي لمشروعهم والدخول في الاتحاد.

وبالاختصار، كانت دهشتي كبيرة - كما قد يتصور- عندما رأيت أنه خلافاً لتوقعاتي، اختار الشعب الحضرمي أن ينقاد في هذا الأمر المصيري بمبدأ "من أخذ أمنا فهو عمنا" تاركين إيمانهم وغيرتهم الوطنية على جنب. وطبعا كانت هناك استثناءات لهذا الحال في شكل الأغلبية الصامتة والقبائل. ومن غرائب الأمور أن أهمها كانت قبائل القبلة من الصيعر والكرب وبلعبيد والمناهيل التي كان الجميع ينظرون إليها ولولائها بعين الشك دائماً منذ القدم! وعلى رأس هؤلاء زعماء أمثال المقدم حمد بن بقصة آل قطيان الكربي وعيظة بالحريز المنهالي مع غيرهم من الحكمان والمقادمة يرحمهم الله أجمعين. وأما عن مقادمة قبائل حضرموت الأخرى، فكان على رأسهم المقدم سعيد بانهيم (رحمه الله) الذي كان يكرر القول أمام ربعه ومقادمة القبائل الأخرى منذ استلامي لمقاليد الحكم، بأنه "إذا ربنا كتب لنا شيء خير، فهو على يد هذا السلطان" أو "على يد هذا الولد" كما سمعت. فحصل أنه كان قد أتى إلى المملكة لمقابلة الملك فيصل أيضاً لإقناعه بهذا الأمر بعد أحداث سبتمبر ١٩٦٧م، إلا أن الظروف لم تساعده. فكانت مقابلته مع الملك جماعية، كما لم يتمكن الملك فيصل من فهم ما يقوله خلال فترة وقوفه أمامه وهو يسلم عليه. وهناك أمر آخر لا يعلمه الكثير أنه عندما كان أتى جيش البادية عبر حامية العبر يعرض عمل انقلاب وذلك ضد الحكم الماركسي، قبل حرب الوديعة، وعرضوا الاستيلاء على حضرموت حال موافقتي بالعودة، شريطة ألا يزيد عدد مرافقيي عن ٦٠ شخصاً وأن يكون ذلك خلال ثلاثة أسابيع من استلام الرسالة، والهدف من ورائه إدخالي إلى شبام بصفتها أهم مدن حضرموت الداخل وعاصمتها التاريخية، شريطة أن يضمن لحركتهم غطاء جوي من قبل الجيران، كان المقدم سعيد بانهيم أيضاً ضمن مؤيدي هذه الحركة مبدياً استعداده بقطع الطريق القبلي على أية قوة قد تحاول الزحف من الساحل. وما كان أفشل هذه المحاولة من جانب هو الطلب من جهة معنية مهمة ألا يظهر السلطان في الصورة في بادئ الأمر لكي لا يطالب آخرون مماثلون له بالدعم أيضاً. وكانت قبائل القبلة، وعلى رأسهم الكرب والصيعر على أتم استعداد للتعاون، ووصلوا إلى الحدود للمساهمة. إلا أنه عندما لاحظوا - بعد انتظار طويل - عدم ورود السلطان دون أن يعلموا السبب لذلك، عادوا خائبين مرة أخرى إلى حيث ما كانوا أتوا منه. ومن جانب آخر، أحست حكومة الجبهة القومية أيضاً من طرفها والتي لم تثق بولاء جيش البادية الذي كان أطلق عليه تسمية "اللواء ثلاثين" بأن هناك شيئاً ما في الجو، فأرادت خشية من غيرة جنوده الوطنية وميولهم



لقاء مع جلالة الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز آل سعود
لدى عودة السلطان غالب من جنيف بعد أن أخبرته الحكومة البريطانية بأنها لن ترجعه إلى المكلا



السلطان غالب بن عوض القعيطي محاط بالشيخ سالم بن أحمد بن محفوظ الذي يبدو في الصورة وهو يضع السكر في فنجان السلطان عند استضافته في قصره، وبجانب السلطان يبدو الشيخ سعيد بن صالح بن محفوظ

الانفصالية، الخلاص منه. وكان لهذا العامل دور كبير أولاً في نقل الضباط في العبر إلى مراكز أخرى، ثم في التخطيط للهجوم على الوديعة واستخدامه لقيادته دون غطاء جوي، أدى كما يتوقع بتدميره كقوة بالكامل، ارتاحت بسببه الحكومة الماركسية في عدن لفترة طويلة. وطبعاً هناك أمور أخرى كثيرة أيضاً التي ساهمت في فشل هذا المشروع الذي يعد إجابة واضحة على من قد يرفع أصبع التهمة تجاه القبائل والشك في موالاتهم لتقاليدهم وأعرافهم وزعاماتهم التقليدية آنذاك. وعلي الذكر هنا بكل فخر وتقدير أنه كان للمرحوم الشيخ محمد بن طالب البطاطي أبرز دور خفي في مساعدة هذا المشروع كما كان لبعض من أبناء الوطن (لا داعي للإشارة إليهم الآن بسبب موتهم) دور بارز في تخريب وإفشال المشروع بمحاولاتهم لإشباع أغراضهم الشخصية.

وهناك عدد كبير من شخصيات أخرى من مناصب وأعيان وممثلي الفئات والعناصر الأخرى من الشعب عموماً الذين لم يقصروا ولا يمكن إنكار حبهم ووفائهم لقضية وطنهم. كما علي الاعتراف بكل فخر واعتزاز أن أهم هؤلاء هم أبناء الرعية العاديين الذين لا يملكون ثروة ولا سلاحاً ونفوذاً، إنما لا يمكن الشك في حبهم ومعزتهم لوطنهم وتاريخه وتقاليده - فجزاهم الله جميعاً خيراً في الدارين على ذلك.

• هل لك أن تحدثنا عن برنامج حياتكم اليومي، والأكلات الحضرمية التي لم تفرطوا فيها وعنها وظلت سيدة المطبخ لديكم حتى اللحظة؟.

- بعد صلاة الفجر، أعمل رياضة خفيفة، تعودت عليها منذ أيام الدراسة، وأتناول فطوراً خفيفاً مع متابعة جميع الجرائد العربية والانجليزية ومطالعة مقالات من الانترنت التي قد تطبع لي، وأقوم ببعض الاتصالات عند اللزوم، وبعدها أذهب للمكتب وأعود في العصر لتناول الغداء، ومقابلة الناس بعد صلاة العصر، وأحياناً بعد المغرب، وأتفرغ بعد ذلك للمطالعة والاستراحة، وأحاول أن أخلد للنوم مبكراً للتمكن من الاستيقاظ لقيام الليل إن تيسر، ونومي خفيف، ولا أقدر أنام أكثر من ساعات معدودة لا تتجاوز أصابع اليد. فأحاول أن أستغل كل لحظة للبحث والتدوين، إلا أن قلة معرفتي بالالكترونيات تضيف دائماً إلى مشقاتي ومتاعبي. ومن أكبر أمنياتي أن أتمكن من تكملة مشاريعي التأليفية ونشرها، وأهمها الآن تتعلق خصيصاً بتاريخ بلادنا الغالية.

أما عن الأكلات الحضرمية التي أحبها، فإضافة إلى الصيادية المكلاوية التي لا يعلى عليها، والسمك المقلي على الطريقة المكلاوية، فهناك المرق الحضرمي مع خبز البر بالنيفه، كما يعمله أهل القطن. ومن اللحوم - أحب المحموص والمضبي، وأيضا الهريس والعصيد.

وفي المكلا، كنت اطلب من الطباخ أن يعمل لي سمبوسك على الطريقة المكلاوية إنما محشية بالسمك. وفي شهر رمضان، كنت أحب الشوربة المكلاوية. وللشرب عصير الليمون المكلاوي كما كان يعمله باسلامة. وضمن الفواكه التمر بأنواعه الحضرمية المختلفة التي كانت تعلو سبعين صنفاً، وكان الشيخ عبدالخالق بن عبدالله البطاطي يرحمه الله، قد أخبرني بأسماء غالبها - ولو أنني لم أتذوق أكثرها - ويؤلمني بالإشارة أن بلادنا المنتجة لأجود أنواع التمور في العالم وبكميات تفوق حاجتها، أصبحت اليوم مستوردة لها!، والموز والمنجه الحضرمية، وفي الحلويات العسل الدوعني وحلوى المكلا! وهل هناك شيء يعلوهما! لا اعتقد،وذلك مع الفالوذا والبودنج في رمضان وغير رمضان.

• هل لك أن تحدثنا عن أسرتك الكريمة وعدد الأبناء واهتماماتهم ومستوياتهم العلمية؟.

- ابني صالح من مواليد ١٩٧٧م،وأكمل جميع المراحل الدراسية بما فيها الثانوية في جدة، وثم التحق بمدرستي القديمة (ملفيلد) في بريطانيا، وبعدها بأكاديمية ساندهيرست الملكية العسكرية بالمملكة المتحدة، وكان تعليمه الجامعي في جامعة كنجهام (بريطانيا)التي أسستها المسز تاتشر (رئيسة وزراء بريطانيا السابقة) وبدأ منها دراسة الحقوق لسنتين قبل الالتحاق بجامعة لندن التي تخرج فيها في العلاقات الدولية وإدارة الأعمال. ومن أعماله التطوعية، رئاسته لـ "جمعية أصدقاء حضرموت" وهي مؤسسة خيرية مسجلة في بريطانيا تهدف إلى مساعدة الأهالي في تحسين أوضاعهم بأنفسهم، وخاصة النساء والأطفال والمحتاجين، وتركز على تقديم الدعم لتحسين الأوضاع في مجالات التعليم والصحة



السلطان غالب مستعداً للنزول إلى المكلا بعد وصوله إليها مع السلطان حسين بن علي الكثيري ورئيس المجلس القبلي المهري ومرافقيهم. وفي الصورة من اليمين: الأمير عبدالمجيد بن علي الكثيري، السيد محمد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، عبدالله سالم باعشن، السلطان حسين بن علي الكثيري، عبدالله بن عاشور (سكرتير الوفد المهري)، حسين ابن القائم مصطفى بن سميط، السلطان غالب، وذلك قبل منعهم عنوة من النزول إلى المكلا من قبل جيش البادية وبتعليمات من بريطانيا. وكان اسم الباخرة "فوزية" وتابعة للشيخ محمد أبوبكر باخشب باشا.

والإغاثة كما يتيســـــر، وهي تخضع مثل جميع الجمعيات الخيرية البريطانية لتدقيق سنوي من قبل الجهات المعنية المتخصصة لهذا الغرض. وله ابن وابنة.

كما لي ابـنتان، وهما متزوجتان وبـأولاد. أكملن الثانوية في جدة، وبـعد ذلك التحقـت الابـنة الأولى بمدرسـة وستنبـرت ببـريطانيا وأكملت دراستها الجامعية في جامعة أكسفورد البريطانية مثل والدها، وتخصصت في دراســة الحقـــوق وتخرجت محامية. والابنة الأخرى درست للشهادة الجامعية الأولى في الجامعة الأمريكية بالقـاهرة، ثم أكملت الماجســـتير في جامعة لندن، وهي محاضرة جامعية.

• هل لك أن تســتعرض لنا الكتب التي قـــمت بتأليفها؟.

١- "تأملات عن تاريخ حـضرموت قبـل الإسـلام وفي فجره" مع مســح عام عن نتائج علاقـــات الحضارمة عبر الأزمنة بشعوب جنوب وشرق آسيا (باللغة العربية).

٢- لملمة لمجموعة من مقالات تاريخية وأدبـية واقـــتصادية نشـــرت لي تحـــت عنوان "مقالات"(باللغة الانجليزية).

٣- ترجمة إلى اللغة الانجليزية لديوان صاحـب السمو الملكي الأمير عبـدالله الفيصل آل سـعود (يرحمه الله) المسمى "وحي الحرمان". (لم يطبـع إلى الآن).

٤- "الحـــرمين الشـــريفين والحـــج والعالم الإسـلامي- تاريخ – من أقـدم العصور والروايات إلى ١٣٤٤هـ(١٩٢٥م)". (بـــاللغة الانجليزية). (طبع في أمريكا، وقـدم له الأمين العام السابـق لمنظمة التعاون الإسـلامي معالي البروفيسـور أكمل الدين أحســـان أوغلو، ونال استحســـان الأوســاط الأكاديمية الغربـية، وعلى رأســها، بروفيســـوران من جامعتي هارفارد في أمريكا وكيمبردج في بريطانيا.

٥- "دعوة الشيخ محـمد بـن عبـدالوهاب والدول الســعودية الثلاث- وظهور المملكة العربـيـة السعودية الحديثة"(باللغة الانجليزية).

٦- منتهى الأماني في تاريخ مكـة والمدينـة والعالم الإســلامي (من أوائل العصور وأقـدم الروايات إلـى عـام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)- ثلاثـة مجلدات - (باللغة العربية).

٧- "دراسـة عن حـياة وفكر الشـيخ محـمد بـن عبـــدالوهاب والدولة الســـعودية الاولى (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م – ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م". (باللغة العربية).

٨- "الالتزام بقـواعد اللعبـة أو قـدح مسـموم – تعليق السـنوات الأخيرة من وجود بـريطانيا في جنوب الجزيرة العربـية وسياسـتها" (بـالانجليزي، وجاهز للنشر منذ أكثر من ثلاث سنوات).

٩- "ســـــيرة وعصر نظام الملك آصف جاه" (مؤسـس دولة حيدرابـاد – بـاللغة الانجليزية ويطبع حالياً).

هذه أهم ما قـمت بـتأليفها وعلى وشـك كتب أخرى منها مذكراتي، وعن تاريخ حـــضرموت، وأيضاً عن تاريخ أســـــرة والدتي، وعن تاريخ الأسـرة المالكة ومملكة حيدرابـاد، وكتاب عن سيرة وحياة وانجازات الملك الشهيد فيصل ابـن عبـدالعزيز آل سـعود، يرحـمه الله، مع كتاب عن جميع الأسر الحاكمة في محـميتي عدن الشرقـية والغربية.

• يدرك الجميع اليوم ما يحـــدث في المشـــهد السياســي الوطني، ولكم الكثير من المواقـف والمبـادرات المعلنة والمحـددة بـرؤية واضحـة المعالم منذ سنوات خلت، هل لك أن تضعنا أمام رؤيتك للخروج من النفق المظلم لحـــضرموت خاصة والوطن عامة؟.

- إن رؤيتي التي وضعتها قبـل أعوام معتقـداً أن فيها يكمن إنقـــاذ الموقـــف والتي لم تشـتهر لســوء الحـظ كما ينبـغي في تقـــديري، هي مازالت المفتاح في خطوطها العريضة لإنقـــاذ بـــلادنا ومنطقـــتنا مما تعاني منها. إننا لم نكن ضد مبـــــادئ الوحـدة أو الاتحـاد أو الانتماء بأشكالها المختلفة شـريطة أنها تعود بالمنفعة بالتساوي على جميع الأطـراف المعنيـة. إنما هذا لا يعني بـأننا راضون عن التناســـــي أو التجاهل لأصلنـا وفصلنـا وكياننـا الأساسي. فكما ذكرت سابقاً أن مساحـــة شبـــه الجزيرة العربـية تساوي قـارة أو شبـه قارة وتعادل على سبيل المثال أوروبـا الغربـية (دون روسيا).


السلطان غالب بن عوض القعيطي مع نجله الأمير صالح

ومثلما هو الحال في أوروبا، التي تأوي عدداً كبيراً من الدول المختلفة التي قـررت بـالاتفاق على التعاون للمصلحـة العامة ويسـتفيد منه جميع الشـركاء، فالجزيرة العربـية أيضا كانت تأوي بـالمثل دول مختلفة معروفة منذ فجر التاريخ، وردت إشـارات لها في مصادر شـتى منها كتب التاريخ والآثار والكتب الســـماوية مثل "العهد القديم" والقرآن الكريم والثقـافة والشـعر والآثار التاريخية لا يمكن طمســـــها. وفيما يتعلق بحـضرموت فقـد ورد اسـمها حـتى في سـفري "التكوين" و"الصحاح" في "العهد القـديم"، وفي القرآن الكريم تحـت تسـمية الأحقـاف، كما هناك إشارة إلى اليمن تحت تسمية سبـأ. وبـالاختصار، إن الحـل الكامل والشـامل في هذا العصر، عصر العولمة والتخطيط الاقـــــتصادي والتنموي التكاملي لجميع مشاكل منطقتنا بـكامله، يكمن في الانتماء إلى كيانات أكبـــر لديها الإمكانيات الكافية لتحـقيق الأهداف التنموية عبـر تخطيط تكاملي والإشـــارة، هنا في حـــالنا الآن هو لدول مجلس التعاون الخليجي في شـــكل، وأن يكون ذلك في شكل وحـدوي، وإن لم يتيسـر ذلك ففي شكل انتماء الجميع (حضرموت والجنوب واليمن وغيرها) على الســـــواء إلى كيان انتمائي آخر. وعلينا المحاولة بـكل وسيلة وتضحـية لإزالة أية خلافات أو أسبابـــا للتحـــفظات التي قـــد يكنها أعضاء هذا الكيان تجاه أمر قبـولنا كعنصر مفيد وعلى أسس متساوية بـهم. وقـد يكون ذلك في شـــكل تغييرات من نواح سياســية (من حـــيث النظام) ومذهبـية وغيرها. وبـما أن الاقـتصاد الصحي يعد اليوم عصب الحيوية والانتعاش لأي مجتمع، فعلينا بالسـعي المجتهد لتحقـيق هذا الهدف، الذي هو الوحـــدة معهم أو على الأقـــل الانتماء إلى أسرتهم، مع الاقتراح للجميع بـأنه لا مفر أمامنا وأمامهم أيضاً سوى تبـني هذا النهج. كما أن الظروف المستقبـلية سـوف ترغم الجميع على تبـنيه. وكما ذكرت، أنا أتمنى أن يقـترح هذا لأبـناء "حـضرموت الكبـرى"(أو الجنوب العربـي)،

كما نقترح ذلك وبكل إخلاص لإخواننا اليمنيين أيضاً وبأن خيرهم يكمن في الانتماء إلى كيان مثل هذا كأسرة واحدة، سواء في الشكل الحالي لمنطقتنا (أي الدولة الموحدة)، أو كدولتين كما كان عليه الأمر سابقاً. وأعتبر أن حرمان شعب المنطقة لدى استقلاله في التعبير عن رأيه حول مستقبله السياسي عبر استفتاء وفقاً لمقررات هيئة الأمم، كما حصل في ١٩٦٧م كان خطأ وجناية كبرى في حقه، ونعاني من نتائجه المتنامية سوءاً باستمرار اليوم. وعلينا بالاعتراف بكل صراحة وجرأة أنه تكرر هذا الخطأ مرة أخرى من قبل الحكومة الاشتراكية في أمر اتخاذ القرار في مسألة الوحدة عام ١٩٩٠م.

إن ممارسة كهذه (أي إجراء استفتاء) في الشكل المجدي المطلوب والذي بالإمكان تطبيقه في منطقتنا مع مراعاة ظروفها البيئية يقطع الطريق أمام جميع الحجج المعارضة لقرار الغالبية، ويجعل الشعب متقيداً بنتائجه ومتحملاً مسئولية قراره دون حجة.

ويجب علينا عند اتخاذ قراراتنا أن نعطي للظروف الموجودة في ديارنا مع النظر إلى الإمكانيات المستقبلية لأمر حياتنا ومستوانا المعيشي اعتباراً خاصاً بل الأسبقية على عوامل أخرى قد تكون منبثقة من أفكار مستوردة لم يكن غالبية الشعب في وضع لاستيعابها وفهمها والتنسيق معها للاستفادة منها كما هي الحالة الآن في منطقتنا وفي كثير من البلدان! فعلينا أن نحاول أن نبني ونطور مؤسساتنا المختلفة المنبثقة من تراثنا، حيث أنها تشكل الجذور الطبيعية لتنميتنا وتطورنا في بيئتنا.

• أثقلنا عليك كثيراً، فماذا تقول – في ختام هذا الحوار – لأهلك وناسك ومحبيك في حضرموت الوطن والمهجر؟.

- أريد أن أذكر الجميع في الختام ألا ينسوا بأن الدولة القعيطية كانت أسست بالأول "مرضاة لله"، وتجاوباً لإلحاحات شعبية موجهة لذوي المال لإنقاذ البلاد من حالتها المضطربة، والذي كان قد ترتب عليها أن يقوم جدي عمر ابن عوض الأول بحبس الثلث من كل ما يملكه في عام ١٢٧٩هـ لهذا المشروع، جاعلاً ثلاثة من أبنائه الأوصياء المشرفين عليه، وبأن نوعية العمل والتعامل المطلوب مع الأطراف الأخرى لتنفيذ شروط الوصية وتغطية احتياجاتها الإدارية والدخول في اتفاقيات وتحالفات يضاف إليها عوامل السياسة الدولية، كانت دفعت بالنظام المؤسس لهذا الغرض أن يتخذ شيئاً فشيئاً شكل دولة بسلطان على رأسها بدلاً من أوصياء مشرفين على تنفيذ شروط الوقف المشار إليه. وبعد تأسيس الدولة والاعتراف بها، وبما أن مساحات حضرموت الشاسعة كانت في حاجة إلى إمكانيات ضخمة لتغطية جانب وجيز من الالتزامات الإدارية والأمنية، فكانت الأسرة تغطي العجز في الميزانية إلى حد النصف لغاية بعد توقيع اتفاقية الاستشارة مع بريطانيا، كما أنها قدمت أملاكها الخاصة للاستخدام للمصلحة العامة طوال تاريخها وخصوصاً في عهد جدي السلطان صالح، ولكن يؤسفني أن أذكر بأنني لم أرَ اعترافاً أو تقديراً لمثل هذه التضحيات النادرة التي قل أن تجد مثيلاً لها في التاريخ!.

وإنني إذ أرى بكل تواضع أن كلاً من أسلافي قد أدى دوره وفقاً لمفهومه ومقدوره في صيانة روح وصية جدي عمر بن عوض الأول، وأسأل لهم من الله الرحمة والمغفرة ومنكم السماح على أية غفلة أو سوء فهم أو تصرف صدر منهم عن غفلة أو جهل. وأما أنا فتركيب مزاجي الشخصي وتدريبي منذ الصغر كان دائماً يحثني ويدفع بي إلى التطوع لخدمة المجتمع والعمل للخير امتثالاً بكل تواضع للتعليم الصريح الوارد في الذكر الحكيم، وهو: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ....." إلى آخره، وذلك ابتغاء "مرضاة الله" المبرر الأول الذي كان دفع عمر بن عوض الأول بحبس الثلث من أمواله. ولا أخفي عنكم بأن بسبب تركيبي المزاجي هذا ومحاولة مرضاة الكل أيضاً- وهي غاية لا تدرك – قد واجهت مصاعب كثيرة في حياتي، ومازلت، بدلاً من التقدير المرتقب. إلا أن تركيبي المزاجي مازال يحتمني أن أستمر عنيداً في تمسكي بهذه المبادئ، والتي - أيضا - تعد مبادئ أسلافي من قبلي، يرتاح لها ضميري.

والذي يسعدني ويعد مصدراً إضافياً لارتياح ضميري هو أن مكانتي في حضرموت في قلوب الناس البسطاء والعاديين الذين عرفوني بالرغم من معدومية وجود وسائل إعلام متطورة خلال فترة حكمي في حضرموت،هي مازالت والحمد لله محفوظة، والدليل على ذلك ما شاهده الجميع من نتائج زيارتي الشخصية القصيرة لحضرموت عام ١٩٩٦م، التي كانت هزت كيان دولة الوحدة المشئومة هذه، وأدهش منها اليمنيون خشية وغيرة بالرغم من أنني لم أعد لممارسة أي نشاط سياسي، بل لكي أستقر في بلادي وبين أهلي ومحبيني. وبهذا الصدد، أسمحوا لي بالإشارة إلى قصيدة ألقيت ترحيباً بي ألقاها الشيخ سالمين بن حسين الحضرمي عند زيارتي لغيل باوزير ولقائي جمعاً من الأعيان والشخصيات الاجتماعية والأهالي في منزل الشيخ عبدالله علي بامخرمة، وعنوانها: "نصفة السلطان"، وهي:

"نصفة السلطان هو وعيسى مسلم وعيال باحشوان
وعمي حسن قحطان يا سعاد الزبينة وين بازرقان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح





صورتان تاريخيتان: الأولى للسلطان غالب والثانية لبطله وجده السلطان صالح بن غالب يرحمه الله

لي تربيت معهم وانقضى لك بهم شأن نصفة السلطان
جاء لك بالخير ذاك سلطان غالب اتبعتوا الغير
قع لكم في بئر ماشي بها ماء شاغله نيران
خلف الخيرات في البخاخير والدكة وعالنشات
ما يورد قات بالبقش يشتري الحاجة من اليابان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
نقص في التعليم والمدارس خرايب ما بهم ترميم
هكذا التنظيم يفرح الا اذا شاف المحل خربان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
شف عيال السوق صبحوا حسنك الازهر سود محروق
كل شيء مسروق فيه حتى الوثائق طلعت دخان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
حاشا على المصدار ما بدا يوم فكر ان يؤمم دار
يا لي بشعبه باريوم دبر من البندر وهو حبان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
لي بقوا شطار واعدوا بالرخاء هم وصرهم تجار
طلعوا الأسعار في الغذاء والدواء كله وفي السيمان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
سالمين حسين وين وقت القعيطي الزمان الزين
الرز بو نارين لا طبخته يصنخ في ذهان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
كثرت الأحكام اللي ادعى ما قنع والمدعي حنقان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
عد إليهم عود عد نظر في المزارع لي كلاها الدود
عد وهت لك عود هذا الشعب حق عده وحق عيدان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
العفو يا سلطان طالب العفو شعبك معترف غلطان
كان يا ما كان وانته بالعفو أهلاً ونعم السلطان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
يهدلوا بالباغ بالذي يشربونه الشراب الياغ
ياغ منهم ياغ من خرج برع السده رجع ديخان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
القعيطي الزين راح والسلطنة ماشي عليها دين
وين مثله وين لا ظهر عندنا مثله ولا حد بان
حب في القلب واضح لعوض وغالب وصالح
لي تربيت معهم وانقضى لك بهم شأن
نصفة السلطان".

كما كتب المحامي بدر سالمين باسنيد مقالاً في جريدة "الأيام" العدنية بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٦م (الذي أتى من عدن للدفاع في المحاكم عن بعض الاشتراكيين الذي اتهمتهم الدولة ببعض التهم)، وكان نازلاً في فندق الأحقاف الذي كنت نزلت فيه أثناء زيارتي للمكلا). وقد كان عنوان المقال "الاستفتاء العظيم". وقال فيه:

"يوم ١٤ سبتمبر ١٩٩٦م .. وأنا أخرج صباحاً من غرفتي في فندق الاحقاف بالمكلا أرى استعداداً متميزاً في الجناح المقابل.. ورود قد جرى وضعها على جانبي مدخل الجناح.. سألت العامل القائم على أعمال الترتيبات، قال لي العامل: السلطان سيكون جارك، في تلك اللحظة كانت إحدى الفرق الشعبية تعرض رقصاتها عند باب الفندق.. خرجت حاملاً حقيبتي متوجهاً للمحكمة الابتدائية في المكلا.. لم أجد أحداً هناك واضطررت إلى العودة للفندق، في الطريق.. كانت تسير عشرات من السيارات المتنوعة، الآلف من البشر.. منهم من يجري، منهم من يسير على الطريق مهرولاً منهم من تسلق جدران المنازل على الجبل المشرف على المكلا.. مسيرة عظيمة في حجمها.. عظيمة في هيبتها.. نساء ورجال وأطفال وشيوخ يستقبلون ويرافقون سلطان حضرموت غالب ابن عوض القعيطي.. هتافات لم يتوقعها أحد.. هتافات حسمت نتائج أية انتخابات قادمة.. وقال الناس في هذه المحافظة كلمتهم في استفتاء عفوي.. صريح شجاع عبروا فيه عن واقعهم المرير ورغبتهم الصادقة في التغيير.. رغبة سيكون كاذباً من يقول غيرها.. كلمات سوف يكذب من سوف يحاول تحريفها وتلوينها.. كلمات حددت رأي الناس.. في استفتاء لم يحضر له أحد.. وحركة شعبية عكست إرادة الناس ورأيهم مسبقاً في أية انتخابات جرى التحضير لها.. بصور استفزت الكثيرين.. وانتقدتها الأمة.

مرحباً برجل غادر بإرادته.. نعم غادر برغبته وإرادته تفادياً لفتنة.. وعاد كنتيجة لواقع.. أصبح يتطلب عودة كل من الناس.. من اختلفوا مع بعضهم البعض ومن اختلفوا مع الحكام، ومن تقاتلوا مع "المنتصرين" عودة المهزوم المنتصر وعودة المنتصر المهزوم أو بقاؤه.

هكذا كنا نقول دائماً الوحدة الوطنية ولكن بمفهومها الصحيح، الديمقراطية ولكن بمفهومها الصحيح، إذا أردتموها المخرج، حتى تسود الفرحة الصادقة الحقيقية لدى الناس، وحتى يطمئن كل إنسان على شخصه وحياته وأسرته، وحتى يعود رأس المال الوطني، ويتم بناء حقيقي للوطن، وليس نهباً ونهباً ونهباً لكل شيء، كما هو حاصل اليوم، نهب للأرض والمال وللصحة وللكلمة وللهواء.

عودة السلطان القعيطي تعني للناس هنا في حضرموت اليوم الوحدة الوطنية الصحيحة.. عودة السلطان أظهرت نتائج استفتاء.. لا يستطيع أحد مهما كان أن يكذب أو يطعن في نتائجه.. عودة السلطان حسمت الخلاف حول قوائم القيد والتسجيل وأصبحت لا جدوى لها في حضرموت. فهل تفهم العقول اللبيبة؟ وهل يفهم الحكماء؟ إذا بقيت حكمة اليمن،هل يفهم هؤلاء حقيقة الوحدة الوطنية وماهيتها؟ رغم حديث ثلاثين عاماً عنها كذباً وزوراً وبهتاناً".

ومع ذلك والذي سلف، أعارض بشدة تشجيع أهلي على الانزواء، بل أتمنى منهم الخوض في عمق العملية والتصدر لقيادة المسار وتوجيهه. وهذا الذي عرف به أسلافنا منذ القدم.

إن من مشاكلنا الكبرى أن نمنح دائماً الأولوية لمصالحنا الشخصية على المصالح الجماعية، متجاهلين أننا نحن أيضاً عقد من سلسلة جماعية، فإذا استفادت الجماعة، فنحن أيضاً نستفيد عبرها مع الجميع بدلاً من على حساب الجميع. وقد أشار سابقاً إلى هذه العقدة المتجسدة فينا اختصاصيو علم الاجتماع أيضاً. فأقول بإلحاح أنه إذا لم نتمكن من التغلب على هذا الداء، فسيكون تحقيق مستقبل مشرق لنا أمراً صعباً للغاية بل شبه مستحيل.

وفي الأخير، أسأل منكم المعذرة على تبني أسلوب الصراحة في إجاباتي هذه، وإن يكن جارحاً في أحيان، والله يحفظكم وبلادنا وأهاليها مع الأمة المحمدية دائماً من كل سوء، ويوفقنا دوماً لكل ما فيه خير الجميع – آمين.



السلطان غالب بن عوض القعيطي في زيارة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله في الرياض

قرن ماجد ... منطقة وحاكم





رصد: يوسف عمر باسنبل

منطقة قرن ماجد هي أول المستقبلين للداخل لوادي دوعن الأيمن، غير أنها لم تأخذ حقها فبالكاد تجد الإشارة عابرة إليها في كتب التاريخ، ومن هذا المنطلق أتت فكرة تسليط الضوء عليها عبر صفحات مجلة (حضر موت الثقافية).

تقع قرن ماجد بجانب المرتفعات الشرقية لمدخل وادي دوعن الأيمن وترجع تسميتها بقرن ماجد إلى وجود القلعة الأثرية الجميلة على حافة الجبل المطل عليها ولكن الأرجح أن التسمية كانت قبل بناء القلعة (الحصن) التي كانت ولايتها للشيخ عبود أو عبد الله القحوم أحد آل الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي، وله أخبار عجيبة، و أشعار على لسان العامة و يقال إنها المكان المرتفع وسكان القرن آل القحوم العمودي والبانوير والباريان والبايوسف وهم أول من سكنها بحسب رواية المنصب عبود بن محسن القحوم البانوير.

الشيخ الشاعر حسن بلخير وأهل (قرن ماجد):

الشيخ حسن بن عبدالله بلخير - يرحمه الله - شاعر معروف توفي في العام ١٣٥٠ هجرية وقد عاصر الكثير من رجالات وادي دوعن ولا تخلو الطرفة من مجلسه وله القصيدة المشهورة في ألقاب البلدان في وادي دوعن إلى حريضة، والمسمّاة (يالله عسى الذنب اغتفر) فقد عم بلاد وادي دوعن وذكر ألقابهم شعراً ولا يقصد في ذلك إلاّ الطرفة والمداعبة وله مداعبات وملاطفات شعرية كثيرة منها:

أنه مر يوماً من الأيام على قرية (قرن ماجد) وكان لقبهم: (اتقوا الله) وهذه لها قصة مشهورة, ووجد أهل القرية جميعهم في زواج فعندما شاهدوا الشيخ حسن بلخير رحبوا به وطلبوا منه أن يقول لهم شعراً ويزملون به فقال لهم:

من هو يروم الدائرة (الله ربه يتّقيه)
ومن ذكر ربه ذكر ومن نسي ربه نسيه

فزعلوا منه كل أهل (قرن ماجد) ليلتها ولم يتجرؤوا عليه لوقاره ومحبته ولمعرفتهم بسلامة صدره وصفاء سريرته , ولكنهم لم يزملوا بهذا البيت فطلبوا أن يقول لهم بيتاً آخر فقال:

يا هاجسي بالله قُمْ وابتهج في قولك وقُصْ
أمّا العُرْس صَفْوه يعُم والفائدة واحد تخُصْ

فزملوا بهذا البيت وأدخل في قلوب أهل القرية السرور بعد الزعل في تلك الليلة.

وأهل قرن ماجد يغضبون إذا قيل: (اتقوا الله)، وسبب ذلك أنّه كان لواحد (علب) وهو شجرة السّدر في جربة أحدهم، فعرض عليه فيه أكثر من قيمته، فامتنع، فلم يكن إلّا أن سرى بأهل قريته فاجتثّوه من أصله واحتملوه، ولم يتركوا له أثراً لا ورقة ولا غيرها ثمّ أثاروا الأرض من ليلتهم، ولمّا جاء صاحبه، تحيّر في أمره واندهش في نفسه واختلج في عقله، وظنّ أنّ بصره كذبه، ثمّ صاح: (اتّقوا الله يا أهل قرن ماجد، أين علبي؟)، فصاروا يغضبون من ذلك. ومنها أتى اللقب الذي يعدّه البعض

دليلا على دهاء وقـوة أهل المنطقـة الذين يشتهرون اليوم بسرعة البديهة .

الشيخ القحوم حاكم قرن ماجد في القرن الحادي عشر الهجري

وأثناء النزول للمنطقة مع الأخ عبدالله محمد بانوير من سكان المنطقة التقينا المنصب عبود بن محسن القحوم العمودي الذي يسكن منطقة بلاد الماء المجاورة للقرن وتحدث عن الشيخ عبود بن محمد القحوم حاكم منطقة قرن ماجد بأنه من مواليد منطقة بضة في القرن الحادي عشر الهجري في الجور المسمى الدرع عند أهله آل محمد سعيد العمودي بجوار مصنعة بضة ولقب بالقحوم في صغره وهو من فخيذة تضم أربع ديار إخوان أي أربعة من الآباء ودارهم تسمى (دار الجد) وهي موجودة للآن في بضة في جور الدرع (الأربعة الإخوان هم : آل محمد بن سعيد العمودي وآل مطهر العمودي وآل حمد العمودي وآل عبدالقادر العمودي وجميع آل العمودي أخوان وجدهم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي) والشيخ عبود القحوم من دار آل محمد بن سعيد العمودي وإخوانه أهل داره في بضة آل الدقم العمودي والهندي والبادريق والمصري وال حمد بن محسن وكلهم من آل العمودي وأما إخوانه في بلدات أخرى فهم في صيف آل حمد بن حسين العمودي وأخوانهم وأهل حيد الجزيل آل العمودي وآل قاسم العمودي في صبيخ وآل محمد بن سعيد حكموا عدة مناطق من بينها قرن ماجد وما تبعها (بلاد الماء والعرسمة والجحي وخديش) وبعض الديار من ال العمودي لها بادية وبالأخص الذين حكموا حسب العوائد والسوالف، وللشيخ عبود القحوم (٥) أبناء انتقل محمد لمنطقة بلاد الماء وأحمد إلى خديش وبقي في القرن حسن وصالح ومحسن و توفي الشيخ القحوم سنة ١٢٩٦هـ.


المنصب
عبود القحوم

وكان حكم الشيخ عبود بن محمد العمودي يشتهر بالتقى والحكمة، وكان شاعراً مجيداً ويعدُّ من كبار الشعراء في عصره وله قصائد تعد من عيون الشعر الشعبي، و فقيها عالما، طلب العلم في مكة المكرمة، وصحبه الشيخ عبد الله بن أحمد باشميل والجمعدار عبد الله بن علي العولقي ومن الشعراء الشعبيين الذين عاصروا الشيخ القحوم, الشاعر المعلم عبدالحق والشيخ مقدم بن سالم باوزير والشيخ أحمد بن علي باوزير مولى النقعة وغيرهم وخلال فترة حكمه لم يحالف السلاطين ولم يخضع لحكمهم ومما يروى عنه أنه قام بعزل القاضي باشميل في العرسمة الواقعة تحت حكمه وذلك عندما رأى هلال العيد ولم يكن لديه شهود وقام بعزل القاضي حتى لا يتحمل القاضي ومن ثم قام بإرجاعه بعد يومين للقضاء .

من أشعاره:

عيني وَجِيْعَه لا هل ليات الظروف
وأنكر وجع عيني وقع من يدي
وان القبيلي قرش لما يصطرف
إذا اصطرف ضاعت عليه العدّى

ومن محاسن شعره وبعضهم يرويه لغيره:

الهرج له شوكه وله ميزان
قدام ما يخرج من الحلقوم
وَلى خَرَجْ شاهد على الإنسان
مثل الظرف لي قابل التبشوم

والتبشوم هو البارود، يكون في أسفل البندق، والظرف ناب الفتيلة المشتعلة إذا لاقت البارود اندفع وصاحت الندقة ومنه قوله في وصيته لابنه :

يا الله يا رباه باجزل العطاء عبدك دعاك
خائف رهين الذنب راجي من قبل جودك فكاك

إلى أن قال:

الشده الشده بها طول المدى عامل عداك
ولا يروعك فسل في الوقت العصب يهدم بنك
وان بـا تخوض الماء، تَوَحّ الغوط قِدّم له عصاك
وادفع بميسورك ولا تِكرَهْ إذا الطرش ضواك

وصيته لابنه محمد:

هذه القصيدة للشيخ عبود بن محمد القحوم العمودي لابنه الأكبر محمد الذي تولى الحكم فيما بعده:

يا الله يا رباه يا جزل المدد عبدك دعاك
خائف رهين الذنب راجي من قبل جودك فكاك
إني طلبتك بعد قطع اليأس كله من رجاك
مالي رجاء في الخلق ياجزل المدد إلا رجاك
أنت الذي تغفر وترحم من دخل داخل حماك
يا ربنا سالك بجاه المصطفى خير أنبياك
أن تصلح أحوالي وتغنينا عن ذا وذاك
يالمعطي الوهاب الأكبر ما العطاء إلا عطاك
وبعد نا بوصيك يا زرع الفؤاد امكن عراك
يا نور سري يا جمال الدين أسمع ما أتاك
أعكف على الطاعة وشف في المعصية سمك وداك
وأحذر من الدنيا ونفسك والطمع واقمع هواك
وأرفق باخوانك ومن جاه الغضب أطفه بماك
والعلم والرحمة وحسن المعرفة وأبعد مداك
وأكرم بميسورك ولا تكره إذا الطارش أتاك
قابله بالترحيب والوجه الذي يوجب رضاك
وأنفق ولا تبخل من البخل الكثير الله نهاك
والهمة العليا إذا رمت العلا الله علاك
والشدة الشدة بها طول الزمن عامل عداك
ولا يروعك فسل في الوقت العسر يهدم بناك
وأحذر من أهل الوقت لي يلقون سمّك في غداك
لي سار فيما بينهم الكذب والحلية سلاك
وأشتد للعادي إذا وطيت له رأسك طغاك
وإن باتخوض الماء باتوحي الغوط قدم له عصاك
وآمن على ربك وقل رب يا رافع سماك
الخير خيرك وإن أردت الشر كله من قضاك
ما يقدر الخلق في ضرك إذا الخالق حماك



76
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

أضواء على التراث المعماري لمدينة شبام حضرموت

(ثقافة إعادة البناء)



كثيرة هي المدن القديمة التي كانت في الماضي تمتلئ حيوية وحياة مزدهرة وصاخبة ثم لم تلبث أن انتهى كل شيء بالنسبة إليها ، وأصبح التاريخ يسعفها بشيء من الذكرى في صفحاته ، ولكن قليلة هي المدن القديمة التي احتفظت بعوامل البقاء وديمومة الحياة التي استمرت فيها دونما انقطاع رغم الكوارث الطبيعية والنكبات السياسية ، ومن تلك المدن تبرز مدينة شبام حضرموت ذلك النصب الطيني الهائل الذي يرتفع في قلب وادي حضرموت منذ زمن بعيد ، المدينة التي التصقت بالتاريخ ورحلت معه في أسفار عهود دون أن يضنيها التعب وتنهكها مشقة الأسفار ، المدينة التي أبهرت العقول وسحرت الألباب وكأنك تشاهد مارداً عملاقاً من عالم قد انقرض ، عالم ساحر بفنون أهله وملكاتهم الإبداعية .



أ.د. محمد صالح بلعفير

لقد لفتت مدينة شبام بجاذبيتها السحرية وبتعدد طوابقها وبأسلوب بنائها المعماري المتفرد أنظار المغامرين والرحالة والسياح والمستشرقين ، فوصفوها بأحسن الأوصاف ولقبوها بألقاب قلما حظيت بها مدينة في العالم ، وهي على حد تعبير بودلي تعد من المدن التي تكوّن أصل ناطحات السحاب في العالم الحديث ، وإن هندسة بنائها ومنذ قرون خلت أكثر شبهاً بهندسة نيويورك منها بالهندسة العربية ، ووصفها الرحالة الألماني هيليفريتز في القرن التاسع عشر بشيكاغو الصحراء ، ودعاها المستشرق الألماني فون فيسمن ورفيقه الهولندي فاندر ميولن (نيويورك حضرموت) ، كما وصفتها مجلة العربي الكويتية في استطلاع لها عن المدينة عام ١٩٦٥م بأنها أعظم مدن ناطحات السحاب ...بناها العرب الأقدمون قبل أن يبني الأمريكيون نيويورك بعشرات القرون .

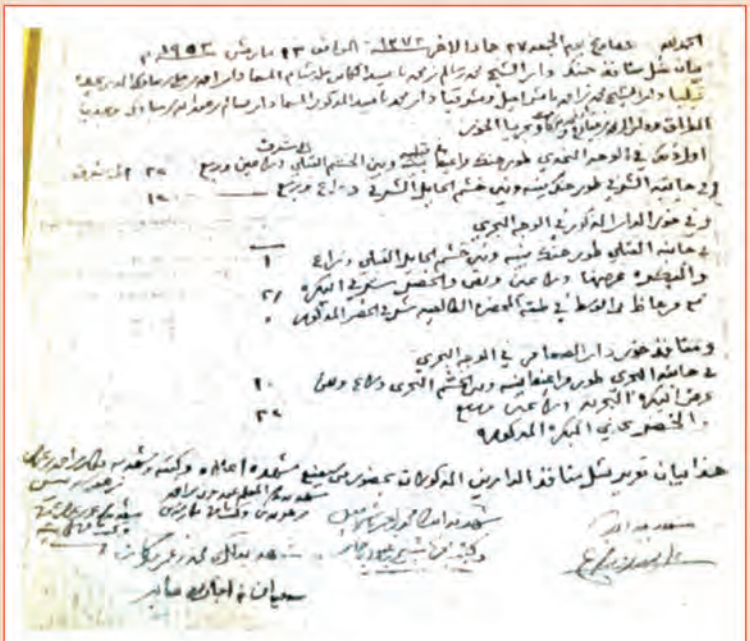
ولسنا هنا في معرض الإشارة إلى كل من زار مدينة شبام من رحالة ومستشرقين بدءاً من أدولف فون ريد ، وليوهرش ، والزوجان بنت ، وفريا ستارك ، وعدد آخر

من المستشرقين والضباط الإنجليز الذين عملوا في حضرموت ومحميات عدن الأخرى، إلا إن ما يمكننا قوله إن أوصافهم – على الرغم من إيجازها – قد أكسبت المدينة شهرة عالمية وتم الاعتراف بها من قبل المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) كأثر عالمي، وأدرجت مع آثار وادي حضرموت مجتمعة في قائمة التراث الحضاري العالمي.

على أن مما يلاحظ في تلك الكتابات وحتى وقت قريب، أنها اكتفت بوصف الشكل الخارجي لشبام وشوارعها ومعالمها التاريخية، وبعض مظاهر الحياتين الاجتماعية والاقتصادية فيها، ولم تستطع أن تدرس بعمق تاريخ المدينة وفهم الأسباب أو الأسرار التي تقف وراء شغف الشباميين بتشييد ناطحات السحاب.

والحق أن التراث المعماري لمدينة شبام يكتنفه صعوبات جمة، إذ لم تتناول المصنفات التاريخية على قلتها هذا الموضوع من قريب ولا من بعيد، وهذا سبب دفعني منتصف الثمانينيات من القرن الماضي (العشرين) إلى التوجه إلى المدينة لقرع أبواب ساكنيها للحصول على قدر ولو ضئيلاً مما يمكن معرفته من حقائق بهذا الصدد. ولحسن الحظ فقد تمكنت آنذاك في زيارات عمل ما هو خاص ومنها ما يتعلق بطبيعة عملي الآثاري ومشاركتي مع خبراء منظمة اليونسكو، أن أجمع ما أمكن لي جمعه ومعرفته عن أسرار البناء في المدينة، ولذلك فقد أثمرت جهودي واتصالاتي الخاصة بعدد من سكان المدينة وبخاصة المرحوم سالم محمد باعبيد الفوز بثلاث وثائق، وهي وإن كانت تحمل تواريخ حديثة وتعود إلى الخمسينيات، إلا أن صاحبها - المذكور آنفاً - قد أكد لي بشهادته وشهادة غيره، أن الأهالي قد اعتادوا ودرجوا منذ زمن بعيد على تسجيل مثل هذه الوثائق. والوثائق الثلاث المذكورة اثنتان منها تأخذان الطابع العرفي، أي ما تعارف الأهالي على العمل به فيما بينهم ودون الحاجة للجوء إلى السلطات المحلية، والثالثة هي أقرب إلى الصفة الرسمية، إذ إن البناء أو إعادة البناء يستلزم بالضرورة الحصول على موافقة المجلس البلدي بالمدينة، وهذه موافقة خطية لا تحمل ختماً رسمياً.

تشكل هذه الوثائق الخطوة الأولى لإعادة بناء أي منزل في مدينة شبام، وهي من أقدم العادات المتعارف عليها من قبل الأهالي، وفي تقديرنا ان أسلوب تسجيل مثل هذه الوثائق كان شفاهياً في القرون



نص وثيقة ١

الحمد لله وبتاريخ يوم الجمعة ٢٧ جماد الآخر ١٣٧٢ الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٥٣م بيان شل منافذ حنك دار الشيخ محمد بن سالم باعبيد الكائن ببلد شبام المسما دار أحمد بن علي بن مبارك الذي يحده قبليا دار الشيخ محمد بن أحمد باشراحيل وشرقياً دار محمد باعبيد المذكور المسما دار سالم بن عبدالله بن مبارك ونجدياً المطراق ودار آل محمد بن هيازع ودار محمد بركات وبحرياً الخور أول ذلك في الوجه النجدي طورحنك مراعيظ في قبليه بينه وبين الخشم القبلي إلى شرق ذراعين وربع > ٢ إلى شرق وفي جانبه الشرقي طور حنك بينه وبين الحايل الشرقي ذراع وربع ــــــــــ > ١

وفي خور الدار المذكور في الوجه البحري في جانبه القبلي طور حنك بينه وبين خشم الحايل القبلي ذراع آ

والبكرة عرضها ذراعين ونص والخصر شرقي البكره ٢/ مع مرعاظ في الوسط في طبقة المحضرة الطالعية شرقي الخصر المذكور ومنافذ خور دار الصعامر في الوجه البحري في جانبه البحري طور مراعيظ بينه وبين الخشم البحري ذراعين ونصف ٢/

عرض البكرة البحري ذراعين وربع ٢ > والخصر نجدي البكرة المذكورة هذا بيان تقرير شل منافذ الدارين المذكورات بحضور من سيضع مشهده أعلاه وكتبه وشهد به بكار بن أحمد بن عوض بن عمر سديس.

منافذ حنك: فتحات المزاريب (مخرج الماء)

الخشم: الركن. الزاوية قبلياً: غرباً. المرعاظ: المرعاض/ المزراب

نجدياً: شمالاً. البكرة: الجدار الذي يفصل بين النوافذ.

المطارق: الشارع. الخصر: الكنبار/ المرحاض. بحرياً: جنوباً

المحضرة: الغرفة الكبيرة. الخور: محل أو مكان الغائط.

الطالعية: العلوية. طور: صنف

من سيضع مشهده: مالك البيت الذي سيدشن عملية إعادة البناء بوضع الطوبة الأولى

الحايل: الجدار.

المعلم عبدون: كبير البنائيين الذي سينفذ عملية إعادة البناء.

بكار سديس: القائم بأعمال الشرع والعدل.

الماضية ، وهذا ما يفسر شحة وجود وثائق من هذا النوع الذي تدرج التعامل بـــه إلى درجة أن أصبح يحمل صفة قانونية .

ونعتقد بشيء من الجزم أن هناك سببين قد دفعا سكان المدينة إلى تسجيل مثل هذه الوثائق :

١- سبب وقائي : وهو الحفاظ على المنزل الجديد من الأضرار التي يمكن ان تسببها البيوت المجاورة ، فالتركيز على الحنك (فتحات المزاريب) يعني منع وصول مياه المنازل المجاورة أو مياه الأمطار التي تسيل من أسطحها ثم تنحدر باتجاه الشوارع ، من أن تمس المنزل الجديد .

٢- سبب اجتماعي : يقف وراؤه الوازع الديني والأخلاقي ، فالحياة الاجتماعية المحافظة وما يتبعها من عادات تحتم على الأهالي عدم فتح النوافذ أو غيرها من الفتحات الضرورية إلا في واجهة أو واجهتين فقط ، وذلك منعاً لكشف البيوت المتجاورة بعضها لبعض .

وتعرف وثائق إعادة البناء باسم (بيان شل المنافذ) أي تسجيل عدد ومقاييس المنافذ الخارجية للبيت الذي سيعاد بناؤه من جديد ، فقد جرت العادة حتى وقت قريب أنه عندما يريد مالك بيت أو بيت آخر تؤول ملكيته من شخص لآخر عن طريق البيع والشراء ، لزاماً عليهما أن يذهبا إلى القائم بأعمال الشرع والعدل في المدينة ، وهو في الوقت نفسه (ناظر السد) المسئول عن سد المدينة الذي يوزع المياه إلى الحقول الزراعية ويحميها في الوقت نفسه من خطر السيول ، وذلك لتوقيع عقد البيع بحضور عدد من الشهود . ولكن إذا ما أراد المالك الجديد للبيت أن يعيد بناءه من جديد وهو ما ينطبق أيضاً على الملاك القدامى ، فانه لا يحق له بأي حال من الأحوال ان يعيد بناءه دونما سابق إذن من المجلس البلدي (أنظر وثيقة رقم ٣) ووفق الطريقة التي يختارها هو ، ذلك أن هذه العادة لا تسمح للمالك الجديد للبيت ان تحدث أية تغييرات في واجهات البيت ، بل إن البيت لا يهدم إلّا بعد أن يعاين القائم بأعمال الشرع ، وكذلك معلم البناء الذي سيقوم بتنفيذ عملية البناء ، إضافة إلى عدد من الرجال المسنين بما فيهم الجيران الذين يتحولون إلى شهود .

وبعد المعاينة يقوم معلم البناء بأخذ (تسجيل) عدد المنافذ الخارجية ومقاييسها قبل تهديم البيت من خلاف (نوافذ) وحنك وهي فتحات المزاريب (المراعيض) ، كما تشمل هذه العملية منافذ الخور وهو مكان تجمع الغائط ، والبكرة وهي الجدار الذي يفصل بين النوافذ ، وكذلك الإشارة إلى السحسوح ويسمى أيضاً السلقة وهو حاجز عريض ذو انحدار مطلي بالنورة ومهمته



نص وثيقة ٢

بحمد الله وحده وبتاريخ يوم الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ ثلاث وستين وثلاثمائة والف بيان شل منافذ حنك دار محمد بن سالم باعبيد واخوانه عوض وعمر وأحمد الكاين ببلد شبام المسما دار معاشر الصاير لهم بالشراء من ورثة عمر بن احمد معاشر الذي يحده من قبلة المطراق ودار المسما دار يعقوب ومن شرق الخور ودار آل باشعيبان الصاير من آل الحبشي ومن بحر الخور ودار آل دحدوح ومن نجد دار آل وحدين والمطراق أول ذلك في جانبه النجدي بالخشم القبلي طور حنك عدد ٣ وتحتهن سحسوح منوّر وفي الخور في جانبه البحري فوق الخصر طور حنك عدد ٤ من الخشم البحري إلى خشم الخور النجدي ذراعين والحنك في المثناة وفي جانبه النجدي في المثناة طور حنك عدد ٣ في جانبه البحري إلى وسط الخصر ٢ ذراع وإلى خشم الخصر النجدي ١/ء ذراع والخصر بينهن وفي جانبه الشرقي إلى الخور خلاف كبار وخيش في كل طبقة من كل ساقط.

كتب ذلك وحضره وشهد به بكار بن أحمد بن عوض سديس شهد بذلك وحضر عبدون بن أحمد بن علي بن هويدي.

شهد أحمد بن عبدالله معاشر
شهد بذلك عوض بن سالم عفيف
وكتب بأمره أحمد عبدالله معاشر

شهد علي بن محمد باذيب

المثناة : الوسط
خلاف : نوافذ
خيش : فتحة مُشبّكة طبقة : طابق
ساقط : البكرة (الجدار ما بين النوافذ ومقياسه ٤ أذرع)
منوّر : مطلي بالنورة

تسهيل وصول المياه المستهلكة إلى المجاري العامة ، وكذلك كحاجز يقي أساس المبنى من خطر تسرب المياه ، وتسجل هذه الفتحات في الوثيقة . وعلاوة على ذلك يقوم معلم البناء باستيعاب عدد ومقاييس فتحات أخرى مختلفة الأحجام كالعكر وهي الفتحات المستطيلة الصغيرة التي تمد الطابق الأرضي بالضوء والهواء .

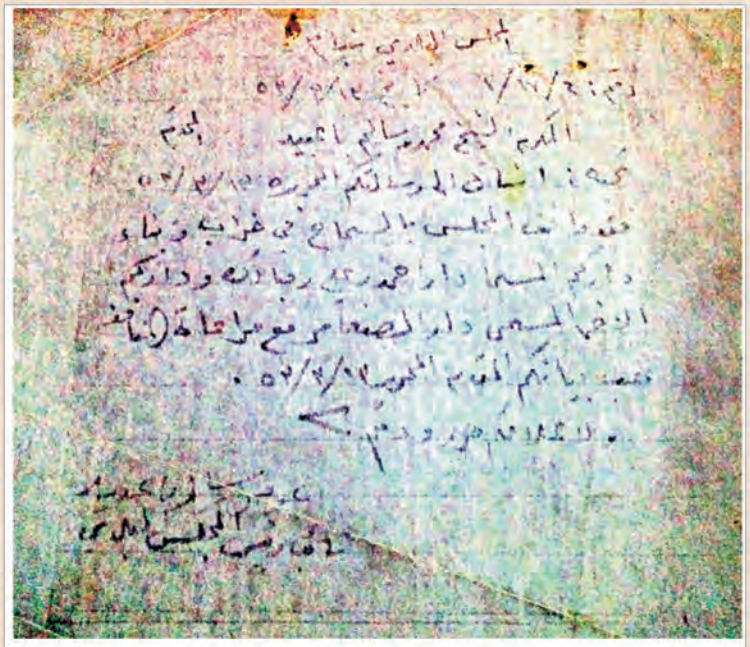
إن كل خطوات هذه العملية تؤخذ بحضور الجيران كما أشرنا ، لأنهم أكثر الناس تضرراً في حال أخذ المقاييس أثناء غيابهم ، وبعدئذ يلتزم مالك المنزل الجديد وبعد موافقة المجلس البلدي بعدم زيادة ولو مليمتراً واحداً على المقاييس السابقة والحفاظ عليها إلا في حالات الضرورة القصوى ، وذلك عندما يرى مالك البيت بعد سكنه ضرورة فتح إحدى فتحات الحنك أو الفرخ (مفردها فرخة) وهي منافذ الضوء في الطوابق العليا وهي أكبر من العكر ، والتي كان بعضها مغلقاً أثناء تسجيل عدد المنافذ ومقاييسها للمنزل ، وفي هذه الحال يتم التوقيع على ما يعرف باسم (الخط العاري) وكلمة عاري تعني أن تظل فتحات الحنك أو الفرخ مفتوحة لفترة زمنية مؤقتة في أي واجهة من واجهات المنزل .

هذا فيما يخص الشكل الخارجي للبيت ، لكن في مقابل ذلك هل يحق للمالك إحداث أي تغييرات داخلية في البيت ؟ . وفي هذه الحال يحق له اجراء أية تعديلات داخلية في تصميم الغرف وملحقاتها كيفما شاء على شرط ألّا يخل ذلك بالشكل الخارجي للبيت ، والالتزام بما ورد في (بيان شل المنافذ) وهي الوثيقة التي تسجل وتوقع من قبل الأطراف المعنية التي أشرنا إليها .

خلاصة القول ، أن وثائق إعادة البناء تعد من أهم العوامل التي ساعدت مدينة شبام على الاحتفاظ بشكل وتصميم المنازل خلال فترات تاريخية ماضية وحتى الوقت الحاضر ، ومكنها من الصمود أمام تحديات العصر بما حملته من أنماط البناء الحديثة في حضرموت ، وطراز العمارة الأجنبية التي نقلها المهاجرون الحضارم في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة والهند ، والتي وجدت متنفساً في كل من مدينتي تريم وسيئون ، وفي ضاحية السحيل المواجهة لمدينة شبام .

إن التراث المعماري لمدينة شبام الذي ظل محافظاً على أصوله وقواعده فترة طويلة من الزمن يجب أن يحظى في الوقت الحاضر باهتمام جميع الجهات الرسمية منها والشعبية ، خاصة وأنه لا يمثل تراثاً للشباميين وحضرموت واليمن فحسب ، بل وتراثاً وملكاً للإنسانية جمعاء .

إن إعادة بناء وترميم المنازل المهدمة في الوقت الحاضر وفي المستقبل يحب أن يأخذ بعين الاعتبار مايورد في بيان (شكل المنافذ) وعلى نتيجة تلك الجهود ومراعاة أعراف البناء نكون قد كفلنا مسألة الحفاظ على جانب مهم من جوانب التراث المعماري لشبام والتراث الإنساني كله ، وضمناً بالتالي استمراريته إلى الأبد ، والوقوف بحزم أمام أية تعديات طارئة تشوه الشكل الخارجي للمنزل الشبامي مثلما حدث في السنوات القليلة الماضية بعدما عمد البعض إلى طلاء المنازل بألوان فاقعة لا تتلاءم أبداً مع العمارة الطينية وغيرها من المصادر المحلية للبناء .



نص وثيقة ٣

المجلس البلدي في شبام

رقم ٤ / ٧٧ / ١ تاريخ ١٣ / ٣ / ٥٣

المكرم الشيخ محمد بن سالم باعبيد المحترم

تحية : إشارة إلى رسالتكم المحررة ١٣ / ٣ / ٥٣

فقد وافق المجلس بالسماح في خراب وبناء داركم

المسمى دار احمد بن مبارك وداركم الآخر

المسمى دار الصعامر مع مراعاة المنافذ

حسب بيانكم المقدم المحرر ١٣ / ٣ / ٥٣

ولإعلامكم حرر ودمتم

عوض بن سالم باعبيد

نائب المجلس البلدي

المقاييس في الوثائق

آ = ذراع واحد ٢/ = ذراعين

> ١ = ذراع وربع ٢/ء = ذراعين ونصف وثمن

/ ١ = ذراع ونصف ء مع ٢ = ثلاثة أذرع إل ثمن

> ٢ = ذراعين وربع

80
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

أوراق في تاريخ السلطنة القعيطية

الورقة الثانية

قتلة عمر عوض مخارش وعملية الطائرات ضد الحموم

خطها المرحوم العلامة/ محفوظ بن سعيد المصلي



إعداد: أ. د. أحمد محمد بن بريك

يقول المصلي:

" عدت من شبام إلى الشحر مسقط رأسي في يوم ... من شهر ... سنة ١٣٥٦هـ لزيارة عائلتي بعد وفاة والدي بعدة أشهر. وما مكثت بينهم سوى بضعة أيام وإذا أنا برسالة من الأمير عوض بن صالح القعيطي من المكلا يطلب وصولي إليه . وبناء على هذه الرسالة ذهبت إلى المكلا وواجهت فور وصولي إليها الشيخ سعيد احمد الحدادي وقد كان مساعداً للأمير عوض وقائماً بأعمال الإدارة في الدولة وتحدث معي بأن الأمير عوض يريدك أن تعمل عنده كمساعد وقلت له إنني موظف في شبام وما جئت إلى الشحر إلا لزيارة عائلتي وسأعود إلى شبام فقال لي إننا في حاجة إليك واخترناك دون سواك لما عرفناه من خبرتك وإخلاصك. وحاولت أن أتخلص لأني غير مرتاح للعمل في الساحل على الإطلاق ولكن الحدادي والأمير عوض عندما واجهته تشبثاً بي كثيراً مما جعلني أرضخ لطلبهما وتقرر لي مرتب مائة روبية استلمها من مالية المكلا علاوة على المائة الريال التي كانت مرتبة لي لعملي في شبام استلمها من مالية الشحر.

واستلمت العمل وكنت أسكن في الباغ في بنقلة صغيرة أنا والحدادي تقع بين بنقلة السلطان وبنقلة المستشار وكان العمل شاقاً وخطيراً في نفس الوقت . شاقاً لكثرته وخطيراً لما يكتنفه من صعوبات في الاستجابة لمطالب دار المستشار التي كانت أشبه بجزار والدولة أمامها كحيوان وادع مستسلم بين كل حين وآخر تطالب بسلخ جانب منه وهالني ما شاهدت ولكني صبرت على أمل أن أتخلص من العمل أو أبقى وأنفع.

وسالت الحدادي هل ترك لكم السلطان صالح لمدة غيابه في الهند برنامجاً تسيرون



القاضي محفوظ سعيد المصلي

عليه فقال لي إنه لم يترك لنا أي برنامج سوى قوله: استمروا في عملكم ولاحظوا الأمور، وكان الحدادي هو المسئول الأول عن العمل وهو الذي يقوم بدور التفاهم بين القصر ودار المستشار وكان عملي في المكتب أشبه بمساعد له.

وأخذت أزاول عملي وجاءت حادثة قتل عمر عوض عبود مخارش قائم غيل باوزير(٢) فقد كان عمر عوض مخارش خارجاً من الغيل في سيارة لوري ذاهباً إلى الشحر وعندما وصلت السيارة المكان المسمى الحمى إذا بجماعة من بحسن التامبول إحدى قبائل الحموم يظهرون على السيارة في كمين قد أعدوه لها ويطلقون النار عليها فيقتل سائق السيارة في الحال وهو رجل من سكان الشحر وعلى اثر ذلك غادر عمر عوض السيارة واخذ يتبادل إطلاق النار مع جماعة الحموم وأصابته رصاصه في جنبه وقتل في الحال . وجاءت الأخبار بالحادث إلى المكلا واهتممنا بالأمر وبخاصة أن الحموم بدأوا يتحركون ويخوفون من يمرّ في الطرق بالقتل والنهب وتقرر أن ترسل قوه إلى الشحر ومن الشحر توزع هذه القوة على الحامي والديس وقصيعر والريدة وصدر الأمر على ثمانين من عبيد الدولة وقبلوا الأمر إلا أنهم جاءوا يطالبون ببنادق ورصاص فبعضهم معه البندقية ولكن بدون رصاص وبعضهم لديه بندقية غير صالحة وتحتاج إلى إصلاح وبعضهم لم تكن لديه بندقية . وأمر الأمير عوض أن تحضر كمية من البنادق والرصاص من خزينة الدولة وما كان الأمير عوض يعلم عن الخزينة شيئاً ولا أين مفتاحها كما أن الحدادى نفسه لا يعرف شيئا عن ذلك وبعد بحث عرفوا المسئول عن خزينة السلاح فأحضروه وفتح الخزينة ولم يجدوا فيها لا بنادق ولا رصاص وجاء الحدادي إلي يخبرني بذلك فقلت له إنني ألومك أكثر من كل أحد لأنك تعرف إنك تنوب عن السلطان وقت غيابه وكان عليك ان تتأكد من كل شيء قبل أن يسافر وهذه غفلة تلام عليها أشد اللوم.

والآن فما العمل؟ والحالة تستدعي الإسراع بإحضار السلاح . أذكر أنني اتصلت بالمستر

انجرامس وأبلغته أنه لا يوجد سلاح في خزينة الدولة لا بنادق ولا رصاص فهل في الإمكان جلب بنادق ورصاص من حكومة عدن ؟ فقال لي أنه توجد لديه مائتا بندقية من نوع الهطف وأكد لي أنه سيقدم لنا ما نحتاجه منها.

وعدت إلى الحدادي وأخبرته ثم رأينا أولاً أن تفحص البنادق العاطلة التي مع بعض العبيد فإذا أمكن إصلاحها تصلح وتذهب القوة وإذا ما جاء السلطان إلى المكلا يكون التفاهم معه في هذا الشأن وهكذا أحصيت البنادق العاطلة وأصلحت.

وشحنت هذه المجموعة من الجنود العبيد في السبع سيارات ورافقتهم إلى الشحر ولما وصلنا الشحر سلمتهم نائبها وهو إذ ذاك الشيخ عمر صالح بن الشيخ علي ليتولى توزيعهم، وفعلاً وزعوا على القرى التي ذكرتها.

واغتنمت الفرصة حكومة عدن بسبب هذا الحادث وما سبقه من حوادث من الحموم أخلت بالأمن وقامت باتصالات مع الحموم بواسطة معتمدها في المكلا المستر انجرامس الذي هو في نفس الوقت مستشار الدولة القعيطية وطالبت الحموم بتسليم الجناة ودفع غرامة عدد من الجمال والبنادق ووزعت عليهم منشورات بواسطة الطائرات تتضمن الإنذار بأنه في حالة عدم استجابتهم لمطالب الحكومة سترميهم الطائرات.

لم يستجب الحموم لهذا الإنذار وبدأت عمليه الطائرات ترمي القنابل عليهم. كل هذا بدون علم الدولة القعيطية رسمياً؛ مخاطبات مع الحموم وتلاها إنذارات لهم ثم رمي طائرات كل هذا يجري ويقوم به المستشار وحكومة عدن ومكتب السلطان القعيطي لم يبلغ رسمياً بشيء من ذلك فهو يستمع الأخبار كما يستمع لها ابن الشارع .

وفي خلال سير العمليات الجوية جاء في عشية يوم من الأيام علي عبدالله مدي احد كتبة دار المستشار وترجمانه ومعه ورقة عرضها على الحدادي وطلب منه توقيع الأمير عوض عليها فوعده أن يعرضها على الأمير عوض . وفي الورقة قرار الحكومة بالعمليات الجوية ضد الحموم . ودرست الورقة ولم يكن فيها تصريح عن الحكومة التي قررت عملية الطائرات أهي الحكومة الانكليزية أم حكومة القعيطي وتقرر أن يسأل مدي عن ذلك فجاء مدي ليأخذ الورقة ممضاة من الأمير عوض ولكنه سئل وطلب منه إيضاح ما تتضمنه الورقة وعن نوع الحكومة التي قررت هذه الإجراءات أهي حكومة عدن أم حكومة المكلا فقال هو على الفور إنها حكومة المكلا فقلت إن الأمير عوض على استعداد للإمضاء إذا وصفت هذه الحكومة بأنها حكومة المكلا. ثم لماذا يطلب إمضاء الأمير عوض اليوم والعمليات تجري ثم هو لا يدري الأسباب التي من اجلها جرت هذه العمليات بالضبط وعلى من تكون تكاليف هذه العمليات . فأخذ مدي الورقة ليتحدث مع انجرامس بهذا الشأن ثم يعود ولكنه ذهب ولم يعد. واستمرت عمليات الطائرات وانتهت بتسليم الجناة والغرامة ولم تعط معلومات لمكتب السلطان بذلك.

وكنت أظن أن حكومة عدن أو المستشار انجرامس على اتصال بالسلطان في الهند رأسا ولكن الواقع أن السلطان لم يكن له علم بكل ما جرى فالسلطان نفسه وردت منه رسائل لابنه الأمير عوض يسأله ويعتب عليه انه يسمع من أفواه الناس حادثة قتلة عمر عوض مخارش ولا يعلمها من عاصمة ملكه.

واهتم الأمير عوض والحدادي وحررت برقية مطولة شرح فيها الحادث وعملية الطائرات والإجراءات الجوية تمشي وأرسلت هذه البرقية الى مركز التلغراف لإرسالها كما حرر الأمير عوض رسالة لوالده فصل فيها الحادث وما يجري من عمليات.

أما البرقية فقد جاء إلى المكتب مدير التلغراف في اليوم الثاني وكنت بالمكتب وحدي ولم يكن الحدادي موجوداً فقد خرج لعمل له خارج المكتب وسألني مدير البرق عن الحدادي فقلت انه ذهب لعمل وسيعود ومكث مدير البرق طويلاً عندي بالمكتب ولم يعد الحدادي وأخيراً قال إن الحدادي تأخر كثيراً فقلت انه سيأتي فهل من خدمة يمكن نقوم بتأديتها فقال الأمر بسيط وسكت . فتركته جالساً ينتظر وأخيراً قال إن المسألة بسيطة وهي بخصوص صورة برقية من الأمير عوض للسلطان إلى الهند جاءت اليوم لإرسالها إلى الهند وهي مطولة كثيراً فلو تختصر يكون أحسن فقلت أيوجد مانع عندكم من إرسالها بطولها فقال لا ، إلا أن الاختصار أحسن . فقلت مادام لا يوجد لديكم مانع في إرسالها بطولها فأرسلوها كما هي لأن الأمير عوض ما كتبها كذلك إلا وهو يريد أن ترسل كما كتبت . فقال إذا كانت رغبة الأمير هكذا سنرسلها على ما فيها من طول . فقلت أرسلوها برمتها. ثم عاد إلي وقال نحن ما عندنا مانع من إرسالها إلا أنه توجد لدينا أوامر من دار المستشار أن لا نرسل البرقيات التي فيها أخبار الحروب المحلية وعملية رمي طائرات . فقلت ولم هذه الأوامر فقال كأنهم يخشون أن تلتقط هذه الأخبار باخرة غير باخرهم أو طائرة غير طائرتهم وهم لا يريدون أن تعلم الدول الأخرى عنهم أنهم يرمون القبائل العزل من السلاح بقنابل الطائرات خشية أن يحتجوا عليهم . فقلت رغبة الأمير عوض أن ترسل الرسالة بكاملها لأن والده السلطان صالح يستعجله إرسال تفاصيل الحوادث بسرعة لأنه يعلم ذلك من الناس . وخرج مدير البرق من عندي على انه سيرسل البرقية بكاملها. وجاء الحدادي ورويت له ما دار بيني وبين مدير البرق. وتأكدنا بعد ذلك ان البرقية لم ترسل للسلطان وإن رسائل الأمير له تحجز ولا ترسل. تأكدنا من ذلك من رسائل السلطان المتتابعة التي يعتب فيها اشد العتب على ابنه الأمير عوض على عدم وصول رسائل منه له. وقد اضطر الحدادي أن يرسل رسائله مع نواخيذ السواعي الذاهبين إلى بمبي (مومبي)".

---

(١) تم نشر " الورقة الأولى من " أوراق في تاريخ السلطنة القعيطية " في العدد (٢١) ربيع الثاني ١٤٣٣هـ- مارس ٢٠١٢م من مجلة " الرباط " ، مع تقديم للعلامة المرحوم الشيخ المصلي.

(٢) وردت هذه الحادثة ، في كتاب المؤرخ سعيد عوض باوزير "الثقافة وسيلتنا إلى الكفاح " والذي أعده ونشره ابنه نجيب ، تحت عنوان (البدوي الأرعن) بشيء من التفصيل. فبعد أن وصف القائم مخارش بالقتيل الشجاع قال: " لم يتمكن أفراد العصابة في ارتكاب جريمتهم إلا بعد أن أفرغ (مخارش) آخر رصاصة في الشريط (الميزر)الذي كان يتمنطقه".

حضرموت في المصادر الكلاسيكية



المصادر الكلاسيكية هي المؤلفات التي وضعها الكتّاب اليونانيون والرومان، وهم المؤرخون والجغرافيون والرحالة وغيرهم ممن عُني بأوصاف الجزيرة العربية وأخبارها في العصرين اليوناني والروماني، وقد رسمت تلك المعارف المتراكمة صورة تاريخية تشكلت تدريجياً حتى أضحت جزيرة العرب جزءاً من اهتمام عالم حوض البحر الأبيض المتوسط القديم كما يلاحظ ذلك بوضوح إبان ازدهار الإمبراطورية الرومانية.

وكان لذلك الإرث التاريخي دوره في توجيه اهتمام العلماء والرحالة الأوروبيين في العصر الحديث بالجزيرة العربية وشوقهم إلى التعرف عليها واستكشاف أسرارها. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى سعي الكلاسيكيين لجمع معارفهم عن جزيرة العرب هو ارتباطها قديماً بطريقين مهمين في التجارة الدولية آنذاك وهما الطريق البري عبر الجزيرة العربية والطريق البحري عبر البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي وهما الطريقان التجاريان اللذان يربطان بلدان حوض البحر المتوسط ببلدان المحيط الهندي، لاسيما البحر العربي حيث يقع إقليم حضرموت.



أ.د. محمد بن هاوي باوزير

وقد عُرفت حضرموت عند الكلاسيكيين بأنها موطن البخور أو بلاد الطيوب، هكذا جاء ذكرها عند الكتّاب الكلاسيكيين، وعلى أن المحيط الجغرافي لطيوب العربية السعيدة (البخور والمر والكافور وغيرها) هو (حضرموت، سبأ، قتبان، ومعين)، وهكذا ذكرها (بلايفانوس Palaihatos)، و(ثيوفراست)، و(ايراثوستين)، و(أغاثرخيدس)، و(استرابون) (مؤرخ الحملة الرومانية على اليمن) وغيرهم، أما (بليني) فقد قال عنها في كتابه (التاريخ الطبيعي):"حضرميتا" ومركزها أو عاصمتها "سبوتا" والمقصود بذلك شبوة، التي تقع على جبل شاهق والتي تضم بداخلها ستين معبداً وإلى هذه المدينة كان يُحمل محصول البخور على ظهور الجمال... ويبدو أن (بليني) كان من أهم من جمع معلومات عن البخور وذكر مواردها وصادراتها، بل بالغ مع من سبقوه في سرد الأخبار عنها، فراحوا يفسرون اسمها بتفاسير أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة والواقع، فقد أشاروا إلى أن الاسم "حضرموت" يعني (وادي الموت) وأوعزوا سبب تلك التسمية إلى كثرة الأفاعي السامة الطائرة الموجودة بها على حد رأي (استرابون) أو إلى الروائح الكريهة التي تنتشر في أجوائها فتعجّل بفناء الإنسان فيها على رأي (هيردوت)..(١) وصفوة القول أن الاسم حضرموت قد ذكر عند أغلب الكتّاب الكلاسيكيين كإقليم منتج للبان والمر، بل المنتج والمصدّر الرئيس لتلك السلع آنذاك، ولعلها بذلك- أي حضرموت- تستحق أن تنعت بالعربية السعيدة.

وقيل في ذلك السياق:"... أما بالنسبة لعبارة بلاد الطيوب وهي في الأصل مرادفة للعربية السعيدة، فستستمر مع معنى كان يزداد حصراً: فلدى (استرابون) لم يعد الاسم يعني العربية الجنوبية(٢) بل المناطق التي ينبت فيها المر واللبان والتي ستبقى بمنجاة من الغزاة الرومان الذين وصلوا مع ذلك إلى قلب الممالك العربية الجنوبية.. أي أخفقت الحملة الرومانية أمام العاصمة السبئية مأرب بعد حصار لا طائل من ورائه لمدة ستة أيام قفل قائدها عائداً دون أن يجهل أن يومين فقط يفصلانه عن بلاد الطيوب الحقيقية (مملكة حضرموت القديمة) أي مكان وجود أشجار المرّ واللبان"، كما وُصفوا - عند الكلاسيكيين- في الأدب السائر عندهم، قد تكشّفوا في النهاية عن قوم شديدي المراس: فقد اكتشف (أليوس جالوس) حسبما يروي (بليني) القديم أن عدة أقوام عربية جنوبية ومنهم الحضارمة، سكان حضرموت منطقة اللبان، كانوا مهرة في فن الحرب(٣).

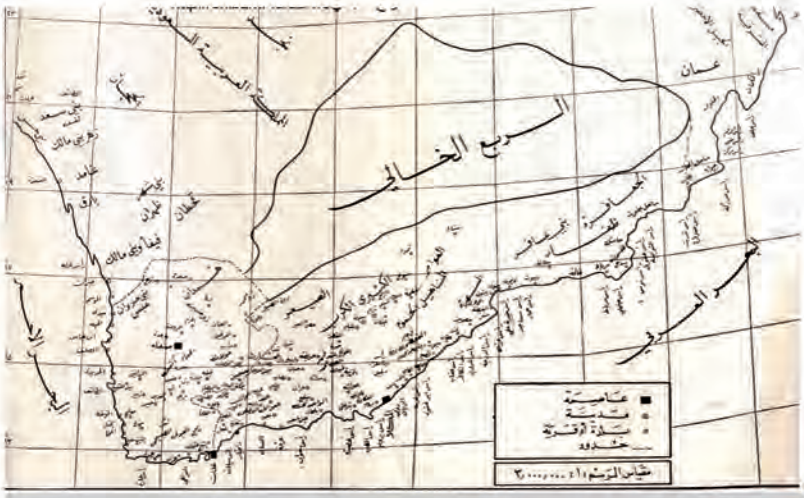
أيضاً ورد ذكر البخور أو الطيوب في بعض اشعار الكلاسيكيين، بل ذكرت فيها الشعوب التي تنتج البخور وتتاجر فيه كالحضارمة وجيرانهم المعينيين والسبئيين والقتبانيين ومنها:

ديونيسيوس Dionysii

(بعد عام ٨٦م بقليل)

شعر

عندما تسير متقدماً من هنا، موغلاً نحو الجنوب
سترى مدخل الخليج العربي أمامك،
الذي تجري مياهه في الوسط بين سوريا
والعربية السعيدة،



إن أشجار البخور (اللبان والمر والصبر) كانت تنمو بكثرة في أماكن متعددة من مملكة حضرموت

ينحرف تجاه الشرق قليلاً إلى أيلة
ومن ثم تبرز أرض العربية السعيدة ،
بارزة كثيراً ، رابطة بين البحرين ،
الفارسي والعربي . ولكل جهة منها ريحها
الريح الغربية العربية ، والريح الشرقية الفارسية .
بيد أن الساحل الجنوبي يطل نحو الشرق
ويغتسل بأمواج البحر الحمراء
ولسوف أقص عليك عن موقعها ؛ ذلك أنه يسكنها
أناس يتميزن عن الآخرين بأنهم أشدهم ثراء وغنى .
إن الفضيلة المميزة لهم هي كالتالي :
دائماً تنتشر روائح العطور ،
إما البخور وإما المر وإما القلام(٤)
او اللبان العجيب الفريد أو شجرة السنط .
وهناك (فان جوبيتر)(٥)
أطلق (باخوس)(٦) ينثر العطر ويطلقه في الأرض
ومن ثم نشأت العطور الرائعة هناك.
ثم إن القطعان من الأغنام المحملة بالأصواف
الكثيفة انطلقت في المراعي ، وفاضت البحيرات بالمياه
راضية ، أما الطيور فقد جاءت من مكان آخر من جزر مهجورة
وهي تحمل على أجنحتها أغصان القرفة
ولكن (جوبيتر) وضع الجلود على الأكتاف ، أكتاف الظباء
وزين خصلات الشعر الجميلة بلبلاب(٧) حلو المذاق
وراح يضحك وقد انتشى من الخمر يهز صولجانات الملوك ، يوزع ثروات هائلة بين الناس ،
ومن ثم وحتى يومنا هذا توجد حقول مثمرة بالبخور
وجبال متميزة بالذهب ، وأنهار تفيض بالعطور .
أما السكان أنفسهم فهم يتميزون بأنهم شعب منعم ،
يرفلون في المشغولات الذهبية والثياب الناعمة ...
تمتد أرض الحضارمة من مملكة أرض الفرس
وعند سواحل البحر الأحمر يسكن المعينيون
والسبئيون وجيرانهم القتبانيون
كثيراً جداً من الشعوب القوية تملك العربية.(٨)

بريسكياني Prisciani
(في الامبراطور جستنيان) (٩)
شعر

على سواحل بحر العرب، الذي
هو وسط يفصل بين الشام والعربية
ويميل إلى الشرق في مواجهة أيلة
العرب الأثرياء يملكون أراضي زراعية شاسعة،
تمتد طولاً وتحاط بالبحر الفارسي
وريح الغرب ينطلق باعتباره ريحاً طيباً،
وذلك أن الرياح الفارسية تهب بشدة على الشواطئ
لكن هذا الساحل يمتد إلى الجنوب عبر الشرق،
ويصطدم بأمواج البحر الأحمر من كل مكان
وأنا أيضاً أتعرض لها بشيء من الإيجاز:
ذلك أن الأرض الغنية تقدم الغذاء لشعوب سعيدة
وتظهر العطور ذات العبير الرائع من الزهور المتنوعة
لأن اللبان والمر يزدهران مع البخور الرائع،
وكذا شجرة السنط طيبة الرائحة
والقرفة التي يفوح عبيرها في الفضاء ليدخل الأنوف
والأرض الخصبة تنتج هذا، وهناك مناجم الذهب،
وهؤلاء الناس يرتدون الثياب الموشاة بالذهب
يخدمهم مماليك هم وأولادهم وهم منعمون،
وهم يسرفون، ويستخدمون الذهب بشكل يثير غضب الصدور،
ثم نقترب من حضرموت، وبعد ذلك من البحر الفارسي،
ويعيش المعينيون بالقرب من البحر الأحمر،
ثم سبأ بعدهم، وبعد ذلك يوجد القتبانيون،
وشعوب العرب هم هؤلاء، وهم يحتفون بهذا الاسم.

الوثائق المصرية القديمة (الديموطيقية واليونانية):

وقفنا على العديد من الوثائق المصرية القديمة كتبت بالخط الديموطيقي أو اليوناني، تتحدث عن منتجات بلاد العرب الجنوبية، ونشاطهم التجاري مع مصر، وتعطينا هذه الوثائق وضوحاً كبيراً في حرص البطالمة على استيراد بضائع العربية الجنوبية، واستمرار نشاطها التجاري مع مصر، منذ القرن الثالث ق.م، بل تمدنا بمعلومات قيمة حجم هذه البضائع وأهميتها في الأسواق المصرية، يتضح ذلك أكثر من خلال بعض الوثائق البردية الموجودة في إرشيف زينون ، ومنها (١٠) :

١- وثيقة بردية تعود إلى الحادي عشر من بؤونة (١٣ مايو) من العام التاسع والعشرين من حكم (بطلميوس فيلادلفوس) (٢٥٦/٢٥٧ ق.م)، فيها قائمة من البضائع المستوردة التي استوردها (أبوللونيوس)(١١) ، ورد فيها : "..... ثلاثة أكياس من البخور" .

٢- ويحدثنا خطاب عن قافلة من الجمال حاملة البخور ، يرجع إلى العام الثلاثين من حكم (بطلميوس فيلاد لفوس)، أرسله (نيكانور Nekanor) إلى (زينون) بخصوص الجمال حيث يخبره أنه قد حصل على حمولة البخور.

٣- وقائمة أخرى من البضائع التي استوردها (أبو للونيوس) حيث ورد في الوثيقة أنه كان ينوي تخزينها، (بتاريخ ٢٦١ ق.م) وبها " ..... ما قيمته أربعة تالنتات من البخور المعيني، وخمسة تالنتات من الجيروسيا – أحد منتجات بلاد العرب ، وواحد تالنت من المر، وكاسيا وأوعية عطور، وخمس عشرة آنية من القرفة، وخمسة أوعية من العطور".

٤- وتقرير آخر عن البضائع المستوردة ورد

فيه "عشر ميناي من البخور المعيني، وخمسة ميناي من المر المعيني، وميناءين من سنابل الطيب، وثلاثة كاسيا"(١٢) .

٥- ويتحدث نقش يوناني من عهد الملك بطلميوس الثامن أيورجيتس الثاني وكليوباترا الثالثة.

(مؤرخ باليوم العاشر من شهر توت من العام الحادي والعشرين من حكم الملك بطلميوس)(١٣) عن حراسة القوافل التجارية التي تحمل البخور المعيني حيث يقوم (ايكاديرنوس جورتونيوس) حاكم طيبة والمشرف على البحر الأحمر بحراسة القوافل التي تأتي إلى قفط حاملة البخور مع أجانب آخرين(١٤) .

نستنتج من هذه الوثائق أن تلك البضائع خاصة البخور كان مصدرها العربية الجنوبية، وتحديداً مملكة حضرموت، أما تسمية البخور في هذه الوثائق باسم البخور المعيني، أو المُر المعيني، فهذا لا يعني أنه كان ينتج في بلادهم، بل المعروف أن أشجار البخور (اللبان والمر والصبر) كانت تنمو بكثرة في أماكن متعددة من مملكة حضرموت – كما سبقت الإشارة – وأن المعينين كانوا يجلبونه من مناطق إنتاجه في حضرموت القديمة، أي كانوا سفراء في الخارج، يتاجرون فيه (إبان سيطرة تجار معين على تلك التجارة) ويقومون بنقله إلى خارج الجزيرة العربية، وتسويقه في أسواق العالم القديم(١٥) .أيضاً تسمية البخور أو المر بالمعيني لا يعني أن بعض الوثائق المصرية القديمة تأكد على أن من قام بتصدير البخور إلى مصرهم المعينيون فقط، بل المقصود هنا شعب عربي آخر من العربية الجنوبية أو من الجزيرة العربية، خاصة وأن بعض الفترات الزمنية المشار إليها في بعض الوثائق السابقة الذكر، أو فترة كتابتها لم تُعد موجودة، لأنه قد قُضي على مملكة معين من قبل حكّام مملكة سبأ خلال القرن الأول ق. م وذابت في الكيان السبئي. أما استمرار تسميته على تلك السلع باسمهم فمرده إلى فترة ازدهار مملكتهم وتأثيرهم القوي على مجريات التجارة العربية القديمة، الداخلية والخارجية خلال خمسة قرون متتالية قبل الميلاد، مما جعل بعض السلع، خاصة البخور ترتبط باسمهم(١٦) .

وخلاصة القول، أن حضرموت قد حباها الله بأمرين مهمين: أولهما الموقع الاستراتيجي الذي مكنها من أن تؤدي دوراً تجارياً مهماً بين الشرق والغرب ،ثم إنتاجها لسلع كان الطلب عليها كبيراً، كاللبان والمر والصبر ..(عرفت عند الكلاسيكيين ببلاد الطيوب) بالإضافة إلى ما كانوا يستوردونه من بضائع أجنبية من الهند والصين ومن شرقي أفريقيا. كذلك حباها الله بخلود اسمها (حتى اليوم) الذي مازال حياً يطلق على مساحة واسعة من الجمهورية (محافظة حضرموت) فلها أن تفخر بهذا على شقيقاتها من الممالك العربية الجنوبية التي عاشت قبل الميلاد، ثم ماتت أسماؤها أو بقي ذكرها بشكل محدود .

المعينيون كانوا يجلبون (اللبان والمر والصبر) من مناطق إنتاجه في حضرموت القديمة، ويقومون بنقله إلى خارج الجزيرة العربية

الهوامش:

١) ((ولمزيد من التفاصيل انظر: بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، جمع وترجمة حميد مطيع العواضي وعبد اللطيف الأدهم،ط١، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠١م، ص٢١-٩٣.

٢) ((العربية الجنوبية أي الممالك اليمنية القديمة(سبأ، معين، قتبان، أوسان، وحضرموت).

٣) ((هيلين كوفينيي: "اليمن السعيد لدى الكلاسيكيين- ولادة أسطورة" في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، دار الأهالي، دمشق،١٩٩٩،ص٦٧-٦٩.

٤) القلام:القَلَام :ضرب من الحمض.

٥) جوبيتر:كبير آلهة الرومان ، ويسمى عند اليونان زيوس .

٦) باخوس : هو إله الخمر عند الرومان ، يسمى ديونيسون عند اليونان .

٧) اللبلاب: نبت يتلوى على الشجر .

٨) الشيبة ، عبدالله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم (ترجمات يمانية)،منشورات دار الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٨ ، ص ٨٥-٨٦ .

٩) الشيبة، عبدالله حسن ، المرجع السابق ،ص ٨٧-٨٨.

١٠) لمعرفة المزيد عن هذه البرديات انظر: (٥٩٥٣٦ ، ٥٩١٤٣،٥٩٠٦٩، Zenon : No) ، والسيد رشدي : العرب في مصر قبل الاسلام، القاهرة،لا.ت، ص ٨٢-٨٤ وسعيد بن فايز السعيد : العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، الرياض ٢٠٠٣ ، ص١٠٣-١٠٤ .

١١) بؤونه : من الأشهر القمرية المصرية القديمة (انظر آناروير ، ص٢٩٦)، أما ابو للونيوس : فهو وزير مالية بطلميوس الثاني لمدة عشرين عاماً تقريباً ، أما (زينون) فهوصاحب البرديات فقد كان من أشهر الموظفين الذين عملوا عند أبوللونيوس في الأقاليم أي كان وكيل أشغاله ، بل كانت تتحدث سجلات زينون عن أعمال الوزير الخاصة ، فهو لم يكن وزيراً فحسب بل كان أيضاً تاجراً وصاحب ضياع ، ويمتلك أسطولاً يتألف من سفن نهرية وأخرى بحرية ... للمزيد من التفاصيل أنظر: إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالمة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٨١م ، ج ٣ ص ١١٦-١١٧. الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، دار أحياء التراث العربي ودار الشعب ، القاهرة ، مجلد ١ ، ص ٤١ .

١٢) من الملاحظ أن بعض البضائع المذكورة في البرديات ظهرت أحيانا مصنعة مثل البخور وأوعية العطور، وأحيانا أخرى ظهرت بشكلها الخام مثل سنابل الطيب وزيت القرفة .. ، ويبدو أنها تصنّع في مصر تمهيداً لسد الحاجات المحلية منها أو لتصديرها إلى خارج مصر.

١٣) شهر توت : من أسماء الشهور القمرية المصرية القديمة التي أحتفظ بها الأقباط .. ولمعرفة المزيد عن هذه الأشهر أنظر : آناروير: روح مصر القديمة ٢٠٠٦م، ص ٢٩٥ -٢٩٩.

١٤) السيد رشدي : المرجع السابق ،ص٨٤ .والسعيد : المرجع السابق ، ص١٠٤ .

١٥) وردت في بردية من برديات زينون (يعود تاريخها إلى عام ٢٩١ ق . م) الإشارة إلى اللبان الجرهائي وهذا لا يعني أنه من إنتاجهم ، لأن المعروف أن شجرة اللبان لا تنمو في شرق الجزيرة العربية بل في جنوبها ((مملكة حضرموت القديمة – وخاصة في إقليم ظفار التابع لها)) ، ولكن كونهم يجلبونه من مناطق إنتاجه ومن ثم يقومون بتسويقه في أسواق خارج الجزيرة ، لذا نُسب إليهم.

١٦) لمزيد من التفاصيل عن مملكة معين ، بدايتها ونهايتها ، مركزها الإستراتيجي التجاري- علاقتها التجارية والحضارية بجارتها مملكة حضرموت وغيرها من الممالك العربية الجنوبية وبجيرانها في شمال الجزيرة ، وبحضارات العالم القديم ... أنظر : بافقيه : تاريخ اليمن القديم ،بيروت ١٩٧٣م، ص ٣٩-٤٠. واسوان محمد حسين : مملكة معين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة اسيوط ٢٠١١م ، ص٣٨ ومابعدها .

85
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

منبر جامع الشحر



يعد المنبر من عناصر المنفعة المهمة والضرورية بالمساجد الجامعة بل هو الدليل على ذلك . ويعد المنبر من وحدات الأثاث المهمة والتي ظهرت بالجوامع(١)، وكلمة ((المنبر)) مشتقة من ((نبر)) وانتبر بمعنى ارتفع، فالمنبر هو منصة مرتفعة تتسع للوقوف وجلوس الخطيب ويستخدم أيام الجمعة والأعياد والمناسبات(٢) . من المعروف أن المنابر في العصر الإسلامي لم تنصب إلا في المساجد الجامعة. وقد وجد المنبر منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عبارة عن بناء من مرقاتين أو ثلاث مراق (درجات)، وقيل كان المنبر أولاً من طين قبل أن يتخذ الخشب في سنة ٧أو٨ هجرية . وقد بدأ متواضعاً في شكلهِ ثم أخذ يتطور شيئاً فشيئاً بتتابع العصور الإسلامية فصنعت المنابر الخشبية الكبيرة ذات الدرجات العديدة ، والتي وجدت بجامع قرطبة ثم جامع ابن طولون بالقاهرة . وقد يكون المنبر ثابتاً أو متحركاً.



د. محمد بن الشيخ بوبكر

تتنوع المنابر من حيث مادة إنشائها، كالمنابر الخشبية والرخامية والحجرية، كما تتنوع أساليب تزيينها وزخرفتها, إذ وهب لها الفنان المسلم عقله وفكره ، لتكون رائعة في نقوشها، دقيقة في صنعها، حتى مثلت تحفاً فنية بذاتها.

أما أقدم مثال للمنابر الخشبية إن لم يكن أقدم المنابر المعروفة حتى الآن منبر جامع القيروان (لوحة)، وتذهب المراجع التاريخية إلى أنه مصنوع من خشب الساج الذي جلب من بغداد (٣).

تشكل المنابر الخشبية المنتشرة في حضرموت ، ثروة تراثية إسلامية نادرة، تبرز قدرات الفنان المسلم وتفاعله مع بيئته، بتوظيف ما يتوافر فيها من موارد وإمكانات لتشكيل عناصر عمارته، جامعًا بين الجانبين الوظيفي والجمالي.

وبسبب ما تكتنفه هذه الأعمال الإبداعية التراثية من أهمية كبرى لكونها أحد المعالم التراثية الإسلامية النادرة المهددة بالزوال، قام كاتب هذه السطور بدراسة لخمسة منابر حضرمية تعود لفترات تاريخية متعددة، منها منبر جامع الشحر وهو موضوعنا، إضافة إلى أربعة منابر أخرى واحد منها يرجع إلى المسجد الجامع بشبام (جامع هارون الرشيد) ويعود تاريخ صنعه إلى سنة (٦٤٣هـ) بحسب ما هو محفور على الخشب. أما الثلاثة الأخرى فهي موجودة في متحف سيئون(٤) سوف نتناولها في فترات لاحقة. وهي محاولة لدراسة أحد أهم عناصر المساجد الجامعة في حضرموت والتي تزخر بالعديد من روائع الفن المعماري الإسلامي، التي برع في صناعتها الفنان والصانع الحضرمي وهي لا تقل إبداعاً وإشراقاً عن مثيلاتها في العالم الإسلامي.

يعد منبر جامع الشحر أقدم منبر مازال قائماً حتى الآن في مدينة الشحر على وجه الخصوص، ويرجع تاريخ إنشائه إلى القرن العاشر الهجري بحسب ما أرخت له البعثة الأثرية التابعة لمنظمة اليونسكو في سنة ١٩٧٩م عندما قامت بتسجيل المواقع الأثرية في حضرموت. حيث ورد في التقرير "ويعد أحد المنابر الجميلة الباقية من القرن العاشر الهجري، وهو لا يستعمل ومهمل

على الجانب البعيد من القبلة . (٥)

والتكوين العام لهذا المنبر، يتمثل في المدرج، وجلسة الخطيب، ويشتمل المدرج على باب المنبر والريشتين والسلم وسياجه، أما جلسة الخطيب فتشتمل على الجوسق .

كما يتكون من سبع درجات، وجوانبه مزخرفة بأشكال هندسية ونباتية متقنة الأسلوب، ويتكون كل من مثلث الريشة من ١٤ حشوة، تختلف كل حشوة منه عن الأخرى في شكلها و وزخرفتها.

وصف المنبر: لوحة (١) شكل (١).

يبلغ طول المنبر ٢,١٦م و ارتفاعه ٢,٤٠م. وعرضه ٨٧ سم .وهو مصنوع من الخشب .

ويتكون من باب المقدم أو الصدر والمدرج السلم والدرابزين أو السياج وجلسة الخطيب و الجوسق وأخيراً مثلث الريشة .

ويتقدم المدرج عقد على شكل حدوة الفرس. و يرتكز العقد على عمودين من الخشب، ويقوم على جانبي العقد ريشتا المنبر وهما على شكل مثلثين كبيرين .

باب المقدم أو الصدر:

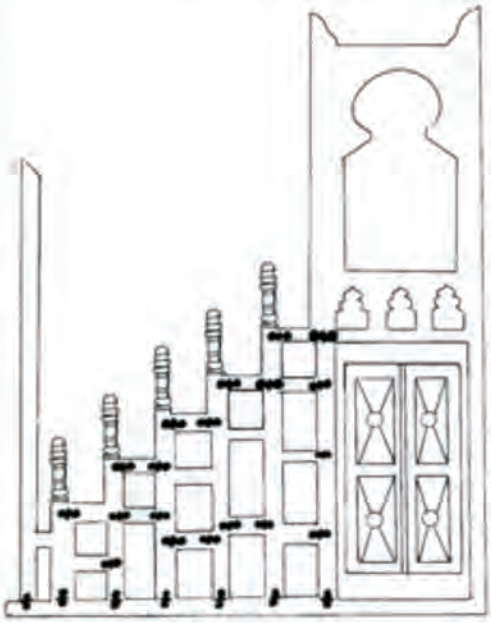
يبلغ ارتفاعه (١,٨٢م) وعرضه (٨٧ سم)، يتكون من فتحة باب مستطيلة ارتفاعها حوالي(١,٣٢م) وعرضها (٧٠سم) ويتوج فتحة باب المنبر عقد على شكل حدوة الفرس يبلغ اتساعه (٤٥ سم) . وارتفاعه (٥٠ سم) تزين كوشاته بعض الزخارف تمثلت في زخارف نفذت بالحفر الغائر ويعلوه عارضة (شكل ١٣) يتوجها شرافات مدرجة ، ويبلغ عددها(١٥) شرفة . وتعلو شرفات العقد عارضة أخرى مستطيلة طولها حوالي(٧٢ سم) . وعرضها(٧ سم) تحتوي على زخارف هندسية تتمثل في خطوط متقاطعة ومتشابكة ، شكلت مربعات صغيرة . كما تعلوها أيضاً عارضة ثالثة بالطول بنفسه، أما عرضها فيبلغ(٩سم) تحتوي على زخارف مخرمة تمثلت في مجموعة من النجوم الثمانية الشكل وعددها (٣٤) نجمة وأشكال معينة ويبلغ عددها(٣٣) شكلاً معيناً . وينتهي باب المقدم بشرفات مدرجة عددها ست، ونفذت تلك الزخارف بالحفر الغائر على الخشب.

المدرج :

سلم صاعد عدد درجاته ٧ درجات، متساوية جميعها في الارتفاع والعمق (٢٢×٢٢سم)، ماعدا الدرجة الأولى، فتختلف عن الدرجات الأخرى في الارتفاع البالغ (٢٥سم).

السياج أو الدرابزين :

ويكتنف مدرج المنبر سياج لم يبق منه غير عشرة قوائم مشكلة بأسلوب الخرط موزعة



في كل جانب بواقع خمسة قوائم، ثبتت إلى درجات السلم بواسطة وصلات معدنية من الحديد ، ومسامير من النوع المكوبج .

مثلثا الريشة :

هي الشكل المثلث الموجود على جانبي المنبر أسفل سياج المدرج ويتكون كل مثلث من ١٤ حشوة منها ٨ حشوات مستطيلة مختلفة المقاسات تتراوح أبعادها بين (٢٧×١٥سم) إلى (٤٠×١٧سم) وست حشوات مربعة أبعاد كل منها (١٧×٢٠سم).

ويفصل بين كل حشوة وأخرى سدايب خشبية عريضة يبلغ حجمها حوالي (٨ سم) قام الصانع بعمل وصلات حديدية ثبتت بالمسامير المكوبجة لربطها بعضاً ببعض . وقوام هذه الزخارف تشبيكات هندسية مكونة من خطوط مستقيمة أو منحنية ، ودوائر وأنصاف دوائر متقاطعة فيما بينها . وزخارف نباتية تمثلت في الأغصان والوريقات. (شكل ٢ أ ، ب). ويمكن تقسيم زخارف هذه الحشوات بحسب التالي :

أ) حشوات اقتصرت على الزخارف الهندسية .

ب) حشوات تجمع بين الزخارف الهندسية والنباتية .

والزخارف المنفذة على الحشوات المربعة تمثلت في أشكال دائرية ووريقات وأغصان نباتية.

أما الحشوات المستطيلة فهي تجمع في زخارفها أشكال معينات ودوائر مستقلة ومتداخلة وأغصان نباتية ووريقات وقد نفذت الزخارف بأسلوب الحفر البارز.

المنطقة أسفل جلسة الخطيب :

وهي عبارة عن مستطيل يبلغ طوله (١,٥٢م) وعرضه (٧٦سم) عبارة عن قطعة واحد . يزينها إطار مستطيل حجمه حوالي ٥ سم عبارة عن مجموعة من الدوائر تزينها وريدة ذات (٩) ورقات يلتف حولها غصن ملئت الفراغات بثلاثة معينات بارزة، قُسم المستطيل الكبير إلى أربعة مستطيلات زخرفت مراكزها بزهرة خماسية تؤطرها دائرة على شكل معينات صغيرة ينطلق منها خطان يلتقيان مع حدود المستطيل الكبير مكوناً شكل مثلثين متقابلين .

الجوسق :

يعلو جلسة الخطيب أربعة قوائم تشكل مربعاً يزين كل ضلع من أضلاعه عقد على شكل حدوة الفرس . وللأسف الشديد لا توجد طاقية الجوسق ومن المرجح أنها فقدت وربما تكون عبارة عن قبة توضع على أركان الجوسق وهو ما شاهدناه من وجود أربع قطع خشبية على شكل مثلث مثبتة

بالأركان الأربعة في نهاية الجوسق. ومن الأرجح بأنها تحمل القبة التي تعلو الجوسق . أو ربما يكون سطحاً مستوياً .

العناصر الزخرفية :

يتجلى الطابع الزخرفي في الفن الإسلامي بشكل واضح في استخدام الفنانين المسلمين في تزويق منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف من رسوم كائنات حية بطريقة زخرفية ومن زخارف هندسية ونباتية بالإضافة إلى الزخارف الكتابية .

كما تنوعت المواد التي نفذت عليها تلك الزخارف ما بين مادة الجص والأخشاب ، واستلزم ذلك أسلوباً فنياً لتنفيذ الزخارف عليها والذي تم بطرق متعددة كالحفر البارز والغائر .

أولاً : العناصر النباتية :

وقد تنوعت الزخارف النباتية التي ظهرت على منبر المسجد الجامع بالشحر، بين الورقة الرباعية والخماسية والسداسية والثمانية المتفتحة التي تنحصر داخل شكل دائري أو معين .وعلى المساحة المستطيلة أسفل جلسة الخطيب، جاء التكوين الزخرفي عبارة عن شريط مستطيل زين بفرع أفعواني تحيط به وريدات ثمانية حولها دائرة وإلى جوارها براعم صغيرة تتكرر على طول الشريط . وفي وسط مساحة المستطيل توجد أربعة دوائر زينت بوريدات سداسية .

كما ظهرت إحدى حشوات المنبر تحمل زخرفة نباتية عبارة عن مجموعة من الأفرع النباتية بشكل متداخل وكل فرع يحمل أوراق ثلاثية طويلة ومدببة .

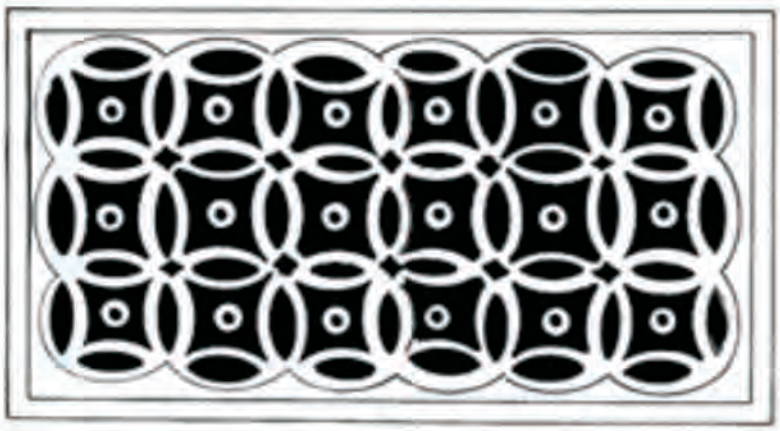
ثانياً : الزخارف الهندسية :

ازدانت حشوات المنبر لجامع الشحر بمجموعة من العناصر الهندسية وتمثلت في المربعات والمستطيلات والمعينات والدوائر والتي كانت السائدة في زخارف المنبر ، وقد ظهرت متشابكة مع بعضها البعض .

والمنبر في سابق عهده كان يقع إلى يمين المحراب، وقد كان موضوعاً بشكل عمودي



على جدار القبلة يقطع صفوف المصلين وهذا ما نلحظه من خلال ظهر المنبر والذي صمم أن يكون ملاصقاً لجدار القبلة . بدليل أن ظهر المنبر خالٍ من الزخارف، وقد تعرض كثيراً للتآكل .



و منبر المسجد الجامع بالشحر منبر أصيل وهو أحد المنابر الأثرية الباقية (٦) التي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي(٧). وهو شاهد حي على مهارة الصانع والفنان الحضرمي على مر العصور، ويعد تحفة فنية مازالت قائمة إلى يومنا هذا، وهو يحمل العديد من المميزات الخاصة، سواء تعلق الأمر بالمواد أو التقنية أو عناصر الزخرفة، مما يجعل من هذا المنبر أن يشكل حلقة مهمة من حلقات تطور الفنون في حضرموت في تلك الفترة. فضلاً عن كونه يقدم لنا نوعاً من الابتكار الفني ذات الطابع المحلي، الذي لا يقل إبداعاً واتقاناً عن نظيره في بقية بلدان العالم الإسلامي . كما يعد من أهم المنابر التي لا تزال قائمة في مدينة الشحر على وجه الخصوص وحضرموت عامة .

الهوامش :

(١) عثمان ، محمد عبد الستار ، نظرية الوظيفية ، ص: ٢٦٨ .

(٢) وزيري ، يحيى ، المرجع السابق ، ص : ١٤٣

(٣) فكري ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص: ٢٧٧ ، شافعي ، فريد ، العمارة العربية في مصر ، ص: ٦٢٤- ٦٣٣، خليفة ، ربيع حامد ، منبر جامع ذمار ، مجلة الإكليل ، ص : ١٠٦ .

(٤) تكفل الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، بدعم مشروع الحفاظ على هذه المنابر على نفقته الخاصة، وذلك في أثناء زيارته لحضرموت في شهر ديسمبر ٢٠٠٥م الموافق لذي القعدة سنة ١٤٢٦هـ. وعلى ضوء ذلك، أعدت مؤسسة التراث الخيرية السعودية دراسة أولية للحفاظ على هذه المنابر بالتعاون مع الوكالة الألمانية للتعاون التقني G.T.Z ممثلة في مشروع التعاون اليمني الألماني للتنمية الحضرية في شبام بحضرموت، و متحف سيؤن، الذي يحتضن هذه المنابر حالياً بعد الانتهاء من أعمال ترميمها وإعادة تأهيلها.

(٥) مواقع أثرية ، تقرير أولي عن مواقع مختارة للصيانة ١٩٨٩م ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار، ص: ١٢٥ .

(٦) للأسف الشديد فان هذا المنبر الأثري القديم لم يعد يؤدي دوره الذي أنشئ من أجله، فهو حالياً مهمل بأحد زوايا الجامع معرض لعوامل التعرية والتي مع مرور الزمن تسببت في إلحاق أضرار جسيمة بالمنبر . وهو بحاجة ماسة إلى إعادة ترميمه بالطرق العلمية السليمة . وقد استبدل بمنبر معلق حديث .

(٧) مواقع أثرية ، المرجع السابق، ص : ١٢٥ .

88
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

أثر الباحثين الأجانب في دراسة تراث حضرموت البحري*



حظيت حضرموت وتراثها الحضاري باهتمام العديد من الباحثين الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وذلك لما تشكله من أهمية علمية وحضارية.

وعرفت حضرموت بتراثها البحري المجيد الحافل بالمعارف البحرية والعادات والتقاليد والرقصات الفلكلورية وغناء الصيادين، ونبغ فيها العديد من الربابنة والبحارة الأفذاذ الذين كانوا عماداً للتجارة البحرية العالمية، وقد تربع الحضارمة على عرش تجارة المحيط الهندي ردحاً من الزمن. كتب عنهم المستشرق وليم كلارنس – سميث قائلا: (كانت كثير من السفن الشراعية التي تجوب المحيط الهندي والبحر الأحمر ربابنتها حضارم، وقد قاموا في منتصف القرن التاسع عشر بالسيطرة على التجارة الساحلية بين جدة والسويس، وكوّن عدد منهم ثروات كبيرة في هذا العمل، واحتفظ الحضارمة بتسيدهم على الملاحة الشراعية حتى الحرب العالمية الأولى على أقل تقدير). (١)



الباحث : محمد علوي باهارون

وقد نظر أولئك الباحثون الغرب إلى حضرموت بنظرات التحفز والاندهاش لما تحويه من كنوز المعرفة وذخائر التراكم الثقافي المجهول لديهم وأكثر ما يثير الدهشة والإعجاب في آن واحد احتفاظ محافظة حضرموت باسمها التاريخي عبر القرون وظل يفوح بعبق تاريخها التليد رغم متغيرات الزمن ومتأثرات الواقع . (٢) وقد أسهم الباحثون الحضارمة من أكاديميين وغيرهم في تسهيل السبل لأولئك الباحثين الأجانب في دراسة تراث حضرموت البحري والشعبي ولعل في مقدمتهم الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف والأستاذ المؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي رحمهما الله تعالى، وقد تحدث الملاحي عن مرافقته لأولئك الباحثين رغم نفور كثير من الباحثين منهم لأنهم يكسبون مزيداً من المعرفة دون العطاء فهم لا يتحمسون لمقابلتهم ولكنه كان يرى غير ذلك، وأن مساعدة أولئك الباحثين هي خدمة وطنية يقدمها لبلده وذلك من خلال تعريف ذلك الأجنبي القادم بحقيقة تاريخنا وتراثنا شبه المجهول ليطلع العالم الخارجي عليه لأن إمكانات النشر والتبليغ لديهم أكثر منا، وكذلك الاستفادة من خبرة أولئك الباحثين في أساليب البحث والدراسة في تاريخ الشعوب وأهمية بحث الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وثمة فائدة أخرى هي معرفة وجهة نظر الباحث ورؤياه عن حضرموت وتصحيح معلوماتهم الخاطئة التي وجدت عند معظمهم من خلال قراءتهم لباحثين سبق لهم زيارة حضرموت أو كتبوا عنها سماعاً، واكتشف أن الصورة التي يحملونها عن حضرموت مهزوزة مبقعة الألوان فيحاول إعادة رسم الصورة الجميلة في ذهنه ودحض ما ارتسم عنده من معلومات مشوهة، حتى أن الباحث منهم ليفاجأ بالتميز الاجتماعي والتراث الثقافي الذي تزخر به حضرموت ومجتمعها عن مجتمعات عدد من البلدان العربية التي زارها أو قرأ عنها. (٣) وفي هذه الورقة البحثية نحاول إعطاء القارئ لمحة يسيرة عن ذلك الاهتمام العلمي من قبل الباحثين الأجانب من شتى بلدان العالم الأوربي، وأثرهم البارز في دراسة التراث الملاحي البحري الحضرمي الغني بالخبرة الفنية والدراية المعرفية لقرون

المستشرق وليم كلارنس – سميث : (كانت كثير من السفن الشراعية التي تجوب المحيط الهندي والبحر الأحمر ربابنتها حضارم، وقد قاموا في منتصف القرن التاسع عشر بالسيطرة على التجارة الساحلية بين جدة والسويس.



• المستشرق الفرنسي جبريل فيران (ت ١٩٣٥م) : يعود إليه الفضل في إدخال اسم سليمان المهري وابن ماجد والثقافة البحرية عند العرب إلى الأوساط العلمية الغربية

• الباحث الأمريكي ادوارد برادوس: كتب ما يقارب خمسين موضوعاً عن التراث البحري الحضرمي عن العادات والتقاليد وصناعة السفن الخشبية ما بين مقال وبحث

خلت. ويبرز ذلك الاهتمام في دراسة المعارف البحرية والفلكية والعادات والتقاليد والغناء البحري وصناعة السفن الشراعية والهجرة والتجارة البحرية عند الحضارمة عبر القرون.

أولا: المعارف البحرية والفلكية:

برز من بين الملاحين الحضارمة الملاح المعلم الحكم الشيخ سليمان بن أحمد المهري المتوفى حدود سنة ٩٦٢هـ هذا الملاح المتميز الذي خلد اسمه في أسفاره البحرية التي وجدت في المكتبة الوطنية في باريس بفرنسا تحت رقم (٢٥٥٩) وهناك سؤال يبرز: كيف انتقلت تلك المؤلفات المخطوطة بالعربية إلى تلك البلدان الأوربية؟ ولعلنا نجيب عن بعض ذلك التساؤل وهو أن حضرموت عاشت فترات في مجاعات وحروب واضطهاد مما اضطر الكثير من الأسر العلمية إلى بيع مقتنيات أجدادهم العلماء من مخطوطة وكتب بطباعة حجرية، وقد وجد المستشرقون فرصة في ذلك فنقلوا من مكتبات حضرموت عشرات المخطوطات التي تقبع اليوم في رفوف مكتبات بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها بالإضافة إلى التقلبات السياسية التي شهدتها حضرموت حيث نقلت في إثرها العشرات من الكتب وبيعت بأسعار زهيدة وبعضها حفظ في مكتبات جنوب شرق آسيا.

ولعل من أولئك الباحثين الغرب الذين ساهموا في دراسة ذلك التراث العلمي المستشرق الفرنسي جبريل فيران (ت ١٩٣٥م) عندما عثر عام ١٩١٢م على مؤلفات سليمان المهري مع زميله الملاح أحمد بن ماجد في المكتبة القومية بباريس وقام بدراستها في كتابه (المرشد البحري العربي لفاسكو ديجاما)، ويعد الرائد الأول من بين الباحثين الغربيين الذين اهتموا بدراسة فن الملاحة والجغرافية عند العرب، واليه يعود الفضل في إدخال اسم سليمان المهري وابن ماجد والثقافة البحرية عند العرب إلى الأوساط العلمية الغربية ، وعنه اقتبس من اهتم بعده بدراسة هذا الجانب من الثقافة العربية كثيرا من التفاسير المصطلحات البحرية العربية . وقد نشر مؤلفات سليمان المهري مخطوطة عام ١٩٢٥م في الجزء الثاني من موسوعته (الإرشادات والطرق البحرية عند العرب والبرتغاليين في القرنين الخامس والسادس عشر) وهي: العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، والمنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، وتحفة الفحول في تمهيد الأصول ، وشرح تحفة الفحول في أصول علم البحر. (٤) وقبل فيران قام عالم تركي وهو الربان سيدي علي حسين الذي اطلع على مصنفات ابن ماجد وسليمان المهري وهو أول من أشار لسليمان المهري بأنه من عرب الشحر بحضرموت، وقد تحدث عنهما في كتابه المحيط بإعجاب وتقدير شديدين مشيداً بعلمهما وتفوقهما في فنون الملاحة وعلوم البحار والفلك

الدكتور سارجنت قام بكتابة دراسة مقارنة بين نص بامطرف الذي أورده في الرفيق النافع وبين نص مخطوطة تحصل عليها في ميناء الحامي عند زيارته له عام ١٩٦٤م زوده بها النوخذة عوض مبارك بقرف،

وكشف عن جهودهما العلمية ويقول في مقدمة كتابه ما ترجمته: (في عام ١٥٥٤م أقمت خمسة شهور في مدينة البصرة حيث بدأت الرياح الموسمية ثم أقلعت إلى الهند، ودامت هذه الرحلة ثمانية شهور ولم أترك فيها فرصة تمر دون أن أشغل نفسي في الحديث بأمور الملاحة مع بحارة الساحل، وكذلك جمعت الكتب التي ألفها البحارة المحدثون أمثال أحمد بن ماجد من جلفار (تعرف الآن برأس الخيمة) وسليمان المهري من أهالي الشحر من عرب الجنوب، مثل كتاب (الفوائد) وكتاب (الحاوية) لابن ماجد, ومثل كتاب (تحفة الفحول) وكتاب (المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر) وكتاب (قلادة الشموس) لسليمان المهري وتعمقت في دراستها كلها، إن الملاحة بدون هذه الكتب جد متعذرة ووجدت من اللازم نقلها إلى اللغة التركية في كتاب يكون دليلاً للربابنة الذين تهمهم معرفة هذه الأمور، وقد انتهت ترجمتي لهذه الأسفار العربية بمعونة الله القدير جل شأنه، وقد حوى كتابي هذا أشياء مفيدة غريبة كثيرة تتعلق بالملاحة وسميته "المحيط").(٥) وقد قام المستشرق البريطاني هارمر في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر بترجمة كتاب المحيط في علم الأفلاك والأبحر من التركية إلى الإنجليزية معرفاً العالم بفنون الملاحة وتطور العلوم البحرية عند العرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.(٦)

ثانيا: العادات والتقاليد البحرية وصناعة السفن الشراعية:

وفي عام ١٩٧٢م نشر الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف (١٩١٥-١٩٨٨م) كتابه (الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع) وهو شرح لمنظومتين إرشاديتين للربان الحضرمي الشهير سعيد بن سالم باطايع (١٧٦٦-١٨٥٦م) في وصف الطريقين البحريين من سيحوت إلى زنجبار ومن مسقط إلى المخا، وقد أثار ذلك الكتاب انتباه العديد من الباحثين الأجانب في الالتفات إلى دراسة تراث حضرموت البحري ولعل من أوائلهم البروفسور روبرت سارجنت الذي كان زميلاً لبامطرف حيث كانا يعملان معاً في الاستشارية البريطانية، ثم عمل أستاذاً للثقافة العربية في جامعة كامبردج ببريطانيا، وقد كان مهتماً بالتاريخ والتراث الحضرمي ومتابعاً لصديقه بامطرف عندما كان يقوم بتجميع مادة الكتاب ولما انتهى منه عرض عليه أن يقدمه إلى مركز أبحاث الشرق الأوسط بجامعة كامبردج لطباعته وأن يترجمه باللغة الانجليزية ويصدر باللغتين العربية والانجليزية باسميهما ولكن - كما يقول الأستاذ بامطرف نفسه - لم يتم شيء في هذا المجال.

ولكن الأستاذ بامطرف - رحمه الله - لم يبخل على صديقه المذكور من الاستفادة بمنظومتي باطايع وشرحه المذكور عليها، فقد كان يطلعه عليه بين حين وآخر، ولما عزم على المشاركة في المؤتمر البحري الذي عقد في روما عام ١٩٦٥م، جعله مرجعاً أساسياً له، وقد كانت بعض الرباعيات من منظومتي باطايع مثار إعجاب المهتمين بالتراث الإنساني في ذلك المؤتمر البحري.(٧) وتحدث في تلك المشاركة عن السفينة الشراعية الحضرمية مستعرضاً بعضاً من منظومتي الملاح باطايع الإرشاديتين.(٨)

في المؤتمر البحري الذي عقد في روما عام ١٩٦٥م، جعله مرجعاً أساسياً له، وقد كانت بعض الرباعيات من منظومتي باطايع مثار إعجاب المهتمين بالتراث الإنساني

وقد قام الدكتور سارجنت المذكور بكتابة دراسة مقارنة بين نص بامطرف الذي أورده في الرفيق النافع وبين نص مخطوطة تحصل عليها في ميناء الحامي عند زيارته له عام ١٩٦٤م زوده بها النوخذة عوض مبارك بقرف، وقد كتب تلك الدراسة عام ١٩٨٢م تحت عنوان (من حضرموت إلى زنجبار قصيدة مرشد السفينة النوخذة سعيد باطايع"الحامي") قدمها لجامعة كامبردج بلندن قال فيها: "زودت بهذه النصوص من قبل صديقي الشيخ محمد عبدالقادر بامطرف، ثم تمكنت فيما بعد في طلب المشورة والاستعانة بنص أفضل مع عوض مبارك بقرف من أهل الحامي حيث ناقشت وعرضت النص مع العديد من النواخذة أخيراً في مدينة المكلا في منزل بامطرف ثم التعليق وأخذ الآراء على القصائد من قبل النواخذة مثل كرامة بن مبارك باحميش من سيحوت والنوخذة عبدالله بن ناصر بن الأسد من حصوين، والشيخ علي جابر مسؤول في ميناء المكلا والشيخ علي بن أبوبكر بامعيبد من الشحر والشيخ عمر عبدالله الكسادي من الحامي، والنوخذة سالم عوض الشقري من الديس الشرقية. وبالتالي قام بامطرف بإجراء بعض الاستفسارات الإضافية في الحامي وتم نشر القصيدتين كـ(دراسة في التراث اليمني) في عام ١٩٧٧م. بالرغم من الادعاء بأنها محلية إلا أنه غير مناسب إلى حد ما، فقصيدة باطايع في الحقيقة تعود أو تنتمي إلى أصل شائع من التراث البحري للخليج الفارسي وعمان وأماكن أخرى".(٩) كما كتب سارجنت دراسة عن مينائي عدن والشحر في القرون الوسطى ألقيت في ندوة حول التاريخ البحري في بروكسل عام ١٩٧٤م، وكتب دراسة عن طقوس الصيد في جنوب الجزيرة العربية. ودراسة عن القانون العرفي بين صيادي الشحر نشرها في دار الكتب والدراسات للشرق الأوسط، لندن ١٩٨٠م. وبقي سارجنت يراسل صديقه بامطرف وهو ببريطانيا في كل ما يستجد له من أمور بحثية ومنها تلك الرسالة التي قدم له فيها مجموعة من الأسئلة عن العادات والتقاليد البحرية لدى أرباب السفن الشراعية في جنوب الجزيرة العربية، مثل السنجرة وتحية الموانئ وعمل الدلال في الميناء وتقسيم ربع السفينة وعدد طاقمها ومسؤولياتهم وكيفية استئجارهم وقانون الجدوح والغرق ورمي المال في البحر وغيرها من العادات المتبعة، وهي مطبوعة بالاستنسل في ٩ صفحات، كتبت عليها تعليقات بخط بامطرف وكتب في رأس أول صفحة منها ما يلي: "هذه إجابات على أسئلة قدمها لي الدكتور روبرت سارجنت في إحدى رسائله إلي، وقد استقيت مادة الإجابات من عدد من الملاحين البحريين الحضارمة الموثوق بهم. ورسالة الدكتور سارجنت موجودة عندي وهي باللغة الانجليزية".(١٠) ومنذ مطلع التسعينات الميلادية من القرن المنصرم وفد إلى حضرموت العديد من الباحثين الأجانب للاستفادة من تراثها البحري والشعبي من أبرزهم:

91
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



• الباحث الأمريكي ادوارد برادوس:

كتب ما يقارب خمسين موضوعاً عن التراث البحري الحضرمي عن العادات والتقاليد وصناعة السفن الخشبية مابين مقال وبحث، وقد نال الماجستير من نيويورك في أساليب صناعة السفن والمراكب الخشبية تحصل على معظم معلومات تلك الرسالة من ميناء الحامي عندما زارها عام ١٩٩٤م، حيث مكث بها قرابة الأسبوعين

الباحث الفرنسي ميشل نيتو:
قام بتقديم بحث في منظومتي باطايع الإرشادية لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في اللغة العربية بعنوان (القصائد الملاحية لسعيد بن سالم باطايع)

يذهب كل يوم مع أعضاء فرقة اليمن للفنون البحرية والشعبية وهم فرج محفوظ أمان وعوض محفوظ أمان ويصطحبونه معهم إلى سفينتهم الصغيرة التي أحضروها وصانوها لتكون تراثاً تذكارياً وشرحوا له جميع أجزائها من الهيراب إلى الشتري وهو يدون كل معلومة دقيقة في مذكراته ومكث ضيفاً عند آل أمان خلال الأسبوعين، ومازال يذكرهم ويذكر فضلهم عليه إلى اليوم. (١١)

وقد كتب مقالاً بالاشتراك مع صديقه ديفيد بعنوان (الحامي قرية صحراوية تحفظ ماضيها البحري) نشره في مجلة التاريخ البحري الأمريكية، صيف عام ١٩٩٩م يقول فيه: تمثل مدينة الحامي ثورة المعرفة والخبرة الملاحيتين للجزيرة العربية. فعلى مسافة تبدو مدينة الحامي واحدة من التجمعات العربية الفقيرة المعتمدة على الصيد، ولكن عندما غادرناها وتلاشت أمام أعيننا أدركنا أنها كانت قرية ذات مكانة خاصة في تاريخ العرب.(١٢) وفي عام ٢٠٠٨م ألقى الباحث ادوارد محاضرة ضمن ندوة مرور مائتي عام على منظومتي الملاح باطايع عقدتها جمعية التراث بالحامي تحدث فيها عن جهوده في الحفاظ على السفن والقوارب الخشبية بحضرموت وصيانتها وأنه تراث مجيد، ولكنه بكل أسف لم يلق أي اهتمام من السلطة المحلية وذهبت جهوده أدراج الرياح وقد كثر تردده على ميناء الحامي واهتمامه في توثيق تراثها البحري.

• الباحث الفرنسي ميشل نيتو:

باحث وأمين مكتبة المعهد الفرنسي للدراسات الاثارية بدمشق، قام بتقديم بحث في منظومتي باطايع الإرشادية لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بعنوان (القصائد الملاحية لسعيد بن سالم باطايع) تحت إشراف البروفسور جان – كلود – جارسيان، وتم الدفاع عنه في يونيو ١٩٩٥م في جامعة اكس ان بروفنس (مرسيليا)، وقد قام بترجمة المنظومتين من العربية إلى الفرنسية، وتعيين أسماء الأماكن بالإحداثيات الجغرافية وتحديد المسافات كما شرح المصطلحات والمفردات البحرية معتمداً على القواميس البحرية العربية والأجنبية، وأفاد في تلك الدراسة بأن باطايع كان من أبرز بحارة عصره , وأن منظومتيه الملاحيتين رغم أنهما تعودان إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي لكن مضامينهما وتقاليدهما الملاحية تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي , كما أن هاتين المنظومتين ضمّت كل المعلومات اللازمة للبحار في الفلك والمواسم والرياح وغيرها. (١٣)

زار الباحث المذكور حضرموت في عام ٢٠٠٢م لغرض استكمال أبحاثه عن الملاحة البحرية، وقد التقى بالأستاذ عبدالرحمن الملاحي ليرشده إلى ما كان يرمي إليه من إقامة رحلة بحرية على سفينة شراعية من الحامي إلى زنجبار على غرار رحلة الملاح الحضرمي باطايع. وقد حدثني الأستاذ الملاحي رحمه الله: بأنه كان مصمما على تلك الرحلة، وقد شرحت له هبوب الرياح واتجاهاتها في طريق السواحل الأفريقية، وقد جاء في شهر فبراير فأرشدته أن يقوم بها في شهر يوليو وأغسطس لكون الرياح مواتيه، ولكنه لم يتمكن من إقامة تلك الرحلة لعدم توافر الإمكانيات اللازمة. (١٤)

ثالثا: الهجرة والتجارة البحرية عند الحضارمة:

لقد اهتم بهذا الجانب العديد من الباحثين الأجانب وقد خصصت له العديد من الندوات والمؤتمرات ومنها مؤتمر (حركات الهجرة من مناطق جنوب الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي، المسألة الحضرمية ١٧٥٠-١٩٦٠) الذي عقد في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عام ١٩٩٥م. وقد تم إصدار أبحاثه قبل خمس سنوات في كتاب الشتات الحضرمي في المحيط الهندي عن مركز تريم للدراسات والنشر.

وكذلك المؤتمر الدولي (إعادة استكشاف حضرموت) الذي عقده مركز بحوث حضرموت في لندن يوم السبت ٧ مارس ٢٠١٥م .شارك فيه نخبة من الباحثين الأجانب والأكاديميين المتميزين والمعروفين في مجالات دراسات حضرموت من بلدان مختلفة من العالم، وكان من ضمن جلساته جلسة نقاش عن مقارنة هجرات الحضارم إلى بلدان المهجر بعنوان



•الباحث السويسري دايفيد واربرتون : زار الحامي مع صديقه ادوارد عام ١٩٩٤م للبحث والتنقيب عن التراث الملاحي وقد كتب عنها في مقاله: (المدينة ذات النكهة التاريخية)

(الجوار العربي، وشمال إفريقيا، والهند، وجنوب شرق آسيا). (١٥)

ومن الباحثين الأجانب الذين اهتموا بهذا الجانب:

• الباحثة الأمريكية لندا بوكسبر جر:

الباحثة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لحضرموت، قصدت بيت الأستاذ الملاحي في عام ١٩٩٤م لجمع معلومات بحثها الذي نشرته فيما بعد، ومكثت بالشحر عدة أيام ثم انتقلت إلى الحامي برفقة مرشدها الملاحي ومكثت أسبوعاً في ضيافة المرحوم عمر سالم الكسادي والتقت بجماعة من نواخذة الحامي وبحارتها، واطلعت على مجموعة من الوثائق المخطوطة والمدونات البحرية لربابنة الحامي واستفادت منها معلومات جمة؛ لتحضير رسالة الماجستير التي قدمتها لقسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة تكساس بمدينة أوستن في الولايات المتحدة الأمريكية بعنوان (على حافة الإمبراطورية، حضرموت والهجرة في المحيط الهندي ١٨٨٠ - ١٩٣٠م). (١٦)

• الباحث السويسري دايفيد واربرتون:

مدير المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية سابقاً ويعمل حالياً في إحدى الجامعات السويسرية. زار الحامي مع صديقه ادوارد عام ١٩٩٤م للبحث والتنقيب عن التراث الملاحي وقد كتب عنها في مقاله: (المدينة ذات النكهة التاريخية) بقوله: مدينة الحامي تقع على ساحل البحر مباشرة وهي على امتداد الطريق الساحلي المؤدي إلى عمان, وتشتهر بصيد الأسماك فتظنها قرية للصيادين لكنها مدينة ذات نكهة حضارية وتاريخية خاصة في تاريخ الملاحة البحرية، أما سكان هذه المدينة فإنهم يمجدون تاريخ أجدادهم الربابنة ويسعون لإحيائه بعد أن نساه العالم اليوم.(١٧) وله موضوع آخر شبيه بالموضوع السابق مع بعض الإضافات الأخرى بعنوان (رسالة من صنعاء) منشور في دورية المعهد الأمريكي في صنعاء العدد (٣٥) لعام ١٩٩٤م. كما كتب دراسة عن(التجارة الحضرمية والإمبراطورية البريطانية – حضرموت والحضارمة في المهجر في نهاية القرن الثامن عشر حتى عام ١٩٦٧م). كان سيشارك بها في مؤتمر عن الهجرة في المحيط الهندي بجامعة عدن في – إبريل ١٩٩٥م إلا أنه لم ينعقد المؤتمر فيما يبدو، أفاد فيه بأن "حضرموت رغم أنها من مناطق حوض المحيط الهندي الصغيرة وغير ذات أهمية كبرى لكن يعترف لأهلها بشكل عام إسهامهم العظيم في تطوير تجارة المحيط الهندي كما نعرفه اليوم"، مستعرضا فيه أهمية الحامي الملاحية والتجارية قائلا:" ورغم أن مدينة الحامي الحديثة تبدو كبلدة صيادين تطل مباشرة على الساحل، إلا أنها نمت عند تدفق الثروة إليها عبر المحيط الهندي. فسكانها لا يفخرون بصلاتهم بأصحاب المهجر في البلدان المطلة على المحيط الهندي فحسب، ولكن أيضاً بملاحيهم وقباطنتهم وربابنتهم الذين كانوا يبحرون بسواعيهم إلى شرق أفريقيا والخليج وإلى ما هو أبعد من الهند في حركة دائبة إلى ما قبل ثلاثين عام تقريباً. وهو تقليد يعود أصله إلى عهد بعيد.(١٨)

رابعاً: الغناء والفولكلور البحري الحضرمي:

اهتم الباحثون الغرب بهذا الجانب من تراثنا الحضرمي الأصيل، وقد كتب عنه روبرت سارجنت في كتابه القيم (نثر وشعر من حضرموت) والتقى عام ١٩٦٤م بعدد من الصيادين والمغنيين في الشحر والحامي، مسجلاً أغانيهم وأحاديثهم على آلة التسجيل بأشرطة دائرية. (١٩) ومن أولئك الباحثين الذين استهواهم هذا الجانب البروفسور جورجين ألسنر أستاذ الموسيقى الشرقية بجامعة برلين - ألمانيا، زار حضرموت في يناير ١٩٨٠م، ودارت معه مناقشات من قبل بعض الباحثين حول مصادر الإيقاع وتكوينات موسيقى الأغاني الشعبية ومنها أغاني الصيادين والملاحين وموسيقاها وأفاد بأنها تتميز بموسيقى غير مألوفة في موسيقى الأغاني، وقد أرسل نتائج رحلته البحثية في تقرير شامل مصحوباً بأربعين شريطاً إلى وزارة الثقافة بعدن والتي ضاعت كما يقول الأستاذ الملاحي فيما بعد في دهاليز الوزارة وزوايا الإهمال رغم مطالبته في الاحتفاظ بنسخة منها. (٢٠) ومنهم الباحثة الألمانية جبريلا براون – ألما التي وفدت إلى حضرموت لدراسة أغاني الملاحين والصيادين والتقت الأستاذ عبدالرحمن الملاحي الذي سبق وأن وضع كتاباً بعنوان (شعر الملاحين – الصيادون، شعرهم وعاداتهم المهنية)، ويحدثنا - رحمه الله - أنه شارك معها في ندوة بالعاصمة صنعاء، وكانت المتحدثة قبله ملخصة بحثها المسمى (موسيقى الصيادين اليمنيين في منطقة بحر العرب)، فألقت معظم

ما جاء في دراسته تلك بالحرف الواحد، وهو الموضوع الذي أراد التحدث فيه، ولكنه غير موضوعه حالاً، ويحدثنا عن ذلك في أسلوب رفيع بقوله:" دهشت عندما اطلعت لاحقاً على عدد من الأبحاث والكتب العربية والأجنبية الباحثة عن غناء ورقصات وعادات الصيادين في بحر العرب. تستند في مرجعيتها ومجمل معلوماتها إلى بحثي المخطوط. وقد أشادت الباحثة الألمانية د. جبريلا بالمخطوطة وبمؤلفها، ومع تقديري لها وتفردها بالاعتراف بحقوقي في وضع المخطوط، إلا أني أضع لوما عليها بأنها فعلت ذلك دون استئذان مني، ولو أنها فعلت لربما ساعدتها في شرح الكثير من المصطلحات المحلية ومضامين القصائد، ولأنها غريبة عن واقعنا اليمني بله العربي، فقد نقلت نصوصاً كاملة وأشعاراً ورسومات للزورق ومعداته، وعادات وأشعار الملاحين، ولم تميز ما هو غنائي منها وما هو شعر غرضي يبحث في حياتهم الاجتماعية، فجاءت معظم معلومات الكتاب غير متوافقة مع عنوانها. (٢١)

خاتمة:

هذه أسطر وجيزة تبين بعضاً من أثر أولئك المستشرقين الأجانب في دراسة تراث حضرموت الملاحي البحري، ونأمل من الباحثين المختصين في اللغات والترجمة القيام بتفتيش تلك الدراسات الغربية التي قام بها أولئك الباحثون وتمييز الغث من السمين فالبعض منهم يضع السم في الدسم كما يقولون، فلم يأتوا إلى حضرموت لدراسة تراثها من أجل عيون أبنائها ولكن لهم مقاصد ورسائل أرادوا أن يبثوها من خلال ذلك، وتهدف إليها الجهات التي أرسلتهم، وذلك ما لمسناه من خلال جهدنا المتواضع في الاطلاع على بعض المقالات والأبحاث التي تحدثت عن التراث البحري والاجتماعي لحضرموت، ولا شك أن الدراسات الاجتماعية تحتوي على كثير من تلك التشويهات التي يضعها أولئك الباحثون بين ثنايا السطور بقصد وبغير قصد، فالمسئولية كبيرة على عاتق الأكاديميين والأدباء في القيام بالفحص والتنقيب. فمن العيب أن نجد الغرب يهتم بدراسة تراثنا الحضرمي سواء كان ملاحياً أم شعبياً أم اجتماعياً أم علمياً، ونحن الحضارمة نغط في سبات عميق نتغنى بتلك الأمجاد فقط.

وهناك آثار ايجابية وآثار سلبية لأولئك الباحثين الأجانب فمن الآثار الايجابية ما يحدثنا أستاذنا عبد الرحمن الملاحي - رحمه الله – عن لقائه الدكتور روبرت سارجنت ومناقشاته معه واستفادته منه رغم صغر سنه وقيامه بتدوين ما كان يفيده به في مذكرة خاصة قائلا: " لقد تكشفت لي جوانب من عظمة هذا الرجل وتواضعه وحبه للعلم والمعرفة فتعلمت منه درساً مفيداً، جعلته نبراس خطوات عملي وقيامي اليوم بالبحث عن المعلومات في مجالات اهتمامي ذلك الدرس أن على الباحث أن يتتبع المعلومة التراثية من أي عنصر حتى لو كان ذلك العنصر شاباً صغيراً مغروراً مثلي".(٢٢)

• البروفسور جورجين ألسنر أستاذ الموسيقى الشرقية بجامعة برلين - ألمانيا، زار حضرموت في يناير ١٩٨٠م، أرسل نتائج رحلته البحثية في تقرير شامل مصحوباً بأربعين شريطاً إلى وزارة الثقافة بعدن والتي ضاعت كما يقول الأستاذ الملاحي فيما بعد في دهاليز الوزارة وزوايا الإهمال رغم مطالبته في الاحتفاظ بنسخة منها.

ومن الآثار السلبية ما تمس العقيدة والدين في بعض الأحيان، ومنها قيام بعض الباحثين بالاستيلاء على جهود بعض الباحثين الحضارمة وغيرهم الذين يفيدونهم بها بحسن نية وينسبونها لهم، كما حصل ذلك للأستاذ الملاحي مع الباحثة الألمانية جبريلا.

وكذلك قيام بعضهم بنسبة بعض المعلومات الخاطئة لبعض الأعلام الذين يتحدثون عنهم كما لمسناه في بحث سارجنت عن الملاح باطايع حيث قال إنه كان أعمى البصر وكان يستطيع أن يميز طين قاع البحر من أي محل من المحيط الهندي وهذه المعلومة هي للربان عوض أحمد بن عروة، ولكن يبدو أنه استقاها من غير أبناء المنطقة أوقعه في ذلك الخلط.

آملين في مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وكادره العلمي الذي يبشر بخير، الاهتمام بذلك ونشره على الوجه الذي يليق بحضرموت ووجهها المشرق وحضارتها العلمية.

الهوامش والمراجع:

١) الدور الاقتصادي للشتات الحضرمي في منطقة البحر الأحمر وخليج عدن ١٨٢٠ – ١٩٣٠، الشتات الحضرمي تجار، علماء ورجال دولة حضارم في المحيط الهندي ١٧٥٠ – ١٩٦٠م، ص ٣٤٤، تريم للدراسات والنشر، بدون تاريخ نشر.

٢) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم، حضرموت في عيون باحثين أجانب، مجلة آفاق ص ٤، العدد ١٦ ابريل ١٩٩٦- اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين- فرع حضرموت.

٣) المرجع السابق ص ٥.

٤) شهاب، حسن صالح، علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامي "دراسة مقارنة" ص ١٣ -١٤، منشورات مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، الكويت ١٩٨٤م.

٥) بامطرف، محمد عبدالقادر، الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع ص١٥- ١٦، مطبعة السلام، عدن ١٩٧٢م.

٦) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم، حول الدراسات البحرية العربية، نشرة الساعية ص ٥، العدد ١١، مايو ٢٠٠٥م، لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي.

٧) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٩٦.

٨) الكسادي، بدر أحمد، أبطال منسيون من ريابنة الملاحة البحرية العربية ص١٩-٢٠، اعتنى به محمد علوي باهارون، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي ٢٠١٢م.

٩) باهارون، محمد علوي، ميناء الحامي في عيون الباحثين والمؤرخين العرب والأجانب ص ٦٩-٧٤، دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٦م.

١٠) باهارون، محمد علوي، ريادة الأستاذ بامطرف في دراسة تراث حضرموت الملاحي البحري، من أبحاث ندوة مئوية ميلاد المؤرخ والأديب محمد عبدالقادر بامطرف، جامعة الأندلس – صنعاء، ٢٩ نوفمبر ٢٠١٥م.

١١) أمان، فرج محفوظ، مقابلة شخصية أجراها معه الباحث ٢٠١٢م.

١٢) مدينة الحامي الحضرمية بعيون أمريكية، ترجمة عوض أحمد بريوم، صحيفة ١٤ أكتوبر العدد المؤرخ ١٨/ ٩/ ١٩٩٩م.

١٣) ميناء الحامي في عيون الباحثين العرب والأجانب، مرجع سابق ص ٢٩، ٤٧.

١٤) باهارون، محمد علوي، إسهامات الأستاذ عبد الرحمن الملاحي في إبراز تراث جنوب الجزيرة العربية الملاحي البحري، من أبحاث ندوة الأستاذ الملاحي ودوره الاجتماعي والتنويري في حضرموت، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ٢٧ ديسمبر ٢٠١٥م.

١٥) باهارون، محمد علوي، مراكز الدراسات الإنسانية في حضرموت ودورها في خدمة وتوثيق ونشر التراث العلمي، بحث غير منشور.

١٦) إسهامات الأستاذ الملاحي، مرجع سابق.

١٧) نشرة الساعية العدد (٤) ١٩٩٤م، لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي.

١٨) ميناء الحامي، مرجع سابق ص ٥٩ – ٦٢.

١٩) الملاحي، حضرموت في عيون باحثين أجانب، مرجع سابق، ص٧.

٢٠) المرجع السابق ص ٩ – ١٢.

٢١) الملاحي، عبد الرحمن، غناء الصيادين والملاحين بحضرموت ص ١٥، من أبحاث مهرجان الأغنية الحضرمية الأول ٢٧ – ٣٠ مايو ٢٠٠٠م.

٢٢) حضرموت في عيون باحثين أجانب، مرجع سابق، ص٨.

94
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الوقف الخيري في تريم



يعد الوقف من الموضوعات التي أشبعها البحث من الناحية الفقهية، ولعلي في هذا البحث أتجاوز المقدمات في البحث في مشروعية الوقف وفضائله وأحكامه وما يتصل بفقهه، فان هذا المجال تعددت الأبحاث فيه وتنوعت، ولذلك سيكون هذا البحث منصباً على الأثر الناتج عنه بكافة أشكاله.

وقد طالعتنا مجلة حضرموت الثقافية في عددها الأول الصادر في ذي الحجة الحرام ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م بموضوع عن الوقف الخيري والأهلي في حضرموت للكاتب الأستاذ والباحث الحصيف محمد علوي باهارون، الذي يشكر في طرق هذا الموضوع- وأحسب أنه أول من طرقه - وكأنه في ذلك قد رمى حجرة في مياه راكدة آن لها أن تتحرك - رغم أن تحركها قد تأخر - ورغم أن موضوعه قد أخذ ونحى المنحى العام، فإنني وبدوافع سابقة أعيد طرق هذا الموضوع مختاراً فقط الوقف الخيري دون الوقف الأهلي أو الذري الذي يتم وقفه على الذرية والأهل أو حتى الوقف المشترك، فاخترت الوقف الخيري وهو التحويل الذي يتم وقفه على أعمال الخير العامة لمصالح المسلمين كالمساجد أو المستشفيات أو الفقراء أو دور وطلبة العلم وما شابه ذلك من وجوه الخير، أي يكون عائده مصروفاً إلى جهة خيرية مستمرة الوجود.



د. محمد يسلم عبد النور

وفي التدوين التاريخي الحضرمي يتداخل موضوع الوقف مع أنواعه الثلاثة من جانب، ومن جانب آخر يتداخل مع موضوعات تتشابه في أهدافها وأثرها ونتائجها من أنواع المبرات كالصدقة والوصية والنذر والهبة والتبرع، فكانت تلك الأموال سواء النقدية أم العينية تصرف في وجوه الخير المختلفة.

وقد اتخذت مدينة تريم أنموذجاً لذلك، ولعلنا نرى - مستقبلاً - دراسات وأبحاث عن ذلك لجميع مناطق حضرموت، لنعطي القارئ العربي والمسلم صورة مكتملة ولو بعض الشيء عن الوقف في حضرموت.

وأجد نفسي هنا أشير إلى أنواع الوقف وصوره وأشكاله في الآتي:

١. الوقف على دور العبادة:

وأعني بدور العبادة المساجد والمصليات، وقد اشتهرت مدينة تريم بكثرة مساجدها القديمة حتى قاربت المائة أو تجاوزتها، ولعلها تكون من أوائل المدن الإسلامية التي تمتاز بكثرة مساجدها مقارنة بمساحتها وسكانها، فضلاً عن عدد المصليات، ولا أجد نفسي مبالغاً إن قلت إن معظم هذه المساجد - إن لم تكن كلها ذات أوقاف - ولست هنا بصدد حصر جميع أوقافها وإنما أذكر نماذج للتمثيل وليس للحصر:

١. مسجد أبي علوي أو باعلوي (القوم) وقد أكثر المحسنون الوقف عليه وعلى من يرد عليه من الفقراء وعلى من يفطر وعلى من يقرأ، بل وقف كثيرون من ذوي الثروة ثلث اموالهم، ومن هؤلاء عبد الله باعلوي (ت ٧٣١هـ) فقد وقف أراضي ونخيلاً (١).

٢. مسجد الحبوظي: بناه سالم بن إدريس الحبوظي (ت٦٧٨هـ) ووقف عليه أراضي في دوعن معروفة باسمه (٢).

٣. مسجد باجرش: بناه علي بن موسى باجرش (ت٨٢٨هـ) له أوقاف كثيرة حتى عد من أغنى مساجد تريم مالاً وأوقافاً، كما وقف عليه أيضاً ذريته ومنهم عمر بن علي قعيطبان باجرش أوقف عليه أراضيه، ومحمد بن أحمد قعيطبان باجرش وقف بيته(٣).

٤. مسجد الجامع: وقف عليه المحسنون الكثير من الأراضي الزراعية ومنها: الجاحدة والحوت.

٥. مسجد المحضار: بناه عمر المحضار ابن عبد الرحمن السقاف (ت٨٣٣هـ) ومن أوقافه الأراضي الزراعية التي أوقفها عليه علي بن عيدروس بن شهاب.

تريم - إن لم يكن في حضرموت - الذي بنته أسرة آل الكاف سنة ١٣٥٥هـ، من صدقات وأوقاف جدهم شيخ بن عبد الرحمن الكاف(ت ١٣٢٨هـ) في إندونيسيا وسنغافورة، وجهز بالأجهزة والمعدات الطبية وصرف الأدوية مجاناً واستقدام الأطباء(٦).

سالم السري (ت١٣٤٦هـ) وأحمد بن عبد الرحمن الجنيد (ت١٣١٣هـ) ومحمد بن عمر عرفان وذلك بعد جمع الأموال من أثرياء تريم القاطنين بها أو المهاجرين حيث وقفت العقارات المشتراة بسنغافورة، كما وقف السري البيت المشترى من آل مقبل ليكون موضعاً للمبنى، وتبعه أحمد





٦. مساجد آل الكاف: وهي مسجد الكاف لأبي بكر (ت١٢٢٢هـ) وعلي (ت١٢٢٥هـ) ابني علوي بن محمد الكاف، له أوقاف هي أراض زراعية بدمون، ومسجدي حسن بن عبد الله الكاف (ت١٣٤٦هـ) الذي جعل لهما وقفاً يكفيهما ريعه بسعة (٤).

أما الوقف على المصليات فأرجي الحديث عنه عند الحديث عن الوقف من قبل المرأة.

٢. الوقف على الرعاية الصحية:

وقفت المستشفيات في كثير من بلاد الإسلام، ووقفت عليها الأراضي والبساتين والدور والحوانيت وغيرها لضمان استمرارها في تقديم خدماتها ولم تكن هذه المستشفيات أماكن العلاج فقط بل كانت أيضاً معاهد للتعليم في مجال الطب والتمريض، كما كان يكفل للمريض فيها العلاج والغذاء والكسوة وجميع متطلباته(٥)، وفي هذا الجانب تطالعنا مستشفى تريم الخيري الذي يعد أول مستشفى خيري في

٣. الوقف على المؤسسات العلمية:

لم تقتصر المخصصات الوقفية على المساجد والمستشفيات بل شملت أيضاً المؤسسات العلمية لكون الإنفاق على التعليم قربة لله تعالى، ولم تقتصر الأموال الموقوفة على عمارة هذه المؤسسات بل شملت صيانتها وتجهيزها بالأثاث واللوازم المدرسية ودفع مرتبات العاملين فيها، وبعض الأوقاف شملت توفير مساكن للطلبة وتقديم الطعام للطلاب والعاملين في المدرسة (٧)، ومن هذه المؤسسات العلمية:

١. الكتاتيب (المعلامات) ومنها: معلامة أبي مريم (ت٨٢٢هـ) ومعلامة بارشيد (ت ق٩هـ) المعروفة بمعلامة باحرمي، ومعلامة باغريب التي من أوقافها اراض زراعية في محملة أوقفها عبد الله بن عمر باغريب.

٢. رباط تريم: انبرى أشخاص بإنشاء الوقفية التأسيسية للرباط وهم: عبد القادر بن أحمد الحداد (ت١٣١٣هـ) ومحمد بن

بن عمر الشاطري (ت١٣٦٠هـ) بشراء بيت محسن ووقفه ليضاف إلى البيت الأول ليكون المبنى الذي ابتدأ العمل به نهاية سنة ١٣٠٤هـ ليفتتح في ١٤ محرم سنة ١٣٠٥هـ.

كما وقفت له فيما بعد الوقفيات الخاصة أو المشتركة من عقارات في سنغافورة من كل من: سالم بن محمد الكثيري، عبد الرحمن بن عبد الله الكاف، أحمد بن سعيد جوبان، عبد القادر بن شيخ الكاف، محمد ابن أحمد عيديد، عبد الله بن عبد القادر الحداد، أحمد العزب، وكل هذه الأوقاف في مصالحه الإنشائية والبناء والصيانة والموازنة التشغيلية والخدمية (٨)، هذا فضلاً عن الأنواع الأخرى من التبرعات والمبرات والوصايا له لا نشير إليها كونها خارجة عن نطاق بحثنا.

٤. وقف الكتب والمكتبات:

يعد وقف الكتب أحد حلقات ظاهرة الوقف التي عمت التاريخ الإسلامي في مسيرته

الطويلة، وصار هذا النوع من الوقف من بين الأغراض التي وجه المحسنون إليها أنظارهم، لاسيما بعد أن حسم الفقهاء هذه المسألة التي ظلت خلافية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث أفتى الفقهاء بجواز وقف المنقول الذي جرى بوقفه كالكتب من الأصل العام في المنقول وجعلوه من باب الاستحسان، ومن هنا عني المسلمون في مسيرتهم الحضارية بوقف الكتب والمكتبات قديمًا وحديثاً باعتبارها الوسيلة الأهم في تلقي العلوم ونشرها وذلك لأهمية الكتاب فضلاً عن صعوبة الحصول عليه قبل عصر الطباعة وحتى الكتب المطبوعة فقد كانت أسعارها باهظة مقارنة بالظروف المعايشة القاسية آنذاك، لذا فقد تنافس الواقفون في إنشاء المكتبات العامة والخاصة وفتحها أمام طلبة العلم، وطفق المسلمون وأهل الخير والإحسان يوقفون الكتب نفعاً للناس وحباً للخير، وبدأت تظهر المكتبات الموقوفة على طلبة العلم وأخذت خزائن الكتب الموقوفة في الانتشار ووقفت عليها الأموال لإدامتها وتنميتها والإنفاق على أربابها(٩)، ومن هذه المكتبات الموقوفة تلك المكتبات التي هي عبارة عن مجموعات ضمتها مكتبة الأحقاف للمخطوطات، وأخرى مطبوعة ضمتها مكتبتي الاحقاف للمخطوطات والمطبوعات، ومن أهم هذه المجموعات: مكتبات آل الكاف، وهي مكتبة حسن بن عبدالله الكاف التي أوقفها سنة ١٣٣١هـ، والمكتبة الكافية لعبد الرحمن بن شيخ الكاف (ت١٣٦٧هـ) التي أوقفها سنة



١٣٦٢هـ بعد تأسيسها أولاً في بيته بعيديد سنة ١٣٥٠هـ، ومكتبات، وعبد الله بن عمر بن يحيى (ت١٢٦٥هـ)، وعمر بن علي الجنيد (ت١٢٦٨هـ)، وحسين بن عبد الرحمن بن سهل (ت١٢٧٤هـ)، ومكتبة الرباط، ومكتبة صالح بن علي الحامد (ت١٣٨٧هـ) التي وقفت بعد شرائها من ورثته من قبل حسين بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالحسيني بايعاز من محمد بن سالم بن حفيظ، وكل هذه المكتبات وقف على طلبة العلم، وتضم من الكتب المخطوطة والمطبوعة، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل وقفت وحبست الأراضي لصالح تلك المكتبات، ومن ذلك وقف حسين بن عبد الرحمن بن سهل لجزء من بئر النحاس لصالح مكتبته، ووقف عبد الرحمن بن شيخ الكاف غلة من ماله للحفاظ عليها وترميم ما يحتاج إلى ترميم ضمانا لاستمرارها(١٠).

٥. الوقف على طلبة العلم والمعلمين:

وهذا ما يلحظ من خلال تلك الأوقاف على المؤسسات العلمية وأهمها رباط تريم، كان جزء من أوقافه لطلبة العلم لتوفير مستلزماتهم المدرسية ولوازم التعليم وتوفير الطعاملهم، وجزء آخر كان من نصيب من يتولى مهمة التعليم والتدريس وهي اوقاف عدة كتلك الاوقاف الكافية في إندونيسيا وسنغافورة.

٦. الوقف على المصالح العامة:

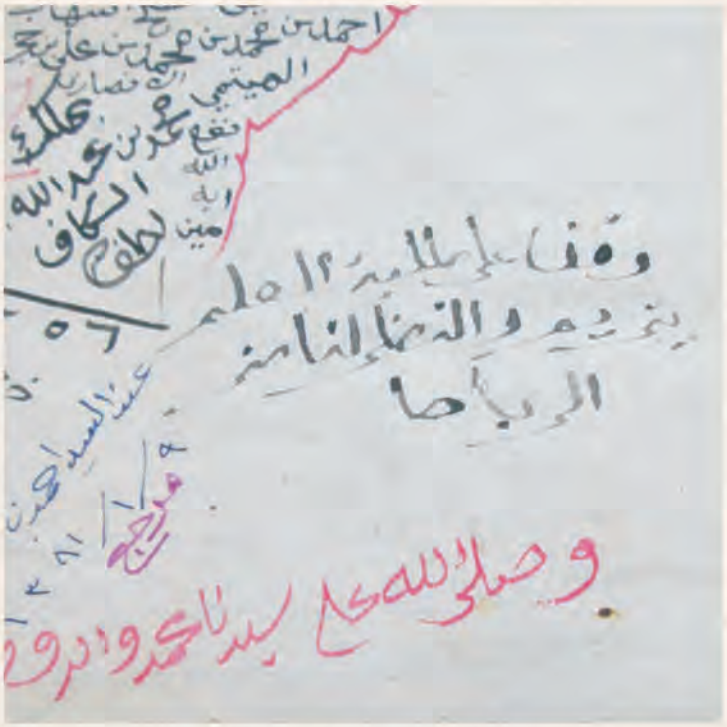
لم يقتصر الوقف الخيري على أمور الدين بل تعداه الى مناحي أخرى شملت ما يخص الفرد والمجتمع بشكل عام في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

فمن هذه الأوقاف تلك الاراضي التي أوقفت على مقابر تريم الثلاث (زنبل والفريط واكدر) لمن يحفر قبور الموتى، ويعمل اللبن (المدر) الذي يسد به القبر لوقف عبد الله باعلوي (ت ٧٣١هـ) من الأراضي والنخيل (١١)، ووقف عبد القادر بن شيخ الكاف (ت١٣٦٥هـ) المشترك لبيته في سنغافورة(١٢)، وأوقاف أخرى على تجهيز الموتى المعوزين والغرباء، وأخرى على صيانة عدة الوفاة من الجنازة ومغسل الميت وغيره، كوقف حسين بن سهل لجزء من بير النحاس لذلك لحافة السوق.

ومن ذلك ما وقف من قبل عبد الله باعلوي على اللقطاء الذين يوضعون في الطاق المعروف بسوق تريم (طاق الفروخ) وما وقف على القفان (الميزان) (١٣) وما تعتريه من اصلاحات وصيانة دورية، وهذه موضوعات اجتماعية (بكر) بحاجة إلى دراسات وابحاث.

وعندما ابتنى عبد الرحمن بن شيخ الكاف سنة ١٣٣٦ هـ دار الغرباء المعروف بسوق تريم بدار الصدقة من خيرات والده لإيواء من يأتي إليها أو من يقصدها في المناسبات العامة من الغرباء وقفت له الدكاكين والحوانيت الملاصقة له.

وانتشرت السقايات والتي بمثابة البرادات في عصرنا في أماكن عدة من تريم خارجها وداخلها لإرواء الناس بل والحيوانات من الماء فوقفت لها الأوقاف،



ومن أمثلتها ما وقفه زين بن محسن الهادي من أرض زراعية على الساقيتين المعروفتين الأولى بحنينة، والأخرى بجانب بيته بجوار مسجد شيخ عيديد.

ومن ذلك أيضاً ما وقفه حسين بن عبد الرحمن بن سهل في جزء من (بير النحاس) على أواني (قدور) الطباخ بحافة السوق المصنوعة من مادة النحاس الحديدية التي يبقى الطعام فيها حاراً مدة أطول، وما تسمى الوقف بذلك (بير النحاس) إلا نسبة لهذه القدور والأواني.

ووصل وقف المحسنون حتى على عصا خطيب الجمعة التي يستند عليه الخطيب في خطابة الجمعة والعيدين، ومن يقوم بالخطابة من أسرة آل الخطيب، بوقف محمد بن علي الخطيب (ت٧٠٣هـ) أرض بئر الإبل لهذا الغرض.

٧. الوقف الخارجي:

وهو ما وقف لمصلحة خارج تريم، وفي هذا تطالعنا الأرض التي وقفت لحمام الحرم المسماة بذلك.

٨. الاوقاف من قبل النساء:

لا يوجد في التشريع الإسلامي ما يميز بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بإمكانية وقف الأملاك والأراضي، فالنساء لهن الحق في التصرف في أملاكهن كما يردن والشروط الواجب توافرها في الرجل الواقف (الحرية والعقل والبلوغ) تجب ايضاً بالنسبة للمرأة الواقفة (١٤).

وليس بالقليل هذا الوقف في تريم، وإن كان قد انحصر في المساجد والمصليات ومن أمثلة ذلك: مسجد الحداد بالمحيضرة الذي بنته شفاء بنت عيسى بن عبد القادر الحداد (ت١٣٧٥هـ) زوج عمر بن شيخ الكاف (ت١٣٩٠هـ) أوقفت له الاوقاف، ومسجد فطوم بنت حسن بن عبد الله الكاف (ت١٤٠٧هـ).

أما المصليات النسوية التي بنتها المرأة وأوقفت لها الأوقاف فهي كثيرة منها: مصلى عيشة بنت عمر المحضار (ت٨٨٨هـ) ومصلى شهابة لنور بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن شهاب التي أوقفت له عقاراً، ومصلى علوية بنت شيخ بن عبد الرحمن الكاف (ت١٣٣٩هـ) ومصلى أختها سيدة (ت١٣٨٦هـ) المسمى بمصلى كافة أوقفت له بعض المحلات التجارية بالسوق، ومصلى خردة لمسعد بنت حامد ابن عمر (ت١٣٥٠هـ) المسمى باسم والدتها علوية بنت أبي بكر خرد، ومصلى بلفقيه لعلوية بنت عبد الله بن حسين بن سهل، ومصلى عرفانه لمسعد بنت محمد عرفان، ومصلى جنيدة، ومصلى حبشية، ومصلى مشهورة، ومصلى مزروعة(١٥)، فكل هذه لها أوقاف عرفت أم لا لم تعرف!، ضيعت أم تلفت أم أستولي عليها.

وحالنا اليوم وقد ضعفت التربية الدينية وغاب الوعي الإسلامي وشاع الجشع المادي والتخلف والانحطاط بين المسلمين أدى إلى جمود الأوقاف، وظهر السطو والاعتداء عليها، مع تشويه صورتها، وحل بالوقف والأوقاف الأمراض والعوارض الجانبية التي حلت بالمسلمين عامة مع الجمود والتأخر والتخلف، وتسلط على الوقف الظالمون والعابثون والظلمة والفساق (١٦).

وقبل أن أختم الحديث نرفع بعض التوصيات بخصوص ذلك منها:

- إحياء ثقافة الوقف من خلال التعريف بدوره التنموي وبتاريخه وفقهه ومنجزاته التي شهدتها الحضارة الإسلامية.
- استثمار المشاريع الوقفية وتحويلها إلى منتج ثقافي فكري.
- إنشاء صناديق وقفية تسهم في تحقيق التنمية كتلك الصناديق في الدول العربية كالكويت والإمارات.

ولعلنا نرى في الأعداد القادمة من يتحفنا بنماذج أخرى من الأوقاف في مناطق حضرموت الأخرى، أو من يتصدى للكتابة في موضوع النظارة في الاوقاف في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها على واقعنا الحضرمي، ولعل غداً لناظره قريب.

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك - جامعة حضرموت.

الهوامش والتعليقات:

١) الشلي، المشرع الروي ١/٢٦٤.
٢) باغوث، الدرر الثمينة ٧٣.
٣) المصدر نفسه ١٢٦، ١٢٧.
٤) ابن هاشم، الدور الكافي ١٠٣.
٥) العاني، إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية ١٦٥، كتابالامة (١٣٥).
٦) بامؤمن، الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف ٢٠٢ - الكاف، السيد شيخ الكاف ١٣٩.
٧) العاني، إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية ١٨٠، ١٨١.
٨) بلفقيه، تذكرة الباحث المحتاط ١٩، ٢٠، ٦٠-٦٢.
٩) خالد محمود، ظاهرة وقف الكتب ٥٧، ٥٨ مجلة أوقاف (٢٤).
١٠) ابن هاشم، الدور الكافي ١٠٣، ١٢٩.
١١) بلفقيه، من أعقاب البضعة المحمدية ٢٤.
١٢) بلفقيه، تذكرة الباحث ٦١.
١٣) بلفقيه، مناعقابالبضعةالمحمدية ٢٨ - ٣٥.
١٤) بيليجي، أوقاف النساء ٩٤، مجلة أوقاف (١٩).
١٥) باغوث، الدرر الثمينة ١٩٩ ـ ٢٠٢.
١٦) الزحيلي، مشمولات أجرة الناظر المعاصرة ١١، مجلة أوقاف رقم (٦).

من ثمرات اللغة (٢)



أ.د. عبدالله صالح بابعير

من طرائف العلماء :

تروي كتب الأدب عن الأصمعي أنه قال : قَدِمَ رجلٌ من فَزارةَ على الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان الفزاريُّ عَيِيًّا ، فسأل الخليلَ مسألةً فأبطأ في جوابها ، فتضاحك الفزاريُّ ، فالتفت الخليل إلى بعض جلسائه ، وقال : الرجالُ أربعةٌ :

- رجلٌ يدري ، ويدري أنه يدري ، فذاك عالِمٌ فاتَّبعوه

- ورجل يدري ، ولا يدري أنه يدري ، فذاك غافلٌ فنبِّهوه

- ورجل لا يدري ، ويدري أنه لا يدري ، فذاك جاهلٌ فعلِّموه

ورجل لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، فذاك مائقٌ (أي أحمقُ ، شديد الحُمْق والغباء) فاجتنِبوه . ثم أنشأ الخليلُ يقول :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما أَقُولُ عذَرتَني

أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ ما تَقُولُ عذَلْتُكا

لكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتي فَعَذَلْتَني

وعَلِمْتُ أَنَّكَ مائِقٌ فَعَذَرْتُكا

قُلْ ولا تَقُلْ :

قُلْ : غارَ الرجلُ على أهلِه غَيْرَةً (بفتح الغين) ، ولا تَقُلْ : غار على أهله غِيْرةً (بكسر العين) . جاء في اللسان : ((والغَيْرةُ ، بالفتح ، المصدرُ مِنْ قولِك : غارَ الرجلُ على أهْلِه. قال ابنُ سِيْدَه : وغارَ الرجلُ على امرأتِه ، والمرأةُ على بَعْلِها تَغارُ غَيْرةً وغَيْرًا وغارًا وغيارًا ... ورجلٌ غَيْرانُ ، والجمعُ غَيارَى وغُيارَى ، وغُيُورٌ ، والجمعُ غُيُرٌ ... وامرأة غَيْرَى وغُيُورٌ ، والجمعُ كالجمع . الجوهري : امرأةٌ غَيُورٌ ونِسْوةٌ غُيُرٌ ، وامرأةٌ غَيْرَى ، ونِسوةٌ غَيارَى . وفي حديث أُم سلمة ، رضي اللّهُ عنها : إنَّ لي بنْتاً وأنا غَيُورٌ ، هو فَعُولٌ مِنَ الغَيْرة ، وهي الحَمِيَّةُ والأَنَفَة . يقال : رجلٌ غَيُورٌ ، وامرأةٌ غَيُورٌ بلا هاءٍ ؛ لأَنَّ فَعُولاً يشترك فيه الذكرُ والأُنثى . وفي روايةٍ : امرأةٌ غَيْرَى ، هي فَعْلَى مِنَ الغَيْرة . والمِغْيارُ : الشَّديدُ الغَيْرة)) يقول عمر بن لجأ التيمي :

نَغارُ عَلَيْها غَيْرَةً مُضرِيَّةً

إذا ما انْتَضَيْنا المَشْرُفِيَّ المُهَنَّدا

ويقول كُثيِّر عَزَّة :

يُحاذِرْنَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَلِمْتُها

قَدِيماً فَما يَضْحَكْنَ إلاَّ تَبَسُّما

وعلى هذا قول ابن الرومي :

وأَرَى الكَرامَةَ حِلْيَةً ما أُخْلِيَتْ

مِنْ غَيْرَةٍ فيها لَها تُحْصِينُ

والغَيْرَةُ هي الحَمِيَّةُ والأَنَفَة . يقول ابنُ مطروح في الغَيْرَة :

ولَوْ أَمْسَى عَلَى تَلَفِي مُصِرًّا

لَقُلْتُ : مُعَذِّبِي بِاللهِ زِدْنِي

ولا تَسْمَحْ بِوَصْلِكَ لِي فَإِنِّي

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي

وقال آخَر:

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ نَظَرِي وَمِنِّي

ومِنْكَ ومِنْ مَكانِكَ والزَّمانِ

ولَوْ أَنِّي خَبَأْتُكَ فِي جُفُونِي

إلى يَوْمِ القِيامَةِ ما كَفانِي

وقال يزيد بن معاوية :

وإِيَّاكَ ذِكْرَ العَامِرِيَّةِ إِنَّنِي

أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ المُتَكَلِّمِ

لزمني شمسه



صالح سعيد باعامر

خيبة

.... وذات مساء زارها ..كانت أجمل وأنق ،
تعبق طيباً أنفذ من أي عطر..غرزت نظرها
في عينيه اللتين تماهتا مع مكنوناتها
ونبضاتها رفرفت أصابع يديهما ..
اضطراباً توتراً، تعرقاً :

- قل شيئاً
- .....
- ما بك ؟
- .....
- انطق
- .....
- أأبكم أنت ؟

أشار بيده راسماً في فضاء المكان :

- لقد نسيت صوتي عند زوجتي

* * *

تلك الليلة

قبل أن آتي إليك وأسكنك كنت رتقاً وبعد
أن غادرتك تفتقتُ إلى نصفين الأول ذهب
إليك والثاني أيضاً ذهب إليك .

* * *

حيرة

قلبي عالقاً به وروحي معلقة فيه.
وبين قلبي وروحي أقف حائراً .

* * *

عبث

ما زلت أبحث عني فيَّ وفيك ..
فذاك اللقاء لم يفعل فعله فيّ وفيك

* * *

انهمارات حضرمية

أجْرَاسٌ خَافِتَةٌ



سالم العبد الحمومي

خلال ما يربو على العقدين من الزمان عانت حضرموت من تجريف ممنهج للأخلاقيات والقيم الأساسية، ولم ينج من آثارها المدمرة كبار أو صغار إلا القلة القليلة ممن نأوا وتواروا بأنفسهم ودفعوا الثمن الجزيل كضريبة ارتضوها مقابل المراهنة على مستقبل مغيب لا ينبئ عنه إلا إيمان صلب برجحان الحق وغلبته وإن عتمت الرؤية وعمقت أرحام البشائر !!

إن الأحداث المتسارعة بعد ثورات الربيع العربي كانت كأجراس خافتة تبدِّدها عاصفة التغيير العاتية، فلم يُحسن التقاطها سوى الرائين الصادقين!!

فأرهفوا السمع ومدوا الأبصار وشحذوا البصائر متشحين صبرهم المغمّس بلوعة الفقد والرجاء!! وربت المتأملون على أصلاب الغد وخصوبة المستقبل !! وحتى أتى ذات يوم ربيعي احتوتنا فيه صالة منتدى متطوعون، وتسنَّم الشباب الحضرمي ذروة المشهد المفتوح !! وأبلوا بلاءً حسناً في تشرب فنون المعرفة والعلوم وأظهروا في تمثلها وتطويرها طرائق وطرائف ووصفات تنم عن إرادات حية تصنع عندهم وتؤثثه بملكات المثابرة والتصميم والقدرة على التجاوز .. وقالوا بملء الفم: علينا أن نردم الهوة السحيقة بين أحلامنا وواقعنا !! .. أن نحلم بالأجمل نعم ولكن أن نترك الواقع لغيرنا لتشويهه .. فلا وألف لا .. كفانا التغنّي بأحلام أجدادنا .. فقد خلقنا الله لزمان غير زمانهم، سنضعهم عناوين مشعة على دروب مسيرتنا الطويلة، وجسراً يوطئ لنا مفازات المآثر والإنجازات، سنجعلهم مثالاً وقدوة وحافزاً حياً وخلاقاً لاستكمال مسيرة العطاء والعمل كقيمة وجودية نتبوأ بعدها هرم الإنسانية الشاهق ونحجز لحضرميتنا مساحة مضيئة نجسد من خلالها المعاني الجوهرية والبناءة لأوامر وسنن الله فيما يحقق المعنى العميق للاستخلاف في الأرض !!

شباب بحجمهم وزن حضرموت يملئون النفس رضى، ينبعثون من ركام الحطام والآلام ويلهجون بترانيم الغد الأفضل قولاً وعملاً، وهديرهم الصامت يملأ الآفاق، وعزيمتهم الفوارة تقرب المسافات وتذيب الحواجز وصدورهم العارية مفتوحة لرياح التغيير .

100
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الوتر السادس

(برمة) المؤرخ الكبير

متى قدم الكوميدي الشعبي الشهير مبارك سالم باحمبص (برمة) مسرحياته (كبش العيد) و(بدوي في المدينة) و (برمة الحطاب النصاب) و(برمة رحلة إلى المليون) التي تشير عنواناتها إلى تحولات اجتماعية تاريخية شهدها المجتمع، بوصف المسرحية تحمل- من خلال حواراتها- من التاريخ الاجتماعي ما لا نجده في التاريخ المكتوب ، فكثير من تفاصيل الحياة كامنة في حوار المسرحيات، والتسجيل الصوتي والمرئي يحفظ الإشكالية ويضاعف الإحساس بها عندما تعاد مشاهدتها بعد مدة من الزمن، ومن ثم فأي فقدان لهذه الأعمال يعني فقدانا للتاريخ الاجتماعي، ويزيد التلاعب الكوميدي بالألفاظ الذي يبديه (برمة) من تعميق الإحساس بالمشكلة، كما تدل تلقائية الحوار وافتعال بعض الإشكالات الجزئية على خشبة المسرح في أثناء التمثيل على استفحال الإشكالية حتى ليمكن التحدث عنها من الممثل المبدع بصورة تلقائية لكثرة ما أزعجت حياة الناس.



د. عبدالقادر علي باعيسى

ميزة المسرحيات أنها تنقل الروح المشتركة للأزمة بشكل جماعي نلاحظه من خلال جميع الأطراف الممثلة في المسرحية ويبرز التناقضات الحادة بينها، فمن خلال المسرحية تتم عملية استجواب شعبي للفسدة، إنها جزء من الخطاب الشعبي في أرهف ملامحه الاجتماعية، بل يمكن من خلال عدد كبير من المسرحيات من عام ١٩٧٥-٢٠١٥ مثلا رؤية عدد من التحولات السياسية والاجتماعية والايديولوجية التي شهدتها البلد، لاسيما الأجيال التي لم تشهد تلك الأحداث، فالتاريخ عبارة عن تسجيل حدثي من زاوية واحدة هي زاوية الكاتب، بينما المسرحية تسجيل يغادر شخصية الكاتب نحو شخصيات متخالفة الاتجاهات والأفكار. إنها أشبه بالحياة الاجتماعية نفسها وقد ذهبت عنها الحياة. الكتابة التاريخية لا تبقي لنا سوى الإطار التاريخي الخارجي لأبرز الأحداث، بينما تبقي لنا المسرحية ما تحرك في التاريخ من الداخل أحداثا نشهدها ونسمعها كما لو كانت واقعا معيشا. وهكذا تدخل المسرحية في دائرة إنتاج التاريخ وليست للاستهلاك العابر أبدا كما قد يظن المشاهد البسيط.

نعم هناك مسرحيات تقوم بعملية توفيق بين الأطراف المتعارضة وتمتاز بضعف الروح الدرامية ومن ثم فتأثيرها أقل فاعلية، وفي هذا السياق أدعو كتاب التاريخ والمهتمين بالتاريخ الاجتماعي تحديدا إلى مشاهدة المسرحيات التي عرضت في الفترات التاريخية التي يكتبون عنها، وأن تنقب عنها الجهات الثقافية المسؤولة محتفظة بتسجيلات صوتية ومرئية كاملة لها قدر الإمكان، وأن تعيد قناة حضرموت عرض بعض المسرحيات القديمة بوصفها تمثل مجتمعا كاملا بما فيه من إشكالات وتنوع، فلا يكفي أن ننتج المسرحيات ثم نلقي بها في الزوايا المهملة، فدورها في الفرجة قد يكون انتهى حقا، غير أن دورها مازال فاعلا في هذه الجهة التي نتحدث عنهاوالتي تهم الباحثين بشكل خاص، ويمكن أن ينطبق هذا على المقابلات والبرامج التلفزيونية القديمة.



كانت المسرحية كامنة في الهم الحياتي اليومي لمبارك باحمبص (برمة) نظرا

كانت المسرحية كامنة في الهم الحياتي اليومي لمبارك باحمبص (برمة) نظراً لارتباطه الوظيفي بحاجات مجتمعه

لارتباطه الوظيفي بحاجات مجتمعه، وخصوصيته كامنة في إجراء مزيد من التشخيص التمثيلي على قضايا حياتية كانت بحاجة إلى معالجة مما أعطى مسرحياته خصوصية وقد التقطت كثيرا من التفاصيل فالمسافة غير بعيدة بينه وبين جمهوره بوصفه رجلا شعبيا بالأساس لا يمتلك تأهيلا أكاديميا وربما لا يجيد القراءة والكتابة إلا بشكل يسير فشعبيته خالصة في شخصيته وفي مسرحياته وجماليتها- لو جاز التعبير- جمالية شعبية في التقاطها لأبسط وأنكى هموم الإنسان البسيط في صيغة مسرحية تجري كما لو كانت في المجتمع. إنه لا يقوم بعملية تمثيل بقدر ما ينقل الواقع إلى خشبة المسرح بوصفه ذاتيا صيغة شعبية حقيقية في هيئته وحركاته وحديثه. إنه لا يمثل بالمعنى المفهومي لكلمة (تمثيل) وإنما تصبح شخصيته المسرحية أكثر نشاطا فنيا داخل المسرح، ولعل كثيرا من عناصر الفريق الذين كانوا يمثلون معه يتسمون بهذه الصفات، ويظل (برمة) عنصرا خاصا لا يمكن لأحد أن يحل محله.

101
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

جزيرة الكهف



د. سعيد الجريري

سأرجيء الإشارة إلى دلالة العنوان، لغاية تعبيرية تكتيكية، مستبعداً أي تناص واع بينه وبين جزيرة الكنز لروبرت لويس ستيفسون مثلاً، أو تماس مباشر مع كهف أفلاطون الأسطوري - ولا مشاحة في التناص والتماس - نافياً في الوقت نفسه أن يكون للعنوان أي دلالة جغرافية على خرائط العالم المتداولة - كما في بوراكاي بالفلبين - لكنه دال على (جزيرة) افتراضية تتراسل استعاريا مع (كهف) افتراضي، لإنتاج دلالة واقعية مؤرقة.

(١)

أثرت في مقال "مدينة بلاصحف" في العدد الأول من مجلة حضرموت الثقافية، هاجسا مؤرقا تتناسل أدواؤه، منتجة حالة خواء ثقافي وإعلامي لا يملؤها أي ضجيج خارج قوانين المواجهة الحقيقية للتحديات والإشكالات الماثلة. ولعلي مثير ههنا هاجساً مجاوراً من جملة هواجس تقتضي أن تمنهج آليات النظر إليها، ثم اجتراح كيفيات الانطلاق من لحظة الوعي بها إلى آفاق تتجاوزها، لا بالقفز عليها، وإنما بالاعتراف بها أولاً كمعضلة، ومن ثم تفعيل قوانين التحول إلى لحظة أخرى مغايرة، تصبح معها جزءاً من تاريخ تتأمله الأجيال التالية، ولا تقف عنده، بل تتجاوزه بوعي مواز، مكافئ، مستشرف ما بعده على منصة استراتيجية.

أشار أحد المثقفين العرب إلى ما جنته اللحظة المعاصرة في زمن تفكك الدولة الاستبدادية العربية المعاصرة، على مؤسسات العلم والمعرفة، حتى غدت الجامعات " كليات مدرسية"، لا تنتج وعياً ومعرفة، بقدرما تحشد أجيالاً تغادر القاعات بعد سنوات معلومة، تحمل شهادات من ورق، يكثر في صالات الاحتفاء بها ضجيج وصخب احتفالي تعويضي عن فراغ تجتهد الكليات المدرسية في التعمية عليه، وهي تخرّج للمجتمع، في الغالب، أعداداً لم تحسن إعدادها، تقف حائرة إزاء تحديات لحظتها وأسئلة الواقع، ثم يمسها من فساد الأنظمة ما يحيلها إلى ما يشبه الإحباط، إذ تنتظر دورها الذي يكاد ألا يأتي للفوز بوظيفة تؤمّن معاشاً كريماً لعائلةٍ علقت كثيراً من أحلامها على فتاها الخريج.

(٢)

ولعل سياقاً كهذا يستدعي تأملاً في جواهر الأشياء لا أعراضها، ونحن على عتبات مفصلية في البحث عن الذات ليس بالمعنى الفردي، وإنما الاجتماعي حيث تطفو على السطح أدوات وآليات منقطعة الصلة بالعصر، لتفعل فعلها في تشكيل المسار باتجاه المستقبل، على نحو مفارق، يحمل في داخله مفاعيل الانكفاء، والاطمئنان إلى الحلم بالماضي، باعتباره الصورة المثلى للمستقبل الذي يُخشى من مجهوليته ومعاصرته في آن معاً. وتلك حالة من حالات إفراز ما بعد تفكك دولة نظام الاستبداد التي يبدو أنها تؤسس لاستبداد بديل ومتخلف، لا يرى هو نفسه استبداديته المضمرة، مثلما لا يراها الذاهبون معه في مسارات طائفية لا بالمعنى الديني وحده وإنما بالمعنى التراتبي الاجتماعي أيضا، الذي يتلاشى معه ويتقزم إزاءه مفهوم المواطنة الذي يتكامل وجودياً مع مفهوم الدولة المدنية الحديثة.

ولأن سياقاً كهذا لا يتسع للتفصيل فيه، حيز المقال، فإن ما ينبغي توكيده هنا هو أن مغادرة "النمطية" بأبعادها المختلفة تعد مقدمة موضوعية لأي تحول يُراد لحضرموت – كنموذج مطاوع – أن تنتقل فيه انتقالة نموذجية. فالملاحظ أن من مهيمنات الوعي والسلوك أنهما نمطيان استعاديان ليس على المستوى الوعي الديني وإنما على مستويات أخرى اجتماعية وسياسية وثقافية، وتبدو خطورة تلك النمطية الاستعادية أنها تشظي الذات والمجتمع وتشوههما من الداخل، وتسطح وعيهما معاً بحقائق الواقع الموضوعية، الأمر الذي يفسر حالة الشيزوفرينيا التي تعيقهما عن الانطلاق الحر المجرد من كوابح طارئة اكتسبت صفة الثابت.

(٣)

جزيرة الكهف، تماهي دلالتين لإنتاج دلالة ثالثة، فالأولى هي إحاطة الماء باليابسة من كل جانب، فهي في عزلة عن اليابسة الضاجة بمفاعيل الحياة، ما لم تطلق سفنها في كل اتجاه، وتفتح موانئها البحرية والجوية للقادمين. والثانية انغلاق المكان عما حوله، ما يؤدي إلى توقف حركة الزمن داخله فيما يمور العالم حوله بحركة دائبة صاروخية السرعة. أما الدلالة الثالثة فناتجة عن تماهي العزلة بالانغلاق حيث تهيمن (فكرة الاستعادة) على كل ما / ومن في الكهف والجزيرة. وفكرة الاستعادة هذه عدمية، فهي تعمي عن رؤية أي نموذج سواها، فهي تمتلك حقائق التاريخ والفكر والدين والسياسة والاجتماع، ومهما يكن لها من صلة بمظاهر تقنية حديثة أو معاصرة، فهي صلة مبنية على ثنائية الفصل بين فلسفة المناهج وأشكالها، وهي ثنائية لا يغدو معها المنهج منهجاً وقد جُرّد من أساسه الفلسفي، ولا يغدو معها الشكل شيئاً أكثر من كونه هيكلا فارغاً. ومن هنا يبدو من الطبيعي ألا يكون للشهادات والدرجات العلمية معنى أو جدوى، ما دام تفكير "الخاصّي" هو تفكير "العامّي"، و رؤيته للعالم هي رؤيته، إن لم يقصرا دونهما أحياناً.

102
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



الثقافة الزراعية الحضرمية

التنبؤ بالأمطار الصيفية

حضارة حضرموت قديمة تضرب جذورها في تربة التاريخ الحضاري وحسب الشواهد الأثرية والنقوش التي عثر عليها في المستقرات الحضرمية القديمة تظهر أن نشوء تلك الحضارة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وقد قامت الحضارة الحضرمية على أساس العمليات التجارية والزراعية لمنتجات من الحبوب والتمور كمنتجات زراعية واللبان كمنتج من النباتات البرية التي مازالت تنمو في حضرموت وهي بحاجة إلى تنميتها إلى جانب غيرها من النباتات ذات القيمة الاقتصادية والطبية، لتكون مورداً اقتصادياً .



د. رزق سعد الله الجابري*

إن معطيات تاريخ حضرموت تبين أن تلك المنتجات الزراعية أو المنتجة من النباتات البرية كان لها مكانة مهمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية الحضرمية، ليس هذا فحسب بل امتدت تلك المكانة إلى حضارات أخرى عاصرت حضارة حضرموت ومنها الحضارة اليونانية . يعزز ذلك قول استرابون : أن وادي حضرموت كان منتجاً لكثير من النباتات العطرية والتمر واللبان والتوابل والقرفة. إن كثافة الإنتاج الزراعي الذي يفيض عن حاجة الطلب الحضرمي يسوق في الخارج في كل من شرق البحر المتوسط و في الخليج العربي وغيرها من بلدان العالم هذه الحقيقة تؤكدها المأثورات الشعبية يقول الشاعر:

ذهب إلى الشحر ودع عمان

إن لم تجد تمراً تجد لبان

إن تنوع المنتجات الزراعية ووفرتها في ظل تخلف تكنولوجيا الإنتاج وبدائيتها لا يمكن أن يحدث إلا من خلال ذهنية حصيفة سخرت كل قدراتها وإمكاناتها في خدمة اقتصادهم وخاصة الزراعة وهذا ما تظهره الحكايات والقصص والأشعار الشعبية الحضرمية

إن تنوع المنتجات الزراعية ووفرتها
في ظل تخلف تكنولوجيا الإنتاج وبدائيتها
لا يمكن أن يحدث إلا من خلال ذهنية حصيفة
سخرت كل قدراتها وإمكاناتها في خدمة اقتصادهم وخاصة الزراعة

وتشكل موروثاً ثقافياً يتطلب تجميعه قبل اندثاره. هناك مثل يقول: الحاجة أم الاختراع : الجفاف المستديم في حضرموت وما نتج عنه من نقص في المحصول الزراعي أو انقطاع للأمطار أدى إلى حدوث هزات في إنتاج الغذاء وتراجع إنتاج اللبان ونجم عنها مجاعات متكررة . الأمطار مهمة لاقتصاديات حضرموت الزراعية بعد أن دخلت في جفاف مستديم ويرفع من تلك الأهمية عدم وجود أنهار جارية جعل الحضارمة يحرصون على الحفاظ على كل قطرة ماء، وهذا حرّك أذهانهم وجعلهم يدخلون في عصف ذهني لمجابهة هذه المشكلة . ولأن سقوط الأمطار يتزامن مع فصل الصيف الحار وهذا يقلل من القيمة الفعلية للأمطار لارتفاع التبخر والتبخر النتح . لهذا فقد كان أول الإنتاج الفكري لحل الإشكال هو التنبوء بالأمطار الساقطة بهدف إعلان النفير والتعامل مع هذه الأمطار، ولعل في أشعار الحكيم (بو عامر) خير مثال للتدليل على الثقافة الحضرمية الزراعية في ذلك الزمن. وقد أثبت علم الإرصاد الحديث صحة ذلك الموروث، يقول فيها:

يقول بوعامر بشير الصيف يصبح في السماء بقعة طحال
والنسنسة والنود والندوة تقع وقت الضحى

هذا الموروث الشعري يقدم معلومات وافية حول فصل الصيف وأيامه فيما إذا كان ممطراً أو مسبتاً وبالتالي استمرار الجفاف ووقوع محل زراعي. وحسب قول الحكيم (بو عامر) تكون تباشير خير الصيف ويومه الممطر من الصباح الباكر عندما تكون السماء شبه مغبرة والتي سماها الحكيم الحضرمي (بوعامر) بقع الطحال وهي في الواقع حبوب اللقاح وذرات الغبار التي تكون نواة تكاثف إذ يتجمع حولها بخار الماء العالق في الجو كما تشير الدراسات المناخية، فكثرة حبوب اللقاح وذرات الغبار مؤشر على أن الصيف سيكون فصلاً مطيراً .

وفي الشطر الثاني من قول (بو عامر) يبدأ فيه : بالنسنسة وهي الرياح خفيفة السرعة التي يطلق عليها في حضرموت الصباء، التي تهب قبل شروق الشمس وهي رياح باردة خفيفة السرعة محملة ببخار الماء كونها قادمة من بحر العرب بحكم تغير منظومة الضغط الجوي بين اليابس الذي يكون في حالة ضغط منخفض والماء المسيطر علية الضغط المرتفع وهي في الحقيقة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي اكتشفها عرب جنوب الجزيرة العربية (العمانيون والحضارم)، واستثمرها الحضارمة في السفر الشراعي والتجارة البحرية إلى الهند وشرق وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقية .

أما النود الذي ذكره (بو عامر) هي الرياح الخفيفة السرعة بمعنى رياح ليست بالسريعة وليست بالبطيئة وبالرغم من أن النود مؤشر على الأمطار فإن له أكثر من أهمية في وادي حضرموت الحار في هذا الفصل حيث يسهم في تخفيف الحرارة المرتفعة وبالتالي زيادة تجديد النشاط البشري وبذل جهد أكثر في إعداد الأرض وتهيئتها للزراعة المطرية إلى جانب ذلك فانه يستثمر في فصل الحبوب من شوائبها وبالحضرمي (الذلاحة).



هذه الرياح الهابّة (النود) هي رياح أفقية تتحول إلى تيارات هوائية صاعدة بعد ساعات من شروق الشمس (النسنسة - النود) بسبب خلخلة الهواء في طبقات الجو الملامسة لسطح الأرض . هذه التيارات الهوائية الصاعدة تؤدي وظيفتين الأولى نشر الرطوبة في الغلاف الجوي الملامس لسطح الأرض والتي وصفها (بو عامر) بالندوة التي تقع وقت الضحى .

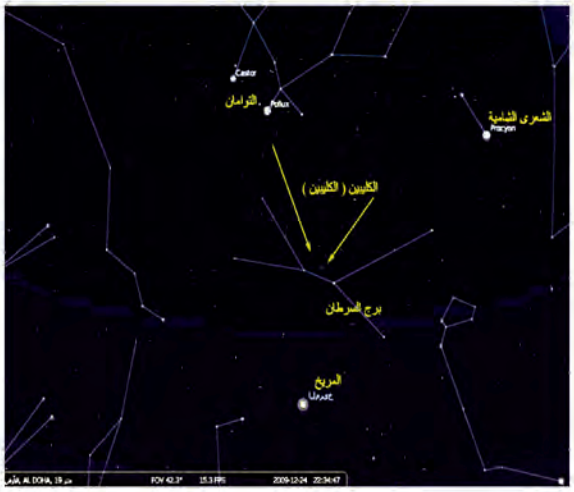
المتتبع للأمطار الصيفية في وادي حضرموت يلاحظ أن خلال المدة الزمنية من الساعة (١٠ صباحاً إلى - ١٢ ظهراً) ترتفع الرطوبة والحرارة ويسود الرهو (سكون في الهواء) وهو ما يفسر علمياً بانخفاض مستوى التكاثف التصاعدي إلى أدني نقطة من سطح الأرض ويعني ذلك توافر ظروف مثلى لنشوء السحب الممطرة أما الوظيفة الثانية للتيارات الصاعدة فهي تلقيح السحب .

الدراسة التي قام بها (برجن) حول الأمطار توصل إلى نتيجة في غاية الأهمية صاغها في نظريته الشهيرة حملت اسمه ومنطوقها إن الأمطار لا يمكن أن تحدث إلا بتوافر هذه الشروط التي ذكرها الحكيم (بو عامر) وهي جزء من الموروث الثقافي الزراعي الشفهي ينبغي توثيقه قبل اندثاره ومن هذه النافذة الثقافية التي انفتحت مؤخراً أتوجه بدعوة إلى كل الحضارم أن يقفوا إلى جانب مركز دراسات حضرموت لكي يظهر ماضي حضرموت للاستفادة منه؛ لأن الماضي مفتاح الحاضر، والحاضر يصنع المستقبل .

---

* أستاذ جغرافية السكان المشارك.- جامعة حضرموت

الجدوى العلمية من النجوم الشبامية لدى القدماء



لم يُحظ تقويم نجومي بالحفظ والتدوين والتوثيق والاهتمام لدى العام والخاص بمثل ما حظي به التقويم الشبامي الحضرمي، فلم يكن تقويماً شعبياً يمارسه العامة بل اعتمده الفقهاء والمؤرخون في مصنفاتهم كبديل عن التقويم الشمسي، فقد كان للقدماء أغراض متعددة في تعاملهم بالنجوم استفادوا منها في ميادين شتى أهمها :

١ – معرفة التوقيت والأزمان .

٢ – معرفة الاتجاهات الجغرافية .

٣ – معرفة موقع الجرم السماوي على صفحة السماء.



سالم عمر الجعيدي

أولاً: التوقيت:

تمكن القدماء من خلال الاستعانة بالنجوم من تحديد لحظة نصف الليل أو ربعه، ومعرفة الماضي من ساعات الليل أو الباقي من الساعات إلى وقت الفجر، وكذلك تحديد ساعات الليل وأجزائه بدقة مقبولة، وأبرز من كانوا يستعينون بالنجوم في تحديد ساعات الليل هم المؤذنون لصلاة الفجر، والفلاحون الذين يراقبون ليلاً توزيع سقي المزارع والري في الغيول والعيون والجداول المائية .

وطريقتهم في ذلك هو بمراقبة السماء بمجرد حلول الظلام، فإن النجوم الثمانية والعشرين تكون موزعة كاملة على دائرة البروج حول كامل الأرض، وبناء على ذلك يكون ١٤ نجماً ظاهراً للعيان على صفحة السماء و١٤ نجماً في السماء المقابل للجهة الأخرى من الأرض، فإذا حل المساء فسيشاهد ١٤ نجماً ظاهراً ممتداً من سماء الأفق الشرقي إلى سماء الأفق الغربي، ومع مرور الوقت يلاحظ على الدوام طلوع نجم جديد من تحت الأفق الشرقي، وغروب مقابل له من الأفق الغربي، والذي يتسبب ذلك عن دوران الأرض حول نفسها، ثم يمكن هنا اختيار أحد ثلاثة أنجم كعلامة على بدء العدّ والحساب وذلك حسب الظروف الجوية للسماء، فإما أن نختار النجم الذي على الأفق الشرقي أو الذي على الأفق الغربي أو النجم المتوسط الذي على سمت الرأس، وبناء على هذا فإن النجم الذي يظهر بعد غروب الشمس بالأفق الشرقي لا يطلع رابعه إلا بربع الليل، وويظهر خامسه بثلث الليل، وسابعه بمنتصف الليل، وتاسعه بثلثي الليل وعاشره بالربع الأخير من الليل(١)، ولا يطلع الثالث عشر له إلا وقت حلول الفجر، ولا يغرب الثامن من النجم الذي بالمغرب إلا بمنتصف الليل، وهكذا دواليك يمكن تقسيم وتحديد أجزاء الوقت بمقدار حركة النجوم، وأن متوسط الفترة الزمنية ما بين طلوع النجم الأول والثاني له هو إحدى وخمسون دقيقة زمنية، ومن أول غروب الشمس إلى طلوع الفجر يمكن مشاهدة ٢٥ نجماً تقريباً من أصل ٢٨ أما الباقي فيكون داخلاً في حيز شعاع الشمس.

ثانياً : الأزمان:

معلوم أن أغلب المصالح المعاشية والأعمال الدنيوية ترتبط مواعيدها بالتقويم الشمسي، كالتقويم الميلادي، أو التقويم الرومي، أو التقويم القبطي، كمعرفة مواعيد الفصول الأربعة، وأوقات الحصاد والبذر، ومواسم رحلات الصيد والتجارة، ومواسم هبوب الرياح البحرية .

ولم يكن الحضارم يعرفون أياً من أنواع التقويم الشمسي، وإنما استعاضوا عنه بتقويم النجوم الشبامية، فإنهم قد أدركوا من خلال تعاقب الأجيال وتراكم الخبرات أن أي موسم إذا حلّ مع غروب نجم معين بالفجر فإن موعد الموسم يترافق حلوله دائماً بغروب نفس النجم للأعوام المتلاحقة، حتى لكأن النجم يصير علامة على حلوله دائماً وأبداً، وتفسير ذلك من الناحية الفلكية، أن النجم إذا غرب فجراً في يوم ما فإن غروبه يتكرر بنفس موعد التقويم الشمسي ، لأن السبب في اختفاء النجوم بوقت الفجر هو حركة الشمس المدارية (الظاهرية) في فلكها حول الأرض، فإذا تحركت الشمس بمقدار ١٣

درجة في مدارها اختفت من النجوم مقدار منزلة واحدة في الجهة الشرقية، وظهرت لسكان الأرض منزلة أخرى من الجهة الغربية، وبما أن الشمس ترتبط في موقع مدارها بتاريخ معين من التاريخ الميلادي فإن اختفاء النجم كذلك يمكن ربطه بأي نوع من أنواع التقاويم الشمسية، لذلك، إذا كان غروب نجم باعريق مثلاً يوافق الأول من شهر أكتوبر فسيقع غروبه في السنوات اللاحقة في نفس التاريخ، ومثله إذا وافق موسم الحصاد في نفس يوم غروب نجم البطين فجراً، فإن الحصاد التالي سيكون في نفس يوم غروب نجم البطين، والخلاصة مما سبق أن التقويم النجمي عند الحضارم يقوم نفس مقام التقويم الشمسي في أغراضه وأهدافه.

معرفة الاتجاهات الجغرافية:

ربما لا يعدُّ الأمر غريباً على من حفظ صور منازل القمر أن يهتدي بالنجوم على الاتجاهات الجغرافية، كمعرفة الشمال والجنوب والشرق والغرب، ولهم في ذلك طرق متعددة من أبسطها أنه إذا شوهد عدة منازل في أي بقعة من السماء فالمتقدم في الترتيب يشير دائماً إلى الأفق الغربي، والمتأخر يشير لجهة المشرق، فعلى سبيل المثال، إذا شوهدت النجوم: القلب والشولة والنعايم بكبد السماء، فالقلب يشير إلى جهة المغرب لأنه متقدم على الشولة، والنعايم تشير إلى جهة المشرق لأنه متأخر، وهذه تعدُّ من البديهيات التي يجيدها القدماء، وقد استفادوا بذلك في الاهتداء في ظلمات البر والبحر، وقد جعل فقهاء المذاهب الأربعة لنجمة القطب الشمالي أولوية في الاستدلال على الشمال، ويسمونه (نجمة الجدي)، ثم يأتي بعده من حيث الترتيب نجم سهيل للاستدلال به على جهة الجنوب.

العصر الذي يرقى إليه بداية العمل بالنجوم الشبامية:

من النظرة العامة للنجوم الشبامية، أنها ترتكز على المنازل الغاربة فجراً بالأفق الغربي، وأنها تبدأ بالهنعة وتنتهي بالهقعة، وأن مقدار كل منزلة ١٣ يوماً، إلا الهقعة، فعددها ١٤ يوماً في البسيطة و١٥ يوماً في الكبيسة، وأن مسميات بعض النجوم خاصة نجوم السعود منها تم تغييره إلى أسماء أخرى، ومن خلال هذه المعطيات توجه هاجس من التساؤلات لدى بعض الباحثين في التاريخ والمشتغلين في التراث عن بدايات العصر التي اعتمدت فيها العمل بالنجوم الشبامية في القطر الحضرمي، ولا شك أنه من اليسير جداً على أي أحد أن يجازف في القول فيطرح أمام ذلك الآلاف من السنين بل وعشرات الآلاف المؤلفة من الأعوام، لكن تبقى مجازفاته مجرد أوهام ودعاوى لا يعجز أي شخص آخر أن يدعي مثلها في أي قضية أخرى، ومثل هذه تأباها مناهج البحث العلمي، ما لم يقم صاحبها عليها دليلاً صحيحاً لكن المقطوع به أن أشهر من تكلم بإسهاب من القدماء في النجوم الشبامية هو العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة(٢)، وهو بدوره قد أشار في بعض نصوصه إلى محققين سبقوه في حساب النجوم، كما أشار بشكل واضح إلى قضية زحلقة الفلك(٣) في النجوم الشبامية بقوله (لكن حساب الشبامي قد دخل فيه الخلل بسبب طول الزمان فإذا أردت أن ترده إلى الصحة فأنقص من أيام منزلة الشبامي التي أنت فيها عشرة أيام فما بقي فهو الذي مضى من تلك المنزلة على الصحة)(٤)، وقد أيد المتأخرون مسألة الزحلقة في النجوم (٥).

إذن فمقدار الزحلقة من الزمن الأول إلى عصر العلامة بامخرمة هو عشرة أيام، والمعروف عند علماء الهيئة أن الفلك تتزحلق بمقدار درجة واحدة في كل اثنين وسبعين عاماً قمرياً، وبالتالي فإذا ضربنا ١٠ أيام في ٧٢ كان الحاصل هو ٧٢٠ عاماً وصنَّف العلامة عبد الله بامخرمة جداوله الفلكية عام ٩٥١ هجرية فإذا رجعنا القهقرى من هذا التاريخ بمقدار ٧٢٠ عاماً فإننا نصل إلى العام ٢٣١ هجرية، أي أن النجوم الشبامية ترقى في استخدامها بحضرموت إلى القرن الثالث الهجري.

ويؤكد ذلك بوضوح ما ذكره صاحب كتاب مختصر الخصال (٦) بقوله: ومعرفة ذلك أن دخول الهنعة عند رجوع الشمس يكون الفيء في ذلك خمسة أقدام ونصف إلا قيراطي قدم، وينقص كل يوم قيراط حتى تقوم الشمس دخول الزبان على غير شيء).

وهذا النص لصاحب مختصر الخصال هو أقدم ما بلغنا من النصوص التي تتحدث عن النجوم الشبامية بحضرموت، إذ إن وفاة أبي إسحاق كان في القرن الخامس الهجري، أما قوله (حتى تقوم الشمس دخول الزبان على غير شيء) فمقصوده: أن أول الزبان في التقويم الشبامي تكون الشمس فيه مسامتة للرأس فلا يظهر للفيء أي ظل، وبإجراء عملية حسابية بسيطة يمكن معرفة موقع الراصد ومنطقته التي أقام فيها عملية رصد ظل الشمس، إذ إن رجوع الشمس عند دخول أول الهنعة توافق دائماً وأبداً ٢٤ ديسمبر من كل عام، ومن أول الهنعة إلى أول الزبان يمضي فيها عشرة أنجم، وكل نجم يحوي ١٣ يوماً أي أن مجموع أيام الأنجم العشر هو ١٣٠ يوماً، فإذا سرنا بمقدار ١٣٠ يوماً ابتداء من ٢٤ ديسمبر فسنصل إلى تاريخ ٣ مايو الذي هو أول مدخل نجم الزبان في عصر أبي اسحاق إبراهيم الحضرمي في القرن الخامس الهجري والذي يكون فيه الشمس مسامتةً على رأس الراصد، وإذا حسبنا عرض البلد بنفس التاريخ والذي تكون فيه الشمس مسامتة له فسنجده ١٥ درجة و٣٣ دقيقة وهذا هو نفس عرض مدينة الهجرين وأجزاء من وادي العين كالبويرقات والسفيل.

الهوامش:

١) كتاب نصب الشرك، مخطوطة.

٢) الإمام العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة من أقران الإمام ابن حجر الهيتمي وأحد عباقرة فقهاء الشافعية، ولد عام ٩٠٧ بالشحر، ورحل إلى زبيد والحجاز ونبغ في عشرين فرعاً من العلوم من ضمنها علم الفلك والحساب والمساحة.

٣) ويسمى في مصطلح علم الفلك الحديث مبادرة الاعتدالين.

٤) نبذة في علم الفلك، مخطوطة الشيخ الإمام عبدالله بن عمر بامخرمة.

٥) نقل صاحب بغية المسترشدين حساب الزحلقة عن العلامة عبد الله بن حسين بلفقية والعلامة عبد الله بن عمر بن يحيي، وذكر ذلك العلامة أحمد بن حسن العطاس عن شيخه العلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور في كتابه رسالة في معرفة الأوقات.

٦) المصنف هو الشيخ أبو اسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي، شاعر وفقيه من فقهاء الأباضية بحضرموت توفي عام ٤٧٣ هـ.

تباريخ قلم

في هوية الإبداع الأدبي (الروائي)

(٢-٢)



أ. د. طه حسين الحضرمي

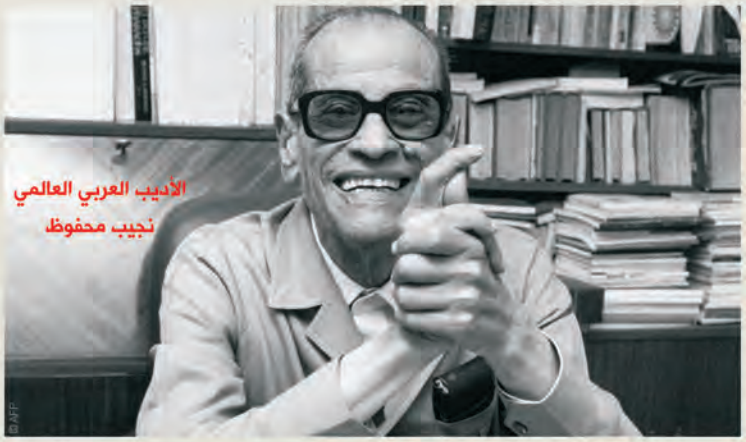
(٤)

الإبداع الأدبي في عمومه رؤية ورؤيا. تتقاسم إنتاج دلالته ما تراه عينُ الأدب البصرية من واقع ومعرفة ثقافية وما يحيط بالأديب من فكر وخيال وتشكيل لغوي.

بالغ بعض الدارسين في حديثهم عن واقعية النص الأدبي حينما حصروا هذه الواقعية بمعايشة الواقع فقط. بهذا المفهوم هضم بعضهم إبداع نجيب محفوظ؛ إذْ دندنوا طويلاً حول إصرار نجيب محفوظ الدؤوب على مجالسه اليومية في (قهوات) القاهرة القديمة وعلى مسامراته الليلية على النيل وشوارع القاهرة البهيّة؛ مستندين إلى أهمية الرؤية المباشرة والمعايشة الحيّة للواقع، متجاهلين سيرورة العملية الإبداعية المكتنزة سرداً أو شعراً في أعماق الأديب المبدع.

إنّ (نقطة ضوء) صغيرة كفيلة بإشعال وقود الإبداع الكامنة في هذه الأعماق التي تفيض واقعاً وخيالاً وفكراً. فكثيراً من حوادث روايات نجيب محفوظ تستضيء بمثل هذه النقاط الضوئية الصغيرة المتلألئة في سماواته اللامتناهية فيلتقط منها ما يشاء ويشكّلها كيفما شاء.

انبثقت رواية (اللص والكلاب) من خلال شخصية سفاح الإسكندرية (محمود أمين سليمان) الذي شغل الرأي العام بأخباره سنة ١٩٦٠م. وجد نجيب محفوظ في هذه الشخصية المقلقة فرصة سانحة تتجسد من خلاله



الأديب العربي العالمي
نجيب محفوظ

الانفعالات والأفكار التي كانت تشغل فكره آنذاك فعندما شرع في كتابة رواية (اللص والكلاب) لم يكتب قصة محمود سليمان وإنما كتب (قصة فلسفية إنسانية وجودية) فجّرت أشياء كانت مخزونة في أعماقه وفي هذه الأثناء لم يعد لمحمود سليمان وجود لتتجلّى في إطاره شخصية (سعيد مهران) الروائية فتشتعل من خلاله عملية إبداعية (ميكانيزمية) معقدة تتخذ من هذه الحكاية (المتن) خطاباً سردياً تتداخل في أحشائه قضايا الفكر والفلسفة وطرائق التشكيل الروائي. من خلال هذه العملية الإبداعية يتحدّد الفرق بين (الواقع الحقيقي والواقع الفني). وفي أثناء ذلك تتجلّى محدودية قدرة الإنسان على التذكر بينما قدرته على الخلق تظل غير محدودة على حدّ تعبير نجيب محفوظ.

أشار هنري جيمس في إحدى محاضراته عن الفن الروائي إلى أهمية هذه النقاط الضوئية في العملية الإبداعية متحدثاً عن تجربة إبداعية متميزة؛ إذْ يقول (أذكر ما قالته لي روائية إنجليزية - سيدة عبقرية، من أنها أصابت كثيراً من المديح بسبب صورة الشاب البروتستانتي وطريقة حياته التي تمكنت من تقديمها في إحدى قصصها. سألها السائلون: أين تعلمت كل هذه الأشياء عن ذلك المخلوق الغامض؟ وهنئوها على الفرص العجيبة التي أتاحت لها ذلك. أما هذه الفرص فتتلخص في مرورها مرة، في باريس، وهي ترتقي سلماً، باب مفتوح، يجلس

خلفه في منزل قس، بعض الشباب البروتستانتي، حول المائدة بعد أن فرغوا من تناول وجبة غذائية، وقد صنعت هذه النظرة الخاطفة صورة، لم تدم سوى لحظة، ولكن تلك اللحظة كانت تجربة، لقد حصلت الروائية على انطباعها الشخصي المباشر، وحولته إلى نمط، لقد كانت تعرف ماهية الشباب، وماهية البروتستانتية، وكانت تتمتع أيضا بميزة أخرى فقد رأت ما يعنيه كون المرء فرنسيا، وهكذا حولت هذه الأفكار إلى صورة ملموسة وأنتجت حقيقة، ولقد كانت تستمع فوق كل شيء-على أية حال- بالقدرة التي إذا أعطيتها القليل أخذت الكثير، والتي هي بالنسبة للفنان أعظم بكثير كمصدر للقوة من أمر عرضي كمكان للسكن أو المركز الاجتماعي مثلاً. فالقدرة على تخمين غير المرئي من المرئي، ومتابعة مضمون الأشياء، والحكم على العمل كله عن طريق الشكل، حالة الإحساس بالحياة بوجه عام بدرجة كاملة بحيث يكون المرء في طريقه إلى معرفة أي ركن معيّن منها، هذه المجموعة من المواهب تكاد تقول: إنها تكون التجربة).

(٥)

إذنْ! ما المحفزات التي تحرّك مكنونات هذه النقاط الضوئية الخافتة فتجعلها مشتعلة بالإبداع؟ لعل أيسر الأسئلة هو أصعبها إجابة؟ كما إنه ليس بالضرورة أن تكون الإجابة عن مثل هذه الأسئلة مقنعة أو كافية إلى حد ما.على أية حال نستطيع أن نقول: إن النظرة المتأنية في طبيعة هذه المكنونات تفتح آفاقاً واسعة لمحفزات لانهائية تبدأ من نقطة (الواقع) وتنتهي بنقطة (الخيال) بكل ما تحمله هاتان النقطتان وما بينهما من إحساس بالأشياء والأفكار.

أما الواقع فهو الأنموذج الأمثل للمحاكاة منذ عهد أرسطو حتى عصرنا هذا بكل ما تحمله (المحاكاة)-بوصفها مفهوماً ضبابياً- من مشكلات تنظيرية،


الروائي العالمي
هنري جيمس

فكلٌ ناظرٌ إليها من منظوره الخاص.فالواقع بكل حيثياته أرض خصبة للخلق والإبداع ابتداءً من ميثولوجيا هوميروس اليونانية في (الإلياذة والأوديسة) مروراً بألف ليلة وليلة العربية ومغامرات (دون كيخوته) الأسبانية؛ وصولاً إلى سحرية واقعية



ماركيز اللاتينية في (مائة عام من العزلة) وغيرها من الأعمال التي تبدو نافرةً في ظاهرها عن الواقع وهي في جوهرها جزء من تكوينه وتجلياته الخيالية.

أما الخيال بكل نظرياته الفلسفية والنفسية والنقدية فهو محور التجربة الإبداعية؛ فلا إبداع بدون خيال.فالخيال الأدبي يصنع عوالم ممكنة افتراضية, فهو يمتح من الواقع بقدر ما يسعفه التخيّل اتكاءً على جملة اينشتاين الشهيرة (الخيال أهمُّ من المعرفة)؛ لأننا سندرك حتما أن المعرفة جزء لا يتجزأ من هذا الخيال الذي أسهم بشكل من الأشكال في صنع هذه المعرفة.

فالواقع في إطار الخيال أشبه بمرآتين متقابلتين يعكسان -من خلال صورة واحدة- صوراً لا نهائية لا حصر لها تتمثل في صور أشتات في ذهن الرائي متشكّلة بوساطة (ميكانيكا الخيال)-على حد تعبير حبيب سروري- الكامنة في ركن قصي من ممكنات الإبداع المتنوعة لدى الأديب.

يحتاج هذا الخيال إلى تخصيب دائب من الأديب الناشئ.فقد أوصى ليوناردو دافنشي الفنانين الناشئين (باستثارة الذهن لشتى ضروب الابتكار). وقد أشرت في مستهل حديثي إلى أهمية النقاط الضوئية في صنعة الأديب والروائي بشكل خاص، فهناك صلة وثيقة بين هذه النقاط الضوئية المنبثقة من الذكرى وبين الخيال؛ أليست الذكرى أيضا خيال؟ أو ليست إعادة خلق؟ بلى! إذن فلابد من تدريب المخيّلة بقذفها في (بحار الذكرى مستدعية إلى عَتَمات الذهن، الأفراد والأماكن) بحسب تعبير الكسندر إليوت.

على الرغم من كل ذلك تظل الهوية الإبداعية عصيةً على القولبة والتقعيد؛ متفلتةً من القوانين العلمية الصارمة؛ سابحةً في بحار الإبداع والخلق اللامتناهية.ويظل التساؤل عن الهوية الإبداعية وماهياتها المتنوعة قائماً باحثاً عن إجابات مقنعة وكافية. وأنى لمثلي بذلك؟!

108
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الانتظار في الحجرات

ـ من الوعي بالنسب إلى الوعي بالأدب ـ

قراءة أخرى في (التعارف)

(١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

في الآية وحداتٌ بشريّة أربع : (الناس) ، و (الشعوب) ، و (القبائل) ، و أصغر وحدة فيها (الذكر والأنثى) ، وفيها تحديدٌ لوظيفة الخلق وعلّته في (التعارف) . ورغم أن التعارف في معناه العام هو المعرفة والعرفان ؛ وهما وجهان يجمعان الحسي والقلبي معاً ، فإن النظر إليه في هذه الخلية البشرية الصغرى (الذكر والأنثى) من جسد البناء البشري يعطي للتعارف معناه السياقي الدقيق ، وهو الأمر الذي يتجلى خلال علاقتين أساسيتين :

- علاقة عمودية تقوم على التقابل والاختلاف والتّضاد ، وهي التي تمثل التقاء الذكر بالأنثى التقاءً يثمر عنه تواصل واتحاد بينهما .

- علاقة أفقية تقوم على الانتشار والتكاثر والتوالد الذي يجعل الاثنين أربعة والأربعة ثمانية في متوالية هندسية مستمرة .

وقد عبرت الآية عن العلاقة الأولى ب (الخلق) ، وعن الثانية ب (الجعل) ، يبدو فيها الأول غيابياً يجيء من العدم ، كما حدث لـ (آدم وحواء) ، والثاني حضوري يتناسل عن زوجه الموجود في العلن عبرّ عنه ب (البث) كما تؤكده الآية الأخرى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾ (النساء: ١) .



د. أحمد سعيد عبيدون

لقد اختار من صور البناء البشري صورتين تعبّران عن هاتين العلاقتين وهما (القبائل) و (الشعوب) ، تمثل (القبائل) الصورة العمودية في علاقة الاتصال والاختلاف والتقابل ، وهي جمع (قبيل) مثل قبائل الرأس، وقبائل الشجرة، وهي أيضاً في المآل الأخير : الجماعة من الناس من قوم شتى كالزنج والروم والعرب كما جاء في مادة (قبل) في لسان العرب . وأما (الشعوب) فتمثل الصورة الأفقية في علاقة التوالد والانتشار والبث والتكاثر ، وهو أمر واضح في جذرها الدلالي (شعب) وقد سميت شعوباً لأن القبائل تشعبت منها كما يقول الزمخشري. الكشاف مج ٤، ٣٧٤ - ٣٧٥.

هذا هو (التعارف) البشري الذي يقف فيه الناس جميعهم على حد المساواة ، يشتركون في حق الوجود، والإيجاد، واستمرار الحياة وتدفقها في تواصل حسي يحدده (النسب) ، بنيته الصغرى (الذكر والأنثى)، وبنيته الكبرى هم (الناس).

(٢)

هناك (تعارف) آخر في الآية يتجاوز هذا المفهوم الحسي إلى آخر عقلي لا يقوم على (التساوي) ولكنه يقوم على (التفاضل) : (أكرمكم ، أتقاكم) ، هذا المستوى يتحدد بمقدار القرب والبعد عن الله ، ويعطي لمعنى (المعرفة والعرفان) بعدها العقلي والعملي بحيث تنتقل من المعرفة البشرية في (النسب) إلى المعرفة العقلية في (التقوى) . كيف يمكن أن نحدد الأكرم ، والأتقى في الوقت الذي نظل فيه في سياق الخلق والتوالد والبث ، في مثال عملي وواقعي يكون مناسباً لهذه الحالة ؟ هناك مثال نموذجي هو مثال ابني آدم اللذين يمثلان مطلع التعارف والبث البشري قبل أن يصبح الناس شعوباً وقبائل ، لقد حدث معهما قطعٌ لهذا (التعارف) فيما يمكن أن نسميه بـ (التجاهل) .

في اختبار عملي للتقوى في مثال العطاء ، قدّم هابيل أفضل ما عنده قرباناً لله ، وقدم قابيل أسوأ ما عنده ، فتقبل الله الأحسن ولم يتقبل الأسوأ ، ورغم أن الخطأ واضح والخلل موجود في (التقوى) ، (علاقة الفرد بالله) ، وبدلاً من مراجعة هذه العلاقة ومعرفة السبب الحقيقي - وهذا هو (العدل) - توجّه قابيل مباشرة إلى قطع التعارف البشري بحرمان أخيه حق الحياة وتجاهله بـ (القتل) ! كما قطع التعارف العقلي بـ (الظلم) ؛ لأنه لم يردّ نتيجة فعله إلى سببها الحقيقي وهو ضعف التقوى ونسيان الله وتفضيل الذات على محبة الله ، هذه التقوى التي لم تخل منها الآيات السابقة كلها :

- إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم
- يا أيها الناس اتقوا ربكم
- إنما يتقبل الله من المتقين

هكذا فكّر قابيل فتوصل إلى القرار العقلي الظالم والمغلّط : (لأقتلنّك) ، مطيحاً بالتعارف على مستوى التفكير والنظر ، شافعاً إياه بالفعل والعمل : (فقتله) ، مطيحاً بالتعارف على المستوى البشري ، قاطعاً حبل النسب لهابيل إلى الأبد ، الأمر الذي استدعى تشريعاً لإدانة القتل وتجريمه في البشرية على مدى الحياة " أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً " وهذان الجانبان النظري والعملي هما الجانبان اللذان حددتهما الآية منذ البداية : جانب العلم والخبرة معاً : " إن الله عليم خبير " .

هناك (تعارف) آخر في الآية
يتجاوز هذا المفهوم الحسي إلى آخر عقلي
لا يقوم على (التساوي) ولكنه يقوم على (التفاضل)

إن التعارف العقلي يقوم على المعنوية ؛ الفكر والقلب والفؤاد ،
أما قطعُهُ فأمر يقوم على الحسية معتمدا الجوارح : اللسان واليد

(٣)

إن التعارف العقلي يقوم على المعنوية ؛ الفكر والقلب والفؤاد ، أما قطعُهُ فأمر يقوم على الحسية معتمدا الجوارح : اللسان واليد ، وهو مابدا ظاهراً في : (قال لأقتلنك) و (فقتله) ، لذا نجد سورة الحجرات التي تنتمي إليها هذه الآية تعبر عن هذا الوعي وهو يتجه من الحسية إلى المعنوية ، إنها مجموعة من الآداب والقيم التي تنتج من التفاعل والتعامل مع الناس ومعرفة الآخرين بطريقة تكشف مستوى الوعي وهو ينتقل من الحواس الخارجية السطحية إلى الحواس الداخلية العميقة في الإنسان ، مثل : النهي عن رفع الأصوات فوق صوت النبي ، والجهر له بالقول ، والحث على غض الأصوات ، وعدم النداء من وراء الحجرات ، وهي كلها أفعال تتعلق بالفم واللسان والحنجرة ؛ لذا وصفهم بافتقاد العقل (لا يعقلون) ووجّههم إلى فعل قلبي وهو الصبر (ولو إنهم صبروا) ، ومثل التبيّن في الأنباء التي ينقلها الفاسق ، حتى لا يؤدي بهم هذا الفعل للوقوع في الجهالة والندم ، ومثل تحبيب الإيمان في القلوب وتزيينه في النفوس ، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان ، والإصلاح الذي يعتمد العقل والحكمة بين طائفتين مقتتلتين من المؤمنين ، والإصلاح بينهما بالعدل ، والأخوّة بين المؤمنين ، وعدم السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب الذي ينافي الإيمان ويؤدي للظلم ، ومثل اجتناب الكثير من الظن وعدم التجسس والغيبة التي تشبه فعلاً يقوم به الفم : أكل لحم الأخ ميتاً ، ومثل التفريق بين الإسلام الذي يقوم على فعل اللسان والجوارح ، والإيمان الذي يكون محله القلب في نموذج بسيط وغير واع من البشر هم (الأعراب) ، وهي كلها أفعال وقيم وآداب تنتقل من الحسية المعتمدة على اللسان والجوارح ، في اتجاه نحو العقل والقلب والصبر والتأني والتفكير والعدل ، إنه التعارف في عمقه المؤدي إلى التفاعل والتزاوج وإيلاد الأفكار وتداولها ، وارتفاع الإنسان من مستوى العاطفة والتفكير البسيط والساذج ، إلى مستوى العقل المنتج في أعلى درجاته في الإنسان .

دكان اليافعي!*


قرية محمدة
حجر - حضرموت

كان دكان اليافعي في قريتنا معلماً بارزاً ، يدور كل سكان قريتنا حوله جيئة وذهاباً يشترون منه كل ما يحتاجون إليه من طعام وملابس وأدوات منزلية ولوازم الزراعة من معدات وبذور ومبيدات حشرية ، بل وحتى مصائد الفئران والضباع التي تعبث أحياناً بمحاصيلهم الزراعية .

وأكثر من ذلك كنت تجد في دكان اليافعي ما تحتاج إليه المرأة إذا وضعت حملها من بخور ومساحيق كما يبيع اليافعي للناس أكفان الموتى من الكبار والصغار مع ما يتطلبه من عطور وقشور وقطن وباختصار فإنك كنت تجد في دكان اليافعي كل ما يحتاجه أهل القرية في حياتهم العادية وفي أفراحهم وأتراحهم على السواء .

واليافعي لا يبيع للناس فقط بل ويشتري منهم أيضاً ، يشتري منهم ما يفيض عن حاجاتهم من محصولهم من الحبوب والخضار والفواكه ويعيد بيعه للناس كما يشتري ما ينتجه الحرفيون من سكاكين ومقاليد خشبية وأثواب ، فقد كانت قريتنا يوجد بها عدد من الذين يعملون بالحدادة والنجارة والحياكة . كان الناس يعدّون اليافعي قارون زمانه ويرون أنه يملك مالاً يشبه مال قارون . وهي نظرة يمكن تقديرها إذا علمنا أن كثيراً من الرجال وكل النساء لا يعرفون من هذا العالم غير قريتهم تلك ويظنون أنها – القرية – مركز الدنيا !


أ. علي عبدالله البيتي

هكذا كنت وأنا صغير أنظر بإعجاب وانبهار كبير لما يضمه دكان اليافعي من بضائع كثيرة ومتنوعة ، وكنت أفتخر أن اليافعي يرحب بجدي رحمه الله عندما يأتي إليه ويجلسه على أحد الأكياس المرصوصة في الدكان ويتبادل معه الحديث قبل أن يشتري منه حاجته ويغادر ، وكنت بدوري أحرص على صحبة جدي لأن اليافعي كان دائماً يتحفني بقطعة من السكر أو حبة نعنع أبو عسل ، وكان من عادة جدي أنه يقول له : (ما يحتاج هذا الفعل في كل مرة ... المرة الجاية لن آتي به معي) لكنه في الغالب يصطحبني معه ويكرر العبارة نفسها .

كان في القرية دكان آخر صغير هو دكان الحاج حسن لكنه لا يحتوي إلا على قليل من البضائع ، كان الاثنان يأتيان ببضاعتهما من المكلا لكن شتان بين القافلتين . ففي حين لا تزيد قافلة الحاج حسن عن خمسة جمال ينتظر بعدها شهرين حتى يأتي بقافلة أخرى ، كان اليافعي يأتي بقافلة تزيد على العشرين بعيراً وتتكرر حمولتها كل شهر تقريباً .

كان الفرق في أسعار البيع كبيراً أيضاً ، حيث كانت أرباح اليافعي ضعف أرباح الحاج ، ومع ذلك فإن الذين يشترون من اليافعي أضعاف الذين يشترون من الحاج حسن ، لأن اليافعي يبيع بالآجل ، أما الحاج حسن فلا يبيع إلا بالنقد يداً بيد قائلاً ومردداً : (ما عندي نفس ... من عنده فلوس يشتري ومن لا يجد فليصبر حتى يفرجها الله عليه ... أو ليذهب إلى المرابي) وكان اليافعي يسمع ذلك ويقول : (الله يسامح الحاج حسن ، لست مرابياً والله شاهد) .

والحق أن اليافعي يتدرج في احتساب الربح فهو – الربح – ضعف ربح الحاج حسن إذا كان الشراء نقداً أو ما في حكمه ثم يتضاعف إذا كان الأجل حتى يسمن التيس أو النعجة أو حتى ينضج محصول الفلاح أو إذا كان إلى موسم خريف النخل ، وهو الموسم الزراعي الأساسي لمعظم الناس ، وفي كل الأحوال يجب أن يحدد موعد السداد ، واليافعي متفق مع الحاكم وقائد الشرطة في القرية على أن كل من لم يسدد في الموعد المحدد فإنهم سيحبسونه حتى يدفع أو يدفع عنه أقرباؤه ، ومع أن موعد السداد المتفق عليه ليس مكتوباً أو موقعاً من الطرفين فإن اليافعي يطلب اليمين المغلّظة من الذي ينكر ، وهو يعلم أن الناس البسطاء لا يمكن أن يحلفوا على الكذب ، هكذا كان يضمن اليافعي تسديد

كنت بدوري أحرص على صحبة جدّي لأن اليافعي كان دائماً يتحفني بقطعة من السكّر أو حبة نعنع بو عسل

كل الدّين من الناس، والناس بدورهم كانوا مضطرين للشراء من اليافعي على غلاء أسعاره لأن النقد لا يتوافر عندهم دائماً فيشترون من الحاج حسن، وحتى لو توافر فلم يكونوا يجدون عند الحاج إلا القليل من البضائع التي يحتاجونها ولا مفر لهم – على بغضهم له – أن يشتروا من اليافعي.

الناس من سكان البادية والقرى المجاورة يشترون من اليافعي حيث كانوا يأتون على حميرهم وجمالهم فيبيعون ويشترون من قريتنا ويعودون محملين بالبضائع والديون.

وعلى عكس الزيادات في أسعار البيع كان اليافعي يبخس الناس عندما يشتري الحبوب والأدوات والأثواب من المزارعين والحرفيين وإذا حاول أحد منهم مساومته يقول له بحسم: (إذا وجدت أحسن من أسعاري اللّه يفتح عليك) وكان لا يبالي من أحاديث البائعين وهو يكيل حبوبهم الذين كانوا يتهكمون عليه فيقولون عنه إنه: (مثل المنشار يأكل في الجيئة ويأكل في الذهاب) فكان يكرر وكأنه يقرأ من القرآن (إلاّ أن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ) أنا لا أغصبكم، اذهبوا فبيعوا للحاج! لكنه كان يعلم أن الحاج لا يستطيع الشراء من الجميع بالنقد الذي يحتاج إليه الجميع.

وكان يداعب بعضهم قائلاً: (لماذا لا تكونون مثل الحبيب سالم – يقصد جدي – فهو لا يشتري إلا بالنقد ويبيع فائض محصوله بنفسه لمن يحتاجه بالسعر الذي يناسبه، تعلموا الشطارة يالفاليف).

على صغر سني كنت أتذكر بعض الحوادث التي تدور بين اليافعي وبين جدي، كان جدي يحثه على طلب البركة التي وعد بها الرسول صلى اللّه عليه وسلم في حديث: (بارك اللّه في امرئ اشترى سهلاً وباع سهلاً) فكان يردد عليه بأنه لا يربح إلا القليل مقارنة بنفقاته ويبالغ في احتساب تكاليف النقل كما أنه يحرص أن يوفر للناس ما يحتاجونه حتى من الأشياء النادرة التي يحتاجونها في المناسبات فقط وأنه لو لم يوفرها هو لهم لوجدوا عند حاجتهم لها عناءً كبيراً. ويتهم الناس بعدم تقدير الخدمات التي يقدمها لهم، كان يقول لجدي: (أنا إنسان حقاني يا حبيب سالم، أنت تعرفني أعطي كل واحد حقه ولا أحب أن يأخذ أي أحد حقي) وكنت أحياناً أصدقه، فقد كنت أراه يحسب لكل من يقدم له خدمة ابتداء من القعيطي وتوزعوا في مدن وقرى حضرموت وقد أعجبته قريتنا فاستقر بها وتخلى عن العسكرة ثم تزوج من إحدى بنات القرية وأنجب منها ابناً وحيداً هو (محسن) زميلي في المدرسة، كان محسن طفلاً ثم شاباً ودوداً هادئ الطبع، وعلى رغم أنه ينعم بمستوى معيشي أفضل منا فقد كان نحيلاً ضعيف البنية متعرضاً للأمراض المختلفة بصورة دائمة، وكان والده يعيد ذلك للسحرة والحاسدين في القرية ويدفع الكثير مقابل الأحجبة والتعاويذ.

عاشت قريتنا نحو عقدين من الزمان في خمسينيات وستينيات القرن الماضي تدور حياتها ويدور اقتصادها بصورة محورية حول اليافعي ودكانه، حتى وصل من المهجر أحد شباب القرية الذي تلقى شيئاً من العلوم في المدارس، وقد هاله حجم الأرباح وفروق

كان يقول لجدي: " أنت تعرفني أعطي كل واحد حقه ولا أحب أن يأخذ أي أحد حقي "

الرجل الذي ينوب عنه في الدكان عندما يتحرك ويغيب عدة أيام في المكلا لشراء بضاعة ويعود مع القافلة، رغم أنه كان يشاع بين الناس أن اليافعي على ثقته بذلك الرجل لا يعطيه أجرته بعد العودة إلا بعد أن يحلفه اليمين المغلّظة على أنه لم يخل ولم يتصرف إلا بإحسان!

وحتى بالنسبة لي فإنني في كثير من الأيام أحمل إليه من مزرعتنا بعض الخضار والفواكه هدية من جدي – أقلها قرون البسباس الأخضر أو الليمون الحامض الذي كان يحبه – وإذن فما كان يعطيني إياه من الحلوى والسكر هو نوع من أنواع الرد بحسب مفهوم اليافعي! لكن من هو اليافعي؟ الحق أنني لم أعرف له اسماً غير اليافعي – كان كل الناس يقولون عنه اليافعي – دكان اليافعي – دار اليافعي- زوجة اليافعي – بقرة اليافعي – ابن اليافعي.

وابن اليافعي هذا في مثل سني وقد دخلنا المدرسة معاً وهكذا عرفت عند تسجيل الأسماء من قبل المعلم أن اسمه: (محسن سالم السامعي). سالم السامعي – اليافعي – هو أحد العسكر الذين عملوا مع السلطان الأسعار التي يحتسبها اليافعي، فشن عليه حملة تحريضية وحث الناس على مقاطعته وبيّن لهم أنه بإمكانهم أن يأتوا بحاجتهم بأنفسهم وذهب في طليعة أول مجموعة إلى المكلا حاملين معهم القليل من النقود وبعض البضائع من التمور وأعمال الخوص التي تعملها نساء القرية وعدد من الضأن والماعز وابتاعوا بأثمانها ما يحتاجونه من أشياء.

الذين لم يستطيعوا الذهاب بعثوا مع أصحاب الرحلة بعض ما يملكونه فباعوه لهم واشتروا بثمنه ما وصوهم به، وكانت عودة القافلة يوماً احتفالياً في حياة القرية – كان اليافعي يسخر منهم ويهدد الذين قادوا الحملة قائلاً: (أنا وأنتم والزمن طويل) ولكن ذلك الشاب تمادى في التحدي واتفق مع أحد التجار في المكلا على أن يبيع للناس بالدين ووضع عنده مبلغاً من المال كان قد أرسله معه أبوه ليشتري به مالاً ونخلاً في القرية، لكن في موجة من الأريحية عدل عن شراء المال ووضع المال الذي أتى به ضماناً لأهل القرية عند التاجر في المكلا، وكتب لأهله في المهجر أنه لا ضير من تأجيل شراء المال والنخل حتى يتحسن وضع القرية الاقتصادي.

أخيراً وجد اليافعي نفسه في مأزق حقيقي، وقلّ المبتاعون منه، بل وتلفت بعض بضائعه وكثر الشامتون فيه، وأصبح لا يطيق التهكم ولا حتى المداعبة الساخرة احتد طبعه، وسمعته يشتكي عند جدي ويتهم الجميع بنكران الجميل، وصحونا ذات يوم على اليافعي وهو يبيع عدداً من الحاجات بأقل الأسعار وعرض على جدي شراء عدد من أكياس الحبوب على أن يسدد منها بعد عام وبعد أيام قليلة أقفل الدكان وأخذ أسرته وانتقل إلى المكلا حيث فتح له متجراً واستأجر له سكناً هناك، فرح بعض الناس لذهاب اليافعي وخشي آخرون من ألا تجد القرية والقرى المجاورة من يقدم لهم من الخدمات ما كان يقوم به اليافعي، وبالفعل بدأ الناس يتحسسون الضيق القادم والحاج حسن لا يستطيع أن يوفر كل لوازمهم وبعض الحرفيين اضطروا للذهاب بأنفسهم لبيع بضائعهم في المكلا لكنهم اكتشفوا أنهم أنفقوا في الرحلة الشيء الكثير، أكثر مما كان يقتطعه اليافعي منهم، وعاد والد الشاب بنفسه من المهجر وسوى أمور ابنه المالية واستشاط الشاب غضباً من تصرف والده وغادر القرية عائداً إلى المهجر حانقاً متبرماً وتبعه والده بعد أن أتم شراء المال والنخل وأوكل العمل فيه لأحد أقربائه وتركوا القرية في حيرة من أمرها.

وصاح الناعي ذات يوم معلناً وفاة أحد وجهاء القرية، وفطن الناس إلى أنهم بحاجة إلى كفن ولوازمه. لم يكن يوجد شيء في القرية فأرسلوا اثنين من الشباب إلى القرية المجاورة لعلهم يجدون عندهم كفناً لميتهم، وأسرع الشابان يحثان الخطى، فإكرام الميت دفنه.

كان الناس يقدرون قطع المسافة سيراً على الأقدام في نحو ساعتين، لكن توقعوا أن الشابين سيحتاجان إلى الساعة ونصف الساعة وعلى ذلك فتوقعوا عودتهم بعد ثلاث ساعات، إذاً ستكون العودة بعد العصر بقليل، لكن المجتمعين بدأوا يقلقون عندما مر الوقت بعد العصر وأخذت الشمس تدلف نحو المغيب ولم يصل الشابان بعد وازداد القلق في منزل الميت حيث اجتمع الناس حول المتوفى يقرؤون القرآن حسب عادتهم في مثل هذا الحال، وقرب المغرب ولم يصل الشابان ورأى الناس ألا مفر من إرسال شابين آخرين وراءهما فربما وقع للأولين مكروه في الطريق، لكن قبل تحرك الآخرين قدم من القرية المجاورة رجل مع حماره وأخبر الناس أن الشابين لم يجدوا كفناً في تلك القرية المجاورة وقرروا التوجه إلى قرية أبعد لعلمهم بوجود شيخ يحتفظ دائماً بكفن يعطيه لمن يحتاجه على أن يشتري بدلاً عنه في أقرب وقت ممكن، هكذا عاد الناس لاحتساب الوقت مقدرين أن الشابين سيعودان في نحو الساعة الثامنة مساءً أو التاسعة على أكثر تقدير، وبما أن طريق القرية الأخرى المختصر إلى قريتنا يأتي من جهة أخرى عبر الجبل المطل على القرية فقد تعلقت عيون الجميع في الجبل علهم يرون ضوءاً يبشرهم بقدوم الشابين، وأخيراً قبس الضوء رآه أحدهم أولاً ثم توضح الضوء يمشي منحدراً في الجبل، أقوى المحرضين ضد اليافعي، وجادل أناس في ضرورة أن تكون الثياب بيضاء على الأقل وإن لم تكن جديدة، ولم يكن ذلك بالمتيسر في ذلك الزمان، أخيراً لم يجد الناس وأهل الميت بداً من تكفينه ودفنه وهكذا عدنا من المقبرة الهزيع الأخير من الليل بعد إجراء مراسم الدفن سمعنا صوت امرأة يخترق صمت وهدوء الليل وهو يصيح: (يا حسرتنا على اليافعي!).

وهكذا أصبح في حكم اليقين وصول الشابين في نحو نصف ساعة، ونقل الميت من المنزل إلى المسجد للتطهير والصلاة عليه وبدأ معلم المسجد يهيئ المنشل، وبالفعل كما توقع الناس لقد وصل الشابان لكن بدون الكفن. ذلك أن ميتاً آخر في تلك القرية قد سبقهم إليه، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. رددها الناس في كل مكان، لا مفر من الدفن، الجثة لن تحتمل إلى الصباح ولا أمل في الحصول على كفن، المكلا على مسافة يومين على الأقل ذهاباً ومثلها في العودة.

وتحدث إمام المسجد للناس وقال لهم: إنه لا بأس عند الضرورة أن نلف الميت في أي ثوب، الشرط فقط هو الطهارة والستر ثم لا ينفع الإنسان في القبر إلا عمله وإلا ما قدمه من خير، لكن آخرين من أقرباء الميت بكوا خصوصاً من النساء اللواتي ازداد صراخهن وعويلهن مما دفع أهلهم إلى زجرهن وتنبيههن أن ذلك حرام وغير جائز شرعاً، بعضهم همس بأن الميت الوجيه كان من

تحدث إمام المسجد للناس وقال لهم: إنه لا بأس عند الضرورة أن نلف الميت في أي ثوب – الشرط فقط هو الطهارة والستر

رددها الناس في كل مكان، لا مفر من الدفن، الجثة لن تحتمل إلى الصباح ولا أمل في الحصول على كفن

بعد إجراء مراسم الدفن اخترق صوت امرأة صمت وهدوء الليل: (يا حسرتنا على اليافعي!)

* خواطر من أوراق الأستاذ علي عبدالله البيتي – رحمه الله – تُنشر لأول مرة.

تطور عملية الاتصال الجماهيري بين النماذج والنظريات

نماذج كثيرة انطوت عليها العملية الاتصالية، وشكلت في مجملها ملامح سيرورة تطورها اللامتناهي، هذه النماذج تعد كخرائط تفصيلية للمعالم الأساسية لعملية الاتصال والتي تخضع لتحولات قد تبدو مرتبطة أيضاً بنظريات التأثير الإعلامي.

يعد نموذج لاسويل أحد نماذج العملية الاتصالية الذي تجاوز النموذج الخطي أو المباشر الذي كان يرى أن عناصر الاتصال هي المرسل والرسالة والمستقبل، ويصف الباحث هارولد لاسويل عمليات الاتصال في نموذجه بوساطة ما يمكن أن نسميها معادلة ٥×٥، وتشمل ٥ أسئلة، هي من؟ يقول ماذا؟ بأية وسيلة؟ لمن؟ وما هو التأثير الحاصل؟. ويشارك في الإجابة عليها ٥ مركبات، هي، المرسل و الرسالة والوسيلة والمستقبل والتأثير.



وليد محمود التميمي

نموذج لاسويل:

لقد انصب تركيز لاسويل على المستقبل الذي يسعى المرسل للتأثير عليه، مفترضاً أن الرسائل الاتصالية دائماً لها تأثير، وهو ما عرض طرحه للانتقادات، وجعل نموذجه قابل للاستخدام والتطبيق في تحليل الدعاية السياسية لقياس أثرها في الرأي العام وخاصة في تحليل الحروب النفسية وفي عملية الإعلان التجاري.

النموذج الدائري:

بعدها ظهر النموذج الدائري للاسجود وشرام، الذي يعدُّ النموذج السائد حالياً، ويعتمد على دراسة سلوك المرسل والمستقبل في تفسير عملية الاتصال، يقوم النموذج على فكرة ما توجد في ذهن المؤلف (المرسل) يريد أن يوصلها إلى المستقبل أو حتى يشاركه فيها، فيعمد إلى تحويلها إلى رمز على شكل كلمات منطوقة أو مكتوبة أو إشارات يضعها في رسالة للمستقبل الذي يضع أيضاً فكرته أو مشاعره في رموز ويصوغها في رسالة جديدة يرسلها للمرسل الأصلي (المستقبل الجديد)، الذي بدوره يحولها إلى رموز بعد تفسيرها أو ترجمتها ليتمكن أيضاً من فهمها، وهكذا دواليك.

دراسة خصائص الجمهور:

ومن الملاحظ في نموذج لاسجود وقبله لاسويل أن الرسالة الإعلامية حتى تحقق هدفها في التأثير على المستقبل وتجعله يتفاعل معها ويتبادلان الأدوار معاً، فإنها تقتضي من المرسل دراسة خصائص الجمهور، ومعرفة أبرز احتياجاتهم، والتناغم مع قيمهم، والحرص على عدم ضرب معتقداتهم ومهاجمة رموزهم، إلى جانب أنها تتطلب اختيار الوسيلة الإعلامية التي تتناسب مع المستوى التعليمي والإمكانيات التكنولوجية للمستقبل، فلا يجوز مثلا أن نستهدف جمهور في الصحراء برسالة تلفزيونية وهم يعيشون في البراري بلا أي خدمات بما فيها الكهرباء، كما أنه من غير المعقول أن نوزع صحف في منطقة أغلب من يقطنها هم من الأميين ممن لا يعرفون لا القراءة ولا الكتابة، وفي هذا الحالة يفترض التوجه إليهم بالرسائل الاتصالية عبر جهاز المذياع مثلاً.

النفوذ والخبرة:

إلى جانب ذلك لا بد أن يتمتع المرسل بالنفوذ والخبرة التي تضفي تأثيراً أعلى الرسالة الإعلامية.. كتقديم طبيب متخصص للحديث عن كيفية مواجهة وباء والحد من انتشاره، وأن يتحلى بالمصداقية في الطرح والموضوعية في العرض قدر الإمكان، ونذكر هنا أن إذاعة bbc تحظى بسمعة طيبة لدى شريحة واسعة من الجمهور العربي نظراً لحرصها على إذاعة الخبر من مصدرين مختلفين، دون إغفال حقيقة أن التلفاز كوسيلة إعلامية مازال هو السلاح الأكثر تأثيراً في التأثير على المستقبل لأن له علاقة بالواقع غير تأثير الصورة، فهو يتفاعل مع كل الحواس، كما أكد ذلك عالم الاتصال مكلوهان في نظريته وسائل الاتصال كامتداد للحواس التي كشف عنها في الستينيات، بالإضافة إلى أنه بإمكان المرسل الاستعانة بقادة الرأي للتأثير على الشرائح الاجتماعية المستهدفة من خلال تفسير الرسائل الإعلامية والتعليق عليها، وهو ما يحيلنا لفهم أكثر لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين.

تغيير وتمسك:

إن الرسالة التي يصوغها المرسل عادة ما ترمي إلى إحداث تغيير في فهم الجمهور لواقع قائم أوحدث طارئ، أو أنها تجعلهم يتمسكون بمواقفهم وآرائهم إزاء قضية تهم الرأي العام، لذلك نجد أنها تخاطب عقولهم وتسعى للتأثير على قناعاتهم، من خلال إخضاعهم للمشاهدة المتكررة تحققاً لمبادئ نظرية التأثير التراكمي، أو التركيز على جزئية معينة من الحقيقة دون إظهارها كاملة في رسالتها المبثوثة عبر وسائل الإعلام المختلفة، بما يتماهى مع نظرية التأطير الإعلامي، إلى جانب تحقيق خاصية التفاعلية بين طرفي عملية الاتصال التي تقدم توصيف كامل لها نظرية الاستخدامات والاشباعات التي أسقطت تهمة سلبية الجمهور، وأظهرت أنهم شركاء في اختيار المضمون الإعلامي الذي يلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية.

المراجع:

١- مدونة الاعلام الرقمي وعلم المعلومات

٢- نماذج الاتصال- خليل عبد علي خليل- صحيفة الوسط البحرينية - العدد ١٤٦

٣- كتاب نظريات التأثير الإعلامية – عبدالحافظ صلوي.

٤- مفهوم المصداقية - مدونة مدرسة الصحافة المستقلة.

114
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

قراءة في كتاب

السلطان علي بن صلاح القعيطي



(١)

وعد المؤلفان لهذا الكتاب لأول وهلة بالابتعاد عن المؤثرات العاطفية وعلى رأسها الأبوة، فكان لهذا الاحتراس في بداية المقدمة دلالة على سيطرة هذا الأمر عليهما، مما أثر في مسيرة البحث في الجانب العكسي، فقد قسوا على شخصية الكتاب لحد بعيد، وبالغا في احترازاتهما تجاه كل ما يتعلق بالشخصية المتناولة؛ وذلك لمزيد من التنصل من شبهة التعاطف والأبوية .

الكتاب مشترك بين الدكتور السوداني وابن موضوع الكتاب الأمير السفير عبد العزيز بن علي القعيطي، ولعل مشاركة هذا قد اقتصرت على تقديم الوثائق والمعلومات، بينما أتت الكتابة والتحليل من الأول، مراعيًا ما يجول في نفسية الابن العزيز من مخاوف شبهة العاطفة نحو الأبوة .

وإطلاق صفة السلطان على ابن صلاح في عنوان الكتاب أتى- كما أرى- حسب عادة سرت في القعطة بتلقيب أمرائهم بلفظ السلطان، حتى وإن لم يتولّ السلطنة ويتوج على رأسها، فصالح نفسه كان يلقب بالسلطنة قبل أن يصبح سلطانًا سنة ١٩٣٦، ويطلق أيضًا على ابن صلاح لقب الأمير كما وجدناه في بعض صحف حضرموت المعاصرة له، كصحيفة النهضة الحضرمية الصادرة سنة ١٩٢٧م .



د. أحمد هادي باحارثة

والكتاب مؤلف من ستة فصول، فكان الأول تمهيديًا، تناول عصر السلطان علي بن صلاح عالميًا، وإقليميًا، ومحليًا، ومنه نعلم أن العالم العربي آنذاك كانت تتفاعل فيه قضايا سياسية واجتماعية وثقافية مهيمنة على أجوائه، وعلى مزاج مجايليه، وبدأ حينها تفتح الوعي القومي والوطني، لكن المؤلف نسي ذلك لاحقًا، في سياق حديثه عن بعض مواقف ورؤى شخصية ابن صلاح .

ومما يلفت النظر في تلك المقدمة، وصفه نقض وصايا الأجداد لدى السلاطين القعيطيين بـ(كره الذاتية والأنانية والغدر)، وقد حدث ذلك النقض في عمر الدولة القعيطية، على قِصر مدته، لمرتين: أولهما نقض السلطان عوض الأول لوصية والده المعول، ثم نقض السلطان صالح لوصية جده عوض، لمصلحة ابنه عوض، الأمر الذي عجل بزوال لدولتهم دون أي عوض .

ومما ورد في المقدمة عن أحوال حضرموت أن السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف كان يسعى في تلك الآونة لضم حضرموت للسيادة العثمانية كما فعل (والده)، والصواب مثل (جده) محسن بن علوي السقاف؛ إذ كان يراسل عدة أطراف سياسية معاصرة له، أما والده فهو شيخ فقيه، لم يتعلق بالشأن السياسي.

وفي المقدمة أيضًا وصف المؤلفان المؤرخ صلاح عبد القادر البكري، وهو من أبناء مدينة القطن، بأنه زميل دراسة لعلي بن صلاح، الذي نشأ أيضًا في القطن، وكرر ذلك في مواضع أخرى من الكتاب، ولا يصح ذلك عند التحقيق؛ لأنه يكبر البكري بعشر سنين، واتفاق شخصين في التلقي عن شيخ أو معلم واحد لا يلزم منه الزمالة.

ووردت في المقدمة زلة تعبيرية شنيعة، ولكنها قطعًا غير مقصودة، وذلك لدى تناول المؤلف لقضية الخلاف العلوي الإرشادي، حيث رأى أن "أيديولوجية" جماعة الإرشاد قامت "على أساس أن الإسلام أصبح فاسدًا" !!، فالمؤلف نظنه قصد فساد بعض الممارسات الخاطئة للمنتمين للإسلام وليس دين الإسلام نفسه، لكن خانه التعبير، كما أن استعمال مفردة "أيديولوجية" في وصف فكر الإرشاديين مبالغ فيه .

(٢)

وبالانتقال للفصل الثاني من الكتاب نجد أنه قد خصص للكلام عن نشأة ابن صلاح، ونجد فيه اضطرابًا شديدًا في بعض تواريخه، وجانبًا من ما ورد فيه من معلومات.

وفي بدايته ذكر المؤلف أن وفاة الأمير ابن صلاح حدثت في سنة ١٣١٨ الهجرية، ثم أرخها بالميلادي بسنة ١٩١٦، وبين التاريخين تفاوت عظيم، ثم اعتمد سنة ١٨٩٨ تاريخًا لميلاد علي، وأن عمره قد بلغ عند وفاة والده ١٦ عامًا، بينما ينبغي أن يكون نحو ١٨ عامًا .

وفي حديثه عن نشأته كرر القول بزمالته لصلاح البكري، علمًا أن البكري من مواليد ١٩١٢، وكان مولده ونشأته الأولى في بلاد

جاوة بإندونيسيا، ولم يصل للقطن إلا وهو يناهز العاشرة من عمره، كما ذكر هو عن نفسه في كتابه (في جنوب الجزيرة العربية)، أي أن ابن صلاح حينها قد تجاوز العشرين، والاستشهاد بما ذكره البكري عن نجابة ابن صلاح إنما ذكره على سبيل التأريخ وليس المذكرات، فمثلها مثل شهادات سائر مؤرخي حضرموت بالظهور المبكر لمخايل النجابة لابن صلاح، كالمؤرخين سعيد عوض باوزير، وعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وهم جميعًا معاصرين لا زملاء.

والمؤلف بدوره لدى وصفه لذكاء الرجل وحرصه على المعرفة، قال: "علي بن صلاح يسعى لبحث الحقائق بحثًا أكاديميًا" !!، وهو ادعاء ووصف عجيب، وأنى لابن الصلاح بمعايير البحث الأكاديمية المتعارف عليها، وما الذي يلزمه بها، أو هل اطلع الباحث على مؤلف لابن الصلاح طبق فيه المعايير الأكاديمية الصارمة، التي لم نعهد من عرفوا بالعلم بحضرموت حينها الالتزام بها، والتي لم يستطع الباحث نفسه أن يلتزم بها في بحثه هذا، مع أنه شخصية أكاديمية !! وربما كان ينبغي وصفه بالقول "بحثًا منطقيًا عقلانيًا" لكان أحرى وأنسب.

ومع ذلك بادر المؤلف بانتقاد البكري حين وصف ابن صلاح بأنه "عليم بحوادث العالم، وأحداث الأمم" ورأى فيه "مبالغةً نسبة لقدرات علي بن صلاح النظرية، وتجربته المحصورة في بلاده"، أراد بهذا أن ينقد البكري فنقد نفسه، ونقض كل ما أقنعنا به عن سعة ثقافة الرجل، وشهادات الأجانب له، وهي تؤكد مقولة البكري أو أشد منها، ومنهم فيلبي الذي قال: "بالنسبة لشخص لم يغادر بلاده بتاتًا فإن نظرته الثقافية، ومعلوماته الواسعة بالعالم، تثير الدهشة"، ولا يكتفي الأمر على مجرد العلم فقط، بل إن ابن الصلاح "يكوّن رأيه الخاص حول المسائل السياسية الدولية" حسب ما قال فاندر ميولين، الذي وصفه أيضًا بـ"الارستقراطي المفكر"، لقد ترك المؤلف كل ذلك، ولم تزعج حاسته النقدية إلا مقولة أو شهادة المؤرخ البكري على تواضعها، ربما لأنه بلدياته، وشهادة القريب مجروحة، بل إن البكري كثيرًا ما يوجه له الآخرون النقد عند أي حديث له عن يافع، ودولها وأعلامها بحضرموت، سواء كان ذلك النقد حقًا أم باطلاً، والحقيقة أن المؤلف كان حريصًا على توزيع انتقاداته على مقولات جميع من ذكرهم من مؤرخي حضرموت في سياق بحثه، كما سنرى لاحقًا.

وفي سياق حديثه عن ثقافة ابن الصلاح ذكر أن لديه مكتبة كبيرة، ومشتملة على مخطوطات قديمة ونادرة، كانت موجودة في معقله بمدينة القطن حتى عام ١٩٦٧، وذكر اشتراكه في بعض الصحف الحضرمية الصادرة آنذاك، سمى منها صحيفة (الإخاء) دون أن يعرف بها، كما لم يعرفنا بمصير مكتبته العامرة، ولا ما آلت إليه محتوياتها ومكنوزاتها الثمينة، وكثيرا من مثل هذه المكتبات لأعلام كبار أو لأسر علمية في حضرموت آلت إلى الضياع، وانتهى وجودها إلى انقطاع، فحرمت أجيال تلتها من الانتفاع.

وفي حديثه عن مقتنيات ابن الصلاح ذكر منها تمثالاً لرأس أسد وصفه بأنه برونزي، لكن في صورته التي عرضها وصفه بأنه نحاسي، وربما كان البرونز نوعًا من النحاس، ومن الاختلاف أيضًا أنه ذكر أن زواجه السادس كان من أسرة آل بن طاهر، ثم في الصورة قال بأنهم من آل باطاهر، وهما عائلتان مختلفتان، فلا شك أن أحدهما خطأ طباعي.





مؤلفا الكتاب: الدكتور محمد سعيد القدال والسفير عبدالعزيز بن علي القعيطي

(٣)

خصص المؤلف الفصل الثالث من كتابه لممارسة ابن صلاح للحكم في إطار السلطنة القعيطية ما بين القطن وشبام، وحكم لمدة وجيزة في المكلا.

وبدأ فصله باستشكال العلاقة بين ابن الصلاح وحكام المكلا من السلاطين ونوابهم، وجعل تغاير توليه لشبام أو عزله عنها المتكرر مقياسًا لمدى حسن تلك العلاقة أو سوئها، ورأى أن ذلك التغاير وتكراره غير مفهوم أو منضبط، بل يكتنفه الغموض، وتحاصره علامات استفهام حائرة أثارها المؤلف، لكنه تركها دون أجوبة.

لكن لنا عندها وقفات، فمنها تعبيره عند عزل ابن صلاح عن إدارة مدينة شبام بعبارة "أزيح عن السلطة" غير دقيق؛ لأن سلطته قائمة، سواء بولايته لشبام أم بدونها؛ لأنه سلطان القطن دون منازع، ولأنه جزء من بيت السلطة، ولم يزح عنها أو يجرد منها حتى محاكمته، وإنما تذكر ولايته لشبام من عدمها؛ لأنها مركز إداري وتجاري لوادي حضرموت.

ومنها نقده لرواية ابن عبيد الله السقاف حول تلك الولاية، وتحديد أزمنتها، فوصف السقاف بأنه "غير دقيق في المعلومات التي أوردها"، وهو حكم مرسل غير مدلل عليه، ورأى أن تلك المعلومات "تثير تساؤلات حول علاقة ابن صلاح بالوزير المحضار الأب"، حيث استشكل المؤلف أن يولى ابن صلاح لشبام ويعزل عنها في أوقات متقاربة، بينما كلام ابن عبيد الله بدأ بإحاطة عامة تفيد تكرار الولاية والعزل وتقارب مُددهما، ثم بدأ في ذكر الأسباب التي أعادها إلى علاقة ابن الصلاح بمن يحكم في المكلا، سواء أكان السلطان صالحاً، أم الوزير المحضار، أم من تلاهما دون أن يخص فترة المحضار الأب بتلك الحالة المذبذبة.

ثم ألحق ذلك بنقده للمؤرخ سعيد عوض باوزير، في ذات الموضوع، حيث قال باوزير: "يترك لهم شؤون الإدارة في شبام، ويعود للقطن"، فاستشكل المؤلف تلك العبارة، ورأى أنها تزيد من علامات الاستفهام، بينما هي من يمكن أن يفسر سر تكرار العزل، بأن نقول إن ابن صلاح هو من يبادر بترك شبام مع حاجتهم له فيها، فيضطرون لتكليف غيره ليدير المدينة ريثما يتم تنقية الأجواء وإزالة الخلاف؛ فيعود لممارسة الإدارة، فتصبح كأنها ولاية جديدة، ويسوّغ ذلك أن الرجل من بيت الحكم، وصاحب نفوذ في منطقته، وهذا ما يمكنه من الإدلال على من يحكم المكلا من سلاطين ووزراء، فيتعامل مع إدارة شبام بحسب درجة علاقته معهم، وهذه الحالة القلقة ليست أمرًا مستغربًا في العائلة القعيطية الحاكمة، فالسلاطين أنفسهم غير مستقرين في المكلا، ويتنقلون بمزاجية بينها وبين الهند، تاركين الأمر والنهي في أمر الدولة لأهواء من يخلفهم من النواب والوزراء.

إن ابن الصلاح ليس موظفًا لدى أبناء عمه من السلاطين بحيث يغض الطرف عن ما قد يظنه إساءة له، أو حط من صلاحياته، وليس محتاجًا

بحيث يحرص على ولاية شبام وما قد يلحقها من امتيازات مالية أو وجاهية، إنه يتعامل مع الموضوع بصفته أميرًا من الأسرة الحاكمة التي يأتي على رأسها حكام في طبقته العمرية، أو تقاربها، ويعد ما يناط به من عمل إنما هو واجب أسري، إن شاء أقامه، وإن شاء أعرض عنه، كأي واجب في إطار الأسرة، أما مسألة التولية والعزل فتأتي كإجراء روتيني يلحق بالمزاج المتقلب للأمير الشاب حينها، فابن الصلاح جزء من العائلة الحاكمة، ولو كان القائمون في المكلا يرونه مجرد موظف لديهم لسارعوا بعزله واستغنوا عنه، ولم يتحملوا عناء مشاغباته، حسب تصورهم.


السلطان علي بن صلاح يتوسط عدد من مقادمة القبائل

ثم ناقش المؤلف منتقدًا أربعة من مؤرخي حضرموت المعروفين، حول تولية السلطان صالح وعلاقته بالإنجليز، لكنه فضل أن يصفهم بـ(الكتاب)، وهم صلاح البكري، وسعيد باوزير، ومحمد أحمد الشاطري، ومحمد عبد القادر بامطرف، فأما البكري فرأى المؤلف أنه يضع السلطان صالح في مرتبة قريبة من الرسل!!، وأنه قد جنح إلى أسلوب مندفع يفتقد للموضوعية، وهو في حقيقته حكم مندفع ومرسل، سار فيه مع الموجة النقدية التقليدية عن البكري كما أشرنا مسبقًا.

أما باوزير فرأى أن حديثه عن السلطان صالح لا يخلو من حماسة، ولا يخلو أيضًا من نقد عابر، و"أن في حديثه بعض التبرير عندما يعزي التدخل الأجنبي لظروف قاهرة هي التي حتمته، وليس لموقف ثابت لحكام المكلا في التعاون مع البريطانيين"، وهو ليس تبريرًا، بل هي فعلا ظروف قاهرة، وكان سياق كلام باوزير يشير إلى ما عرف باتفاقيتي الصداقة والحماية، أما الاستشارة فلا، ومع ذلك فعبارة باوزير منتقدة عندي أيضًا.

ثم انتقد المؤلف قول المؤرخ الشاطري: "فرضت استشارة مستشار منها"، بأن "الاستشارة لم تفرض، وإنما هي نتيجة مساومة بين السلطان والإنكليز"، وقوله صحيح برأيي، إلا إذا كان الشاطري يريد القول بأنها فرضت على الوطن، وليس السلطان الذي إنما أتت برضا بل بطلب منه، ومع ذلك فقد وصف المؤلف رأي الشاطري بأنه كان "أكثر اتزانًا في حديثه عن السلطان".

ثم ختم بذكر رأي بامطرف في اتفاقيات التدخل البريطاني في الشأن الحضرمي، وأنها كانت بدعوى الإصلاح، وهي في حقيقتها سلاسل قيود مطلية ببريق الوعود، وعقب عليه بأن فيه تعسفًا، ولم يبين لقرائه وجه التعسف الذي يعنيه، وإن لبامطرف مقالاً نشره آنذاك قبيل الاستقلال يكشف فيه بوضوح من هو المستفيد من تلك الحماية، ويقر فيه بأن المحمي في حقيقة الأمر ليس السلاطين، بل الإنجليز أنفسهم، أما السلاطين فكانت لهم عند بدء ظهورهم من القوة والمنعة ما يحميهم من خصومهم المحليين، ثم تلاشت تلك الحماية عند الحاجة الحقيقية لها من قبل العرش القعيطي، بل سلمه العفريت البريطاني إلى مقام القوميين، وأبحر آخر سلاطينهم، وهو حفيد صالح، إلى غياهب السكون.

ومما له علاقة بمصادره أشار المؤلف إلى مقال منشور يتناول تقييمًا لدور ابن الصلاح السياسي، ذكر أن صحيفة (فتاة الجزيرة) هي من نشرته، لكنه اكتفى بذكر عنوان المقال دون ذكر اسم كاتبه، بل أغفل بيانات الصحيفة، فلا رقم العدد ولا سنته، دون أن يفسر ذلك الإغفال، وهو الرجل الأكاديمي العارف بأهمية ذلك التوثيق.

(٤)

ومما ورد في الفصل الثالث أيضًا من الكتاب، غير ما جرى ذكره، هو إشارة المؤلف لبعض الشخوص المؤثرة التي عاصرت ابن الصلاح، ومواقفه منها، ولاسيما رجل المال والإحسان أبو بكر بن شيخ الكاف، والمستشار البريطاني دبليو إتش إنجرامس.

ووقف المؤلف عند وصف ابن صلاح للكاف بأن نفوذه كان يقتصر على المال، وليس سياسيًا، فسارع بالقول بأن "في هذا شيئًا من التقليل لمكانة الكاف"، ولا نعرف لماذا فيه تقليل؛ فالمؤلف لم يألف تفسير انتقاداته، وكثيراً ما يبتسر مواقفه من ابن الصلاح، أو ممن يناقشهم ممن عاصروه من المؤرخين، دون تفسير أو تعليل على طريقة "إن بغيتوه شلوه.. وإن ما بغيتوه خلوه".

فالحال إن الكاف لا يمثل سلطة لا كثيريًا ولا قعيطيًا، والمال دوره ليس هينًا، والقول بأن نفوذ الكاف يستند على ثروته الطائلة ليس في تقليل من شأنه ولا من أدواره في المشهد الحضرمي آنذاك، بقدر ما هو تقرير حال أتى من شخصية معاصرة ومشاركة في الحدث، وصانعة له، نعرف أن أبا بكر الكاف يمتلك عقلية واعية، وفكرًا مستنيرًا، وفوق ذلك يتمتع بحظوة روحية كونه ينتمي للبيت العلوي المهيمن على الشأن الديني المصبوغ بالتصوف آنذاك، وإذا كانت ذلك الفكر، وتلك الوجاهة، يشترك فيها شخصيات أخرى مع الكاف، فهذا لا ينفي بل يؤكد أن حركته في المشهد وحضوره فيه إنما يعتمد في الأساس على ما تحت يديه ورهن تصرفه من ثروة مالية طائلة.

أما ما يتعلق بإنجرامس فتناول المؤلف علاقة ابن الصلاح به، فعرضها في صورة مغلفة بالغموض والسلبية، ومن ذلك صلة ابن صلاح بالوضع في المكلا حيث مركز الحكم القعيطي، فرأى المؤلف أن إنجرامس "لم يعجب بهذا الوضع"، أي ضبط ابن صلاح لأحوال السلطنة أثناء تعيينه نائبًا عن عمه السلطان صالح، ولم يبيّن لم لم يعجبه ذلك، أهو نكاية في ابن الصلاح، وعدم الرغبة في إظهار قدراته القيادية والسياسية، أم كراهة لاستقرار أوضاع السلطنة كلها؟ ورأى المؤلف أن إنجرامس حينها سلط ضده جميع خصومه السياسيين لإعاقة مساعيه، ثم تصدى للأمر بنفسه فابتدع قضية نزاعية بين السلطنتين لإشغال ابن الصلاح بها، لكن هذا أدراك المخطط، واجتهد في التهدئة؛ حتى "اقتنع إنجرامس بوجهة نظر ابن صلاح" حسب تعبير المؤلف، والفعل اقتنع لا يدل على عقلية تآمرية، وكان ينبغي أن يحل محلها الفعل "رضخ" أو "خضع" ليدلا على أن ابن الصلاح قد أفحم إنجرامس، وأبطل دافعه للفتنة، أما استعمال الفعل اقتنع فيدل على أن الأمر كان مشكلاً على المستشار، وليس متعمدًا لإثارة ذلك الإشكال بقصد الوقيعة كما صور المؤلف.

ومما يدخل في تلك العلاقة القلقة التي رسمها المؤلف بين الرجلين أنه يرى أن إنجرامس قد تناقض من حيث اعترافه بدور ابن صلاح في

إنجاز الصلح والسلام في حضرموت في الثلاثينيات، فهو أولاً اعترف به، حسب رأي المؤلف، دون أن يضع مرجعًا يدل على ذلك الاعتراف، ثم إنه أهمل ذكر دوره فيه أثناء محاضرة ألقاها عن تلك التجربة، وهنا قال المؤلف: "هذا أمر يثير الدهشة، ويثير الشكوك حول مصداقية إنجرامس ككاتب"، لكن نقول إن المحاضرة غير الكتابة؛ فالمحاضرة محسوبة بظروف إلقائها، ومكانه، وبإيجازها، أما الكتابة فغير ذلك تمامًا، ولأن المؤلف لم يبين تاريخ الاعتراف من قبل إنجرامس أهو بعد تاريخ المحاضرة أم قبله، أفي محاضرة أخرى أم في كتاب أم تقرير، فإن الحكم بعدم مصداقية إنجرامس وبتناقضه غير وارد، بل ولا حتى تهمة الإغفال المتعمد.

ومما يندرج في الفعل السياسي أن المؤلف أشار إلى تأسيس ابن الصلاح لحزبين سياسيين، ثم قال: "الأحزاب لا تنشأ بموافقة السلطة؛ لأنها تسعى إلى تغيير تلك السلطة أو معارضتها"، ونسي أنه حتى الدول العريقة في الديمقراطية بها قوانين تنظم قيام الأحزاب وتصدر تراخيصها، وذلك بداهة يستلزم موافقة الدولة على إنشائها، مع أنها تسعى جديًا للمعارضة والتغيير، ومن ثم فلا ضير إن كان ذلك الحزب يسعى في الحصول على موافقة الدولة لإنشائه.

ومما له صلة بالفصل الثالث هو محاولته لتفسير سبب إطلاق لقب (الريضة) على القطن، فقال: "مأخوذة من كلمة (الراضة) ومعناها التريث"، بينما نجد أن كلمة (الريض) أوسع دلالة من كلمة الراضة، فهما وإن توافقتا حرفًا تباينتا معنى، وإطلاقها على المدينة بعيد عن معنى التريث الذي في (راضة)، وإنما المعنى المناسب لها هو المستقرة المطمئنة المستوية أوضاعها، وهو موجود في كلمة ريض، فلكلمة الريض في اللهجة استعمالات لا يصلح فيها استعمال كلمة الراضة، وهي لا تفيد معنى التريث، ومن أمثلة دلالتها على الاستقرار والاطمئنان والتسوية قولهم: (بَقعة ريضة)، (ريض الشغلة)، (تريض)، وهكذا.

(٥)

حمل الفصل الرابع عنوان ابن صلاح والصراع المتشعب، بدأه المؤلف بالإشارة إلى هواجس السلطان صالح من ابن الصلاح، فقدراته "تجد هوى لدى السلطان، لكنها تثير في نفسه مخاوف من ذلك الأمير المقتدر الطموح".

ويبدو أن كفة المخاوف قد رجحت أخيرًا لدى السلطان بعد أن نقل ولاية العهد لنجله عوض، بعد أن لم يظهر ابن صلاح حماسه لابن صالح.

وهنا عرض المؤلف رسالة يبين فيها ابن صلاح موقفه من عملية نقل الولاية في هرم السلطة، ومما ورد فيها قوله: "المستقبل للشعب والرعية، هم الذين لهم الحق"، فعلق المؤلف مشيرًا إلى هذه العبارة يقول: "لا تخلو الرسالة من طوباوية، عندما تتحدث عن حق الشعب والرعية في واقع ليس فيه تلك الأحلام"، وهو لاشك تعليق مجحف، بينما كان ينبغي هنا الإشادة بالرجل، والتنويه بما تحمله الرسالة من عقلية حرة ومثقفة عن كاتبها، وما يمتلكه من أفق واسع، ورؤية ثاقبة تحسن قراءة واقعها، ولا تخالفه، ولكنها القراءة الاستشرافية لا الآنية المحدودة، فهي وإن كانت تتجاوز الواقع المحلي بصورته الوقتية الضيقة، إلا أنها تقرأ الواقع في بعده الأوسع، ومداه الأبعد، ومحيطه العام، لاسيما مع اطلاع الرجل على حركة العالم من حوله آنذاك، وعلمه أن واقع حضرموت لن يكون بمعزل عنه، وواقع تحت تأثيره بشكل أو بآخر، وهي الرؤية التي أثبتت الأيام صدقيتها، بل أصبحت واقعًا ملموسًا بعد أقل من عقد ونصف من عقد الولاية لابن صالح، وأقل من سنتين ونصف من رحيل ابن صلاح.

ونعني هنا الحراك الشعبي والنخبوي الذي بدأ منذ عقد الأربعينيات، وبلغ ذروته في نهايته بالصدام المباشر مع الإرادة الشعبية التي تجاوزت الطبقة الحاكمة والنخبوية على السواء، وهو حراك بكل تأكيد لم يتشكل مصادفة، أو في حينه، أو هو ابن وقته وظرفه، بل هو وعي نما وتشكل عبر سنوات ممتدة، أدركه ابن الصلاح بنور بصيرته، وحسن قراءته لما يدور حوله، وأثبت أنه ليس من الشخوص الذين ينتظرون الأحداث وينفعلون بها، بل ممن يرونها مقبلة فيوطن نفسه وأمره لها ولتداعياتها، هكذا يكون إنصاف الرجل بعيدًا عن عُقد الطوباوية والخوائية المزعومة.

تلك الرسالة كتبت سنة ١٩٣٦، أي عقب الإعلان عن تغيير الولاية، ثم عرض المؤلف رسالة أخرى كتبت سنة ١٩٣٩، فرآهما متناقضتين؛ فابن صلاح في الأولى "يقف ضد السلطان والإنجليز"، وفي الثانية "يقف إلى جانب السلطان"، لكن بالعودة للرسالة الأولى نجده لا يقف ضدهما بقدر ما يعبر عن رأي في الموضوع، وليس موقفًا منه؛ لأنه قال: "بصرف النظر عن هذا وذاك"، أي شرعية الوصية وتحويل الولاية من عدمها، أي أنه لم يحدد موقفًا، بل عبر عن رأي ورؤية، إذن فلا تناقض.

ثم قال المؤلف: "لا تنسجم مثالية الرسالة الأولى مع براغماتية الرسالة الثانية، هذان الموقفان المتضاربان يثيران الشكوك"، ولم يقل لنا ما هي هذه الشكوك، أو يضرب مثالاً عليها، ولم يوضح طبيعتها، بل لم نفهم هل هذه الشكوك قد ثارت في ذهن السلطان حينها، أو تضاربت في ذهن المؤلف عند تأليفه للكتاب، فالرسالة الأولى ليست مثالية، ولا تتضارب مع الثانية، فابن الصلاح لم يعلن في رسالته الأولى عن معارضة أو عصيان، حتى نقول بالتضارب، أو حتى بالتراجع، ثم إن بين الرسالتين نحو ثلاث سنوات، كان من الطبيعي خلالها تغاير الأسلوب في الكتابة وطريقة الطرح، ومن ثم أتت الرسالة الثانية لتتعامل مع واقع حاصل، بغض النظر عن اختلاف الوجهات، وتباين الآراء الشخصية.

كل ما في الأمر أن السلطان صالح قد انزعج من رسالة ابن صلاح الأولى، وما احتوته من رأي أو رؤية حول نقل ولاية العهد لابنه، وهو أمر يدرك السلطان نفسه أنه ليس بالهين في ذاته، وفي ما يترتب عليه سياسيًا في مستقبل حضرموت، وفي مصير الحكم في الأسرة المالكة؛ لهذا تعامل مع الموضوع وردود الأفعال منه بحساسية بالغة، ولاسيما من المقربين منه داخل الأسرة الحاكمة، وإذا كان معظم رجالاتها موجودين في المهجر فقد كان التأثر من الذين بداخل حضرموت، وعلى مقربة من الحدث، والقدرة على التأثير أبلغ، وأبرزهم إن لم يكن أوحدهم صلاح بن علي، ومن ثم شكل ذلك إرهاصًا دفع بالسلطان للتفكير جديًا في التخلص منه بوصفه المنافس الأخطر داخل الأسرة الحاكمة، الذي يهدد استقرار العرش لابنه الذي يقل عنه كثيرًا في دهائه وفطنته، وصار من حينها يتربص به وينتظر الفرصة ليتخلص منه، حتى تهيأت له الأسباب بعد نهاية الخصم السياسي الأول ابن عبدات.

ثم قال المؤلف فجأة وبدون مقدمات: "يبدو أن تحركات ابن صلاح السرية قد فاح أمرها" !!، ولا يخبرنا ما هي تلك التحركات، ولماذا وصفها بالسرية، ولا كيف علم هو بها، ويبدو أنه تركها لحزر القارئ، فأتت هذه الجملة مقطوعة الصلة بما قبلها وما بعدها، سوى بصيص من رسالة للكاف لا تفيد ما أراد، وقد رد عليها ابن الصلاح ونفى كل ما تضمنته، ومع ذلك عبر المؤلف بصيغة الجزم عن ما هو مجرد شكوك وتخمينات لدى أطراف حول ابن صلاح، وتريد أن تلصقها به، ومن ثم صار المؤلف نفسه طرفًا من الذين ألقوا التهم جزافًا على ابن صلاح، فتخلى بذلك عن حياده كمؤرخ لتلك الشخصية المؤثرة في ذلك الظرف التاريخي الخطير من تاريخ حضرموت السياسي.

وفي الصفحة نفسها وصف المؤلف علاقة ابن صلاح وإنجرامس بـ"الانسجام التام في السنوات الأولى"، ولم يحدد مقصوده بالسنوات الأولى،

وكنا قد رأيناه يحكي لنا كيد إنجرامس للأمير لدى توليه نيابة السلطنة، ثم علل تعكير صفو علاقة الإنجليز به بانحيازهم للسلطان في صراعه معه، بينما هو تعكير يفترض أنه أتى بالأصالة منهم له؛ لأننا إذا عللنا صراع السلطان مع الأمير لسبب ولاية العهد، فإن هذه بقدر ما تهم السلطان فمعاهدة الاستشارة المرتبطة بها تهم الإنجليز بشكل أقوى بكثير.

(٦)

وبالانتهاء إلى الفصل ما قبل الأخير من الكتاب، والمخصص للعلاقة بين ابن صلاح وابن عبدات، ثم تطور الأمر إلى المحاكمة، نرى المؤلف يفتتحه بذكر معلومات عجيبة عن ابن عبدات، معطلة عن المرجع الذي يسندها أكان مكتوبًا أم شفاهيًا.

كمثل شربه للماء في قدح مصنوع من قرن الخرتيت (وحيد القرن)، لكونه يمتص السم !!، ثم لحقها بتناول علاقة أمير الغرفة بالإنجليز ذاكرًا عنها روايتين سارع بالطعن فيهما لشفاهية مصدرهما، وكذلك لأنها صادرة من أنصار ابن عبدات، مع أن كونهما صادرتين من أنصار ذلك الأمير أحرى بأن يقويها لا أن يضعفها؛ إذ يصبحان أشبه بالإدانة له بعلاقته بالإنجليز، سواء بسواء من يشاغبهم من سلاطين حضرموت المرتبطين بصورة معلنة معهم، وليس بثائر كما يريد أن يصور نفسه، أو يصوره من ساندوه، أو من يتعاطف مع صموده من المؤرخين.

ولم يتمكن المؤلف هنا من العودة إلى أهم مصدر في تلك المسألة التاريخية الجدلية، وهو كتاب لمؤرخ، وشاهد عيان على الحدث، إنه كتاب (الإقطاعيون كانوا هنا) لمحمد عبد القادر بامطرف مع توافره حينها، فبامطرف كان هو من يقوم بوظيفة المترجم للمفاوضات المباشرة بين الإنجليز وابن عبدات، وخلالها عرض هذا عليهم الاعتراف بغرفته كدولة حضرمية ثالثة، مقابل عدم ممانعته من الخضوع لحمايتهم، كصنيع صنويه القعيطي والكثيري.

وفي موضع آخر أورد المؤلف وصف المؤرخ سعيد باوزير لابن صلاح بأنه "شديد العطف على الحركات التحررية"، فعلق عليها بأن تواصل هذا وعلاقاته إنما كانت "مع حكام السعودية واليمن، وهؤلاء لا يشكلون منابر لحركات التحرر"، وأن تلك الحركات "لم يشتد ساعدها إلا بعد الحرب العالمية الثانية"، وطبعًا كان ابن صلاح حينها رهين السجن والمرض، وخلص المؤلف من ذلك إلى أن ما ذهب إليه باوزير "لا يعدو كونه تعليقًا عامًا، وليس تحديدًا لموقف سياسي"، ونقول إنه ليس بالضرورة أن يقصد باوزير بما وصفه بحركات التحرر تلك التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية، بل هو أراد بالتحرر معناه الواسع المتضمن الانعتاق عن مظاهر التدخل الأجنبي من احتلال أو تبعية مباشرة، وهو أمر يصدق على حكام السعودية واليمن مقارنة بسلاطين الجنوب وحضرموت الذين يرسفون في أغلال الحماية البريطانية، التي وصفها نظيره المؤرخ بامطرف بالسلاسل الذهبية، بل إن إمام اليمن كان ينظر له عربيًا في تلك الحقبة بأنه بطل تحرير لبلاده من



السلطان علي بن صلاح
مع أحد أبنائه

الأتراك والإنجليز على السواء، باعتراف من ثاروا عليه لاحقًا، إضافة لذلك أن حركات التحرر إذا كانت عربيًا قد تأخرت حتى بُعيد الحرب العالمية الثانية، فإن وجودها عالميًا كان أسبق، وباوزير لم يخص العربية في وصفه.

وابن صلاح، كما رأينا من قبل، كان واسع الاطلاع لأحوال العالم، ولاشك أنه قد اطلع على كتابات رواد النهوض العروبي والإسلامي منذ أواخر القرن التاسع عشر، والداعية للانفكاك عن الاستبداد والخنوع للأجنبي، سواء في بعض المجلات العربية نثرًا وشعرًا، أم في كتب أمثال الأفغاني والكواكبي والحصري، والتي شكلت مهادًا لحركات التحرر والثورات العربية، والتي منها ما كان مبكرًا كثورة ١٩١٩ في مصر مثلاً، وظهور زعماء مرموقين آنذاك كسعد زغلول، ومصطفى كمال وغيرهم، وقرأ عن التفاعلات المبكرة للقضية الفلسطينية التي كان الحليف البريطاني أبرز صانعي فصولها، ومن ثم فإن المؤلف هنا بدا ضيق الأفق والصدر على ابن صلاح وأستاذه باوزير معًا.

وبعد هذا كله يأتي المؤلف ليتبرع بوصم ابن صلاح بصفة غريبة، فوصفه بأنه "سياسي يعمل مع الإدارة البريطانية الاستعمارية" !!، وهو ميسم يبرأ منه ابن صلاح، ووصف غير دقيق لعلاقته مع ممثل بريطانيا في المنطقة، وما نعرفه عن ابن صلاح أنه كأمير للقطن غير مرتبط بأية رابط سياسي أو إداري مع الإنجليز، وإنما السلطنة في المكلا هي المرتبطة أو المربوطة بهم، وهو على أي حال ليس موظفًا فيها بالمفهوم الإداري، ولكنه يتعاون مع الإنجليز، وتحديدًا إنجرامس، بارتباط شخصي أكثر من كونه إداري في مسائل رآه ابن صلاح تخدم البلد، كالسلام الاجتماعي والصلح القبلي مثلاً، أما الارتباط الإداري أو السياسي المباشر فلا.

ثم تناول المؤلف آراء ابن صلاح عن ابن عبدات ورؤيته لحركته أو موقفه منها، وبادر بالقول إن الأول قد كشف بعضًا من تلك الآراء في لقاء جرى بينه وإنجرامس، لكن دون أن يخبرنا متى كان ذلك اللقاء، وملابساته، ولاسيما مع ما سبق أن أكده من تراوح العلاقة بين هذا الأمير العربي وذاك المستشار الإنجليزي.

وكشف لنا عن بعض تلك الآراء من نصوص رسالة لابن صلاح بعث بها لأحدهم، ومما جاء فيها: "الأشياء لن تتحقق إلا بالحكمة والسياسة"، وأن "من تكلم أو سوف يتكلم خاف من السبة، أو يحملون كلامه بأنه مقصر"، وصار المؤلف يدفع بتساؤلاته حول تلك الآراء وقراءته لها إلى أن الأمير متعاطف مع ابن عبدات، وأن "موقفه منه متأرجح بين التأييد، والحذر"، ولم يبين لنا كيف توصل إلى معرفة ذلك التأييد المزعوم، قد يمكن القول بأن الرجلين يشتركان في موقفهما السلبي أو المتحفظ تجاه السلطنتين، وسلوك حكامها، لكن لكل منهما منطلقاته، فابن عبدات طامع منافس، وابن صلاح معارض مصلح، وشتان بينهما، أما القول بأنه كان يرى في حركة الغرفة "مخرجًا وبشرى وفق أفكاره المثالية" كما عبر المؤلف، فهذا فيه اتهام صارخ للرجل بالغفلة، وبالاندفاع نحو المجهول، أو بنقص خطير في معلوماته عن جاره الثائر المزعوم، واغترار ساذج به، بمعنى أنه ليس على اطلاع بعلاقته هو الآخر مع الإنجليز الفاترة علاقته معهم.

إن الرجل كان مجاورًا للغرفة، وتصل إلى آذانه أصوات مدافعها؛ لذا كانت الاتفاقية المعقودة بين الأميرين تعني أمانًا لمنطقته، وتشكل خط رجعة تستفيد منها السلطنة القعيطية بغض النظر عن الموقف الحالي لحكومتها وحليفها البريطاني من التحرك الغرفوي، وذلك في حال تحقق الهزيمة لمحور بريطانيا في الحرب الكبرى المندلعة بأوروبا آنذاك، والتي كانت في

بـدايات أوجها الذي شـهد الصعود الألماني، واكتساحـات هتلر المرعبـة، ومن ثم كان من مصلحـة السـلطنة القـعيطية القـيام بـتلك الاتفاقـية التي بـادر إليه ابـن صلاح من طرف واحد، لعلمه بحرج حـاكم المكلا من اتخاذها؛ لما يحـيط بـه من قـيود والتزامات، ولأنه جزء من العائلة التي يهمها مصلحـة السـلطنة كإنجاز أسري قبـل أن يكون ككيان إداري سياسي، دون النظر لمواقف شخوصها الزائلين.

ومما يدل على أن الاتفاقـية إنما هي شـكلية ومرحلية أن ابن صلاح لم يبـادر إلى كشـفها عند علمه بقـرب الهجوم الكبـير على الغرفة، بـنهاية الحـرب العالمية الثانية التي ترجح فيها محـور بـريطانيا، فلم يلق للأمر بـالاً، وليس ذلك صنيع المتآمر القلِق، وعند انكشافها بـادر للذهاب إلى المكلا للتوضيح والإفـادة، ولـو كـان الرجـل في نيته التآمر حقيقـة لكان بـادر إلى كشـفها قبـل السقوط النهائي لحليفه، أو لكان رفض الذهاب للمكلا، واعتصم في معقـله بالقـطن بـأهله وعزوته، أو ربما حاول الهرب بطريقـة أو أخرى، أو التجأ سياسـيًا لحـليف آخر بعلاقـاته الواسـعة وسـمعته الحسـنة، مع أطراف كثيرة في الداخل والخارج كالرياض أو صنعاء، اللتين ركـز المؤلـف على علاقـة القـطن بـهما، لكن واضح أن ابـن صلاح كان واثقًا من نواياه، ومن خلو ساحته.

وفي المكلا ذكر المؤلف أسبـابًا مختلفة لعدم استجابـة الحـكومة لدفاع ابـن صلاح عن نفسـه ومواقـفه، كنوع من التخمين والحـدس، لكنه نسي أهمها برأيي، وهو أن السلطان صالح وجد فرصـة ثمينـة للتخلـص مـن ألـد خصـم لـه، أو بالأحـرى أشـد خصم ومنافس مرتقـب لابـنه السلطان المنتظر، الذي يقـل عنه دهاء وخبـرة بـدرجات، فكان من مصلحـة ابـنه أن يقـوم أبـوه بـتنظيف طريق مستقبـله نحـو الولاية من الخصوم، ولاسيما في إطار الأسرة المالكة، وربما رأى في ذلك مصلحـة لاستقـرار السـلطنة كلّها، من أي صراع أسـري قـد يندلع بـين الابـن وابـن العم، ضمن ما وصفه المؤلف بـكرة الغدر التي كان صالح نفسه أحـد راكليها عن ابـن عمه عمر، ومن قبـله جده بـركلها عن ابـني أخيه عبـد اللّه، وكل منهم كان يصوب تلك الكرة نحـو شبـاك العرش القـعيطي حـتى تهرأت، وقـل مثل ذلك للإنجليز الذين ناصبوا ابـن صلاح العداء مبـكرًا؛ لما آنسوه منه من ميول وأفكار مشرقـة، لا تصب في مصلحـة مصالحـهم الاسـتعمارية في المنطقة.

وفي هذا السـياق الكئيب أورد المؤلف رسـالة موجهة سرًا من السلطان صالح إلى ابـن صلاح، اسـتخلص منها أنه كتبـها عند قـيام الأخير بالسماح للحـموم بـالتجمع في منطقـته، وهم يعدون من أعداء القـعطة، وحـلفاء الغرفة، ولكن نص الرسـالة لم يشـر للحـموم، فضلاً عن تجمعهم المزعوم، ثم عاد المؤلف ليشـكك في تاريخ كتابـتها، ثم خلط شـكوكه بشـكوك السلطان ليتضح لنا منها أن صالح بـات يتوجس من العلاقة بين القـطن والغرفة، ونص الرسالة لا يتحـمل تلك الشـكوك والهواجس من جهة السـلطان تجاه قريبـه الصعب، بـل العكس هو الصحـيح كما اعترف المؤلف نفسـه، ومن ثم تناقض قوله تجاه الرسالة، فمن جهة يثبـت من خلالها أن علاقة السلطان والأمير لا تزال متينة، ومن جهة أخرى يثبت من ثناياها تلك الشكوك؛ لما تضمنته من تحـذير من لجوء ابـن عبـدات للاحتماء بـه أو بأحـد رؤساء يافع، وذلك التحـذير أتى لعلم صالح أن ابن صلاح لا يرى نفسه ملزمًا بالتبعية لتوجيهات المكلا، وله آراؤه السياسـية المستقلة.

قـدم المؤلف تساؤلات عن سبب حـضور ابـن صلاح للمكلا، ونراه يعمد إلى التقـديم والتأخير في تسلسـل بـعض الأحـداث، فهو لم يعرض المذكرة التي رفعت للسـلطان صالح إلا بـعد تناوله لحـدث المحـاكمة وإقـامته في الشحـر، ثم أتى ذكرها وكأنها رد فعل لقرار المحـكمة، حـيث قال المؤلف: "... ولم يقف علي بـن صلاح مكتوف الأيدي"، وكان في تلك المذكرة أجوبة لتساؤلات المؤلف حـول حـضور الرجل للمكلا، ومنها أنه محتملاً، وهي التي تتكئ عليها السلطنة.

ومما قاله في المذكرة أيضًا: "فقد استفحـل أمر ابـن عبـدات... وتفاديًا للأخطار رأيت من الواجب علي أن أجامل ابـن عبـدات"، وهذا يتوافق مع رسـالته التي أوردها المؤلف من قبـل ووصفها بالواقعية، وقد كتبت في عام التوقيع نفسه حيث قال: "الأشياء لن تتحقق إلا بالحـكمة والسياسـة" وذلك على أثر المحاولة الأولى الفاشلة لاقتحـام الغرفة، لكن المؤلف غفل عن تلك المقـارنة الجوهرية بـين المذكرة والرسـالة، فلم ينتفع بالمداد الذي أساله.

ثم ختم المؤلف كتابـه بـفصل دامع عن منفى ابـن صلاح، ومرضه الذي حـال إلى رحـيله المحـتوم، أعقبـه بـخاتمة وضع فيها الرجل في ميزان غلب عليه التأرجح بـين ثنايا المشـهد الحضرمي المأزوم، الذي عاصره ابـن صلاح، فهو قد عاصر أقوى شخصيات ذلك المشهد، وعايش أقوى صراعاته السياسية والاجتماعية والفكرية، معترفًا بـأنها جميعًا محل جدل لم يحسـم، لكن المؤلف ما زال يطارد الأمير أو روحـه بهواجسـه، ومما قـاله أن سبـب مشـاكل ابـن صلاح يعود لأمرين، هما: اعتداده بشخصيته وطموحـه، ولم يلبـث قـليلاً حـتى جعل ذلك الاعتداد نوعًا من التعالي، وهما مفترقـان، وأن الرجل لطموحـه "اشرأب نحـو السلطة"، وليس في الكتاب كله ما يدل على هذا الاشرئبـاب، سـوى ظن المؤلف واسـتنتاجاته النابـعة من هواجس الحـيادية، فعل ذلك مبـادرًا؛ ليثبـت أنه غير متلبس بـخوف من فعل شـرًا، وليقـدم المذكرة الدفاعية والتفسيرية، وليبـين أنه ليس هاربًا أو معتصمًا بـمدينته، وكأن لسان حاله يقـول: ليس لدي ما أخفيه، أو أخشاه.

مـا زال ذلـك الأميـر المكلـوم، والمصلـح المظلـوم، بحاجة ماسة لباحث يدرس تاريخه دراسة أكاديمية واعية، بـعيدًا عن عواطف الأبـوة وهواجسـها، وبـعيدًا عن الأحـكام المسبقـة، والآراء المرتبـكة.

ومن ما بينته تلك المذكرة حول الاتفاقية أنها أتت كتظاهر بالصداقـة، "في وقـت رأيت فيه أن مصلحـة الحـكومة والبلاد تقـتضي ذلك"، وكان تاريخ التوقـيع عليها هو أغسـطس ١٩٤٠، أي والحرب الكونية في أول شبوبها، وحينها أظهرت ألمانيا النازية تفوقًا حربـيًا، بـينما تضعضت بريطانيا، وسقطت فرنسا، وبين الروس والألمان معاهدة عدم اعتداء، أي أن سقوط بـريطانيا كان وليس الوقائع الحقيقية.

وبدورنا نختم إلى القـول بـأن كل ما تقـدم إنما يدل دلالة يقـينية، ودون التهوين من جهد الدكتور القـدال رحـمه اللّه، والأسـتاذ القـعيطي رعاه اللّه، على أن تاريخ أمير القـطن لم يكتب بـصورة نهائية، وأن الكلمة الفاصلة أو المقاربة في تفسير مواقفه السياسية لم تسجل بـعد، وما زال ذلـك الأميـر المكلـوم، والمصلـح المظلـوم، بحـاجة ماسـة لباحـث يدرس تاريخه دراسـة أكاديمية واعية، بـعيدًا عن عواطف الأبـوة وهواجسها، وبعيدًا عن الأحكام المسبقة، والآراء المرتبكة.

120
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الأعياد والمنادر



المندر وجمعها منادر وهو مايطلق عليه في بعض مدن وادي حضرموت مداد وفي ساحلها مظل وهو شكل من أشكال التنزّه والتفسح والترويح عن النفس، كما أنه يعدُّ شكلاً من أشكال الاحتفال في بعض الأعياد، ففي الماضي القريب كان سكان أهالي مدينة شبام وبعض مدن الوادي يحتفلون في يوم المزدلفة الثامن من شهر ذي الحجة وفي يوم آخر ربوع آخر يوم أربعاء من شهر صفر، أو بعد هطول الأمطار حيث يطيب لهم الخروج إلى خارج المدينة في سفح الجبل أو بين أشجار النخيل أو عند معايين المياة في الجبال فيتجمعون شباباً وشيوخاً في أعداد كبيرة منهم، وربما تتعدد هذه الفرق، ويتهيئون لذلك قبل عدة أيام وغالباً ما يبكرون في الصباح، ويتم قضاء يومهم هناك في ترح ومرح وانشراح بين قدور الشربة ومضابي اللحم. كما يحلو لهم الغناء والطرب والاستماع إلى الشعراء والأدباء الشعبيين منهم، فتنشد القصائد وتقرأ المقالات.



أ. عوض عمر حسّان

هنا نستعرض إحدى مقالات الأديب الشعبي أحمد عبدالله بركات من مواليد مدينة شبام ١٢٧٣- ١٣٤٨هـ والتي نهج فيها نهج خطبة الجمعة في زمانه وحتى وقت قريب حتى يشد بها مستمعيه، فينصتوا لها في هدوء وسكينة ووقار، لقد أوضح بركات فيها أهمية المندر وكيفيته، وطريقة طبخ الشربة وشوي اللحم. وقد أسماها:

خطبة الشربة(١):

الحمدللّه الحميد المجيد، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، الذي زين الشربة بالوقيد، واللحم بالغظف والتقديد، بعد سنانة الحديد، أحمده حمداً من قلب منفرد بالتوحيد، على الشربة وأكل العصيد، طلباً للجمالة بعد العيد، متعوذاً من اللحم الغليظ الشديد، ومن وقيد الكرب والجريد، وصلى اللّه على سيدنا محمد أفضل العبيد، الهادي الى المنهج الرشيد، وعلى آله وصحبه أهل التعظيم والتحميد، ماحدث مندر يوم المزدلفة قبل العيد.

أيها الناس مالكم عن تحريك الشربة ساكتون، وعلى تفصيل اللحم خامدون، مالكم لا تضحكون، فهذا يوم المزاح، والبسط والانشراح، وليس عليكم في ذلك جناح، فاحذروا المراقبة في الكلام، ولا تخافوا الملام، فإن يومكم هذا زكاة العمرمن سائر الأيام، إني أوصيكم بوصية لم ينظمها قبلي أحد، ولم يدعها والد لولد، ولا يتعين على إظهارها الغل والحسد، فان عرفتم شوري واتبعتم مشورتي فزتم وظفرتم، وإلا خبتم وندمتم.

فإذا كان قبل يومكم هذا بثلاث أيام، قربوا ما تحتاجون من طعام، واشتروا



الغنم السمان ، واجمعوا مابين الماعز والضان ، واتبعوا في ذلك مذهب حميد بن شقران ، وليترأس واحد منكم ويتصدر ، ولايطمع في أصحابه ويتظفر ، والحذر في ذلك كل الحذر، فإنه جاء في مقالة من صح نصيحته وآدابه : " من حب نفسه بغضه أصحابه " ، ونزهوا البرّ ودقوه، واشتروا الحطب وشقوه ، وسلموا ملحقكم من المخاسير ، ولا تطلبوا في ذلك المعاذير. أيها الجاهل المغرور ،أطلق الفلس المصرور ، فلست في ذلك معذور ، أ تظن إنك تنسى مالك عن الشربة فرحاً مسروراً ، وعند مخلص الفلوس ملوماً محسورا ، فاخرجه غير مأسوف فإنه عليك مخلوف ؛ فإذا اجتمعتم للحساب فقيدوه بالكتاب ، فذلك من أحسن الأسباب ، واحفظوا بالدراهم والدنانير ؛ فإذا كانت ليلة هذا اليوم ، فليتقدم منكم خفاف القوم ، يختارون لأصحابهم المكان الطيب اللائق، المائل عن المارين في الطريق ، يبيتون تلك الليلة إلى الصبح يسمرون ، ويحكمون الأواني ويعدلون ، فإذا طلع الفجر يدعون ، وبعضهم للشربة يفعلون وبعضهم للقهوة يطبخون ، والحذاق يتحدثون ، والصبيان يلعبون .



فذا نضجت الشربة فسكنوها على النار ، واجتمعوا على عود وطار ، ولا في ذلك عار ، فقد روينا في الحديث المسند بالتحقيق ، عن المعلم خميس باطريق ، أنه رخص يوم الحبوش للحشام القمبوس ، وجميع آلات اللهو والطرب ، وشاع ذلك عند العجم والعرب ، وأهل المقاهي والرشب . واجعلوا في حسابكم كل اثنين من الصغار بواحد من الكبار ، وديروا الشربة من اليمين ، وقدموا الحذاق المسنين ، ولينادي صاحب وظيفة التقديح ، ويظهر صوته ويصيح ، ويقول : " يامعشر الحضور ، هل في أحد منكم تقصور؟ فلا تخافوا الحذور ، هل من صحفة قاصرة ؟ أو حوائج فاترة ؟ فالعوض حاصل في الآخرة " فإذا اكملتم العدد فردوا عليهم بالرد ، وديروا ثاني دير ، ولا يعجل الديار بالسير ، وزينوا أخلاقكم بالكرم ، وقيدوا صحافكم بالعلم ، فذلك أحسن وأتم ، وإلا صرتم إلى المغالطة ، والمقابعة والمراقطة ، فتبدلون بالفرح حزناً ، وبالضحك شجناً ، وبالمودة خصاماً ، فقد جرت هذه الواقعة وأنا صغير ، ولا ينبئك مثل خبير .

ثم بعد فراغكم من الشربة ، وخروجكم من تلك الغبة ، يكون أكثر همكم إصلاح المضابي ، ولا تخمروا أنفسكم في الجوابي ، وإذا أوقدتم المضباة واحكمتموها ، واغلقتم فيها وخمدتموها ، فألقوا الجنوب والشخوص عليها ، وليقرب أهل المعرفة باللحم إليها ، فإن لها شروطاً كثيرة ، وآداباً شهيرة ، ولا تدرك إلا بالمعاينة للحاضرين ، ولا تتبين إلا للحذاق الماهرون ، وأحذركم التهوين في الحطب ، لا تستامنوا على الجذوع والكرب ، فإن الكرب والليف ، لا ينجح الشرق والمغاظيف ، واسألوا التخفيف من الرب الكريم اللطيف .

اللهم وما كان في شربتنا هذه أو غيرها من حريق او دخان ، أو زيادة في مائها أو نقصان ، او تقديم أو تاخير ، او تهجير او تبدير ، فتقبلها اللهم بفضلك ، وتجاوزها عنا بمنك وجودك وكرمك وإحسانك . اللهم رب السموات العلية ، والطسوت المجلية ، والمضابي المطفية ، والدروع الخلية ، والحمير المشدودة ، والمنازل المقلودة ،اجعلنا في هذا المكان مثل هذا اليوم من العائدين الفائزين ، واغفر لاموانتا السابقين ، وبارك في ذريتنا اللاحقين ، وكثر دراهمنا ودراهم السامعين يا ارحم الراحمين .

اللهم اجعل لحمنا لحماً هنياً طرياً ضبياً ، سايغاً ناجحاً سميناً رخيصاً مضبياً ، اللهم وما خسرناه من حفل او سنكر ، أو اكعاك او مخمر ، فاخلفه علينا بالخلف الصالح ، وكثر لنا من الفوائد والمصالح ، حتى لا ننقصه لاهل المنادر ، ونكون مع اول مبادر ، اللهم وما سبح لك من الاصوات المختلفة ، يوم الحبوش المزدلفة ، اجعلنا من العائدين الفائزين ، واللّه سبحانه وتعالى يقول ، وهو أصدق القائلين : " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون. " أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم : " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين." بارك اللّه لنا ولكم في القرآن العظيم ، وهدانا وإياكم الى الصراط المستقيم وأدام اوقاتنا واوقاتكم في نعيم ، أقول قولي هذا واستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولكل المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

١- مختارات من الأدب العامي الحضرمي (أشعار ومقامات وخطب) قام بترتيبها وتصحيحها ومقابلتها روبرت سارجنت - معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ١٩٥٠م.

من الحكايات الشفاهية الحضرمية

الثعلب أيضاً يلعب سياسة القائل الاقتصادي



عبدالرحمن بن حسن السقاف

لم يكن الثعلب يجرؤ على دخول القرية بالنهار وأما بالليل فقد اعتاد أن يأخذ جولة سريعة يمر فيها على حظائر الدجاج بالقرية عله يجد ثمرة خطأ أو غفلة عن إغلاق حظيرة أو حماقة ارتكبتها دجاجة فكرهت أن تبت ليلة مع ضرّاتها في بيت الزوجية حينها يتولى هو عقابها باقتناصها والهرب بها إلى الجبل .

في يوم من نهارات الصيف القائظ كان الوقت بعد الظهيرة تجرأ الثعلب على الاقتراب من أطراف القرية كان الناس قد دخلوا بيوتهم ، وبعد جولة مسرعة في الجو الحار قبل أن يصعد الى الجبل توقف هناك خلف الديار ليستريح قليلاً ويسترد أنفاسه , كان أمامه حمار مطأطىء الرأس يبحث في روثه عن بقايا القش ليأكلها وأخذ يدور بتكاسل حول مربطه بلا انقطاع فحفرت حوافره حفرة دائرية في الأرض تحيط بمربطه كان الحمار يكرر البحث في المكان الذي سبق أن بحث فيه من قبل كان يستخدم شفتيه الغليظتين بمهارة وصبر في التقاط فتات القش , وهكذا في كل مرة يضطر لالتقاط القشات الأصغر التي مر عليها من قبل وكانت لا تستحق الالتقاط في المرات الماضية .

كان الثعلب ينظر إلى الحمار الهزيل فاقترب منه وقال له: أراك تعيد البحث عن فتات القش الذي لم تأكله من قبل.. وها أنت تعود لتأكل فتات الفتات المدفون تحت روثك ...مسكين أنت أيه الحمار ! تقوم بالأعمال الشاقة , وتحمل الأثقال لهذا الإنسان الأناني ويركب على ظهرك فتوصله الى الأماكن البعيدة .. وعندما ما توصله يجلس في داره مع أسرته حيث الظل والطعام و الشراب .

بينما أنت تجلس منفراً تدور حول نفسك تبحث عن قش لا يسمن ولا يسد جوعك .. أنت لا تعرف أنه هناك في الوادي خلف ذاك الجبل توجد المراعي من الحشائش المختلفة و الأشجار الظليلة التي ترعى فيها الحيوانات والدواب وهم في صحة جيدة وحياة مترفة ..

وأنت هنا في هذه الحالة البائسة لا تجد ما تأكله ولا تجد ما تستظل به ولا تجد من يؤنس وحدتك ..

كان الحمار يستمع ولكنه يقول في نفسه ما شأنه بي .. فتارة يقول إنه ناصح مخلص وتارة يقول إنه محتال لقد سمعت الكثير من الحكايات عن مكر وخداع الثعالب ..

كرر الثعلب محاولاته في إقناع الحمار .. وقال له لست أنت الحمار الوحيد الذي غادر هذه القرية التعيسة و لم يرجع إليها ..وفضل السكن بالوادي الخصيب حيث الأكل و لا واجبات ولا عمل ولا حمل ولا مهانة و لا أمر و لا نهي , كانت تدور في رأس الحمار أفكار كثيرة ويرى أنه من الصعوبة بمكان أن يختفي من حياة سيده ويتركه وهو بأمس الحاجة إليه ومهما حصل فهناك كثير من المواقف الوديّة التي لا تُنسى كذلك اليوم الذي ضرب السيدُ ابنَه عندما تركني في العطش نهاراً كاملاً لم يحضر لي الماء كعادته , و لا ينسى كلمة قالها سيده يوماً عندما كان ضيفاً في قرية بعيدة أنا ضيفكم وحماري أيضاً فأكرموا حماري فهو الذي أوصلني إليكم .. ولا يمكنني أن أصعد إلى منزلكم قبل أن أطمئن على طعام حماري وشربه ومكان مبيته..

كان الحمار مقتنعًا أن الثعالب لا يمكنها أن تعتدي على الحمير فهي لا تجرؤ على ذلك ..ولكن هل يكون الثعلب ودوداً ومخلصاً عندما يلح عليّ في الذهاب إلى الوادي الخصيب خلف الجبل؟.

كانت الأفكار تتنازع الحمار ..عندما كان هكذا سارحاً في هواجسه شارد الذهن لا يؤدي واجباته المعتادة فتكررت منه حركات غير لائقة ..فغضب السيد على الحمار و أراده أن يشد انتباهه فضربه ضربةً أشد مما كان يفعل وكان الحمار يحتمل تلقي الضرب ويعد الضربات على أنواعها لغةً للتفاهم بينهما .

ولأن حركات الحمار صارت مزعجة فقد تلقى جزاءها ضربات أشد من المعتاد في هذه المرة تظاهر الحمار بالألم والشعور بالإساءة من سيدة وعبر عن استيائه بالامتناع عن الطعام ..

كان الحمار يخطط ويفتعل سبباً لهربه.. و يصبر نفسه قائلاً سأجوع حتى يلوم نفسه إذا أنا اختفيت من حياته وإذا أنا جُعت قليلاً فإني عما قريب سأكون في الوادي الأخضر وسأعوض ذلك وسوف أشغل نفسي بالأكل فقط ليس هناك من عمل غير الأكل .

في آخر الليل مرّ الثعلب على الحمار وقد رتب معه من قبل لهذا الموعد فقرض



الثعلب حبل الحمار وسارا والقرية في سكون وكانت كلاب في أطراف القرية تنبح ولكن اختلطت عليها رائحة الحمار برائحة الثعلب فلم تتقدم إليهما وسار الحمار خفيفًا بلا حمل خلف الثعلب الذي امتد ببدنه وذيله ملامساً للأرض كأنه يسبح عليها .

وصل الثعلب و الحمار بعد الفجر بدا الوادي أسود أكثر منه أخضر لا أصوات غير زقزقة الطيور ..قال الثعلب للحمار عليك بالأكل في هذه المنطقة ولا تبتعد كثيراً عنها وأحذرك من أن تنهق فإذا أنت نهقت سوف تأتي الوحوش الكبيرة ستأكلك .. عاش الحمار منشغلاً بالأكل ولم يجد من الحمير لا ذكر ولا أنثى كان يتوقع أن يصادف أحد الحمير التي غادرت القرية من قبل إنه يتذكر إحدى الدواب اللاتي غادرن القرية منذ زمن تحسن نفسه للقائها لقد شبع وامتلأت بطنه وأحس برغبة جامحة للنهيق .. ولكنه كان يكبح هذه الرغبة عندما يتذكر تحذيرات صديقه الثعلب . كان يقول في نفسه ما فائدة الطعام إذا أنا لا أتمتع بالحرية ولاستطيع النهيق . أريد ان اثبت وجودي في هذه الأرض الجديدة أريد ان تكون لي زوجة أريد ان يكون لي أبناء ..أنا هنا غريب مَنْ يحس بي وأنا صامت مكبوت هكذا ..

هنا في الغابة ليس بين سكانها قانون للتعامل سوى أن القوي يستبد بالضعيف و أنا الآن قوي و أنا أكبر من الكثير من الحيوانات إلا أنني أرى أنهم يستخفون بي وبقوتي وهم يروني دائما صامتًا إنهم لا يعرفونني .

جاء الثعلب يتفقد الحمار .. فقال الحمار يا صديقي إنني بحاجة إلى نهيق ولو نهقة واحدة .. إنني أحس بكبت يمزق أحشائي فلو نهقت مرة سيخف عني ما أعانيه .

قال الثعلب لقد حذّرتك من خطورة ذلك.. رد الحمار إذن سأموت فقال الثعلب إذا كنت لا تستطيع مقاومة هذه الرغبة عليك أن تنهق نهقة واحدة ثم ترتمي في الأرض كأنك ميت أريدك أن تبدو للوحوش إذا أحاطت تبدو ميتاً ليس به أي حركة .. و أنا سأتصرف لأحميك ..

أخذ الحمار نفساً عميقاً فأطلق نهقة مدوّية تنبهت لها وحوش من أطراف الغابة و جاءت إلى مصدر الصوت تتشمم رائحة هذا الحيوان البطر ..

نظر الثعلب إلى الحمار ورأى عظام أضلاعه بادية وقدّر انه بحاجة إلى بضعة أشهر ليكتمل سمنه .. حامت الوحوش حول الحمار فوجدته ميتاً فعافته وانصرفت واستطاع الثعلب أن يبعد الحيوانات الصغيرة وعندما تفرق الجمع بسلام ..

قام الحمار وقد أحس أنه قد تنفس من كبته وأحس أن رئتيه وحنجرته قد استعادت طاقتها . ولم يرَ الوحوش عندما أحاطت به لأنه كان مغمض العينين و رأى في نفسه قدرة على تمثيل دور الميت و صارت عنده قناعة بأن هذه المغامرة ليست بالخطرة وأنه من الممكن أن يكررها إذا وجد في نفسه الرغبة في النهيق .

أما الثعلب فقال له لقد مرت هذه النهقة بسلام ولكني أحذرك من النهيق مرة أخرى لقد عرفت بنفسك أنك لم تنج منها لولا الحيلة التي علمتها لك ..ولكن الخدعة لن تنطلي على الوحوش مرة أخرى ..

بعد بضعة أشهر..

عاود الحمار شعور جارف للنهيق لا يستطيع مقاومته .. وعندما جاء الثعلب قال له إني أحس بالاختناق أريد أن أنهق .. نظر الثعلب إلى الحمار فبدا له سميناً ممتلئ البدن .. فاستجاب للحمار وقدر حاجته الطبيعية للنهيق ولكنه قال له لقد علمتك الحيلة ولكن إذا لم تمر حيلتك على الوحوش فلا تلمني و لكن لُم نفسك .صحيح أن ملامحك قد تغيرت ولن يخطر ببال أي منهم أنك ذلك الحمار إنما أنت حمار آخر ..

أخذ الحمار نفساً عميقاًوأطلقها نهقة منكرة دوّت في أرجاء الغابة فتنبهت لها الوحوش واستنفرت و جاءت من أطراف الغابة بقي الثعلب قريبًا من الحمار وعندما اقترب الأسد يتحسس أنفاس الحمار، نخس الثعلب الحمار تحت بطنه فتحرك حركة لا إرادية .. فأنقض عليه الأسد وأمسك برقبته .. وعندما فتح الحمار عينيه وقد خارت قواه في مقاومة الأسد رأى أمامه الثعلب مزهواً بنجاح خطته .. بعد أن أكلت الوحوش بالترتيب كل حسب مقامه اقترب الثعلب و أخذ ينهش لحم صديقه الحمار ...

124
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

حكيم البادية .. الشاعر علي سعيد السومحي



هذا الشاعر الشعبي الذي بدأ مشواره الشعري منذ نعومة أظفاره، كان يحمل على الأكتاف، فتشـــرئب الأعناق ويلتف حوله الصغير والكبير، وتصمت الألسن، لأنه حكيم عصره، يكاد يكون الشاعر الوحيد الذي كسب القلوب، وله شعبية عريضة، فحـــــاولت نفض التراب عن هذا الكنز المدفون، فشاعرنا من مواليد قرية بريرة بوادي دوعن ١٩٢٨م.

ســـنأخذ لمحات خاطفة ولآلئ مضيئة لهذا الشـــاعر الذي ذهبت معظم أقواله مثلاً، فلشعره عذوبة كالماء السلسبيل، تغوص في أعماق مفرداته فتجد أجمل وأروع الصدف، وأكاد أجزم لمعرفتي بأشعاره أنه نابغة عصره، وداهية دهره، حكمة ودراية، فقد صقلت أقواله بقالب ذهبي ليس له مثيل، لسهولة معانيه، واختيار مفرداته.

نبحر الآن في أعماق شعره ليكون القارئ الحكم والفيصل فيما ذهبت إليه.

لشعره عذوبة كالماء السلسبيل، تغوص في أعماق مفرداته فتجد أجمل وأروع الصدف



سالم محمد بجود باراس

المعلوم والمجهول:

والطير ذي يشرب على غلفول
يعرف طيور الأرض في الخليان
وان كان شئ تركي من أسطنبول
باينكروه العول والغربان

هنا يعطي الشاعر درساً من الواقع فيقول أهل الأرض تعرف أهلها وحلانها، وأي شخص غريب لابد أن ينكره الصغير قبل الكبير.

(غلغول) اسم لموقع ماء.

(الخليان) المساحات الواسعة خارج المنازل ما تسمى الفضاء.

(العول) اسم لطائر يشبه الحمام.

ولازال الغريب غريب:

والذي قال هذا خوي لحمي ودمي
خوك من بو وأم أو خوك لا في الرضاعة
خوي لا ذي سبح نا واياه في بطن أمي
شارك الروح أغلى من شريك البضاعة
إن كلت قوت كل وان ما كلت قال سمي
ذي يحس ما تحسه في الشبع والمجاعة
وإن نصح صدق با نصح له بقلبي وفمي
يخرج القوت من فمي وكبدي جواعة.

عمق وتحليل رائع لهذا الغريب والحليم تكفيه الإشارة ،ورد مفحم لكل من دافع عن هذا الغريب تحت أي مسمى كان .

(سمي) بضم السين وتشديد الميم هو السم الناجع.

ومازال شاعرنا يحلق في سماء المعرفة وينثر الحكمة ويوزعها لذوي العقول السليمة، ويشرح لهم مقصوده، وهدفه شرحاً مفصلاً بأجمل الأشعار وينتقي حروفها مثل لوحة جميلة تسلب العقل والإحساس لروعتها الخلابة.

طبائع البشر:

ما با يلتحق زين في عود القرض
لا ما لقى دخان با يلقي شرار
ولا في الغربان با تحصل بيض
حرام يحرم لو تدور له دوار



قرية بريرة بوادي دوعن

هنا يعطي الشاعر لكل لبيب وعاقل حكمة فيقول له: طبائع الناس تختلف فمنهم (الزين) الذي تركن إليه وتعتمد عليه لسجاياه ومعدنه الأصيل.

(ما با يلتحق) لن تجد لو بحثت وتقصيت.

(لا ما لقى) غالباً ما تأتي لا بمعنى لو أو إلى وتأتي نافية وناهية حسب موقعها من الشعر الشعبي وهنا بمعنى لو ما أحدث دخان.

(باتحصل) بتشديد الصاد مع الفتح بمعنى ستجد (بيض) لونه شديد البياض.

(حرام) تعني هنا مستحيل. (يحرم) بضم الياء يعني مستحيل المستحيل إن تجد غراب أبيض.

(لو تدور له دوار) تدور بتشديد الواو مع الفتح أي لو تبحث عنه في مشارق الأرض ومغاربها.

وكذلك هناك فرق شاسع وبون كبير بين الشخص الصالح والطالح .

سوء الظن:

قبلكم ناس تهموني وبطني خلية
كن مول العسل تظهر بشدقه علامة
من تهمني وعاتبني وبطني خلية
حسبه الله في الدنيا ويوم القيامة .

يا لك من حكيم تزلزل بكلماتك القلوب وتزيل الأدران وتزيح الشكوك وسوء الظن وتكشف القناع ،وتناقش التهمة بعقلانية وحكمة فتقول : لماذا التهمة ؟!!" والحال كما هو لم يتغير ويتبدل الواقع ، فمازلت ذلك الرجل الفقير ،المتواضع ،الذي يكسب قوته بعرق جبينه ، فلم أسرق ولم أعتلي المناصب ولم أمتدح بشعري من لم يستحق لكي أحضى بماله وهلم جراً .

(كن) بفتح الكاف بمعنى لكن.

(مول العسل) صاحب العسل.

(بشدقه) الشدق بمعنى الشفاه.

(العلامة) أثار العسل على شفتيه .

الحجة بالحجة والبينة ظاهرة فمن أكل مثلاً عسلاً، فلابد أن ترى علامات العسل بشفتيه ظاهرة للعيان، وكذلك ستجدون آثار النعمة ظاهرة للجميع من بناء القصور، وملابس فخمة، وسيارة فارهة، ولكن التهمة داحضة وباطلة والحساب يوم القيامة لو أصريتم على إلصاق التهمة بي بدون دليل أو برهان.

هنا الشاعر يضرب هذا المثل لكل شيء في الحياة فلابد من الدليل والبرهان لكل تهمة أياً كانت، فلم تعد للشكوك والظنون محلاً للقبول والتسليم بها، بل لابد من التحقيق والتمحيص والتيقن، وذلك عند الحاجة فقط، وليس تتبع عورات الناس والبحث والتنقيب عن عيوبهم، فهذا في العرف والشرع باطل وحرام ولا يجوز بأي حال من الأحوال.

(الحطاب) بتشديد الطاء الذي يجلب الحطب.

(المفلق) بفتح الميم والفاء وتشديد اللام مع الكسر هو الشخص الذي يقطع الخشب قطع صغيرة بفأسه.

(عائن) انظر ودقق في أفعالك وطبائعك.

(ذي يحنقك) بتشديد النون الحنق هو الغضب من فعل ما. (لا جبته لغيرك يحنق) لا جبته بمعنى إذا صدر عنك هذا الكلام الفاحش أو المسيء وغير اللائق. (يحنق) بتشديد النون مع الفتح هو الزعل وشدة الغضب.

(بلا عمدة) بضم العين أي بدون قصد .


الكاتب مع الشاعر (حكيم البادية)

حكم وأمثال:

يا لبنادم على دنياك غرب وشرق
حيث لا حيث ما ينفعك عمك وخالك
لا تلوم على الحطاب وعلى المفلق
قبل تنظر فعال الناس عائن فعالك
ذي يحنقك لا جبته لغيرك يحنق
والحنق ذي بلا عمدة يشابه ظلالك
والمغرب يغرب والمشرق يشرق
خف واستخف والعافية رأس مالك .

(يا لبنآدم على دنياك) أي يا بني آدم أسعَ لرزقك واجتهد.

(غرب وشرق) بتشديد الراء في كلتا الكلمتين، هنا كناية عن التحرك في كل الجهات لكسب لقمة العيش.

(حيث لا حيث) أي في كل مكان ليس هناك سقف محدود أو جهة معروفة.

(لا تلوم) بتشديد الواو مع الفتح، أي لا تعاتب

(المغرب يغرب والمشرق يشرق) كل هذه الكلمات بتشديد الراء مع الفتح.

وقد ذهب البيت الأخير من القصيدة مثلاً بين الناس (خف واستخف والعافية رأس مالك) أي لا تركن للدنيا أكثر من اللازم وتجعلها همك وشغلك بل توسط في الأم، فالصحة تكمن فيمن عزفت نفسه عن الدنيا وزينتها وتعد الصحة رأس مال وليس الدراهم الزائلة.

هكذا يعلمنا الشاعر دروس وحكم متنوعة في الحياة ، وكل يوم يتحفنا بشيء جديد وحكمة لم نكن نعلمها فيصبها في قالب ذهبي، ويضعنا أمام الواقع لكي نستفيد وننهل من خبراته وتجاربه، فهو الشيخ الحكيم والأب الرحيم، فهو كالبحر الذي يرمي إلينا جواهره وخيراته .

126
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

المكلا و (صمت الأشرعة)

قراءة المدينة برؤية سردية



إن المكان والزمان لهما جناحا السرد المحلقان بـه في فضاءات الخيال المتدثر بهما الفعل الحكائي للسارد . ويحمل المكان بكل ما حواه من تفاصيل دقيقة لمكنون ما بـه من وجودية الإنسـان وتفاصيل محتوياته تبـعات البـناء السردي عند الكاتب/ الراوي ويكون مرتكزاً من مرتكزاته التي لا تنفصل عنه طوال هذه الرحلة في الرواية أو القصة .

ولعل إبـراز الكاتب/ الراوي لثنائية العلاقـة الحميمية بـين المكان والإنسـان تبدو من الوهلة الأولى في سرد تفاصيلها الدقيقـة لها معانٍ جد مهمة في العمل السردي العام من خلال رصده للحياة وتطوراتها وبيئاتها على شـكل أو نحـو يجعل من فعل الخطاب شاهداً على تمثلات المشهد مكانياً .

من هنا تأتي رواية (صمت الأشرعة) للكاتب خالد سـعيد لحمدي وهي توثق قـرائياً الحالة المكانية بـكل علائقـها بـين الإنسـان (أيمن/ بـطل الرواية) والمكان (مدينة المكلا) . ولعل العلامة الواصلة بـين (صمت الأشرعة) والمدينة بـكل أبعادها المكانية في جود (البحر) لما تشير إليه (الأشرعة).



أكرم أحمد باشكيل

البحر وموج العواطف الهادر

"في أحزان سفينة صدئة"

يتلقـفك البحـر منذ الوهلة الأولى وأنت على أعتاب الفصل الأول من هذه الرواية (صمت الأشرعة) بكل مايحمله البحـر من صخب وهدير وأضـواء المدينـة العاكـس لها وينقلك الكاتب/ الراوي بـلغة ضميره المخاطب الى حـالة التوحـد اللامتناهي بين المحبوبة (شـريفة) والمكان / البحـر حيث يصرح بـذلك علناً حـين بـدأ الرواية بقوله:

" أنا والبحـر وشـريفة والسـفن والميناء المنسكبـــــة أضواؤها على الأمواج المتكســرة في رؤوس الصخور اللامعة بدهشـة وبـهاء . هديرها يتعالى حـدة وثمة موجة صغيرة تلقـي بطرطشـاتها ورذاذها على وجهينا بـنعومة ورقـة .. الزرقة والموج ووجه شـريفة وأنفاسـهما الدافئة يحتلان المكان ويحلقـان في ليل من الشوق والألق." ١- ٩.

وفي غمرة النشوة من الغبطة والسـرور مكانياً نراه يعود بـنا للتأكيد على ذلك بقوله :

" أنا هنا وشـريفة روحـان يسـافران في بحـر من الحـلم والمتعة وحـولنا بـعض العائلات المنتشرة على الكبس " ٢ - ٩.

ويقـصد هنا بـ(الكبـس) كما عرفه بـكورنيش المكلا وهو هنا نراه يتحـدث عنه بكل أريحية امتدادا لنشوته بالحبيبة والمكان معاً قائلاً :

" أتعلمين يا شـريفة ..؟ أن هذا المكان يثير فيّ كثيراً من المتعة والأحاسـيس الرائعة، مـن هنـا أرى ضياء ونـور المكـلا وسواحـــلها الدافئة، وأراك امرأة مثل مركب لم يمسسه البحـر ولم يلتصق بـه الصدى، ولم تمسس أخشابـه الرطوبـة والملوحة " ٣ - ١١.

الحديث عن البحر في ظلال هذه الغيمة من العواطف الجياشـة المتدفقـة مع تدفق وتدافع أمواج البحـر المظللة له مع محبوبـته شـريفة تجعلها تتداعى له مع تداعي المناظر الجميلة بامتدادات البحـر اللامتناهية بـكل مناظره الخلابـة يقـلب معها صفحـات التاريخ وأحـداثه وما علق بالذاكرة منها فمنظر (السـفينة الصدئة) يثير القـلق عند حبيبـته (شـريفة) فتعلله

بقولها :

" نعم في ذلك اليوم النحس حين ارتطمت هذه السفينة البحرية وتحطمت كل أجزائها، كانت المكلا واقفة على الساحل تشهد تناثر أجزاء السفينة وحطامها وحين عدت إلى المنزل رأيت أبي وأخي أسعد يبكون بكاءً شديداً، عرفت حينها أن روح أمي قد انتقلت الى بارئها ." ٤ - ١٢.

بدأت شريفة في شرح تداعيات حزنها بفراقها لأمها وأسباب موتها ومرض أبيها ومشاعرها منهما ومن هذه السفينة المحطمة الغارقة في البحر ..

يعتذر أيمن لحبيبته شريفة لما سببه لها من تذكار لأيامها الحزينة قائلاً :

" أعذريني لقد جئت بك إلى مكان أشعل آلامك وجروحك الغائرة .

- أريد أن أنسى ولكن تلك السفينة فتحت مدافن الحزن في داخلي .

- ولكن اعلمي بأننا محظوظون بأن لنا بحراً سينسينا عذاباتنا وكآباتنا وآلامنا الموجعة .. بزرقته وأمواجه وشواطئه الممتدة إلى ما لانهاية .

- أيوه أيمن نعشق بحر المكلا كثيراً .

- إنه يشعرني بالأمان وينسيني اغترابي وخيبتي أشعر بالطمأنينة والدفء حينما أقف أمامه لذلك لا أخفي ولعي وتوقي له ، أرى فيه اللواذ من خوفي وهزائمي ، أنسى خلاله انكساراتي وخوفي ووادي القلق الذي يلاحق ذاكرتي وقد سافرت عنه وتركته يحترق بين أيد أكثر زيفاً ومراوغة .اعلمي يا شروف إن للمدن روائح تلتصق بنا حين نغادرها الى أمكنة أخرى نحملها معنا في ملابسنا ، في رائحة سجائرنا وفي كل مكان تطأ أقدامنا.

لذلك آتي دائماً إلى هنا لأطوح بكل ما ألتصق بي داخل عمق البحر دون أن يراني أحد ، وأغتسل بمياهه فأعود طاهراً نقياً من كل ما علق... كل الذين هم الآن جالسون على البحر ينفضون غبارهم ومتاعبهم وهو رؤوف وكتوم ، يخفي بداخله أسرارهم وهمومهم الكثيرة ." ٥ - ١٤ .

وفي غمرة هذه التصورات والرؤى المكانية عن البحر التي تقذفها حمم وجداناته نراه يقول عن المدن :

" والمدن كالنساء فثمة نساء تعشقها العين والقلب من اللقاء الأول وتمر بخيالك كطيف عابر، ونساء أخريات


مؤلف الرواية

تعشقهن طوال العمر وتتمنى ألا يغبن عن عينيك أبداً " ٦ - ١٤ .

المكلا و(جراحات باردة):

تشغل الأمكنة في الفصل الثالث(جراحات باردة) من الرواية حيزاً كبيراً في وجدان وعقل الكاتب/ الراوي حيث يصرح بذلك علناً بقوله:

" يحدث أحياناً أن نرغب في الاختلاء بأنفسنا في أمكنة نحبها ونموت فيها في عشق جدرانها وأتربتها وإن غبنا عنها يوماً فتبقى لها في دواخلنا لا تمحى أو تطمس آثارها ومعالمها .." ٦-

كيف إذا كانت الأمكنة هذه بمثل مقام (المكلا) الأثير لديه لاشك أن الحديث عند الكاتب/ الراوي بطعم ونكهة مميزة في مساءاتها الجميلة التي يكون للبحر معها مذاق خاص يصل إلى حد الروعة كما هي في قوله :

" روعة المكلا وأجوائها الدافئة لم تمنحني هذا المساء فرصة الذهاب الى فراشي رغم حاجتي الشديدة لأخذ قسط من الراحة بعد يوم مدهش برفقة شريفة على الكبس الممتد على ساحل المكلا بروعة ودهشة.. في حين بدت بعض البيوت شبه نائمة وانطفأت الأضواء بداخلها ولم يبق سوى إضاءة الكاشفات الكهربائية المتراصة على شوارع ومداخل البيوت الرئيسية وبعض الأزقة الفرعية داخل المدينة ، كل شي هادئ وقد بدا الجبل المطل على المنازل كوحش تخاله يلتهمها في المساء ويقذفها عند الصباح فتعود الى صحوها ويقضتها من جديد ." ٧ - ٢٣.

إذا كانت الأمكنة هذه بمثل مقام (المكلا) الأثير لديه لاشك أن الحديث عند الكاتب/ الراوي بطعم ونكهة مميزة في مساءاتها الجميلة التي يكون للبحر معها مذاق خاص يصل إلى حد الروعة .

المكلا .. حالها حال كثير من المدن يراها الكاتب/ الراوي في رصد تطورها حين يقول :

" هكذا هي المدن تزحف نحو التطور والتمدن وإن بدت علامات تغير في تشكيل بنائها وصناعة نوافذها وأبوابها التي توحي وكأنها أتت من بيئة أخرى وتراث قادم من أرض ووطن بعيد ."٨ – ٢٤ .

لعل الكاتب/ الراوي هنا أراد أن يسجل انتقاده لملامح التطور الذي رافق عمران المدينة/ المكلا وهو ما يبعدها عن الحفاظ على نمط بنائها المعماري القديم العاكس لتراثها المعماري الأصيل وهويتها وهو يؤكد ذلك عندما يقارن البناء الجديد ببيت حبيبته شريفة

بقوله :

" بيت شريفة مازال محتفظاً بأثر تلك الأيدي التي شكلته من الجير والكلس الأبيض ونوافذ صنعت من الخشب الأحمر وماتزال تحتفظ بروعتها وجمالها الآسر .ذلك شدني الى غرفتي الواقعة في حي السلام بالقرب من منزل شريفة شابها من أخطاء في التخطيط والبناء بعشوائية تصل حداً ليس في شكل ومظهر البناء ولكن في قضم مساحات المدينة/ المكلا ومصالحها العامة مما ولد عند الكاتب/ الراوي نظرة سوداوية بمآلات الحال وما يعيشه اللحظة هذه بقوله :

" ... زمن مهترئ يمر مسرعاً وأرض يغيب فيها الجميع في متاهات ومفازات تستدرج نحو هوة لا يشعر بها ولا يدرك مضايقها المريرة ...فنمر مسرعين بحثاً عن قبس يرشدنا إلى نهاية تلك المضايق ليخرجنا إلى النور دون إصابات وخسائر، وحين نصل تلوح لنا من بعيد بصيغته الاستنكارية ترصده الذاكرة ولا يمر عليها مرور الكرام وتأكيداً عليه نراه يقول:

" هذه الأرض ذاكرتها حادة جداً فمن المستحيل أن تنسى روحاً مرت على ترابها دون أن تحتفظ به وبذكرياته المندثرة فيها..." ١٢ – ٢٥ .

" هذه الأرض ذاكرتها حادة جداً فمن المستحيل أن تنسى روحاً مرت على ترابها دون أن تحتفظ به وبذكرياته المندثرة فيها .

ولا يفصل بيننا سوى مقهى عوض صالح الذي اقتعد فيه كثيراً ويأخذني الوقت وأنا ألوك الأخبار بصحبة أصدقائي الباحثين عن النسيان والمتاهات البعيدة، هذا الحي المنفتح عن الدنيا والزاحف نحو الحداثة بسرعة ودهاء."٩ – ٢٤ .

إن الكاتب/ الراوي هنا يسجل شهادته على حال المدينة/ المكلا في لحظة الكتابة ولم يتوقف عند رصد حالة الحي وهو جزء من المدينة فقط ولكن تجاوزه الى حال ساكنيه(الباحثين عن النسيان والمتاهات البعيدة) وهو بذات القدر يرصد حالة المهاجرين إليها وتأثيرات وجودهم بها وهي جد مهمة وتعطي بعداً آخر أكثر لتغيرات المدينة/ المكلا فضلاً عن حياة حيه الذي يسكن فيه فنراه يرصد بعين فاحصة راوياً عن شريفة / حبيبته وهي من سكان الحي الأصليين قائلاً :

" قالت لي شريفة ذات يوم ...

لقد أتى كثير من البشر وسكنوا بيتنا واحتلوا الأماكن والأبنية وتعمقوا في الجبل ولم يتركوا لنا شيئاً من الأرض كي نبني عليها منازل جديدة ، وقد نراهم يوماً ينشئون منازل وأبنية حديثة داخل المقابر فلا نجد حينها مساحة ضيقة ندفن فيها أمواتنا الراحلين ."١٠ – ٢٤ .

العلامة الفارقة في هذا الرصد هي مستوى التغير في طبيعة المدينة وما هذا النقد اللاذع البالغ حدته لجلد الذات مداه في عدم التضحية و(تشبث مستميت بالحياة) في وضع (مزري وزمن مهترئ) يرسم به معالم صورة قاتمة لكن مع كل ذلك ثمة صورة مغايرة لهذا الواقع يرسمها لحيه الساكن فيه بقوله:

" حياة آسرة ورجال لايعرفون سوى

وتطل علينا بعض منازل حي السلام ،فتنعكس أضواؤها على وجوه المارة والذين يقتعدون المقهى وبعض الامكنة الأخرى ،تكسب المكان والوجوه بياضاً ونوراً يشع ولا ينطفئ.

بعد أن تنسحب من أمامنا لتتركنا نصارع أقدارنا بعبث وسذاجة وتشبث مستميت بالحياة.."١١ – ٢٥ .

والسؤال الذي يطرحه القارئ هنا ما هو (الزمن المهترئ) الذي قصده الكاتب/ الراوي هنا ؟ وهو بلا شك متعلق ومتصل بزمن الرواية عموماً.. وهو ما أشار إليه الكاتب/ الراوي إشارة عابرة في. نقاشات(العم عوض) حين يقول :

" العم عوض يتذكر دائماً ويتحدث فيما قبل عام ١٩٩٠ م ويقول..

- كنا أسعد الخلق ولا نحتاج شيئاً"١٢ - ٣٣.

كل ذلك وما يحدث للمدينة/ المكلا الدعابة والفكاهة ...لاينم ولايغتب أحد أحداً...نحاكي الواقع ومتاعبه.. نحكي همومنا اليومية بصدق وتواضع وارتقاء...لقد غرس في قلوب هؤلاء جيل أتى قبلهم فنون الحديث والصدق والحب والوفاء.. مقهى عوض صالح يجمعنا عند المساء..وتطل علينا بعض منازل حي السلام ،فتنعكس أضواؤها على وجوه المارة والذين يقتعدون المقهى وبعض الأمكنة الأخرى ،تكسب المكان والوجوه بياضاً ونوراً يشع ولا ينطفئ"١٤ – ٣٣ .

129
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

الحضارمة والانتماء المتغير في الهوية في رواية سالمين



مشكلة العبودية في عقلية أغلب الحضارمة ارتبطت باللون الأسود

مشكلة اللون الذي حمله سالمين مشكلة حاضرة بقوة في الرواية

كانت مشكلة الانتماء مشكلة مؤرقة وعصية لسالمين



د.عبده عبدالله بن بدر

نشرت دار (فضاءات للنشر والتوزيع) في عمان، الأردن رواية (سالمين) للكاتب والروائي عمار باطويل، وجاءت الرواية في (١١٣) صفحة من القطع المتوسط، وتتناول هذه الرواية قضية الانتماءات، وهي قضية مركبة ومعقدة فهي لا تمضي بطريقة رياضية واضحة مثلما يمضي الخط المستقيم الذي يختصر المسافة بين نقطتين، فالإنسان يحمل ذاكرة تشكلها حركة التاريخ المحمل بالمآسي والمهازل العجيبة وهو لا يكون في الخط المستقيم الذي يتحرك غير مبال بقضية الانتماءات المذهبية والمكانية، فالمرء يولد وهو يحمل عناصر من الانتماءات الطبيعية التي لا دخل له فيها، مثل الانتماء العرقي والاثني المعروف باللون الاسود ولا يعني اللون الأسود الرفع من قيمة الهوية أو الحط من شأنها بطريقة مطلقة، إذ إن بعض الأفارقة السود في القارة السوداء يستعبدون جماعة تشترك معهم في اللون الأسود، بل بالمكانة الاجتماعية والقبلية لهذه الجماعة وحيازتها للنفوذ والقوة فمن يملك القوة هو الذي يمارس العبودية فالمسألة هنا نسبية، ولكن مشكلة العبودية في عقلية أغلب الحضارمة ارتبطت باللون الأسود ومشكلة اللون الذي حمله سالمين مشكلة حاضرة بقوة في الرواية إذ إن هوية سالمين اختزلت في اللون الأسود، إذ تحول اللون إلى عقدة تمكنت منه، ولم يستطع أن يتحرر منها حتى بعد أن نال حريته، إذ إن احساسه الدائم بهويته المنقوصة ظل يطارده إلى درجة فقد معها التوازن وهيمن عليه الشعور بالضياع، ولم يحل الثراء الفاحش مشكلة غموض الانتماء عنده، إذ إن هويته ظلت ممزقة ومضطربة، وإذا كانت مشكلة الانتماء مشكلة مؤرقة وعصية لسالمين فإن الحضارمة الذين هاجروا إلى السعودية تعاملوا مع هذه المشكلة دون عقد، إذ إن البعض منهم لم يجد حرجاً في استبدال اسم عائلته باسم آخر يحسب على العائلات المكاوية في جدة، ويبدو أن الحاجة إلى الاندماج السريع في المجتمع المحلي هي من دفع بعض الحضارمة إلى أن يسلكوا هذا المسلك الذي لا يرضى من يولون أهمية قصوى لبقاء الأسماء، ومعنى ذلك أن عناصر الانتماءات المكونة للهوية ليست ثابتة بل متغيرة، إذ إن حركة التاريخ تجعل جماعة معينة من هوية أو أخرى تعيد النظر في ترتيب أولوية الانتماءات، فتقدم انتماء على آخر وتستبدل انتماء بآخر بحسب التأثيرات الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية، فالحضارمة أنفسهم وبخاصة الرعيل الأول منهم، والذين هاجروا إلى السعودية والمؤهلين للخدمة في البيوت بحكم سنهم عملوا صبياناً عند الأسر الميسورة الحال، ولم يسلم أبناء القبائل من العمل في البيوت وانطبقت عليهم صفة الصبيان، وهذه المهنة تُعدُّ مهنة حقيرة في المجتمع المحلي الحضرمي، وينظر إلى من يعمل فيها بكثير من الدونية والاحتقار، لقد فرضت الحاجة إلى أن يمر أبناء القبائل بمهنة الصبي قبل أن يفتح الله عليهم بوفرة الرزق ورغد العيش، والحضارمة أنفسهم حينما وجدوا مصلحتهم تقتضي حمل الجواز الشمالي المحسوب على الجمهورية العربية اليمنية فحملوه إذ إن الحامل للجواز الشمالي في السعودية له مزايا مفضلة على حامل جواز جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وهذا التفضيل اعتمد على اعتبارات سياسية وايديولوجية، وسقط هذا التفضيل بعد قيام الجمهورية اليمنية لأن أسباب التفضيل زالت.

إن الرواية قد تضمنت تقويمات للنظام المحسوب على الجنوب، ومن ضمن هذه التقويمات أنه نظام شيوعي ملحد ارتكب خطيئة التأميم وأخذ أراضي ومساكن الناس وضيّع أموالهم، والناس قد ينسون من جهة قتل أقاربهم، ولكنهم لا ينسون من أخذ أموالهم عنوة وقوة، إن البشر والحضارمة من ضمنهم حاولوا أن يتكيفوا مع اللحظة التاريخية الحرجة سياسياً حتى يعيشوا وتمضي بهم الحياة بسلام.

إن قضية الهوية وعناصرها المكونة من مجموعة انتماءات تكثف كل تعقيدها في شخصية سالمين الذي حمل عنوان الرواية

اسمه، وأمدته الرواية بحق التقويم وإصدار الأحكام على الآخرين فهو ينكر على الحضارمة تنكرهم لأصلهم الحضرمي ويسخر منهم على الرغم من أنه استُعبِدَ من الحضارمة، واللافت أن القارئ لايرى أي ردة فعل تجعله ينادي بالسحق للحضارمة، بل يستغرب القارىء تمجيده للحضارمة، وكيف أنهم مثلوا مدرسة في الصبر والعمل الدؤوب والنجاح الباهر، ولكن هذه المدرسة تناستها الأجيال اللاحقة، والمفارقة أن سالمين الذي يحمل لعنة اللون لا يعرف مكان ميلاده، ويجهل أصله الأسري، فهو لا يعرف اسم أبيه وأمه، وهذه الحقيقة ظلت تؤرق سالمين، ومعنى هذا أن سالمين العبد ليست له هوية معروفة، ولكن هويته صنعت له، وربما أعطي اسماً ليس اسمه ونسباً ليس نسبه ووطناً ليس وطنه واثنية ليست اثنيته ودينا ليس دينه فهو لا يعرف له أصلاً فهويته تغيرت تماماً.

إن سالمين ألبس عباءة الحضرمة وباسم الحضرمة، مارس انتقامه الشخصي على الحضارمة، إذ حاول أن يتتبع عيوبهم ويتلقط سقطاتهم، فزوجة سيده (حمد) سوسن يكشف خيانتها لـ(حمد) بعد وفاته، إذ سرعان ما أصبح لها عشيقاً ولم تصبر على حياة الترمل، وحسن ابن (حمد) قدم عنه صورة في غاية السوء فهو متغطرس ولم يتنكر لحضرميته حسب بل يكره كل من يذكره بحضرموت ويتندر على كل من يذكر حضرموت ويحاول بقدر ما يستطيع أن يقطع صلته بالحضارمة، ويُعلي من شأن أصله الجديد، وكل ما يصدر عن حسن يعد قبيحاً.

وبعد فإن القراءة لن تكتفي بهذا التقديم لقضية تغير الانتماء للحضارمة بل ستذهب إلى تدعيم ما تزعمه بشواهد من داخل الرواية، وستبدأ القراءة بالشواهد على تغير النسب الحضرمي واستبداله بالنسب المكاوي.

١- التغيير في انتماء النسب:

على الرغم من حساسية النسب والحرص الشديد على التمسك والتفاخر به إلا أن الهجرة إلى أرض الآخر، فضلاً عن حاجة الحضارمة للاندماج بسلاسة في الوطن المهاجر إليه دفع بعض الأسر الحضرمية إلى أن تترك انتماء نسبها الأصلي وتحمل اسماً جديداً يتيح لها الحركة وتسهيل أمورها حتى تضمن لنفسها الحصول على الجنسية وهذا ما حصل لبعض الحضارمة في جدة إذ يصرح حمد بحسب المعلومة التي تلقفها من ابن خاله (سعيد) الذي يعمل صبياً عند أسرة مكاوية أن ((البعض من الحضارم من لقّب نفسه باللقب الأخير من الأسر المكاوية للحصول على الجنسية السعودية))ص٥٨.

إن الراوي حمد بعد أن عاش طويلاً في جدة واختبر الحياة فيها، تيقن من بعض الحقائق التي تشاع عن الحضارمة بشأن التخلي عن أسماء أسرهم الحضرمية وحملت أسماء أسر مكاوية، إذ تبددت الحيرة من قلبه فيقول ((كنت أستغرب من هؤلاء الذين حولوا أسماء عوائلهم الحضرمية إلى أسماء مكاوية، وكل هذا من أجل الجنسية، فكنت أشك في هذه الحكاية التي قالها لي قريبي سعيد، ولكن بعد مرور سنوات طويلة في جدة تزوجت من



مؤلف الرواية

فتاة حضرمية تحمل اسم عائلة مكاوية)) ص٥٩ واتضحت عند حمد حقيقة الأسر الحضرمية التي حملت اسم عائلات مكاوية بوساطة العلاقات الغرامية التي ربطت سوسن بحمد نفسه إذ قالت محبوبته سوسن ((تحبني يا حمد؟ قلت أنا أحبك وأحب كل من يحبك، قالت: اطلب يدي من أهلي ولا عليك وأنت حضرمي مثلنا وحيوافقون أهلي)) ص٥٩.

إن سوسن التي شاءت الأقدار أن يتزوجها (حمد) فيما بعد هي من ضمن الأسر التي حملت اسم عائلة مكاوية، حتى تتدبر أمورها بيسر في المجتمع المهاجر إليه فضلاً على حصولها على الجنسية وما يترتب عليها من منافع اجتماعية واقتصادية وهذه العوامل تقلل من الاحساس بالغربة مع المكاويين ويبدو أن هناك نفسية تتكون لدى المهاجرين في الوطن الغريب تجعلهم يتشبهون بالسكان المحليين في طريقة الكلام وفي الزي وأخذ عاداتهم في الأكل واللبس ومراسيم الزواج، كل هذا بغرض الاندغام في المجتمع المحلي، وحتى لا ينظر إليهم السكان المحليون بأنهم مختلفين عنهم، ولذا نرى حمد وهو من الشخصيات الرئيسة في الرواية يصف حالة ابن خاله سعيد وطريقة كلامه التي يحاول فيها تقليد الكلام المكاوي إذ ((كان يقلد أهل مكة أثناء حديثه، أشاهده يمط مشافره ويعوج فمه، يحاول تقليد كلامهم وكنت أنظر إليه باستغراب وأضحك))ص٥٧. ومثلت شخصية حسن النموذج الصارخ إذ سعت الى أن تتجاوز حد التنكر لأصلها الحضرمي، وتذهب إلى مقت كل ماله صلة بحضرموت وفي الصفحات الآتية سنتناول هذه الشخصية.

٢- الإصرار على التنكر للأصل الحضرمي

مثلت شخصية حسن النموذج الصارخ المتنكر لأصله الحضرمي، فهي تعلن أن لامكان لحضرموت في خارطة العالم، إذ صرخت في وجة سالمين بهذه الحقيقة واختارت اللهجة العامية وقالت ((أين هي حضرموت، خلوني أشوفها على خريطة العالم))ص٩٣، يعلق الراوي سالمين على هذا التنكر الجارح للحضارمة وحضرموت على النحو الآتي: فماذا يعني كلام الشيخ حسن ((خلوني أشوف حضرموت على الخريطة)) ص٩٣ كلمات تنم عن الاستهتار والكبرياء والغرور وهو لا يعرف أو يتجاهل جهود جده ونضاله في جاوه، وكذلك والده عندما كان جمالاً بالإبل في حضرموت ....الشيخ حسن بدأ يعادي كل من له صلة بحضرموت، وخاصة بني جلدته الحضارم ويكن لهم كل السوء، ولا يرغب في مشاهدتهم في مجلسه))ص٩٤.

إن شخصية حسن الحاملة للجنسية الجديدة تحسب على الجيل الثالث فهو لم يعرف حضرموت، إذ إن كل حياته أمضاها في جدة، ويصر أن ينقي نفسه من الماضي البعيد والقريب الذي يربطه بحضرموت.

إن هذه الشخصية التي تعيش حياتها بالطول والعرض مهووسة ومولعة بالشهرة وحب الظهور، فهي تحب أن تكون دائماً في دائرة الضوء، وتدفع بسخاء لكل من يُسهم في اشباع رغبتها الدائمة في الظهور.

إن حياة حسن الجديدة لها بريقها ولمعانها وربما كانت الأجواء التي لا تخلو من المظهرية والتطلع إلى مزيد من الوجاهة والمكانة الاجتماعية هي التي أسهمت في خلق شخصية مثل حسن، فضلاً عن المال الفائض عن الحاجة الذي لم يتعب حسن في جمعه جعله يصرفه في مثل هذه المظهرية الزائفة.

إن القارئ يشعر وهو يتابع الراوي سالمين بأن سالمين يروي بتحيز عن حسن وبسخرية

منقطعة النظير ثم إن العلاقة بينهما مشحونة بالتوتر والكره الشديد فحسن وأمه سوسن يمثلان ذاكرة عارفة بحياة سالمين في أدق تفاصيلها، فسالمين كان عبداً من عبيدهم وهذا يستثير الذكريات الأليمة عن عبوديته في دوعن، ثم إن حسن يُذكر سالمين بهذه العبودية بل وصل به الأمر إلى أن ينتهك شرف سالمين بعضو اللسان لا بعضو الجنس إذ ناداه بالآتي ((يا واد يا واد يا سالمين يا مخنث))ص٩٦ ويبدو أن سالمين الذي يروي عن حسن انتقم منه بطريقته الخاصة، فهو يعرف أن حسن شخصية تعج بالعيوب وشهرتها زائفة مدفوعة الثمن ولم تصنع بالجهد والعرق حتى أم حسن هي الأخرى شملها العيب والعار إذ اشترت بمالها عشيقا يشبع رغبتها الجنسية.

إن حسن الذي يقذف سالمين بالقول الفاحش، لايدري أن أمه ترتكب الفاحشة الحقيقة وهو شخص في غاية السوء في الرواية ويصل القارئ الى أن هذه الشخصية في نظر الراوي شخصية هشة مزيفة وعليه فإن كل ما يصدر عنها من قول لا يعتد به.

إن الراوي سالمين يكره حسن إذ يقول ((لم تعجبني تصرفات الشيخ حسن وكنت أحمل له الكرة حيثما ذهبت فلم يصادف عمل خير فعله هذا الرجل، وزاد من كرهي له عندما نهرني ذات يوم))ص٩٤ وفي أثناء الحوار الذي جرى بين سالمين وزميله في العبودية مبروك، تتكشف شخصية حسن المليئة بالدعاوى الزائفة والفضائح.

- مبروك: يقولون يا سالمين إن الشيخ حسن شاعر كبير ويغني له الفنانون الكبار.

- سالمين: هذا شاعر الغفلة ولولا الفلوس التي ورثها من سيدي حمد لم يكن شاعراً ولانصف شاعر، فقط يلعب بالفلوس (يجيب) له شعراء يشعرون له وهو بدوره يكتبها باسمه وتأتي القصيدة جاهزة وملحنة باسمه)) ص٩٤.

واللافت أن شخصية حسن لم تمكنها الرواية من التعبير عن نفسها بصوتها الخاص، بل تركت للآخر أن يعبر عنها وبخاصة سالمين فضلاً عن الراوي الذي يتدخل في حياة حسن ويعمق منطقة السوء في حياته إذ اتى الحديث السيء على لسان الراوي على النحو الآتي ((كان الشيخ حسن يتظاهر بالطيبة أمام الآخرين، ولكن أفعاله وخاصة المقربين منه يعرفون أنها لا تسر، فكان يتظاهر بالثقافة واهتمامه بالشعر، ولكن من يعرفه جيداً سيعرف بأنه لاينتمي إلى الثقافة بصلة، فقط يريد أن يشتري الناس بفلوسه، يتحكم في أحاسيسهم، يجعلهم يتنازلون عن قصائدهم وأفكارهم مقابل حفنة من الريالات))ص٩٥.

إن حياة حسن حياة زائفة لاشيء فيها يمت بصلة وآخرمافكرت فيه هذه الشخصية حتى ترفع درجة رصيدها في بنك الزيف هو أن تضيف إلى صفاتها الكاذبة التي تضمنت صفة المشيخة والشاعرية صفة الكاتب الصحفي، إذ يقول عوض عن حسن موجهاً

إن الراوي الذي لا يحمل اسماً في الرواية يقرر حقائق بيولوجية على مستوى الطباع، تنتقل من الأم السيئة إلى الابن الذي ينقل إليه السوء، وكأن هذه الحقائق مقدرة لا مفر من حدوثها، والحقيقة أن إرادة الراوي هي التي قدرتها

حديثه إلى سالمين ((اسكت ياسالمين، الشيخ حسن يفكر أن يكتب في الجرائد وفكرة الجرائد دخلت دماغه، وقال لي ابحث عن كاتب أو كتاب يكتبون لي كل ما أريده)) ٩٥.

إن الراوي الثاوي في صوته صوت المؤلف غالباً ما يعرض الصورة السيئة عن حسن وأمه سوسن التي رفضت أن تقدم قلبها وجسدها لسالمين ولو حتى بالحلال بل ((تحولت سوسن المكاوية إلى عاشقة وتحول ابنها حسن إلى كل جنسيات الإبداع من شاعر إلى كاتب إلى أديب، هي شهوة الحياة وعقدتها ومرضها التي تجعل الكثيرين يريدون أن يصبحوا شخصيات كبيرة ومعروفة وهم في الحقيقة لاشيء ... الشيخ حسن أخذ من طباع أمه المكاوية، ولاغرابة أنه لا يشبه أباه، ومن يشابه أمه فقد ظلم))ص٩٩.

إن الراوي الذي لا يحمل اسماً في الرواية يقرر حقائق بيولوجية على مستوى الطباع، تنتقل من الأم السيئة إلى الابن الذي ينقل إليه السوء، وكأن هذه الحقائق مقدرة لا مفر من حدوثها، والحقيقة أن ارادة الراوي هي التي قدرتها.

إن شخصية حسن قُدّر لها في هذه الرواية أن ينال منها سالمين وعوض ومبروك، وتضامن معهم الراوي الذي لا يحمل اسماً ويتوارى لكنه يظهر لينال من شخصية حسن وبحسب زعم الراوي عوض أن حسن فرض على كل من يعمل معه أن ينادوه بكل ألقاب الشهرة التي حازها بماله إذ قال لعوض ((ياعوض من اليوم ورايح قل لأصحابك ألا ينادونني بالشيخ حسن، فالشيخ وحدها لا تليق بي فأنا شاعر وكاتب وعليهم أن يدعونني الأديب الشيخ حسن)) ص٩٦.

ولعل القارئ الذي يتطلع إلى معرفة شخصية حسن من الداخل ربما تمنى على الرواية أن تمنح حسن حق التعبير عن نفسه بصوته الخاص، لا صوت الراوي وربما يتيح ذلك التعبير التعمق في كشف من يتعاملون مع حسن وكيف يرضون أن يبيعوا نتاجاتهم بمقابل حفنة من الريالات، إن هؤلاء يشتركون مع حسن في الفساد، بما في ذلك الصحافة التي تنشر كتابات لا تنسب إلى أصحابها بل تنسب إلى حسن – لقد أضاعت الرواية على القارئ التعرف على هذا العالم المتخن بالفساد، وسوف تكتفي القراءة بهذا القدر من العرض عن حسن، وستنتقل إلى شخصية سالمين الذي تمسك بالهوية الحضرمية على الرغم من أن أصله غير حضرمي، ولم يكن باستطاعته أن يختار هوية أخرى غير الهوية الحضرمية، ولقد قدّر له أن يكون في وطن غير محسوب على حضرموت لاختار هوية هذا الوطن، ولعل هذا الذي جرى لسالمين على مستوى الهوية، يدفع القارئ إلى التساؤل والتشكيك في ذلك القول الذي يزعم أن مجموعة الانتماءات المكونة للهوية لجماعة معينة تظل ثابتة لا يمسها التغيير والتبدل.

سالمين ومشكلة الهوية الممزقة:

إن شخصية سالمين حملت في داخلها مشكلة الهوية، بوصفها مشكلة معقدة ومركبة وليست مسألة بسيطة، إذ إن مجموعة الانتماءات المكونة للهوية التي تشكل هوية الفرد لا تبقى على حالة ثابتة وتستمر إلى الأبد بل تتغير هذه الانتماءات، وهذا ما أنطبق على العبد سالمين الذي تم شراؤه من سوق (بضة في دوعن) قبل أن يهاجر إلى السعودية مع سيده (حمد)، ويكشف السرد أن سالمين لا يعرف شيئا عن أصله ولامكان ميلاده، بل لا يعرف اسم أمه وأبيه فهويته صنعت له من أسياده، ومن المحسوب للقبائل الحضرمية أنها تمنح عبيدها اسم قبيلتها ولا ينطبق هذا الأمر على

132
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

كل القبائل ، بل على بعضها وقد لاحظ الرحالة الأجانب الذين طافوا بحضرموت المعاملة التي يعامل بها العبيد ، فقد كان أطفال العبيد يلعبون مع أطفال الأسياد ولا يتحرج الأسياد من الجلوس مع العبيد ، بل ويتحلقون معهم في مائدة طعام مشتركة ، وقد ذكر الرحالة الهولندي (فان دار مولين) الذي زار حضرموت أكثر من مرة هذه الحقائق ، ولكن هذه المشاهد التي سجلها الرحالة لا تعني الغاء الفوارق والتراتبية في المجتمع المحلي، بل إن ثقافة التمييز حاضرة بقوة وجاهزة للعمل في أي لحظة ، فالعبيد لا يتصدرون المجالس ويسمون بأسماء خاصة بعيد عن محاكاة أسماء أسيادهم ، ثم أن العبيد يمكن أن يباعوا في أي وقت ، ولا يستطيع العبد أن يهرب لأن هناك تواطؤاً بين القبائل على ضرورة عودة العبد الهارب إلى سيده ، وهذا ماحدث لسالمين فقد تعرض للبيع عندما غضب عليه (سيده) في السوق نفسه الذي اشتراه منه .

إن سالمين لا يعرف من أين أتى ؟ فماضيه مجهول ، ورغم المعاملة اللاإنسانية التي عُومل بها إلا أنه حسب نفسه من ضمن جغرافيا الحضارمة، بل ويفتخر بالانتماء إليهم ولا يخجل من التصريح بهذا الأنتماءعلى الرغم أنه في وضع يسمح له بالتبري من هذا الانتماء ((أنا لا أستحي من حضرميتي برغم أنني أسود وأرفع رأسي في جدة عندما يسألونني من (فين) أقول من حضرموت، لست كما البعض من أبناء المهجنين يقول لك بلا خجل (يابويا أنا مش حضرمي أنا سعوووودي))ص ٧٠.

الطريف أن الرواية لم تجد من بين الشخصيات التي اختارتها سوى سالمين ليكون المدافع بقوة عن المدرسة الحضرمية في أرض المهجر، إذ وجه سالمين كلماته المشحونة بالدفاع عن الحضارمة إلى كل من تنكر لأصله الحضرمي إذ يقول لهم ((أنتم تنظرون للحياة بنظرة الرفاهية ، بعدما كان آباؤكم وأجدادكم صبياناً في بيوت أهل الحجاز ، وبعدما كانوا قماشين لا يغادرون محلاتهم ، صبروا على الحياة وحققوا لكم مستقبلاً لا تحلمون به ، وأنتم تريدون دفن الماضي ودفن أرض أجدادكم ومحوها من ذاكرتكم بهذه الأعمال الشنيعة تتنكرون من المجد الذي صنعه أجدادكم وأيضا تجهلون المدرسة الحضرمية التي أنجبت هؤلاء الأساتذة في الصبر والعمل بلا كلل ولا ملل كان أجدادكم أساتذة ، والمدرسة كانت ومازالت هي حضرموت ، وأنتم لن ولم تكونوا أساتذة مثل أجدادكم إلا عندما تلتحقون بالمدرسة الأم حضرموت))ص ٧١.

ورغم هذا التفوه التمجيدي للحضارمة ومدرستهم ، إلا أن شخصيته تحمل طبيعة متناقضة ، ولأنها طبيعة بشرية فإنها لا تخلو من الشر ، فهو على حبه الجارف للحضارمة ، إلا أن هذا الحب ظل على مستوى الأقوال ، ولم يذهب بحبه إلى مستوى الأفعال ، فإذا كان الحضارمة المهاجرون الميسورون قد بنوا السدود والمساجد في حضرموت ، فسالمين لم يمد يده ولو بسنتٍ واحد في أعمال الخير لافي حضرموت ولا في خارج حضرموت إذ ((تحول إلى تاجر يملك الملايين، وبدلاً من أن يفعل الخير وبناء السدود أو المساجد كما هي عادة البعض من أهل حضرموت، إلا أن سالمين أراد أن يسوق النساء كلما سنحت له الفرصة)) ص٦٦ وسالمين يسوق النساء إلى فراش المتعة من أجل إشباغ رغباته الجنسية ولا يرضى بالمعاشرة من غير البيض من النساء حتى أصبح معروفاً بين الحضارم بهذا الجموح نحو النساء البيض إذ يقدم لهن الأموال والهدايا وخاصة الجنس المعاكس للونه .... يتفاخر باصطيادهن بسهولة . كان يستمتع بهذا التحول عندما يخلط الاسود بالابيض))ص٦٦.

أن مشاعر سالمين في غاية الرقة فهو يتحسس ويتفاعل مع آلام الأخرين وبخاصة أولئك الذين يعتمدون في أكلهم على صناديق القمامة في جدة ، لكنه لا يفعل شيئاً مع هؤلاء سوى التعاطف حسب . ثم إن المشاعر الانسانية الفياضة التي يحملها سالمين تسمح بتأخير ((راتب العامل البنغالي الذي يعمل عنده)) فضلاً عن تصرف سالمين السلبي إزاء صديقه مبروك صديق عمره وشريكه في العبودية ، فلم يفكر في تحسين حاله، أو مد يد العون إليه ولو بحفنة من مالِه الكثير .

إن عواطف سالمين تجاه الآخرين لا تتجاوز حدود فمه وسالمين نفسه المحب للحضارمة استخدم نفوذه ضدهم ، إذ كان يعرقل تسيير كفالتهم بحجة مناداة البعض له بالعبد ، وسالمين نفسه أجبر الحضارمة على أن ينعتوه بالشيخ سالمين على الرغم من أنه يستنكر المشيخة على حسن، ثم إن نبرة الاستعلاء على الآخرين وجدت طريقها إلى قلب سالمين وعبر عنها بالآتي ((جعلتهم ينادونني بالشيخ سالمين، بدلاً من كلمة العبد، فكلمة العبد أرهقت أذني خلال سنوات طويلة، أصررت عليهم أن ينادونني بالشيخ سالمين))ص٧٩.

إن سالمين لم يتذوق بحق التناغم والتصالح مع هويته، فهو محسوب على الحضارمة، لكنه يبدو في حقيقة الأمر ليس منهم، لأن هذا الانتماء العرقي لم يرفع من داخله الإحساس بالعبودية

إن هذه التغييرات التي حدثت لسالمين لم تخمد عنده الاحساس بثقل العبودية، إذ ظل هذا الإحساس يطارده وينغص عليه حياته والطريف أن هذا الإحساس لم يكن بالقوة نفسها قبل أن يغادر من دوعن إلى جدة ، ففي جدة تنامى لديه الإحساس بالعبودية .

إن سالمين لم يتذوق بحق التناغم والتصالح مع هويته ، فهو محسوب على الحضارمة ، لكنه يبدو في حقيقة الأمر ليس منهم ، لأن هذا الانتماء العرقي لم يرفع من داخله الإحساس بالعبودية .

إن الثراء الفاحش الذي حققه ونيله على حريته في جدة لم ينقله إلى عالم التحرر من العبودية إطلاقاً، والحضارمة ظلوا ينالون منه ويتفوهون بعبوديته وعمقوا جرح الإحساس بها.

إن هوية سالمين هوية مضطربة وممزقة فهو لم يتذوق طعم الانتماء للأسرة ، ولا طعم الانتماء للمكان الذي استقر فيه . ففي دوعن كان عبداً، وفي جدة أصبح حراً، ولكن البشر لم يقروا له بالحرية بسبب لونه الأسود ، اختزلت انسانيته في لونه الأسود ، فالبشر في شوارع جدة ينظرون إليه بوصفه عبداً، وليس سالمين الذي أصبح ثرياً وحراً، والقادر على استباحه أجساد النساء البيض بماله ليحصل على المتعة البيضاء .

إن اللون الأسود تحول إلى عقدة تضخمت في ذاكرة سالمين وحولتها إلى ذاكرة أليمة ، ودفعته إلى أن يهجن نسله بقدر ما يستطيع حتى يمحي اللون الأسود من أحفاده ، ويجنبهم لعنة السواد التي ظلت تلاحقه في شوارع جده ، وأصبحت جدة مكاناً يشعل فتيل الألم في داخله وبتعبير سالمين لم يعد ((ذلك الحلم الذي انتظرته، أحلام تحققت في جدة ،

إن ثقافة العبودية وهي صورة حادة من صورة التراتبية لا يمكن أن تزول بسهولة إذ إن هذ الثقافة ستظل مادامت أسبابها قائمة وبخاصة في مجتمعات لم تعرف المدنية بمعناها العميق.

إلا حلم وجود أمي، وعدم منع الناس بمناداتي بالعبد، شكلي ولون بشرتي تجعل البعض يناديني بالعبد، سمعت أكثر من واحد يزاحمني في الطريق، ويريدني أن أبعد سيارتي من الطريق المزدحم وأنا أحاول الابتعاد منه، يقول لي انقلع يا عبد أو روح يا خول أو يا خال. كنت أظن أن كبر سني يمنع الناس من مناداتي يا عبد، ولن أسمع هذه الكلمة مرة أخرى ولكن العنصرية مازالت تحملها المدن العربية وقلوب البشر التي تسكن تلك المدن))ص١٠٦.

وعلى الرغم من أن هذا المنطوق محسوب على سالمين، والذي كشف عن الحمولة الثقيلة من الإحساس بالعبودية في مدينة جدة، إلا أن القارئ يشم رائحة المؤلف في هذا المنطوق إذ إن وعي سالمين لا يمكن أن يصل إلى مستوى يدين فيه كل المدن العربية التي تمارس ثقافة العبودية.

إن العبودية التي عاشها سالمين وتأذى منها جسدياً ونفسياً لم تعد تؤرقه في حياته الواقعية المباشرة بل اقتحمت أحلامه مرات عديدة إذ يقول: ((حلمت أكثر من مرة بمحمد سالم يجوب بي شوارع كبيرة ليست كمنطقة بضة في دوعن، مدينة كبيرة وهو يقول بصوت متقطع أكثر وحشية من قبل (عبد للبيع، عبد للبيع، من يشتري ياناس؟ هذا سالمين العبد للبيع بسعر مغرٍ) ص١٠٦.

إن حلم العبودية الذي يراوده في المنام باستمرار يشعره بأنه على حافة العبودية، ومهدد بالسقوط في هاويتها البشعة، فيعرض للبيع في أي لحظة مثلما بيع في الماضي البائس وقدم المشتري في مقابل ثمنه ثوراً من الثيران.

إن سالمين فقد الإحساس بالتباين بين الحلم والواقع بسبب تنامي الإحساس بالعبودية في أعماقه النفسية السحيقة. فلم يعد يدري أتحرر من العبودية، أم لم يزل عبداً أسوداً؟ إذ يقول ((أحدّث نفسي في الحلم كيف أنني عبد وأنا تاجر في جدة، أنا سالمين يا ناس، أنا صاحب الفنادق الضخمة والمحلات الكبيرة في جدة... ينقطع الحلم أستيقظ من نومي))ص١٠٦.

إن مرور نصف قرن على مرور تحرر سالمين من العبودية لم يغير من درجة الإحساس بالعبودية، بل تفاقم هذا الإحساس وأصبحت الحياة في نظرة شقية ومحيرة فيتساءل على هذا النحو ((لماذا الحلم يلاحقني يذكرني بالماضي بعد مرور أكثر من نصف قرن على محاولة بيعي.. يتكرر الحلم أكثر من مرة (عبد للبيع، عبد للبيع) وأنا أصيح في الحلم، أنا سالمين ياناس، أنا تاجر وأحفادي بيض هجنتهم وهم مش عبيد (فكيف تحكمون علي بأني عبد؟ خلاص بدفع لكم فلوس كم تبغون، أنا مش عبد، أنا رجل أعمال كبير في جدة أتركوني في سبيلي أريد أن أتحرر أريد أن أعيش، بكرامتي، لا تجرحوا مشاعري أرجوكم يا محمد سالم، اللّه يخليك لا تبعني، أنا سالمين أنا تاجر، أفيق من نومي))ص١٠٧ والرواية تعمدت أن تنهي سطورها الأخيرة باستمرار حلم العبودية الذي لا ينقطع في حياة سالمين فهذا الحلم يقتحم عالمه الذي يدوي فيه صوت (محمد سالم)، الذي أصر على بيعه في (سوق بضة) وأصبح يرى في الأصوات الصادرة من أفواه البشر في جدة، صوت محمد سالم نفسه ظل يلاحقه ليس في حضرموت حسب بل في شوارع جدة بصوت الاشخاص الذين ينادونني يا عبد)) إن هوية سالمين هوية ممزقة، إذ ظل الصراع بداخله يتصاعد ولم ينعم بالحرية التي قدمت له، لأن المحيط الاجتماعي قاوم هذه الحرية ونال منها ولعل هذا يفسر لنا لماذا تعاطف سالمين في الرواية مع سالمين الرئيس على الرغم من الطريقة الخجولة لهذا التعاطف والسبب تشابه اسمه مع اسم سالمين (رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قبل قيام الجمهورية اليمنية.

إن ثقافة العبودية وهي صورة حادة من صورة التراتبية لا يمكن أن تزول بسهولة إذ إن هذ الثقافة ستظل مادامت أسبابها قائمة وبخاصة في مجتمعات لم تعرف المدنية بمعناها العميق ومجتمعنا من ضمن هذه المجتمعات، إذ إن الثورة التي حدثت في تاريخه لم تحدث انقلابا عميقا في بنية الثقافة وبددت طاقاتها في الصراعات واستهلكتها الشعارات الثورية التي عجزت عن إزالة هذه الثقافة التي ظلت ثاوية في عقول الناس، ولأنها ثاوية نشطت بعد قيام الجمهورية اليمنية بقوة، وسعت هذه الجمهورية في الرفع من شأن هذه الثقافة والترويج لها لأغراض سياسية ومنفعية وبدت قيادة هذه الجمهورية في الظاهر ناعمة ومتسامحة إلا أنها في الحقيقة متوحشة تريد أن تحول البشر إلى خدم وعبيد تفعل بهم ما تشاء.

إن سالمين الذي سحقته هذه الثقافة وتأذى منها نفسياً لم يستطع مواجهة هذه الثقافة لأنها أكبر منه وأقوى منه ولأنها ثقافة متجذرة في المجتمع والخلاص منها لا يمكن أن يكون فردياً بحسب منطق سالمين الساذج بل إن الخلاص لا يمكن أن يتحقق إلا بانقلاب في البنية الاقتصادية والاجتماعية ويكون الفعل اجتماعياً شمولياً، فضلاً عن ضرورة قيام مؤسسات مدنية فاعلة وحقيقية وليست مؤسسات مدنية أجيرة للنظام، ولرغبات شخصية ومذهبية، وفوق هذا كله يجب أن تكون هناك مؤسسات حقوقية وقانونية تمتلك الصلاحيات النافذة من أجل حماية ثقافة الحريات والكف عن انتاج ثقافة العبودية والترويج لها، وعلى كل من يتوق ويتطلع الى الحرية ومعهم سالمين أن ينتظروا طويلاً حتى تتحقق هذه الشروط التي ستسُهم في زحزحة هذه الثقافة الاستبدادية، ثم إن إزالة هذه الثقافة مسألة ليست هينة، ولا علاقة لها بالرغبات الشخصية، ومن ضمنها رغبة سالمين الذي يحمل وعياً بسيطاً وساذجاً.

إن مشكلة سالمين وأشباهه ستظل مشكلة قائمة وسالمين عندما أعتقد أن المال سوف يضمن له الحرية والكف عن مناداة الناس له بالعبد كان يتوهم، إذ إن ثقافة العبودية عميقة في الزمن، وليست وليدة لحظة عابرة، إنها بنية متكاملة من القيم والأمثال والمأثورات الشعبية المسنودة بمرجعيات

الثورة التي حدثت في تاريخه لم تحدث انقلاباً عميقاً في بنية الثقافة وبددت طاقاتها في الصراعات واستهلكتها الشعارات الثورية التي عجزت عن إزالة هذه الثقافة التي ظلت ثاوية في عقول الناس.

اجتماعية ومذهبية ، ثم إن المجتمع المحلي يستحلى هذه الثقافة ولا يتردد في استخدامها على مستوى الوعي الشعبي في حين أن الثقافة المناهضة مازالت ضعيفة وتحتاج الى زمن حتى يتصلب عودها وتقوى .

إن سالمين تملكه اليأس من البحث عن أصله الأسري الصغير إذ لا يعرف له أماً و لا أباً (إي والله) لم يتذوق سالمين حنان الأسرة والمتأمل في تاريخ العلاقات السياسية بين الدول يلمس هذا التناقض بوضوح تام، ولاعتبارات سياسية وأيديولوجية كانت المملكة العربية السعودية تقيم وزناً لحامل جواز الجمهورية العربية اليمنية وتمنح حامله امتيازات لا يحصل عليها حامل الجواز الجنوبي المحسوب على جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والرواية أتت على سبب التفضيل تقنع الشباب بالبقاء ، ولم تنفع شعاراتها الحماسية الواعدة بمستقبل الاشتراكية الباهر أن تثنيهم عن الهجرة بوصفها البديل الممكن للخروج من هذه المآزق .

إن مسألة الهجرة في ذلك الزمن الثوري لم تكن مسألة هينة ، فحكومة الثورة حرّمت من السفر، واضطر الشباب التواق للهجرة إلى وسيلة الهروب وبتواطؤ مع جماعات التهريب

من المستحيل اختزال الهوية أو الوطنية في مجموعة أوراق رسمية تسمى الجواز

وحنان الأم والأب إنه أول انتماء في الهوية ، ولا يستهان بتأثير هذا في الانتماء على الانتماءات اللاحقة وعبر سالمين عن هذا الحرمان من هذا الانتماء الآتي ((أيقنت أن البحث سيطول عن أمي ، وربما لن أجدها ، ولن أعرف اسمها ، ولا حتى ملامحها ولا مصيرها ولا أرضها ، ربما جلبتني أيادي الشر من أفريقيا إلى حضرموت وربما أتيت من السماء على أجنحة أحد الملائكة ، واستعبدتني أيادي البشر وحولتي إلى عبد أسود حقير ، بعدما كنت ملاكاً في نظر الكثيرين ممن يعرفوني ، لا أذكر شيئا من هذا القبيل أذكر أني حضرمي وعشت في حضرموت وعشقتها رغم بيعي فيها))ص١٠٤

وسوف تكتفي القراءة بهذا القدر عن مشكلة الهوية عند سالمين ، وستنتقل منها إلى قضية تمس الانتماء وهي قضية تفضيل الجنوبيين ومنهم الحضارمة حمل الجواز المحسوب على الجمهورية العربية اليمنية على الجواز الجنوبي المحسوب على جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

تفضيل المواطن الجنوبي حمل الجواز الشمالي:

من المستحيل اختزال الهوية أو الوطنية في مجموعة أوراق رسمية تسمى الجواز، ولاعتبارات سياسية يضطر مواطن ألا يحمل جواز وطنه ويحمل جواز وطن آخر؛ وهذا ما حصل للجنوبيين والحضارمة من ضمنهم ولا يعني ذلك سقوط الوطنية عن هؤلاء الذين دفعتهم الحاجة الاقتصادية إلى أن يحملوا الجواز الشمالي حتى يستطيعوا أن يدخلوا الى أراضي المملكة العربية السعودية بطريقة رسمية ، وهكذا يرى المتأمل في التاريخ أن حياة الأفراد والمجتمعات والدول لا تمضي بطريقة واحدة وبحسب ماهو متعارف عليه بل إن المكايدات السياسية تؤثر في العلاقة بين الدول وعلى الأفراد وعلى التاريخ السياسي بين الدول لا تخلو من التناقض والمفارقات ، لحاملي الجوازات الشمالية بحسب نقل الراوي سالمين لرواية سيده حمد اذ يقول ((أحمد ربك ، إنك أفضل من غيرك في جدة طالع في الحضارم كل واحد عنده إقامة وكفيل ، أما أنت جبنا لك جنسية (وخليناك) أدمي تمشي رافع راسك ، (شوف أبناء الشمال يمشون في هذه الارض دون كفيل وبدون إقامة ، لأن حكومتهم فيها خير ، ليست مثل حكومة الجنوب الملحدة ، هذا جزاء من يتبع حكومة لا تتبع دستور القرآن)ص٧٧.

إن هذه المعاملة المفضلة لأبناء الشمال جعلت أبناء الجنوب يتطلعون للحصول على الجواز الشمالي – إذ كانوا ((قبل ذهابهم إلى السعودية يحاولون أن يحصلوا على جوازات شمالية ، لكي يعاملوا مثل أبناء الجمهورية العربية اليمنية ، والبعض منهم يتم كشفهم في مطار جدة ، ويعرفون أنهم جنوبيون فيتم ارجاعهم إلى وطنهم)) ثم إن السفر إلى السعودية كان حافزاً للشباب والحضارمة من ضمنهم ، من أجل تحسين حياتهم وتحقيق أحلامهم التي تتبدد في وطنهم الأم حضرموت، وبحسب زعم الراوي الذي يتماهى مع المؤلف كان يرى أن ((الوصول إلى السعودية يعني تحقيق حلم التجارة والغناء بسرعة ، الوجوه تتدفق إلى السعودية ... فالجيل الذي أعقبنا وخاصة بعد حكومة الجنوب كانت هجرته بسبب قلة العمل، والدولة أممت البيوت، والأشخاص الموظفين عند الدولة أجورهم زهيدة، وبسبب آخر هو الخدمة العسكرية التي ينفر منها بعض الشباب ولا يريدون تأديتها فيضطرون إلى الهجرة، أما بجواز شمالي أو عن طريق التهريب ، وفيما بعد تصرف لهم إقامات))٧٨.

إن مرحلة السبعينيات وما بعدها شهدت الحياة في الجنوب اندفاع الشباب إلى الهجرة لأن الأوضاع كانت تتردى ، ولا تشجع على البقاء في الوطن الأم ، ولم تستطع حكومة الثورة أن التي وجدت في هذه المهنة مكاسب مغرية ، وحتى الوصول إلى الجمهورية العربية اليمنية لم يكن هيناً إذ يعد الوصول مغامرة لا تخلو من المخاطر، وتحمل الشباب ومن ضمنهم الحضارمة هذه المخاطر من أجل الفوز بالجواز الشمالي الذي يمنح صاحبه مزايا يفتقدها حامل الجواز الجنوبي ، ولعل القارئ الحصيف يمكن أن يدرك الآن أن عناصر الهوية التي يحملها الانسان لا تصنع مرة واحدة وإلى الأبد فالسياق التاريخي بما يعتمل فيه من حركة سياسية واجتماعية ، وحركة مصالح الدول يؤثر في الانتماءات الممثلة للهوية ، إذ ليس هناك من حرج على هؤلاء الشباب الذين حملوا الجواز الشمالي من أجل تخطي الحاجة الاقتصادية وتحسين حياتهم المعيشية ، ولا يعني ذلك أن نظام الجمهورية العربيةاليمنية كان يمنح جوازات السفر مجاناً وأن الأمور تمضي بأريحية وفي الحقيقة أن الأمور لم تكن كذلك ، إذ إن بعض الجنوبيين يتم التدقيق معهم وابتزازهم مالياً، بل ويطلب من البعض منهم أن يجند أميناً، فالمسألة لا تخلو من مضايقات نفسية وأمنية ولا علاقة لهذه المسألة بحقوق الإنسان ، ولا تعطى الجوازات من أجل خاطر العروبة والإسلام ، بل نكاية بالنظام الجنوبي، ولا يعني ذلك أن النظام بالمقابل في الجنوب كان يتصرف تصرفاً بريئاً في مسألة صرف الجوازات ، بل إن هذا النظام قد صرف جوازات لأفراد محسوبين على فصيل دون آخر ، تحت عنوان تقدمية هذا الفصيل ورجعية الفصيل الآخر على الرغم أن كلا الفصيلين محسوب على منظمة التحرير الفلسطينية .

إن المرء لا تمضي حياته في بعض الأحيان في خط ثابت لا يتغير في مسألة الانتماءات ، بل يحدث تغير في الانتماء بصورة معينة أو بأخرى ، وهذا ما حدث للحضارمة عندما هاجروا إلى خارج وطنهم مثلما سردته لنا رواية سالمين .

135
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

يا مُكَلاَّ



من بـــــــعيدٍ أتيتُ أنْشُدُ وَصْلا ... كم قـــــطعنا إليكِ حَزْنًا وسَهْلا
من بـعيدٍ يسوقـني الشـوقُ سَوْقًا ... لأَرَوِّي صَبَابـــــــتي يا (مُكَلَّا)

يـــا عـــروسًا يزفُّهـــا بَحْرُ هنـــدٍ ... وعليها صحـــائفُ الحُســـن تُتْلى
وإليها تَســـــابَق الموجُ والريحُ ... وفَوْجُ النســـــيم كي تَسْتظلاَّ
وأبـــوها الوقـــورُ يَشْمَخُ عِزًّا ... جبـــلٌ من شعابـــهِ النورُ هَلاَّ
وكأنَّ الســـــماءَ والماءَ صارا ... قـــابَ قوســـينِ إذ دَنَا فَتَدلَّى
روعةٌ تَخْلِبُ العقـــولَ وسحـــرٌ ... بابـــــــليٌّ وآيةٌ تَتَجلَّى
يا رحـــابَ الجَمَال ما قـــلتُ شـيئًا ... إنَّ شـــعري عن وصفكِ اليومَ كَلاَّ
عاشـــــقًا جئتُ هاهنا لأُناجي ... نسـمةً في المســـاءِ... بـــدرًا أطَلاَّ
شـــــاطئًا دافئًا... وموجًا دَؤوبًا ... ...بـهجةً في الصبـاح... زهرًا وطَلَّا
جئتُ أبـــني من الرمال حـــصونًا ... أنقـــش الذكرياتِ في الشَطِّ رَمْلا
غارقًا يا حبيبـــتي في طقـــوس الـ ... ـــحبِّ ... ما زلتُ في رحابكِ طِفْلا
إيهٍ.. يا حـــارةَ (الكســـاديِّ) زالتْ ... ســـلطناتٌ وشـــتَّت الدهرُ شَمْلا
والســـــنونُ العِجافُ صارتْ خيالًا ... كـــم تـــولَّى مُبَجَّلٌ.. فتـــولَّى
سَحَرَتْني الحصونُ في السفح تزهو ... بوشـــاح البـــياض دُرًّا وفُلاَّ
وسَنَا الحُســـن في (البـــلادِ) دعاني ... وهو في (السِّدَّة) العتيقـــةِ أحـــلى
وروابي الجَمَال في (الدِّيس) أضحتْ ... بمبـــانٍ بـــديعةٍ تتحـــلَّى
وانسـيابُ الضياءِ في (الخَور) ليلًا... ... كم حـــزينٍ في جانبـــيهِ تَســـلَّى
(والغُويزيُّ) كم غزتْهُ قـــــرونٌ ... وهو ما زال شـــامخَ الرأس كَهْلا
باســـمَ الثغر للحـــوادث... يُصْغي ... لحـــــديث النجوم جيلًا فجيلا
(حـــضرموتُ) الإبـــاء والخير تدعو ... كلَّ شـــهم ... تقـــول: أهلًا وســـهلا
بـين قـوم من صفوة الناس فيهم ... أَلَقُ العلم ... أكسبـــوا الجيل نُبْلا
يا (مكلا) أتيتُ أنشـــــــدُ وصلًا ... شـــاعرًا أنْثُر القـــريضَ مُحلَّى
فخُذيني إليكِ أخذَ محـــــــبٍّ ... لحبـــيبٍ... وعانقـــي يا (مُكَلَّا)



نادر سعد العُمَري

تصوير : عبدالله عثمان

136
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

اللوحة و اللون



إلى روح الفنان الرسام عمر حسنون



سالم عبدالله بن سلمان

استهلال

(قطرتان من الصحو
في قطرتين من الظل
في قطرة من ندى
قل هو اللون
في البدء كان
وسوف يكون غدا)"١"

هادئاً بطبيعته
ومنسجماً حين تأخذه
يده وأفكاره
في اقتناص الرؤى
وامتلاك الحياة
فيبدع آثارها
لوحة لوحة يسطع
اللون فيها بكل دلالاته والسمات.
يخطف العين ويذهلها
كل ما كان في جداريته
أو صنوف الورقات
لم يمت
وكيف يموت
من له ولنا
من تلافيف أشيائه
ورسوماته
عالم مذهل
صور مدهشات
تماهت بأفكاره وطبيعته
من فنون الجمال
وسحر الخيال
سافرت
إلى أمد موغل في شؤون الدنا
وتباريخ الحياة
جسدتها يد
في استباح المدى واصطفاء
اللحظات.



رسمة بريشة الرسام عمر حسنون تماهياً مع قصيدة المأساة والضياع للشاعر سالم عبدالله بن سلمان بالنشرة التربوية .. العدد الثاني.. السنة السادسة .. يوليو عام ١٩٧١م

١)-من ديوان كائنات مملكة الليل الأعمال الإبداعية مكتبة الأسرة الشاعر أحمد حجازي ٢٠٠٣م.

قَالَت اِمْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ:



عبدالله سالم باكرمان

قَالَت اِمْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ
لَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ
غيرُ اِنْتِظَارٍ يَطُولُ
وَغيرُ المواجيد
فِي هَاجِس الرَّمْلِ
غير بيارق قَافِيَةَ
هَادَنَتْ شَوْقَهَا
فِي الْغِيَابِ الْفصولُ
فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ
مِنْ عَاصِمٍ
غير صَحْوِ النَّدَى
فِي هَدِيلِ الْمَدَى
غير قِنْدِيلِ أُغْنِيَّةٍ
لَمْ يَزَلْ عالِقًا
فِي جَبِينِ السَّمَاءِ
فَرَتِّلْ نَشِيدَكَ
قَبْلَ الْمَسَاءِ

وَخُذْ مِنْ حَنِينِي رَغِيفًا
لَعَلَّكَ تَنْسَى تَجَاعِيدَ ذَاكِرَةٍ
لا تُجِيدُ الْغِنَاء

* * *

قَالَت اِمْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ:
لَا تَنْتَظِرْ أحَدا
قِفْ عَلَى بَاب قلبكَ
حَتَّى تَرَانِي
سَأَغْفِرُ شَوْقَكَ
فِي لَحْظَة
سَأُعِيدُ لَكَ الْوَجْدَ
ثَانِيَةً
عَلَّ قَلْبَكَ يَنْسَى مواجيدَه
عَلَّهُ يَرْتَدِي شَغَفًا
غَيْرَ هَذَا
الَّذِي لَمْ يَعُدْ صَالِحًا
لِقَلُوبِ النِّساء

أنا ما باقنع منه ولا باتوب



د. عبدالباسط سعيد الغرابي

أحبـــك لا ولا غيرك أحـــب ومن ينكر محبـينه وأحبابـه
علي في اللوح حبـــك انكتب ومن يمحي من الألواح لكتابه
رضينا بالقضاء واللي لنا مكتوب
يقولوا لي يقولونه أنا ما با قنع منه ولا باتوب

* * *

نزف جرحـــي على خلي وصب ودمع العين فوق الخد صبابه
إذا مـــا زارنـــا طيفـــه وهـــب لقى تأثير في خاطري ومهابه
ملك لبي وقلبي في يديه منهوب
يقولوا لي يقولونه أنا ما با قنع منه ولا باتوب

* * *

وذكره في لســـــاني ما يغب ولا بقدر على هجره ولا غيابـه
متى من نخب حبـــه باشـــرب يدفينا ويسقـينا من أشرابـه
ونتبادل كؤوس الحب والمشروب
يقولوا لي يقولونه أنا ما با قنع منه ولا باتوب

* * *

إذا ذقـــنا من الحـــب التعب تنســـينا عيونه كل أتعابـــه
ومـــن عطفـــه عليـــا والأدب تعلمنا فنون الحـــب وآدابـــه
يقولوا الحب بلوى بس ما هو دوب
يقولوا لي يقولونه أنا ما با قنع منه ولا باتوب

138
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



الصمت الرهيب



حسين عبدالله بامطرف

أيها الصمت تكلم ... أم لسان فيك أعجم
قد مضى عهد معتم ... وأتى يومك أبكم
ليت في صمتك روح ... وهدوء قد تبسّم
وحياء ليت يحيا ... فيه نبض لك ترجم
أيها الصمت أرى ... عينيك من صمتك تحلم
وأرى في وجنتي ... خديك قسمات ومرسم
وصدى مجدك في ... ذكرى بقلبي تتألم
أسألوا صمت العذارى ... ربما قد كان أفهم
واسألوا سيف النشامى ... في حد الفصل أحكم
ليت شعري لو ... صلاح الدين بالموقف يعلم
ليرى ليلاً بهيما ... صار في غزة أظلم
ويرى القسام يهوى ... ذلك الليل المعتم
في سماء ملؤها ... قصف على الآفاق خيّم
في سماء نورها ... اليوم على الخلق ملثّم

أتاني قائلاً



خالد فرج بروق

أتاني قائلا: وجبت ويكفي! ... فكم من مرة أبديت عذرا
دعوتك كي تجيء اليوم عرسي ... وتلقي شعرك الأوفى وشكرا
فحرت أجوب أصقاع القوافي ... وأبحث بينها برا وبحرا
لعلي أرزق الأبيات منها ... فتكمل فرحة وأحوز فخرا
فجزت بجمع شعار عجيب ... على نار فقلت رأيت سحرا
رأيت "كثيّراً" ورأيت "كعباً" ... وذاك الامرؤ المعروف شعرا
رأيت "الشنفريّ" يسرّ "عمراً" ... وذاك "تأبط الشعار شرا"
رأيت "فرزدقاً" يهجو "جريرا" ... و"أخطلهم" يميز اليوم قهرا
فصحت: أيا لمن أمسى شريدا ... يجوب القفر يرجو النول شعرا
فصعد "إمرؤ القيس" اليماني ... إليّ العين ثم أشاح شزرا
وأعرض "طرَفة بن العبد" عني ... كأني أعجمي قلت هجرا
ومال عن الحديث معي "زهير" ... وكان الأحكم الأمثال شعرا
وأشغل عن مساعدتي "جريرا" ... "فرزدق" إذ هجاه هناك جهرا
فعدت بخيبة الآمال منهم ... أقدم خطوتي وأجر أخرى
فلاح على شفير الأفق شيخ ... يلوح بالعصا ويقول: صبرا
بنيّ، إذا رأيت الشعر قفرا ... وأهل الشعر لا يرجون خفرا
فلن تقوى على نظم القوافي ... ولو حاولت بعد الدهر دهرا
ولكن القوافي مثل نخل ... ترى في سعفها بسرا وتمرا
فإن تعجل عليه يكون بسرا ... وإن تصبر عليه يكون تمرا
فقلت له: فديتك من بصير ... بأمر الشعر فهاما أغرا
حلفت بخالقي ما أنت إلا ... رفيق المجد "حسان" الأبرا
مسددنا بروح القدس شعرا ... محيل قلوب أهل الكفر جمرا
فهز برأسه وشرعت أشدو ... بما جاد القريض وقلت شعرا
لفوزي حين فاز بخير عرس ... وأكمل من تمام الدين شطرا
عروس لا تدانيها عروس ... ونور فاقت الأبدار نضرا
فجمع شملهم ربي بخير ... فكانا للورى شمسا وبدرا
وأخلفهم بذريات خير ... وأصلح شأنهم كبرا وصغرا
وأختم بالصلاة على حبيبي ... رسول الله خير الخلق طرا

رواية ليل (٢)

الليل و أنا



صالح سعيد بحرق

منذ أن يهجم الليل على قريتنا، في مساء فاتر انتظر قدومها..فبعد أن أعود إلى الحجرة الباردة وأطرح الأوراق المليئة بهذياني انتظر قدومها..لا يحدث أن تأتي إلا متشحة بسواد الليل وخوفه المركون في الزوايا..إنا لا انتظر شيئا منها بيد أنها تصغي إلى حكاياتي وتلتحف بسماء الخوف التي تظللني.

أعددت أبريق الشاي وانتزعته من بين أكياس بلاستيكية عتيقة للخبز وأشعلت السخان الكهربائي وانتظرت غليان الماء، لم أتحرك إلا قليلاً باتجاه رواية زوربا على المنضدة فتحتها لأقرا فيها فصلاً أعجبني، لقد كان زوربا يهبني دوما قناعات يأسه إن لا فائدة من الليل مادام لا يأتي بدفء الأحبة ، ورحت أقرأ قليلاً وأرنو إلى السقف وكان المساء يزحف ببطء تاركاً أرديته الثقيلة ممتدة في الغرفة وهي تسعى نحوي وتراقب سكوني واضطرابي وخوفي من المجهول فاصرخ في وجهها واقف مذعوراً ساحباً الغطاء عن جسدي النحيف موجهاً إرادتي صوب عتمة مضيئة عند الباب تهمس لي بان اقترب .. إنها هي جاءت لتستمع إلى حكاياتي في مساء فاتر مليء بالتوجسات.

وعكفت على النظر إلى تلك العتمة ورحت أحكي لها عن التماعات الأمس وأشواق السنين وكنت أجد متسعاً إلى الإفضاء إليها بسر الطريق البعيدة والليل والخوف. كنت غالبا ما أتمنى الشيء ولا أجده وأتوق إليه ولا أتحصل عليه كنت أصل إلى مرحلة قريبة من آخذه ثم يطير مني بعيدا واعرف إنها كانت ستكون لي ولكن الليل حجبها في سواده فلم اعثر لها إلا على ارتجاجات قوية في ذاكرتي .

وعالجت غليون التدخين بشيء من الألفة..قابلت التبغ وشممته..كان رديئاً جداً فمنذ شهور لم أتناول أي تبغ مستورد ورحت أدخن بشراهة متقطعة وكنت أبصر على الباب وجوهاً مسائية تحييني وتمضي إلى داخل الردهة وتتلاشى والمساء يتساقط علي مانحاً جسمي نتوءات زائدة ترتسم على محياي وتتسرب إلى روحي فقاعاتها الملونة.

وعنت لي فكرة أن أتسلق جدار الوهم العالق بي وأن أتذكر طيفها لعله يطفئ رتابة هذا المساء وفتوره ولم يكن لدي من نوازع التذكار إلا صورتها التي أهدتني إياها في حفل إنهاء العام وما أن نظرت فيها حتى انسربت الذكريات لكن المساء الذي يحتويني يرمي بي في أتون ذكريات أخرى فاستسلم للوهم وللمساء الفاتر.

وبدأت أطرافي تبرد وأحسست بلزوجة فادحة تنهمر على وعيي فقمت قليلاً وأطللت من النافذة الخشبية الوحيدة وأنا أحمل نصف إغماضة وبدت لي المدينة في الأسفل تساق إلى مساء فاتر يهوي بها في لجة السكون ولكم ضجرت من العمارات الإسمنتية الواقفة بشموخ كاذب وأحسست أنها تسلبني إرادة ما على صنع قرار آخر لحياتي فقد كنت أبغي الشيء ولا أتناوله وأرنو إلى نواحيه فلا أرومها وما من شيء يزعجني أكثر من المدينة إنها ترهب خطواتي في الليل وتطوقني بالوهم والقلق والفتور وتسرق فراشات النور التي ترقص أمام شاشة فرحي.

أذكر أن أبي أخذني في طفولتي إلى المدينة وفيها رأت عيني لأول مرة بهجة مغايرة للريف وأشخاصاً يمرون مسرعين إلى غايتهم وعمارات شاهقة لكنني أحسست للتو بالغربة فيها والضياع ولم أكن أهفو إلى شيء أكثر من سرعة التخلص منها والوصول إلى قريتي وعندما اشترى والدي المذياع سررت به وغنيت في سري بلحن تحبه أمي.

هأنذا الآن أقف قبالة شخوص المدينة إنها في هذا المساء تكاد تدخل بنتوءاتها في داخلي وتربك خطوي على درب الشوق وأصبحت أخافها كما أخاف هذا المساء الفاتر الذي ينضح بالألم.

ومن صورة زيتية لرسام هولندي كنت أمعن النظر في الغرفة أذهب في الخطوط والألوان وأتذكرها تلك اليدين في الصورة تشبه يديها وذلك الفم المكتنز بالشهوة قريباً من تقاطيعها.

وأحسست بالرغبة في البوح والكلام ولكن لا أحد هنا سوى الجدران والليل والوهم وخيالها البعيد فلا جرب إذن السقوط في هاوية الألم عله يريني سواداً مختلفاً للأشياء أو بؤرة انطلاق جديد لاحتواء الوحدة والفراغ.

كان الباب الوحيد في الغرفة الذي يؤدي إلى سطح البيت مفتوحاً وكان بإمكاني الصعود إلى الأعلى لأرى المدينة في الليل لعل هذا المساء فيها يرنو إلى كآبتي فيزيلها وبالفعل كدت انهض لولا أن علقت رجلي بالغطاء ولكني عالجت الأمر وخلصت رجلي واستقمت واقفاً ورنوت إلى الباب وأنا احمل نصف دهشة.ولا ادري كيف تذكرتها الساعة في موقف مشابه لهذا عندما تسللنا معاً إلى سطح المتحف لنرى مجسم الديناصور كانت خائفة وترتبك خطواتها لأن لمبة الممر كانت مغلقة وكانت تشعر بالخوف وترتمي على زندي واستطعت في تلك الليلة أن أقول لها كلمة ما عن الحب ثم ذهبنا لنشاهد المجسم الضخم وقد تعالت ضحكاتنا.

كنت أرنو إلى مدخل الغرفة بشيء من الارتياب وأتوق لما يكسر رتابة هذا المساء فقلت أجرب الغناء ولكنني خشيت أن يسمعني الجيران فمن عادتي أن أظل الليل صامتاً أترقب من خطواته خطوة تنقلني إلى مكان سحيق أتخلص فيه من الخوف.

وجاءني من الظلمة صوتها ندياً كالقرنفل ونحن نهبط السلم في تلك الليلة الباردة فجلست على السرير وقد أزحت كامل الغطاء ورميت بعلبة التبغ بعيداً كان المكان الذي يجمعنا في تلك الليلة موحشاً لكن وجودها كان يضفي علي شجاعة لمواجهة الخوف واستطعت أن ارسم على محياها انطباعاً بوجودي كان وجهها في العتمة يضيء كفانوس سحري معبأ بالدهشة ومشينا في ذلك الليل وقد تبدت لي الظلمة كدرب التقط فيه قناعاتي الجديدة.

140
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م



الرسّام صالح عمر باناعمة



ظل الفن التشكيلي بحضرموت يبحث عن فضاءات للإبداع يتخذها ملاذاً من تعقيدات الحياة ومشكلات المجتمع، وحاول الكثير من الروّاد لهذا الفن الإنساني النبيل السير به خطوات عميقة في مسارات المشهد الثقافي والفني بحضرموت فبرزت أعلام كبيرة نهلت من التراث والطبيعة الحضرمية مضامين لوحاتها الفنية المعبرّة واستلهمت من تضحيات الناس وأحلامهم ألوانها وخطوطها فالتصقت بذاكرة المجتمع حتى غدت عنوان مجده وعنفوانه وكبريائه الذي تتخذه غاية في كل مراحل التاريخ وتقلباته الوطنية والحضارية والإنسانية.

وإذا أردنا أن نقف عند تجربة من تجارب هذا الفن المهم في حياة الأمم، نقترب في هذا العدد من مجلة حضرموت الثقافية من رحلة الفنان التشكيلي صالح عمر باناعمة الذي كان الريشة تلازمه طالباً ودارساً ومبدعاً، إذ كانت دوعن موطن صرخة ميلاده في أجواء العام ١٩٧٠م.

سنوات الدراسة:

- كانت بداية رحلته الدراسية بمدرسة الشهداء بمنطقة صيف.
- حاصل على دبلوم معلمين بعد الثانوية.
- التحق في العام ١٩٨٦م، بمعهد الفنون الجميلة عدن وتخرج فيها عام ١٩٩٠م بدرجة معيد.

كان مشـــــروكان مشـــــروع التخرج يصور العمارة بحضرموت.

- بكالاريوس دراسات إسلامية من جامعة العلوم.

تلميذ وأساتذة:

- مربـــي الصف الأول ابـــتدائي الأســـتاذ عبدالله بازرقان
- الفنان والنحات الأستاذ احمد بامدهف
- الأستاذ فاروق الجفري

سنوات العطاء والعمل:

- معلم للتربية الفنية بثانوية حريضة بعد التخرج.
- معلم للتربية الفنية بثانوية المصموم
- مشـــــرف مكتب عدن وحـــــضرموت بمؤسسة طيبة للتنمية حالياً.

مهام عملية:

- مستشار مكتب الصحة والسكان بعدن لشؤون المنظمات الدولية والمحلية.
- الناطق الإعلامي لائتلاف الخير للإغاثة الإنسانية بحضرموت.

فنان وريشة:

للفنان المبدع صالح عمر بـاناعمة الكثير من اللوحات الفنية المعبرة التي شكلتها لوحته خلال سنوات العمر .. نتحفكم في هذا العدد ببعض منها..







142
العدد (٢)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٦م

إشكالية التأهيل في مسرح حضرموت





لم يعرف المسرح في محافظة حضرموت الإرهاصات الأولى لبداياته، الذي بدأ ونشأ وترعرع مسرحاً مدرسياً منذ الثلاثينيات من القرن الماضي، أي لا تأهيل أكاديمي للعناصر التي عملت في هذا الفن النبيل ولو بصورة محدودة، فكان الرواد الذين حملوا الراية من أجل أن يكون لهذا الفن حضوره الفاعل والمؤثر يعتمدون بدرجة رئيسة على اجتهاداتهم الذاتية وقدراتهم الفنية، إضافة إلى ما اكتسبوه من خبرات متواضعة من خلال الاطلاع والمشاهدة لبعض الأعمال المسرحية، كما أتيحت للبعض منهم فرصة المشاركة في وفود خارجية، منهم بشكل جلي الأستاذ والتربوي القدير رائد المسرح الحديث في حضرموت سالم يعقوب باوزير عندما أتيحت له فرصة الدراسة الأكاديمية في بريطانيا كان من المتابعين والحريصين على مشاهدة العديد من الأعمال المسرحية العالمية وتحديداً الأعمال الشهيرة لرائد المسرح الإنجليزي وليم شكسبير لإجادته اللغة الإنجليزية، فقد استطاع بعد عودته من الدراسة أن ينقل بعض مشاهداته لواقع المسرح بما يتلاءم مع ظروف واقعنا المتخلف، وتجلى ذلك من خلال إدارته للمدرسة الوسطى بالغيل في الخمسينيات من القرن الماضي، وكان المؤلف المسرحي المعروف سالم عبداللاه الحبشي طيب الله ثراه يطلق على الأستاذ سالم يعقوب باوزير بأنه رائد المسرح الحديث في حضرموت.



عبدالقادر سعيد بصعر

وينطبق ذلك الحال على العديد من المخرجين المسرحيين الذين تعاملوا مع هذا الفن بالخبرة والموهبة الفطرية، نذكر على سبيل الاستدلال من الجيل الأول الشيخ عبد الله أحمد الناخبي، والشيخ عبد الله سعيد باعنقود، والأستاذ سالم يعقوب باوزير، والأستاذ محمد علي مخارش، وعوض العماري وآخرين. أما الجيل الذي جاء بعدهم نشير على سبيل المثال إلى المخرج المسرحي عمر مرزوق حسنون، ومحمد عوض باصالح، وعوض سالم باعطب، عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، سالم أبوبكر باذيب، محمد محفوظ العماري، مبروك بشير بن عسلة وغيرهم آخرون تمكنوا من إخراج عشرات الأعمال المسرحية بالخبرة والموهبة ولم يكن للتأهيل الأكاديمي أي وجود يذكر.

وفي السبعينيات من القرن الماضي شهد النشاط المسرحي زخماً قوياً من خلال إنشاء عدد من الفرق المسرحية من بينها فرقة مسرحية تابعة لاتحاد الفنانين، وفرقة مسرح حضرموت التابعة لمكتب الثقافة، وفرقة الفقيد بارادم للمسرح التابعة للمجلس العمالي م/ حضرموت وبعض فرق المؤسسات الأخرى ومنها فرقة اتحاد الطلاب وأشيد، وفرقة الشرطة، وشهدت تلك الفرق


" هاملت "
تأليف: وليم شكسبير
اخراج: محمد عوض باصالح
** شباب الجنوب - الشحر **
1971م

حراكاً مسرحياً قوياً وتنافساً شريفاً بين هذه الفرق أثمر عن عرض أعمال مسرحية ذات جودة فنية عالية واهتم مكتب الثقافة في ذلك الوقت بتأهيل عدد من المسرحيين عندما آلت قيادة المكتب بعد تأسسه إلى الأستاذ الباحث والمؤلف والمخرج المسرحي عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي حيث نظمت خلال الفترة من أواخر شهر يوليو إلى منتصف شهر أغسطس ١٩٧٦م دورة مسرحية شارك فيها قرابة (٥٠) من المهتمين بالمسرح من الجنسين من المكلا وسيئون استمرت هذه الدورة المكثفة من الصباح إلى المساء نصف شهر وأقيمت في المكتبة السلطانية بالمكلا التي يرتبط بها مركز ثقافي متواضع في حي الصيادين به خشبة مسرح مجهزة للعروض المسرحية، وقد تلقى المشاركون والمشاركات في هذه الدورة محاضرات في تاريخ الدراما، وتاريخ المسرح في اليمن والوطن العربي، ومن التمثيل والعمارة المسرحية، وكان المشرفون على هذه الدورة من الكفاءات العربية والأجنبية والمحلية الذين لديهم تأهيل أكاديمي في معاهد عليا مسرحية، ومنهم الفرنسي بارسك ألن خبير العمارة المسرحية، والخبير المصري سامي عبدالنبي مدير مسرح العرائس في مصر، والدكتور عبد العزيز درويش خبير متخصص في الفنون التشكيلية والديكور، ومن وزارة الثقافة انتدب للدورة الباحث في تاريخ المسرح عمر عوض بامطرف والمخرج المسرحي المعروف عبد الله صالح مسيبلي، والمخرج المسرحي علي الرخم ومن أبناء المحافظة شارك المخرج والناقد المسرحي أحمد سعيد الريدي الذي كان حينها طالباً في الصف الرابع بالمعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت وكان يقضي إجازته في مدينة المكلا بين أهله وذويه فأبى إلا أن يشارك في هذه الدورة ليصقل الجانب التطبيقي، وقد توجت هذه الدورة بتقديم أربعة أعمال مسرحية شارك فيها خريجو وخريجات هذه الدورة المتميزة وهذه الأعمال هي مسرحية (نهر الجنوب) تأليف عميد المسرح العربي توفيق الحكيم وإخراج المخرج علي الرخم، ومسرحية (الخيل) تأليف الكاتب المسرحي عبد المجيد القاضي وإخراج المخرج المسرحي عبد الله صالح مسيبلي ومسرحية (الحبيب عبد الرحمن) فكرة المسرحية عن الدجل والشعوذة من إخراج الفنان المسرحي كمال سالم الحامد تمثيل طلاب مديرية سيئون المشاركين في هذه الدورة ومسرحية (التاكسي) فكرة وإخراج المخرج والناقد المسرحي أحمد سعيد الريدي وهي من مسرح البانتومايم (المسرح الصامت بالإشارات) التي تقدم لأول مرة وتعالج حالة اللامبالاة من قبل الأطباء تجاه المريض في العيادات الشعبية حيث الدخول إلى العيادة بأجور رمزية زهيدة وهي مسرحية ناقدة لتلك الفترة التي لم يعط فيها اهتمام بالأطباء الاختصاصيين وأدت إلى هجرة معظمهم خارج الوطن.


"عرس البيارق" ، تأليف فيصل صوفي ، إخراج جميل محفوظ
(فرقة حضرموت) ١٩٨٩م ، مهرجان القاهرة التجريبي .

والحقيقة أنه لو تمت الاستفادة الحقيقية من العناصر المشاركة في هذه الدورة وتأهيلهم وتدريبهم داخلياً وخارجياً، لمثل ذلك النواة الحقيقية لمسرح جاد وفاعل ولكن لم يحدث شيء من ذلك، وقبل هذه الدورة تم ترشيح عنصرين مسرحيين من المحافظة للمشاركة في دورة مسرحية بعدن ولمدة ستة أشهروهما الفنانة المسرحية القديرة أنيسة خميس بن جبير والفنان المسرحي القدير علي سالم الحامد ونالا شهادة الدبلوم في المسرح من وزارة الثقافة بعدن .

وفي بداية الثمانينيات من القرن الماضي مابين عامي ١٩٨٠-١٩٨١م وخلال وجود عدد من الأشقاء العراقيين في عاصمة المحافظة مدينة المكلا وهؤلاء لديهم تأهيل أكاديمي في المسرح تمت الاستفادة من خبراتهم خلال وجودهم قرابة عام في المكلا، تمكنوا من الإشراف على تنظيم دورة تأهيلية في المسرح لمدة ثلاثة أشهر شارك فيها عدد من كوادر المسرح ومن

المنتمين لعضوية فرقة مسرح حضرموت التابع لمكتب الثقافة أسهمت هذه الدورة في تأهيلهم في العديد من الجوانب النظرية والتطبيقية، وخلال وجود الأشقاء العراقيين وإخلاصهم وجدّهم أسهموا في إخراج العديد من الأعمال المسرحية لفرقة الفقيد بارادم للمسرح منها مسرحية (ذراع جاكسون) مسرحها وأخرجها المخرج العراقي عبد الهادي جبر (أبو أروى) وهي مأخوذة من الرواية العالمية (العقب الحديدية) تأليف الروائي الأمريكي جاك لندن ومضمونها يحدث عن استغلال الرأسماليين للطبقة العاملة وسلبها أبسط حقوقها المشروعة ومسرحية (موت وحياة احمد ابن سعيد) تأليف وإخراج المخرج العراقي عبد الهادي جبر (أبو أروى) وفكرتها مستوحاة من حادثة القصر الشهيرة التي حدثت في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٥٠م وهي أشبة بالانتفاضة الشعبية لسكان مدينة المكلا للمطالبة بتعيين سكرتير وطني، ومسرحية (الجرّة) تأليف الكاتب الإيطالي لويجي براند يللو وإخراج المخرج العراقي غانم شفيق ومسرحية (الكاتب والشحاذ) تأليف الكاتب المصري علي سالم وإخراج المخرج العراقي راجي عبد الله حسين (أبو ألان) كما أسهم الأشقاء العراقيون في إنعاش الدراما في إذاعة المكلا وأخرج عدد من المسلسلات التاريخية والدينية بمستوى راقٍ ومتقدم أسهم في ذلك الأخوان أحمد سالم وراجي عبد الله حسين (أبو ألان) هذه الأعمال مؤرشفة وموثقة في المكتبة الإذاعية لإذاعة المكلا أسهم فيها عدد من المسرحيين وبعض الممثلين في إذاعة المكلا تم الارتقاء بأدائهم التمثيلي ووصل إلى مستوى عال من الجودة بإشراف الأشقاء العراقيين الذين ضحوا بأوقاتهم إلى ساعات متأخرة من الليل دون أي عائد مالي يذكر، كما أسهم المخرج العراقي غانم شفيق في وضع الخطة الإخراجية لمسرحية (محاكمة الرجل الذي لم يحارب) من تأليف الكاتب السوري ممدوح عدوان إلا أنه بسبب مغادرة العراقيين المكلا استكمل الإخراج المخرج محمد عوض باصالح وشاركت به فرقة مسرح حضرموت في اختتام فعاليات عام الثقافة الذي أقيم في العاصمة عدن في نهاية عام ١٩٨١م ونال هذا العمل المسرحي إحدى جوائز المهرجان ونال الممثل المسرحي غالب محمد بافطيم جائزة أفضل ممثل في المهرجان عن دور (أبو الشكر) في هذه المسرحية ومرت بعدها سنوات لم يحظ أي كادر مسرحي بفرصة تدريب وتأهيل خارجية سواء عبر دورات طويلة لفترة عام أو عامين او عبر الدراسة الأكاديمية في المعاهد العليا والأكاديميات المسرحية المنتشرة في عدد من دول الوطن العربي مشرقه ومغربه ولا بأس في هذا العدد أن نشير إلى اثنين من كوادر حضرموت المسرحية أتيحت لها فرصة التأهيل الأكاديمي وهما أحمد سعيد الريدي – رحمة الله عليه - ذهب إلى الكويت بنظام الابتعاث والتحق بالمعهد العالي للفنون المسرحية وبعد تخرجه عمل في وزارة الثقافة بعدن في منتصف سبعينيات القرن الماضي وأسندت إليه مهمة دائرة المسارح بالوزارة لعدة أعوام وبعد ذلك تحمل مسئولية مدير مكتب الثقافة محافظة عدن، أما الفنان المسرحي المعروف سالم حسين الجحوشي الذي تم ابتعاثه إلى دولة الكويت للدراسة الأكاديمية في مجال المسرح كان عبر وزارة الثقافة وفي الأعوام الأخيرة استقر به المقام في دولة قطر الشقيقة، ليتم الاستفادة من خبراته المسرحية ويعمل خبيراً مسرحياً بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر الشقيقة وعندما نعود بذاكرتنا إلى الوراء وتحديداً في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي فترة انتعاش وتألق المسرح في حضرموت لم تتح الفرص لأي فرقة من الفرق المسرحية المشاركة في أية مهرجانات مسرحية تقام في عدد من الدول العربية وما أكثرها، يعود السبب الأول للتوجه



المخرج محمد عوض باصالح وبطل مسرح حضرموت زكي سالم بن كوير وخلفهم الخطاط والرسام حسن بخيت

السياسي للنظام السابق الذي يعاني من فتور وركود في العلاقات الثقافية مع معظم الدول العربية لانحيازه إلى دول التوجه الاشتراكي آنذاك ونبذ ومحاربة الأفكار التي ينتهجها النظام آنذاك في معظم البلدان العربية والسبب الثاني استحواذ المشاركات الخارجية على الفرق المسرحية الموجودة في العاصمة عدن وتحديداً فرقة المسرح الوطني التابعة لوزارة الثقافة التي أحرزت نصيب الأسد في هذه المشاركات، وأتيحت فرصة


" محاكمة الرجل الذي لم يحارب "
تأليف: ممدوح عدوان
اخراج: محمد باصالح
1982م

وحيدة ويتيمة لفرقة مسرح حضرموت التابعة لمكتب الثقافة للمشاركة في الخارج لتمثيل اليمن الجنوبي قبل الوحدة في ١٩٨٩م في مهرجان المسرح التجريبي الدولي في العاصمة المصرية القاهرة خلال الفترة من ١ - ١٥ سبتمبر ١٩٨٩م تمت المشاركة بمسرحية (عرس البيارق) تأليف الكاتب المسرحي والناقد فيصل حسين صوفي تمت الاستعانة بمسرحيين من عدن وهما مخرج المسرحية جميل محفوظ ومساعد المخرج فؤاد هويدي وقد أشاد بهذا العمل الناقد المعروف الدكتور لويس عوض رئيس لجنة مهرجان المسرح التجريبي في مقال كتبه في جريدة الأهرام المصرية عن الشباب المشارك في هذا العمل والتلقائية في أدائهم للأدوار والاستعانة بجوانب تراثية قربت العمل في المجال التجريبي وهي شهادة صدرت من ناقد كبير تجاه المفارقات التي تعتز بها حضرموت أثناء مشاركتها في المهرجانات المسرحية التي تقام في العاصمة عدن آنذاك انها تحصد الجوائز والميداليات والمراكز المتقدمة رغم حرمانها من التأهيل الأكاديمي ونشير إلى بعض من هذه الأعمال التي تبوأت المراكز الأولى ونالت جوائز التمثيل والإخراج منها مسرحية (صقر قريش) تألف الكاتب السوري سعد الله ونوس وإخراج المخرج محمد عوض باصالح في أكتوبر ١٩٧٨م، مسرحية (الجرة المحطمة) تأليف الكاتب الألماني هاينريش فون كلايست إخراج المخرج عمر مرزوق حسنون أكتوبر ١٩٧٨م مسرحية (محاكمة الرجل الذي لم يحارب) تأليف الكاتب السوري ممدوح عدوان إخراج المخرج محمد عوض باصالح، ومن الأعمال الفنية الأوبريتات أوبريت (الشموع العشر) تأليف الشاعر الغنائي الراحل حسين أبو بكر المحضار إخراج المواهب المسرحية في حضرموت التي شاركت في هذا المهرجان الدولي للمسرح لذا نقول بكل أسى وبحرقة إن محافظة حضرموت حرمت حرماناً شبه كلي من فرصة التأهيل لكوادرها المسرحية وخاصة التأهيل الخارجي على مدى اكثر من سبعة عقود من الزمان كما أنها حرمت في فترة الحكم الشمولي بعد تحقيق الاستقلال وزاد حرمانها أكثر بعد الوحدة اي قرابة خمسة عقود دام التقوقع والانكماش، ومن ضمن سالم أبو بكر باذيب في نوفمبر ١٩٧٧م، وأوبريت (النبراسية) تأليف الشاعر محمد عبد الله حسن وإخراج المخرج أحمد عبد الله حسن، وخلال العقدين الآخرين تراجع المسرح في حضرموت وانكمش وانكفأ على نفسه، ولم يعد المسرحيون يواكبون التطورات التي طرأت في عالم المسرح اليوم والتجارب المسرحية الرائدة وتحديداً المسرح التجريبي الذي تنظم له المهرجانات إقليمياً وعربياً ودولياً.

لذا فإننا نطالب بعد أن تجاوزنا الأوضاع الاستثنائية الطارئة التي يعيشها الوطن ويعم الأمن والاستقرار بلادنا وحضرموت على وجه الخصوص أن تفكر وزارة الثقافة ضمن المهام الملقاة على عاتقها بتطوير الفنون ويأتي في الأولوية منها للمسرح باعتباره من القوة الناعمة التي تعلق عليه المجتمعات آمالاً كبيرة في تطورها ورقيها ونبذ كل الظواهر السلبية ولأفكار المتطرفة وان تؤسس القاعدة الحقيقية للانطلاق على أسس علمية منهجية وان يتم ابتعاث عدد من المهتمين بالمسرح وخاصة من الشباب المحبين والعاشقين لهذا الفن النبيل في معاهده وأكاديمياته في عدد من التخصصات ومنها الإخراج، التمثيل، الإضاءة، الديكور الإكسسوار وغيرها من التخصصات الأخرى.

كما أن على مجلس جامعة حضرموت أن يتخذ قراراً شجاعاً بمباركة السلطة المحلية في إنشاء واستحداث كلية الفنون الجميلة ضمن كليات جامعة حضرموت في العام الجامعي القادم تستوعب تخصصات الموسيقى، والمسرح، والفنون التشكيلية، الفنون الشعبية والتراثية لنؤكد على ما يردده الكثيرون بأن حضرموت محافظة التراث والثقافة، والفنون بينما الواقع يؤكد تراجعاً مخيفاً وتضاؤل الاهتمام بهذه الفنون مجتمعة نأمل أن يتحقق ذلك على صعيد الواقع والممارسة وما ذلك على الجادين المخلصين ببعيد.

توقيع قلم

يد ما سرقت ما تخاف


الجعيدي بمعية أستاذه داؤود بالمكتبة السلطانية بالمكلا في لقاء مع عدد من طلاب قسم التاريخ بجامعة حضرموت

يختزن الناس في ذاكرتهم الجمعية الكثير من الحِكم والأمثلة والحكايات التي تحث على التروي قبل اتخاذ القرارات المهمة أو المصيرية (والراضة من الرحمن والعجلة من الشيطان). وبين النظرية والتطبيق تتداخل أمور كثيرة تحدد بموجبها مدى الاستجابة السليمة للمواقف الطارئة، ولهذا تتباين قدرات الأفراد كل بحسب سيكولوجيته الخاصة وتجاربه في الحياة، وكما يستفيد الإنسان من تجاربه يستفيد من تجارب الآخرين ولاسيما إذا صار طرفاً في مواقف مشتركة، من ذلك – على سبيل المثال - دخولي مع أستاذي الدكتور محمد سعيد داؤد في موقف كاد أن يكون له عواقب وخيمة...

نحن الآن في قاعة الصف كلية التربية بالمكلا (العام الجامعي ١٩٨٦-١٩٨٧م المستوى الثاني/ قسم التاريخ) نستعد للاختبار الشهري الأول في مقرر تاريخ اليمن القديم. التنافس بين زملاء الدفعة على أشدّه، وبالنسبة (لكبار)المتنافسين كان كل زميل يطمح في أن يسجّل انطباعاً جيداً في أول اختبار عند أستاذ اشتهر بالدقة في التصحيح ...

بعد المعاينة العامة للصف شرع أستاذنا بتوزيع أوراق الأسئلة مع فراغات بين الأسئلة لكتابة الإجابات في الورقة نفسها، وهو أمر غير معتاد في الاختبارات الشهرية. المهم انشغل كل طالب بحاله ولا مجال للغش البتة فقد كانت الإجراءات العقابية صارمة، وفي تلك اللحظات أدى أستاذنا دور المراقب اليقظ من خلال تمشيطه لزوايا الصف المختلفة، وفي أثناء هذه الصولات والجولات وبدون مقدمات ضغط براحة يده على كتفي برفق فظننت أنه ربما يعيد توازنه جراء الحركة المستمرة. ثم أخذ دورة جديدة حول الصف، وضغط بإبهامه على كتفي بحركة أقوى من سابقتها فالتفت إليه لكنه لم يقل شيئًا واكتفى بنظرة خاطفة، وانغمست في ورقة الإجابة مع تخمينات داخلية لا علاقة لها بجريمة الغش من قريب أو من بعيد. في الجولة الثالثة همس في أذني قائلًا : " ألا تريد إغلاق المذكرة؟!" فتنبهت.... فإذا بعناصر (الجريمة) واضحة وكان من حقه وبضمير مرتاح أن يسجل حالة الغش ويطرد (الطالب)، فالدليل لا يقبل الشك، وبسرعة أغلقت مذكرة المقرر الموجودة داخل الميز التي سهوت عن إغلاقها، واستكملت على عجل إجابة بقية الأسئلة وغادرت الصف. كنت في حالة قصوى من القلق والتوتر ليس فقط من احتمال رفض ورقة الإجابة بل كان الخوف - وهو الأهم - على (شرفي العلمي)؛ لهذا أعربت عند تسليمي ورقة الإجابة عن استعدادي للاختبار مرة أخرى في ما تبقى من وقت ولكن الأستاذ هوّن من روعي وقال : " لم يراودني الشك لأنك لم تهتز عند الضغطتين السابقتين"، وحتى نعطي للمشهد أبعاداً أخرى فإن هناك معطيات ربما ساعدت على التأني، منها تفاعلي في الصف في أثناء المحاضرات فكان هذا - والله أعلم - نقطة مساعدة، وعلى أية حال فإن الموقف ترك أثره الطيب في نفسي، وزاد من احترامي لأستاذي وتعلمت منه درسًا حيًا في أهمية (الراضة) والتروي قبل اتخاذ القرارات أو الحكم على الناس.

كان البديل (الافتراضي) إذا ضُبطت الحالة وأُعلنت هو تحملي شبح تهمة من الصعوبة بمكان تجاوزها، أو تأكيد البراءة منها، فعيون الناس واحدة، ولكنها تختلف في التفسير باختلاف النوايا التي في الصدور، وبتنوع المشاعر التي في القلوب.


أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي

في الجولة الثالثة

همس في أذني قائلاً :

" ألا تريد إغلاق المذكرة؟! "

فتنبهت .


سيئون


شبام


تريم

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

من إصدارات المركز





